سلسلة المحاور القرآنية ومساراتها

الكتاب الأول



تقديم الأستاذ الدكتور: مصطفى مسلم

أحمد دلّال

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ﴾



سورة الروم(٥٩)

ما مراد اللَّه

من كلمة العلم

في القرآن؟

تقديم الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن القرآن الكريم مائدة الله على الأرض، وحبله المتين الذي أوله في الأرض بيد العباد وآخره في جنات النعيم، من تمسك به واعتصم فقد استمسك بالعروة الوثقى، وسعد في الدارين، واستقر به المقام في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

والباحث في القرآن الكريم، المتدبر لآياته إذا حدد زاوية معينة في تأملاته، فتحت أمامه الآفاق، واتسعت الميادين والساحات لجولاته الفكرية، ولا يمكنه عندئذٍ أن يحيط بما يتوارد عليه من أفكار وتشعبات إلا أن يحدد مسارات لسيره، ويحدد معالم تنير دربه، وتجمع شتات خواطره، للخروج بنتائج يمكن أن يعتبرها من حصاد جهده، ويعرضها على من بعده للإضافة أو التمحيص أو التسديد.

وهذا ما توقعت أن يحصل لأخينا وصديقنا الأستاذ أحمد دلال.

فعندما كان يتردد عليّ ويعرض ما ينوي القيام به من جمع الآيات القرآنية التي تذكر العلم والعمل كنت أناقشه؛ إن جمع الآيات وحدها لا يكفي، فلا بد من تعليق عليها، ثم التعليق على كل آية بمفردها في المكان الذي وردت فيه لا يلقي الضوء على المقصد من الآيات ذات الموضوع الواحد، فلا بد من إيرادها مجتمعة.

وكنت أوجهه على أن هذا الجمع للآيات والتعليق عليها لون من ألوان التفسير الموضوعي.

وبعد فترات زمنية ودراسات مستفيضة حدد أموراً أساسية سبعة تدور عليها آيات القرآن الكريم، وهي: الله، كتاب الله (القرآن العظيم)، لقاء الله، الغيب، الرسل، الإنسان، الشيطان.

وتحدث عن هذه الأساسيات السبع من خلال أربعة محاور، هي: العلم، الإيمان، العمل، الجزاء.

إنها محاولة جادة ودقيقة من الأستاذ أحمد دلال لإبراز جوانب من كنوز آيات القرآن الكريم. أسأل الله تعالى أن يثيبه على الجهد الذي بذله، وأن ينفع به طلاب العلم، وأن يكون محل عناية العلماء المختصين للتسديد والتصويب.

والله الموفق إلى سواء السبيل

والحمد لله رب العالمين اولاً وآخراً

كتبه

أ. د. مصطفى مسلم

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على رسوله، الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكان خيرَ مثل للناس في أخذ القرآن بقوة ، وتلقيه من الله العلي العظيم..

نسأل الله العون على حسن تسلم الرسالة ، وفِقْهِ ما فيها واتباعها ، لننال رضوان الله الذي رحمنا بها..

وبعد: فلقد هبط أبوانا من الجنة إلى الأرض: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾، ووعد الله تعالى من يتبع هداه ألا يخاف ولا يحزن ، رحمة منه ﷻ بعباده: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة: ٣٨].

ولا شك أن الهدى المذكور في الآية هو: القرآن ، قال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

ولاشك أن هناك واجباً ينتظرنا حيال هدى الله الذي أتانا منه - جل وعظم - وحتى نكون أهلاً للهداية والانتفاع بهذا النور علينا الاعتناء بهذا الكتاب أشد العناية، وملازمته ودراسته والعكوف عليه لننال من كنوزه وبركاته...

وعلينا استيعاب ما يشتمل عليه من كليات وموضوعات رئيسة، لنكوّن الفكرة الإجمالية قبل التوسع في جزئياته وتفاصيله...

وحتى نخلص إلى موضوعاته الكبرى، وخطوطه ومعالمه...لابد لنا من طول دراسة وعميق تأمل وشديد حرص.

إن من تأمل هذه الرسالة المباركة ، رسالة الله لعباده يجدها تتحدث عن أشياء كثيرة وموضوعات جمَّة...

يجد الله يحدثنا عن نفسه ، وعن السماء ، وعن الأرض والبحار، والدواب.. وعن الرسل ، وعن الإنسان، وعن الشيطان ، والجنة ، والنار وعن أمور كثيرة يصعب علينا إحصاؤها..

كمايحدثنا عن أشياء وموضوعات شتى وشؤون تهم حياتنا ومصيرنا ، بحيث لم يدع لنا أدنى شأن من شؤوننا إلا حدثنا عنه، ووجهنا لما يصلحنا أكمل توجيه.

ولعل من أهم ما حدثنا عنه ولفتنا إليه موضوع العلم ..

بل حديثه سبحانه هو العلم ذاته، ولقد قيل: العلم هو ما قال الله وقال رسوله وهو أساس لكل شيء .. أساس للإيمان وأساس للعمل.

لقد أمعنت النظر في كلمات القرآن ، فلم أجد كلمة أعظم ولا أهم من كلمة (**الله**).

ثم أمعنت النظر ثانية لأبحث عن أهم وأعظم كلمة اقترنت بكلمة (الله) فلم أجد كلمة مثل العلم.

وكلنا يلمس في حياتنا المعاصرة أن العلم يعتبر من أكبر الموضوعات التي تقوم عليها الأمم، والمجتمعات الإنسانية.

والعلم يحصل قبل العمل عادة وعرفا ، ولابد من الابتداء به تحصيلاً ودراسة وانغماساً وهذا في كل شأن من شؤون الحياة ، والعمل يأتي تابعًا لهذا العلم ومرتبطًا به ، ويكون النجاح فيه حسب صحة المعلومات لدى العاملين .

والعلم يولّد في الإنسان الحي ، حركة شعورية وعملية نحو المستعلم عنه ، ولايمكن للمرء أن يقف من الشيء الذي يتعلم عنه أي موقف ، سواء

كان إيجابيًا أو سلبياً، حباً أو كرهاً ، بدون أن يسمع عنه خبراً ، إذ لا كفر بشيء ولا إيمان بدون علم بهذا الشيء .

وعلى هذا لابد من معلومة أولية لتحديد موقف (عمل) شعوري حباً أو كرهاً إيماناً أو كفراً .

فالمعلومات والأخبار عن شيء يهم الإنسان في حياته ومصيره ، لابد وأن يحْصُل منه تعلقٌ به ، إن كان راغباً في هذا الشيء ، وأن يحصل نفور ومعاداة ، إن كان غير راغب وغير مريد له .

وكلما زاد العلم بالشيء، زاد معه ما يتعلق به من ارتباطاتٍ وعلاقاتٍ ومواقف ؛ إذ لايمكن لأحد أن يحدد موقفه من شيءٍ ويعمل معه وهو جاهلٌ به.

ولنستوعب قوة الصلة بين العلم والعمل أذكر مثلين:

الأول: قيادة الطائرة ، فهل يمكن لقائد طائرة أن يقودها ويحلق بها بسلام وأمان دون علمٍ عن (الطائرة والطيران).

كذلك الطبيب أنى له أن يجري العمليات الجراحية الناجحة دون كسب علم في هذا المجال ، إذا العلم أولاً .

أما المقولة الشائعة (المهم العمل) فإن كانوا يريدون بقولهم هذا ، أن العمل أهم من العلم فهي مقولة خاطئة ، ولا أعني بذلك أن لايعمل الإنسان بما يعلم . ولكن أريد أن يكون العمل بعلم ودراية .

والعلم سابق الإيمان وسابق العمل ، ولا يمكن المضي بالعمل بدون ضبط العلم وتوثيقه وتصديقه ، حيث إن نتائج العمل مع شيء لم يكتمل العلم به أو لم يوثق ويضبط بنحو صحيح ، كالنتائج التي تحصل مع القائد الذي يقود الطائرة جاهلاً ببعض علومها .

ومثل ذلك مثل الطبيب الذي يجري العمليات الطبية مع شيء من الجهل.

لذلك ابتدأت السلسلة بكتاب العلم ، الذي هو أول المسارات الأربعة للمحاور القرآنية ، وأسأل الله أن يوفقني لإكمال ما بدأت .

نبدأ بتعريف العلم، ونتناول مفهوم هذه الكلمة عند العرب، حين نزول القرآن الكريم بالاستعانة ببعض المعاجم اللغوية مثل (لسان العرب) و(المفردات للأصفهاني) ، و(مقاييس اللغة)، وغير ذلك ثم مدلول كلمة العلم في عصرنا الحاضر .

ومن ثم النظر والدراسة والتفكر - بكلمة العلم - في كتاب الله لنتبين المعاني والمراد في كل موضع، ومن ثم تصنيف الموضوعات المقترنة بكلمة العلم، ووضع كل آيةٍ في الباب المناسب لها، وترتيب الأبواب والموضوعات حسب عدد الآيات الواردة فيها ، فالأهم والذي يتكرر أكثر تكون له الأولوية وهكذا.....

يجدر بالذكر أن كلمة العلم وردت في كتاب الله في ٤٧٨ آية ، وقد يتكرر ورودها في الآية الواحدة أكثر من مرةٍ ، ليصل العدد إلى حوالي ٧٧٨ مرة.

وفي الخطوة الأولى سأسرد الآيات الكريمة لينظرالقارئ فيها، ويتأملها بنفسه محتسباً عند الله تفكره في القرآن وفقهه فيه، وهذا أدعى للفهم والعقل.ثم أورد وأنقل أقوال المفسرين .

إن محمداً ﷺ وهو من حمل إلينا هذه الرسالة العظيمة يوجهنا ويلفت أنظارنا إلى موضوعات القرآن الكريم وأنها تتفاوت وتتفاضل في أهميتها وأولوياتها ، كي نتدارسها ونتأملها ونحيا بها .. ومما نتلمس منه هذا التفاضل ما رواه أبي ابنُ كَعْبٍ ﷺ، من حديث رسول الله ﷺ حين سأله فقال: «يا أبا المنذر، أتدري

أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قال: قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ ، قال: فضرب في صدري، وقال: لِيَهْنِكَ العلم أبا المنذر»[1] .

فكأن رسول الله ﷺ في سؤاله أبا المنذر:أي آية في القرآن أعظم ؟ يريد: أي موضوع هو الأهم في القرآن الكريم؟

هذا الحديث يشعرنا بأن موضوعات القرآن تتفاوت فيما بينها من حيث الأهمية رغم كونها عظيمة كلها، ولمعرفة هذا التفاوت لا بد لنا من العكوف على دراسة الآيات ومقارنتها .

إن ما يعيننا على التقاط الأهم والأكثر تميزاً في معاني الآيات: التكرار...

فنجد أن الكلمات التي شاع ورودها ، تدلنا بالضرورة على عظمها وتميزها من غيرها ، نورد على سبيل المثال لفظ الجلالة (اللَّه) ، فعند إحصائها تبين أنها وردت ٢٧٠٤ مرة.

وكلمة (إله) وردت ١٤٧ مرة.

وكلمة (العلم) تكررت ٧٧٨ مرة ، فهذه الأرقام ، وهذا التكرار نستوحي منه مزيد أهمية للكلمات المكررة .

ومن مؤشرات الأهمية كذلك (الترتيب) فهو يدل على الأولوية .

ففي الحديث الذي رواه مسلم: «**الإيمان بضعٌ وسبعون أو بضعٌ وستون شُعْبة، فأفضلُها قولُ: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شُعْبة من الإيمان**»[2]. فمما نفهمه من هذا الحديث أن هناك أعلى، وهو الأهم، وهناك أدنى .. وكله من الإيمان.

كما نجد أن أركان الإسلام أيضا مُرَتَّبة في حديث بني الإسلام .. حسب الأهمية، ثم إن الترجيح بين عمل وآخر من دلائل التفاوت في نحو قوله تعالى:

---

(١) رواه مسلم،(ح ٨١٠).

(٢) مسلم في جزئه الأول والأخير، (ح ٣٥)، وتمامه في الأدب المفرد للبخاري، (ص: ٣٠٨).

﴿۞أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [التوبة: ١٩].

فهذه بعض معايير التفاوت والترجيح والتمييز بين آي القرآن وموضوعاته التي تتأتى بالعكوف على القرآن بطول الدراسة والمقارنة.

إن من يتجول في مدينةٍ ما أول مرة ، يتوجب عليه التعرف على طرقها العريضة والرئيسة، من أجل تكوين تصورعام وشامل عن المدينة، وبناء على هذا التصور يتمكن من السير في أزقتها الضيقة دون ضلالة أو تيه.

هذا الأمر ينطبق على رسالة الهدى (كتاب الله) فلابد من معرفة عناصره ومحاوره وكلياته المهمة والكبرى، قبل الدخول في الجزئيات والتفاصيل.

إن الرحلة في كتاب الله تستدعي التسلح بالصبر، لأنها تستلزم طول النظر والتمعن والتروي، ولا يكون هذا إلا بالاستعانة بالله عز وجل، حتى بلوغ المراد فكتاب الله لايعطيك كنوزه وهدايته حتى تعطيه توجهك وإقبالك.

وفي القول المشهور: العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلّك.

قدَّر الله أن أعكف على القرآن الكريم دارساً لآياته، ومتابعاً لموضوعاته، ومازلت أقارن وأجمع وأصنف حتى توصلت إلى أن موضوعات القرآن الكريم تدور حول سبعة محاور كبرى، هي مهمة في حياة الإنسان الدنيوية والأخروية.

هذه المحاور تدورحول أمورٍ رئيسة هي:

الله - كتابه - لقاؤه – الغيب– الرسل –الإنسان – الشيطان.

فموضوعات القرآن في معظمها لا تعدو كونها مرتبطةً بواحدٍ من هذه المحاور السبعة.

ولابد من تناول كل محور من هذه المحاور بالعلم والدراسة والفهم، لتكوين التصور الشامل والصحيح لها، ويكون هذا العلم هو الدافع للعمل مع هذا المحور بالكيفية المطلوبة، المبنية على علم بما أعد الله عنده من جزاء لكل عمل إذ أخبر الله عن نفسه بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ

عَمَلًا﴿٣٠﴾ [الكهف ٣٠].

وبذلك يرتبط العلم والإيمان والعمل والجزاء، بكل محور من المحاور سالفة الذكر. فالحديث عن الموضوعات القرآنية يكون من خلال المسارات الأربعة، وسيكون البحث بعون الله على النحو التالي:

١-اللَّه:

العلم باللَّه.

الإيمان باللَّه.

الأعمال والعلاقات مع اللَّه والارتباطات الإنسانية به - القلبية والجارحية- الحسنة والسيئة. وقد وجدت في القرآن حوالي أربعمائة عمل .

جزاء العلم باللَّه ، والإيمان به ، والعمل معه ، الحسن والسيئ

٢-كتابه:

العلم بكتاب اللَّه

الإيمان بكتاب اللَّه

الأعمال والعلاقات مع كتاب اللَّه والارتباطات الإنسانية حسنها وسيئها به ، وقد وجدت في القرآن حوالي مائتي عمل .

جزاء العلم والإيمان بكتاب اللَّه والعمل والارتباطات معه الحسن والسيئ.

٣-لقاؤه:

العلم بلقاء اللَّه

الإيمان بلقاء اللَّه

الأعمال والعلاقات مع لقاءاللَّه والارتباطات الإنسانية حسنها وسيئها به ، وسأحصيها إن شاء الله .

جزاء العلم والإيمان بلقاء اللَّه والعمل والارتباطات معه الحسن والسيئ.

٤-عالَم الغيب:

العلم بمخلوقات اللَّه الغيبية (القلم - اللوح المحفوظ - العرش – الكرسي الجنة – النار - الملائكة – الجن...).

الإيمان بمخلوقات اللَّه الغيبية.

الأعمال والعلاقات مع مخلوقات اللَّه الغيبية حسنها وسيئها.

جزاء العلم والإيمان بمخلوقات اللَّه الغيبية والعمل والارتباطات مع الغيب. الحسن والسيئ

٥-رسله:

العلم برسل اللَّه

الإيمان برسل اللَّه

الأعمال والعلاقات مع رسل اللَّه والارتباطات الإنسانية حسنها وسيئها بهم.

جزاء العلم والإيمان برسل اللَّه والعمل والارتباطات معه الحسن والسيئ.

٦-الإنسان:

العلم بما ورد عن الإنسان من اللَّه

الإيمان بما ورد عن الإنسان من اللَّه

أعمال وعلاقات الإنسان بنفسه وبغيره حسنها وسيئها

جزاء العلم والإيمان بما ورد عن الإنسان من اللَّه

وجزاءأعمال وعلاقات الإنسان بنفسه وبغيره حسنها وسيئها

٧-الشيطان عدو اللَّه:

العلم بما ورد عن الشيطان من اللَّه

الإيمان بما ورد عن الشيطان من اللَّه

أعمال الإنسان وعلاقته بالشيطان حسنها وسيئها

جزاء العلم والإيمان بما ورد عن الشيطان من اللَّه وجزاءأعمال وعلاقات الإنسان بالشيطان حسنها وسيئها.

إن التحليق في أجواء القرآن ومعايشته، وتبين محاوره، يؤدي إلى تفاعل روحي يدفع المرء للإيمان بها، وللقيام بعمل مثمر مُرضٍ لله ﷻ، يترتب على هذا العمل أعظم الجزاء وأجزل الثواب.

ثم إنني أعْلُمُ يقيناً أن هذا الكتاب يحتاج نصحاً صادقاً، وبصورةٍ ملحةٍ، وأنجع ما يفيده، اطلاع أخيارٍ صالحين مخلصين ذوي اختصاصاتٍ متعددة، وتصويبه وتكميل نقصه وحذف الزائد منه؛ لأنه اجتهادٌ شخصيٌّ في موضوعٍ كبيرٍ ذي أهميةٍ كبيرة، عند الله وفي حياة الإنسان الدنيوية ومصيره الأخروي.

أسأل اللَّه بعزته وجلاله أن ينفعني وإياكم بالقرآن العظيم، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، صواباً على مراده.

لفظ (اعلموا) في القرآن

إن مما يلفت النظر في كتاب الله العظيم كثرة ورود كلمة (اعلموا) والتي هي فعل أمر من العلم جاء بصيغة الجمع ليشمل كل من يعقل الخطاب ومن هو معني به، ويشمل كل من يشعر أنه مرتبط بالآمر، والذي يشعر أنه مستثنى من هذا الأمر، فليعلم قول الله عز وجل: (سوف تعلمون) ، حين لاينفعكم ذلك العلم ؟ وإن مما شد انتباهي إليه أيضا، أن هذا الأمر بالعلم كان دائماً يتعلق بالله عز وجل والعلم به سبحانه ..

وعند إحصاء عدد المرات التي وردت فيها كلمة (اعلموا) وجدته بلغ سبع وعشرون مرة .. وهذا هو سبب اختياري عنوان الكتاب: «اعلموا»،

وإليكم الآيات التي اشتملت على هذه الكلمة أوردها حسب ترتيبها في المصحف الشريف. نسردها دون تعليق أو شرح، للتركيز على أمر الله، قال الله تعالى:

١ - ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [البقرة - الآية ١٩٤].

٢ - ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾ [البقرة - الآية ١٩٦].

٣ - ﴿۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [البقرة - الآية ٢٠٣].

٤ - ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾ [البقرة - الآية ٢٠٩].

٥ - ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [البقرة - الآية ٢٢٣].

٦- ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾ [البقرة - الآية ٢٣١].

٧- ﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾ [البقرة - الآية ٢٣٣].

٨- ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البقرة - الآية ٢٣٥].

٩- ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾﴾ [البقرة - الآية ٢٤٤].

١٠- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ [البقرة - الآية ٢٦٧].

١١- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [المائدة - الآية ٣٤].

١٢- ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة - الآية ٩٢].

١٣- ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة - الآية ٩٨].

١٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال - الآية ٢٤].

١٥- ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال - الآية ٢٥].

١٦- ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال - الآية ٢٨].

١٧- ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال - الآية ٤٠].

١٨- ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾[الأنفال - الآية ٤١].

١٩- ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾﴾ [التوبة - الآية ٢].

٢٠- ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾ [التوبة - الآية ٣].

٢١- ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾[التوبة - الآية ٣٦].

٢٢- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [التوبة - الآية ١٢٣].

٢٣- ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود - الآية ١٤].

٢٤- ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات - الآية ٧]

٢٥- ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾[الحديد - الآية ١٧].

٢٦- ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾[الحديد - الآية ٢٠].

وكذلك جاء الأمر بالعلم للفرد:

٢٧- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة- الآية ٢٦٠].

٢٨- ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ

فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ [المائدة- الأية ٤٩].

٢٩- ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد- الآية ١٩].

التعريف اللغوي للعلم والتعلم

ما العلم، وما التعلم ؟

كيف نفهم العلم؟ وكيف نفهم مدلول هذه الكلمة على الوجه الصحيح ؟ ومن أين نأتي بالمفهوم الحقيقي الذي قلّما يختلف فيه ؟

إن المعاجم اللغوية، هي أفضل ما يرجع إليه في تبيين مدلول الكلمات القرآنية عند العرب حينما نزل القرآن، والذي وجدته من الكتب لاستخراج المدلولات والمعاني، كتاب المفردات في غريب القرآن، وكتاب لسان العرب، وكتاب مقاييس اللغة، ومختارالصحاح.

وقد درجت على شرح الكلمة باختيارات منها، أو من بعضها.

إن للعِلْم في الذهن، أو اللغة مدلولين:

الأول: عملية التعلم - كقولنا عَلِم فلان فكرةً - وهو إدراك الشيء بحقيقته، ويمكن أن يكون العلم على هذا المفهوم عملاً يثاب عليه أعظم الثواب.

والثاني: من حيث كونه اسماً - هو معلومات عن أشياء تلج الصدر، أو القلب، وضد العلم الجهل.

ومما سبق نقول:

العلم: هو المعلومات الصحيحة المؤدية إلى نتائج واقعية صحيحة.

ونقول أيضاً: العلم هو تراكم المعلومات عن شيء ما، يدفعك للتعامل معه، والارتباط به.

ويكون العلم: بإدراك ذات الشيء - وفي هذه الحالة- يتَعدّى إلى مَفْعُولٍ

وَاحِدٍ نحو: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال- الآية ٦٠].

ويكون: بإدراك الحكم على الشيء، ويتَعدّى إلى مَفْعُولَيْنِ، نحو:

﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ [الممتحنة- الآية ١٠].

وللعلم أصناف، وأنواع منها: النظري والعملي، والعقلي والسمعي، والسماوي والأرضي..

واشتق من كلمة العلم: الإعلام، والتعليم، و هما في الأصل بمعنى واحد إلا أن:

الإعلام: اختص بما كان بإخبارٍ سريعٍ، ويقال (أعلَمَ إعلاماً).

تعلَّمْ: تأتي بمعنى اعلم.

والعالِمُ في وصْفِ اللَّه، هو الّذي بكل شيء عليم، والذي لا يخفى عليه شيء.

والعَلَم: الأثرُ الذي يَعْلَمُ به الشيءَ، كعَلَمِ الطّرِيق، وعَلَمِ الجيْشِ.

والمَعْلَمْ: هو الأثر يستدل به على الطريق، وكذلك العُلْم والعلامة.

العالَم: اسْمٌ لِلفلَكِ وَمَا يحْوِيه منَ الجوَاهرِ والأعْراضِ.

والعَالمُ آلةٌ في الدِّلالةِ عَلَى صَانِعه.

ويجوز أن يقال للإنسان: عَلِيم.

ويجوز أن تقول: علمت الشيء، بمعنى عَرَفته وخبرته.

علم الأمر وتعلمه: أتقنه.

علم بالشيء: شعر به.

وعَلِم الرجل: خبره.

عالَمَهُ: غلبه بالعلم، أي: كان أعلم منه.

قال الحافظ ابن عبد البر في كتابه (جامع بيان العلم وفضله) معرفاً العلم فقال: «حَدُّ الْعِلْمِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ فِي هَذَا الْمَعْنَى هُوَ مَا اسْتَيْقَنْتَهُ، وَتَبَيَّنْتَهُ،

وَكُلُّ مَنِ اسْتَيْقَنَ شَيْئًا، وَتَبَيَّنَهُ، فَقَدْ عَلِمَهُ»[1].

وجدير بالذكر هنا أن أنوه إلى أنني كتبت في آخر الكتاب عن كلمتي: الجهل والمعرفة، لا رتباطهما الوثيق بالعلم.

المفهوم العصري لكلمة العلم

لو أنك ذكرت كلمة العلم أمام إنسانٍ ما، سائلاً إياه:

ماذا تعني كلمة العلم بالنسبة لك؟ أو بالنسبة للناس حولك؟ فإنه لا يتردد في القول: إن المراد من كلمة العلم هو: العلم التجريبي، كالطب، والهندسة، والرياضيات وغيرها...

أما العلم الديني والشرعي، فيطلق عليه اسم: (دين)، وأما في المدارس فهو مُدْرَجٌ في الأقسام الأدبية التي هي خلاف العلمية، فضلاً عن أن مرتبته متدنيةٌ عما سواه من المواد الدراسية، حتى غدا درس الدين يشبه درس التربية الفنية والبدنية، وكثيراً ما يحذف، ولا يقام له أية قيمة، أو تقدير في الدرجات، في بعض البلدان.

ومن ثَمَّ غدا الدين كشيخٍ وقورٍ، يبارك العلوم، ويشجع عليها، ويدعو لمزاولتها، هذا ما نجده في كثيرٍ من الكتب الدينية الحديثة، ولو سبرت أغوارها، لوجدتها ملأى بالحديث عن العلم بهذا المفهوم، والدعوة إليه.

نعم إن الدين يدعو إلى العلم بهذا المفهوم، ويشجع عليه، ويباركه لكن أساس العلم عنده هو العلم بمفهومه الشامل في القرآن.

إن العلم التجريبي غدا عند أغلب الناس، هو أساس العلم، وهو الذي يطمح إليه، ويشجع عليه، وعلى الارتقاء فيه إلى أعلى الدرجات، وإن الحضارات والمدنيات لا تقوم إلا عليه.

بل يذهبون إلى أكثر من ذلك، فيؤكدون لك: أن العلم يدعو إلى الإيمان، ويقويه، وكم من كتبٍ ومؤلفاتٍ وبرامج مرئيةَ تؤكد هذا، وتدعمه، فعلى سبيل

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٧٨٧).

المثال كتاب يدعى: (العلم يدعو إلى الإيمان)، لكاتبه (كريسي موريسون)، وبرنامجٍ مرئيٍ في حلقاتٍ باسم (العلم والإيمان)... إلى آخر ذلك من موضوعاتٍ كثيرةٍ تبين حث الدين على العلم، وأن الدين شيء آخر.

وهذا في حقيقته يوضح الواقع الحالي لمفهوم العلم، عند العامة والخاصة

ولو رجعنا إلى أغلب العلماء الأقدمين، وإلى معظم الكتب القديمة، وأردنا أن نعرف المدلول العام لكلمة العلم، لوجدنا أن المراد عند أكثرهم من كلمة العلم - بوجه عام - هو العلم الديني بأنواعه المختلفة، ويؤكد أن العلم الديني هو المراد عند إطلاقه، وأن العلم: ما قال الله، وقال رسوله ﷺ.

وإنّ جعل العلم، سبباً للنزاع والخصام والفرقة، على هذا النحو من التطرف والتحزب، ودخول الإنسان إلى أحد الطرفين، ثم مواجهة الطرف الآخر بالحجج، يضيع العمر، ويزرع الشحناء والبغضاء، ويهدم المجتمعات.

فجميع العلوم يحتاج إليها الإنسان، والمجتمع، ويكمل بعضها بعضاً، وبما أن الدنيا مطية الآخرة، فكذلك العلم الدنيوي والأخروي مطية الوصول الآمن إلى دار السلام، فلنأخذ من كل علمٍ حسب الحاجة.

ويجدر بي بدايةً أن أؤكد أنني لا أريد البتة إلغاء علمٍ، أو إحلاله محل آخر.

لو سئل أحدنا عن العلم، وعن وجوده في البلدان، أو بصيغةٍ أخرى: لو سئل أحدنا عن اليابان، أوعن الغرب: هل يسود الجهل مجتمعاتهم، أو أن العلم هو الذي يغلب عليها؟

وهل يمكن أن نقول عن شعوب الدول المتقدمة: إنهم لا يعلمون؟

ما الدول التي يقال عنها متخلفة ؟ وما الدول التي توصف بالمتقدمة؟

ما الدول التي تحتضن العلم والعلماء؟ وماالدول التي تقيم للعلم المدارس، والمعاهد، والجامعات، وتعقد المؤتمرات؟

نسأل الله السداد في الرأي والقول.

دلالة كلمة العلم في القرآن الكريم

لو بحثنا في مدلول كلمة العلم في كتاب الله العظيم، وفي حديث رسول الله المبين، لوجدنا أنه متنوعٌ، ومتعددٌ، ومختلف، ويظهر لنا هذا من خلال السياق العام للنص القرآني، والنص الحديثي.

وليس لأحدٍ أن يؤول كلمة العلم، أو يعممها، أو يقيدها من عنده، كيلا يكون ممن يتقول على الله، أو ممن يحرف الكلم عن مواضعه.

كما لا ينبغي للمسلم أن يتحدث عن العلم دون ذكر نوعه، لئلا يخلط العلم الواجب بالعلم المباح أو المحرم... إلا إذا كان الحوار يدور حول نوع معين.

ولو دققنا النظر في كل موضع ترد فيه كلمة العلم في كتاب الله تعالى، لرأينا أن هذه الكلمة تشير إلى نوعٍ من أنواع العلوم، قد يختلف عنه في مواضع أخرى.

فلو استخرجنا ما يتحدث عنه ربنا في كل موضعٍ يذكر العلم فيه، فإننا سنخرج بعددٍ معينٍ من المعلومات عن الله، وتكون هذه المعلومات قسماً أولياً من العلم بالله، ثم نستخرج الذي يحدثنا عنه، ولا يذكر في كلامه سبحانه كلمة (علم)، ويكون هذا القسم الآخر.

كذلك فإن فعل: علم له مفعولان، لابد من استخراج المفعول الأول والثاني لمعرفة المراد من كلمة العلم في كل موضع ترد في الآيات الكريمة.

وللتأكد من تحصيل الفائدة المرجوة من كتاب الله تعالى، لابد أن نسأل أنفسنا: ما الشيء الذي يتحدث عنه ربنا، وهو مرتبطٌ بكلمة العلم في هذا الموضع من الآية؟ أو بتعبير آخر:

ما المعلومات التي نستخرجها في الموضع الذي ذكر الله فيه كلمة: العلم؟

ولنعمق إحساسنا بالمعاني، نسأل أنفسنا السؤال الآتي:

ما دلالة الآيات على كلمة العلم ؟

ماذا نفقه منها ؟ وماذا نعقل ؟ وماذا نفهم ؟

وأرى أنه من المناسب في هذا المقام إيراد تصريف كلمة العلم وفقاً لموقع

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لنتصور خريطة الكلمة ليسهل علينا دراستها واستيعابها بأفضل ما يكون.

بلغ عدد ورود لفظ كلمة (علم) واشتقاقاتها في القرآن الكريم: ٧٧٨، ومرتبة حسب الجدول الآتي:

جدول يبين ورود عدد كل لفظة من اشتقاقات كلمة (علم)

اللفظة	عدد	اللفظة	عدد	اللفظة	عدد	اللفظة	عدد
علم	١٢	عَلِمْتُمْ	٥	تَعْلَمُهُمْ	١	لَيَعْلَمَنَّ	٤
علمت	٤	عَلِمْتُمُوهُنَّ	١	تَعْلَمُوا	٩	يَعْلَمْهُ	٤
علمت	٣	عَلِمْتَهُ	١	تَعْلَمُونَ	٥٦	يَعْلَمُهَا	٢
	٠	عَلِمْنَا	٦	فَسَتَعْلَمُونَ	٣	يَعْلَمُهُمْ	٣
	٠	عَلِمَهُ	١	تَعْلَمُونَهُمْ	١	يَعْلَمُوا	٧
	٠	عَلِمُوا	٢	تَعْلَمُوهُمْ	١	يَعْلَمُونَ	٨٥
	٠	أَعْلَمُ	١١	نَعْلَمُ	١٢	سَيَعْلَمُونَ	٥
	٠	تَعْلَمَ	١٢	نَعْلَمُهُمْ	١	اعْلَمْ	٤
	٠	لَتَعْلَمُنَّ	٢	يَعْلَمُ	٩٣	اعْلَمُوا	٢٧
	٠	تَعْلَمُهَا	١	سَيَعْلَمُ	٢	لِيُعْلَمَ	١
	٠		٠		٠		٠
عَلَّمَ	٤	تُعَلِّمَنِ	١	عُلِّمْتَ	١	مُعَلَّمٌ	١
عَلَّمْتُكَ	١	تُعَلِّمُونَ	٢	عُلِّمْتُمْ	١	أَعْلَمُ	٤٩

اللفظة	عدد	اللفظة	عدد	اللفظة	عدد	اللفظة	عدد
عَلَّمْتُمْ	١	تُعَلِّمُونَهُنَّ	١	عُلِّمْنَا	١	عَلِيمٌ	١٣٩
عَلَّمْتَنَا	١	وَلِنُعَلِّمَهُ	١	يَتَعَلَّمُونَ	٢	عَلِيمًا	٢٢
عَلَّمْتَنِي	١	يُعَلِّمَانِ	١	عَالِمَ	١٣	عَلامُ	٤
عَلَّمَكَ	١	يُعَلِّمُكَ	١	الْعَالِمُونَ	١	الْعِلْمَ	٨٠
عَلَّمَكُمْ	٤	يُعَلِّمُكُمُ	٣	عَالِمِينَ	٤	عِلْمًا	١٤
عَلَّمْنَاهُ	٤	يُعَلِّمُهُ	٢	عُلَمَاءُ	٢	عِلْمِهِ	٥
عَلَّمَنِي	١	يُعَلِّمُهُمُ	٣	مَعْلُومٍ	١١	عِلْمُهَا	٤
عَلَّمَهُ	٤	يُعَلِّمُونَ	١	مَعْلُومَاتٌ	٢	عِلْمُهُمْ	١
علمي	١		٠		٠		٠

أنواع العلوم في القرآن الكريم حسب الأهمية

إن أنواع العلوم في القرآن الكريم كثيرة جدا، ولكن الذي يعنينا هنا العلوم المستنبطة أسماؤها من موضع كلمة العلم في القرآن، نذكر آيات كل علم على حدة، ونذكر تفسير بعضها.

سأبدأ بالعلم الأول، والذي أرى أنه الموضوع الأكبر والأعظم والأهم، إنه: العلم بالله.

تفكر وتأمل

لنتساءل ونتفكر ونتأمل

من هو اللَّه ؟

من هو اللَّه في نفوس الملائكة؟

من هو اللَّه في نفوس الأنبياء؟

من هو اللَّه في نفوس المؤمنين؟

من هو اللَّه في الدنيا ؟ ومن هو اللَّه في الآخرة؟

من هو اللَّه في كتابه؟

من هو اللَّه في نفسي؟

من هو اللَّه في نفوس الكافرين؟

هذه أسئلةٌ متعلقةٌ باللَّه، مهمةٌ جداً، لا بد أن أسألها نفسي، وأجول بها في خاطري.

ولا بد أن أفكر من أين أحصل على معلوماتٍ صحيحةٍ، وحقيقيةٍ عن اللَّه ؟

وهل هناك عدد من المعلومات عن اللَّه يمكن أن يحصلها الإنسان العاقل المفكر؟...

وما طرق تحصيل هذه المعلومات ؟ وما فائدة تحصيلها؟...

وهل يتفاوت الناس في تحصيلها وتحقيقها؟ وهل يتمايزون بها؟...

إن مجموع هذه المعلومات تسمى العلم باللَّه،والعالم بها يسمى: العالم باللَّه...

لنسأل أنفسنا، ما ثمرات هذا العلم؟ وهل يبنى عليه سلوكٌ أو خلق؟..

وهل يستوي العالم باللَّه والجاهل به؟ وهل يستوي المؤمن به والكافر؟..

وهناك أسئلةٌ كثيرةٌ في النفس متعلقةٌ بالعلم باللَّه يجب التفكير بها والإجابة عنها...

ولنتساءل مرةً ثانيةً: ما أهم وأعظم كلمةٍ في كتاب اللَّه ؟

ما أعظم موضوعٍ يدور حوله القرآن ؟

وما أهم وأعظم كلمةٍ تقترن بلفظ الجلالة ؟

من أين يبدأ ارتباط الإنسان بالله ؟

من العلم بالله – أم من الإيمان بالله - أم من عبادة الله - أم من الامتناع عن عبادة غيره - أم من تقوى الله ؟

وما الترتيب الصحيح لهذه الأعمال مع الله ؟

لنبحث ونقارن ونفكر، أليس هذا الترتيب هو الترتيب الواقعي في القرآن؟

يقول الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾[الفرقان ٥٩].

يأتيك الخبر والمعلومة عن الله من الكتاب المنزل على الرسول الخبير،

فتصدق بهذا الخبر، وتكون القناعة اليقينية، فتصير عبداً لربك (الله) فقط، ويستحيل أن يكون للعبد سيدان آمران؛ لأنه بذلك ينشق العبد نصفين نصف لسيد يأمر ويأخذ به إلى الشرق، وآخر يأمر ويأخذ به إلى الغرب.

وتخشاه لأنك علمت وصدقت أنه الأكبر والأقوى، وله كل شيء، وبيده كل شيء، وهو على كل شيء قدير.

نخلص إلى أن كلمة العلم هي أهم وأعظم كلمة تقترن بلفظ الجلالة.

الباب الأول
العلم باللَّه

العلم بالله

إن الآيات التي تخص العلم بالله بمعنى اقتران كلمة العلم بما يتعلق بالله في القرآن كثيرة فهي بالمئات، بينما الآيات التي تشتمل على معلومات عن الله، دون ذكر كلمة علم، فهي بالآلاف، وهنا سأورد آيات العلم المرتبطة بالله مع تفاسير متعددة للآية الواحدة حسب الترتيب الزمني التاريخي للتفاسير، الأقدم فالأحدث وهذه أسماء التفاسير:

١- تفسير مقاتل بن سليمان (١٥٠ هـ).
٢- تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، لابن جَرير (٣١٠ هـ).
٣- تفسير ابن أبي حاتم الرازي (المتوفى: ٣٢٧هـ).
٤- تفسير (النكت والعيون) للماوردي (أبو الحسن٤٥٠هـ).
٥- (الوجيز في التفسير) للواحدي (٤٦٨ هـ).
٦- تفسير (معالم التنزيل) للبغوي أبو محمد (٥١٦هـ).
٧- الكشاف للزمخشري أبو القاسم، محمود، جار الله (٥٣٨هـ).
٨- تفسير (زاد المسير في علم التفسير) لابن الجوزي(٥٩٧هـ).
٩- مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي (٦٠٦هـ).
١٠- تفسير القرآن للعز بن عبد السلام(٦٦٠هـ).
١١- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السُّنَّة وأحكام الفرقان للقرطبي (٦٧١هـ).
١٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي(٦٨٥هـ).
١٣- مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي(٧١٠هـ).
١٤- البحر المحيط لأبي عبدالله بن حيان الأندلسي(٧٤٥هـ)
١٥- تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٧٧٤هـ).
١٦- تفسير ابن عرفة المالكي (٨٠٣هـ)
١٧- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي(٨٨٥ هـ).
١٨- تفسير الجلالين السيوطي (٩١١هـ) والمحلي (٨٦٤هـ).
١٩- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي(٩١١هـ).
٢٠- إرشاد العقل السليم، إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي (٩٨٢هـ).

٢١- فتح القدير الجامع بين فنَّي الرواية والدراية من التفسير للشوكاني (١٢٥٠هـ).
٢٢- روح المعاني للألوسي البغدادي (١٢٧٠هـ).
٢٣- مراح لبيد (التفسير المنير لمعالم التنزيل) لمحمد نووي الجاوي (١٣١٦هـ)
٢٤- محاسن التأويل للقاسمي(١٣٣٢هـ).
٢٥- تفسير المنار لرشيد رضا(١٣٥٤هـ).
٢٦- تفسير السعدي لعبد الرحمن السعدي(١٣٧٦هـ).
٢٧- في ظلال القرآن لسيد قطب (١٣٨٥هـ).
٢٨- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد) لابن عاشور(١٣٩٣هـ).
٢٩- أضواء البيان للشنقيطي (١٣٩٣هـ).
٣٠- مختصر ابن كثير لمحمد علي الصابوني(٢٠١٥م).
٣١- زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة (١٣٩٤هـ).
٣٢- المنتخب لعلماء الأزهر(معاصر).
٣٣- تيسير التفسير للقطان (معاصر).
٣٤- تفسير الشعراوي (١٤١٨هـ).
٣٥- تفسير ابن عثيمين (١٤٢١هـ).
٣٦- الوسيط (معاصر).
٣٧- صفوة التفاسير للصابوني (٢٠١٥م).
٣٨- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري (معاصر).
٣٩- التفسير الميسر مجمع الملك فهد (معاصر).

وسأقوم باختيار التفسير المناسب للمقطع المطلوب والشاهد من الآية، وستكون فكرة كل آية عنواناً لها.

المبحث الأول: أنواع العلم باللَّه

١- العلم بذات اللَّه

٢- العلم بأسماء اللَّه
٣- العلم بصفات اللَّه
٤- العلم بأفعال اللَّه
٥- العلم بالذي هو من اللَّه
٦- العلم بما عند اللَّه
٧- العلم بالذي إلى اللَّه
٨- العلم بالذي للَّه
٩- العلم بمعية اللَّه
١٠- العلم بحدود اللَّه
١١- العلم بما في نفس اللَّه
١٢- العلم بوعد اللَّه
١٣- العلم باللَّه (الإله الواحد)
١٤- العلم بسبيل اللَّه
١٥- علم بأوامر اللَّه بالتوجه كما يريد هو
١٦- العلم بما نسب اللَّه إلى نفسه (عظمته وحرمته)
١٧- العلم بأمر اللَّه بشأن اللَّه
١٨- العلم بفطرة اللَّه
١٩- العلم بكتاب وبرسالة وبكلام اللَّه
٢٠- العلم بلقاء اللَّه
٢١- العلم بما ورد عن غيب اللَّه
٢٢- العلم برسل اللَّه
٢٣- العلم بجزاءات اللَّه

٢٤- العلم بالله العام (الشامل لما سبق أو بعضها)

متعلقات بالعلم بالله

١- قول على الله بعلم من الله، وقول بلا علم

٢- علم بجزاء الله في الآخرة هو من العلم بالله

١- العلم بذات اللَّه

كأني لم أجد كلمة العلم مرتبطة بلفظة تشير إلى ذات الله، ولكنه كمبحث في القرآن الكريم له وجوده وحجمه وأهميته، وسأفرد له كتيباً لأهميته، وسأورد ما يجوز أن ننسب إلى الله من ألفاظ، ومالا يجوز. مثل الألفاظ التالية:

(ذات – موجود – معلوم – شيء – وغيرها)

والمراد من عبارة العلم بذات الله: هو تحصيل المعلومات التي وردت من الله عن كل ما يتعلق بذات الله مثل (وجه – يد -....).

وهذا العلم يجعلنا ننسب إلى الله ما نسب إلى نفسه من ألفاظ، ونمسك أنفسنا عن كل لفظة لم ينسبها إلى نفسه، فلا نقول على الله إلا الحق المعلوم الذي قاله هو سبحانه.

٢- العلم بأسماء اللَّه

والآن مع الآيات التي ذكرت العلم وأسماء الله

١ -البقرة(١٠٧)-﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾ذكرت الآية الكريمة هنا أن الله هو الولي وهو النصير وليس غيره.

ذكر **الماوردي** فى تفسيره «فإن قيل: أو كان النبى ﷺ غير عالم بأن الله على كل شيء قدير، وأن الله له ملك السموات والأرض؟ قيل:عن هذا ثلاث إجابات:

أحدها: أن قوله: (ألم تعلم) بمعنى أعلمت.

والثاني: أنه خارج مخرج التقرير بمعنى قد علمت، لا مخرج الاستفهام.

والثالث: أن هذا الخطاب للنبي ﷺ، والمراد به أمته»[1].

أمر بالعلم بأسماء الله، وأن الله يجمع هنا بين العزة والحكمة.

٢- البقـــــــــرة(٢٠٩) ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾.

ورد في **البحر المحيط**: «أي: دوموا على العلم إن كان الخطاب للمؤمنين، وإن كان للكافرين أو المنافقين فهو أمر لهم بتحصيل العلم بالنظر الصحيح المؤدي إليه، أقول: ويفيد العلم بهاتين الصفتين في حال الزلل بعد مجيء البينات»[2].

أمر بالعلم بأسماء الله.

٣-البقرة(٢٣٥) ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾

ذكر في **تفسير الدر المنثور**: وَأخرج ابْن أبي حَاتِم عَن قَتَادَة ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ قَالَ: وَعِيد[3].

وفي **مفاتيح الغيب**: ثم إنه تعالى ختم الآية بالتهديد فقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ وهو تنبيه على أنه تعالى لما كان عالما بالسر والعلانية، وجب الحذر في كل ما يفعله الإنسان في السر والعلانية، ثم ذكر بعد الوعيد الوعد، فقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾.

وفي تفسير **ابن عثيمين**: «قوله تعالى: ﴿ واعلموا﴾ فعل أمر؛ وأتى سبحانه

---

(١) تفسير الماوردي (١/ ١٧٢).

(٢) انظر: البحر المحيط (٢/ ٣٤٢).

(٣) الدر المنثور (١/ ٦٩٧).

وتعالى به للأهمية، والتحذير من المخالفة؛ وهذه الجملة يؤتى بها من أجل التنبيه؛ فيقال: اعلم كذا، وكذا؛ لكي تنتبه؛ ﴿أن الله يعلم ما في أنفسكم﴾ أي: ما استقر فى أنفسكم مما تضمرونه من كل شيء؛ ﴿فاحذروه﴾: الفاء هذه للتفريع - أي إذا علمتم هذا فاحذروا الله ﷻ من أن تضمروا فى هذه الأنفس ما لا يرضاه ﷻ؛ والحذر من الشيء معناه أخذ الحِذْر - وهو الاحتياط، وعدم المخالفة»[1].

قوله تعالى: ﴿واعلموا أن الله غفور حليم﴾؛ فإذا أضمرتم في أنفسكم ما لا يرضاه فإن لديكم باباً واسعاً - وهو المغفرة؛ تعرضوا لمغفرة الله ﷻ بأن تستغفروه، وتتوبوا إليه.

٤- البقرة(٢٤٤)- ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٤٤﴾.

عليم بقتالكم في سبيل الله.

أورد تفسير **المنار** فيما يتعلق بهذه الآية: «ذَكَّرَنَا اللَّه تَعَالَى بَعْدَ هَذَا الْأَمْرِ بِأَنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ؛ لِيُنَبِّهَنَا عَلَى مُرَاقَبَتِهِ فِيمَا عَسَى أَنْ نَعْتَذِرَ بِهِ عَنْ أَنْفُسِنَا فِي تَقْصِيرِهَا عَنِ امْتِثَالِ هَذَا الْأَمْرِ فِي وَقْتِهِ، وَأَخْذِ الْأُهْبَةِ لَهُ قَبْلَ الِاضْطِرَارِ إِلَيْهِ، أَمَرَنَا أَنْ نَعْلَمَ أَنَّهُ سَمِيعٌ لِأَقْوَالِ الْجُبَنَاءِ فِي اعْتِذَارِهِمْ عَنْ أَنْفُسِهِمْ: مَاذَا نَعْمَلُ؟ مَا فِي الْيَدِ حِيلَةٌ، لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّه كَاشِفَةٌ، لَيْسَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَعَدْنَا هَاهُنَا، فَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ فِي هَذَا الْمَقَامِ مِفْتَاحُ الْجُبْنِ، وَعِلَلُ الْخَوْفِ وَالْحُزْنِ، فَهِيَ عِنْدَ أَهْلِهَا تَعِلَّاتٌ وَأَعْذَارٌ، وَعِنْدَ اللَّه تَعَالَى ذُنُوبٌ وَأَوْزَارٌ، وَمَا كَانَ مِنْهَا حَقًّا فِي نَفْسِهِ فَهُوَ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي أُرِيدَ بِهِ الْبَاطِلُ - وَأَنْ نَعْلَمَ أَنَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَأْتِيهِ مَرْضَى الْقُلُوبِ وَضُعَفَاءُ الْإِيمَانِ مِنَ الْحِيَلِ وَالْمُرَاوَغَةِ، وَالْفِرَارِ مِنَ الِاسْتِعْدَادِ وَالْمُدَافَعَةِ، فَإِذَا عَلِمْنَا هَذَا وَحَاسَبْنَا بِهِ أَنْفُسَنَا، عَرَفْنَا أَنَّ كُلًّا مِنَ الْمُعْتَذِرِ بِلِسَانِهِ وَالْمُتَعَلِّلِ بِفِعَالِهِ مُخَادِعٌ لِرَبِّهِ وَلِنَفْسِهِ وَقَوْمِهِ...

(١) انظر: تفسير ابن عثيمين (٣/ ١٦١).

ثم أكمل: وَنَقُولُ: إِنَّ هَذَا التَّذْكِيرَ كَانَ بِالْأَمْرِ بِالْعِلْمِ لَا بِمُجَرَّدِ الْقَوْلِ، أَوِ التَّسْلِيمِ، فَمَنْ عَلِمَ عِلْمًا صَحِيحًا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لِمَا يَقُولُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُ، حَاسَبَ نَفْسَهُ وَنَاقَشَهَا»[1].

أما صاحب **التحرير والتنوير** فإنه يقول: «وجملة ﴿واعلموا أن اللَّه سميع عليم﴾ حث على القتال وتحذير من تركه بتذكيرهم بإحاطة علم اللَّه تعالى بجميع المعلومات: ظاهرها وباطنها.

وقدِّم وصف سميع، وهو أخص من عليم، اهتماماً به هنا؛ لأن معظم أحوال القتال في سبيل اللَّه من الأمور المسموعة، مثل جلبة الجيش، وقعقعة السلاح، وصهيل الخيل.

ثم ذكر وصف عليم لأنه يعم العلم بجميع المعلومات، وفيها ما هو من حديث النفس مثل خلُق الخوف، وتسويل النفس القعودَ عن القتال، وفي هذا تعريض بالوعد والوعيد.

وافتتاح الجملة بقوله: ﴿واعلموا﴾ للتنبيه على ما تحتوي عليه من معنى صريح وتعريض»[2].

ولفت **ابن عثيمين** النظر إلى أمر اللَّه بقوله: «وختم اللَّه هذه الآية بالأمر بعلمنا بأن اللَّه سميع عليم تحذيراً من المخالفة، وترغيباً في الموافقة؛ فنقوم بما أوجب علينا، ونجتنب ما حرم علينا»[3].

٥ - البقرة(٢٦٠)- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ

(١) تفسير المنار (٢/ ٣٦٥).

(٢) التحرير والتنوير (٢/ ٤٨٠).

(٣) انظر: تفسير ابن عثيمين (٣/ ١٩٩).

يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾.

إن الخطاب هنا والأمر بالعلم بالله للنبي إبراهيم عليه السلام.

فما بال غير الأنبياء ؟

أتى الأمر بالعلم بالله بعد مشاهدة إبراهيم رضي الله عنه لعملية حسية، ومزاولة لبعض مهامها بنفسه ليرى بها قدرة الله .

٦- البقرة (٢٦٧)- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾.

إن الخطاب هنا والأمر بالعلم بالله لعموم الذين آمنوا.

ولفت **أبو سعود** في تفسيره الانتباه في قوله: «وفي الأمر بأن يعلموا ذلك مع ظهور علمِهم به توبيخٌ لهم على ما يصنعون من إعطاء الخبيث، وإيذانٌ بأنَّ ذلك من آثار الجهلِ بشأنه تعالى؛ فإن إعطاءَ مثلِه إنما يكون عادةً عند اعتقادِ المعطي أن الآخذَ محتاجٌ إلى ما يعطيه بل مضطرٌ إليه»[1].

ويذكر **ابن عاشور** في تفسيره: «وافتتحه باعلموا للاهتمام بالخبر، أو نُزِّل المخاطبون الذين نُهوا عن الإنفاق من الخبيث منزلة من لا يعلم أن الله غني، فأعطوا لوجههِ ما يقبله المحتاج بكل حال، ولم يعلموا أنّه يحمد من يعطي لوجهه من طيّب الكسب»[2].

٧- المائـــدة (٣٤) - ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾.

ذكر **ابن عاشور** في تفسيره: «وقوله: ﴿فاعلموا أنّ الله غفور رحيم﴾ تذكير بعد

(١) تفسير أبي السعود (١/ ٢٦١).

(٢) التحرير والتنوير (٣/ ٥٨).

تمام الكلام، ودفع لعجب من يتعجّب من سقوط العقاب عنهم.

فالفاء فصيحة عمّا دلّ عليه الاستثناء من سقوط العقوبة مع عظم الجرْم، والمعنى: إن عظم عندكم سقوط العقوبة عمّن تاب قبلَ أن يقدر عليه، فاعلموا أنّ الله غفور رحيم.

وقد دلّ قوله: ﴿فاعلموا﴾ على تنزيل المخاطبين منزلة من لا يعلم ذلك نظراً لاستعظامهم هذا العفو.

وقد رأيتُ أنّ شأن فعل: (اعلم) أن يدلّ على أهميّة الخبر»[1].

٨- المائدة (٩٨) ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾[المائدة - الآية ٩٨].

يقول السعدي في تفسيره: «﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: ليكن هذان العلمان موجودين في قلوبكم على وجه الجزم واليقين، تعلمون أنه شديد العقاب العاجل والآجل على من عصاه، وأنه غفور رحيم لمن تاب إليه وأطاعه.

فيثمر لكم هذا العلمُ الخوفَ من عقابه، والرجاءَ لمغفرته وثوابه، وتعملون على ما يقتضيه الخوف والرجاء»[2].

وفي تفسير التحرير والتنوير يقول: «وافتتاح الجملة بلفظ ﴿اعلموا﴾ للاهتمام بالخبر»[3].

ويقول صاحب زهرة التفاسير: «فهذا النص لتقوية إرادة المؤمن، والآية فيها عبارات تنبئ عن التشديد، فيما اشتملت، فابتدأت بالأمر الحازم (اعْلَمُوا)، وفي

---

(١) المرجع السابق (٦/ ١٨٦).

(٢) تفسير السعدي (ص ٤٣).

(٣) التحرير والتنوير (٣/ ٥٨).

ذلك تنبيه شديد وإيقاظ للضمير، ليكون ما ينبه إليه من بعد، أوثق في القلب وأشد تثبيتاً، ثم أكد الخبر(أن) في بيان في ذكر الله تعالى وصفه بشدة العقاب، وصفه بالغفران والرحمة، ثم تكرر ذكر لفظ الجلالة لتربية المهابة في النفس، وتوكيد شدة عقابه سبحانه، وتوكيد غفرانه ورحمته»[1].

يقول صاحب تفسير البحر المحيط: «هذا تهديد إذ أخبر أن عقابه شديد لمن انتهك حرمته»[2].

٩-التوبة(١٠٤)-﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾.

وفي تفسير الطبري قال أبو جعفر: «وهذا خبرٌ من الله تعالى ذكره، أخبر به المؤمنين به: أن قبول توبة من تاب من المنافقين، وأخذ الصدقة من أموالهم إذا أعطوها، ليسا إلى نبيّ الله ﷺ وأن نبيَّ الله حين أبى أن يطلق من ربط نفسه بالسواري من المتخلفين عن الغزو معه، وحين ترك قبول صدقتهم بعد أن أطلق الله عنهم حين أذن له في ذلك، إنما فعل ذلك من أجل أن ذلك لم يكن إليه ﷺ، وأن ذلك إلى الله تعالى ذكره دون محمد، وأن محمدًا إنما يفعل ما يفعل من تركٍ وإطلاقٍ وأخذِ صدقةٍ وغير ذلك من أفعاله بأمر الله. فقال جل ثناؤه: ألم يعلم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد مع المؤمنين، الموثقو أنفسهم بالسواري، القائلون:) لا نُطلق أنفسنا حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقنا)، السَّائلو رسولِ الله ﷺ أخذَ صدقة أموالهم، أنَّ ذلك ليس إلى محمد، وأن ذلك إلى الله، وأن الله هو الذي يقبل توبة من تاب من عباده أو يردُّها، ويأخذ صدقة من تصدَّق منهم أو

(١) زهرة التفاسير (٥/ ٢٣٦٧).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٤/ ٣٧٤).

يردُّها عليه دون محمد، فيوجِّهوا توبتهم وصدقتهم إلى الله، ويقصدوا بذلك قصدَ وجهه دون محمد وغيره، ويخلصوا التوبة له، ويريدوه بصدقتهم، ويعلموا أن الله هو التواب الرحيم؟

عن عبد الله بن مسعود قال: ما تصدَّق رجلٌ بصدقة إلا وقعت في يد الله قبل أن تقع في يد السائل، وهو يضعها في يد السائل. ثم قرأ: ﴿ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم﴾»[1].

قال الزمخشري: «وقيل: معنى التخصيص في (هو): أن ذلك ليس إلى رسول الله ﷺ إنما الله سبحانه هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها إليه»[2].

وقال فخر الدين الرازي: «قال أبو مسلم قوله: (ألم يعلموا) وإن كان بصيغة الاستفهام، إلا أن المقصود منه التقرير في النفس، ومن عادة العرب في إيهام المخاطب وإزالة الشك عنه أن يقولوا: أما علمت أن من علمك يجب عليك خدمته.

أما علمت أن من أحسن إليك يجب عليك شكره، فبشر الله تعالى هؤلاء التائبين بقبول توبتهم وصدقاتهم، ثم زاده تأكيداً بقوله: ﴿وهو التواب الرحيم﴾»[3].

وقال القرطبي: «وقوله تعالى: (هو) تأكيد لانفراد الله ﷻ بهذه الأمور.

وتحقيق ذلك أنه لو قال: إن الله يقبل التوبة لاحتمل أن يكون قبول رسوله

---

(١) تفسير الطبري (جامع البيان) (١٤/ ٤٥٨).

(٢) تفسير الزمخشري (٢/ ٣٠٨).

(٣) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير) (١٦/ ١٣٩).

قبولاً منه ؛ فبينت الآية أن ذلك مما لا يصل إليه نبي ولا ملك»[1].

وفي صحيح مسلم: (لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب إلا أخذها الله بيمينه - في رواية - فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل) الحديث[2].

وفي رواية: (إن الصدقة لتقع في كف الرحمن قبل أن تقع في كف السائل فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله، والله يضاعف لمن يشاء).

وفي روح المعاني للألوسي البغدادي: «﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التواب الرحيم﴾ تأكيد لما عطف عليه، وزيادة تقرير لما يقرره مع زيادة معنى ليس فيه، أي: ألم يعلموا أنه سبحانه المختص المستأثر ببلوغ الغاية القصوى من قبول التوبة والرحمة، وذلك شأن من شؤونه وعادة من عوائده المستمرة، وقيل غير ذلك، والجملتان في حيز النصب بيعلموا يسد كل واحدة منهما مسد مفعوليه»[3].

وقال القاسمي في محاسن التأويل: «وجوز عود الضمير لغيرهم من المنافقين، فالاستفهام توبيخ وتقريع لهم على عدم التوبة، وترغيب فيها، وإزالة لما يظنون من عدم قبولها.

جملة (وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) تأكيد لما عطف عليه، وزيادة تقرير لما يقرره، مع زيادة معنى ليس فيه، كما أفادته صيغة المبالغة التي تفيد تكرر ذلك منه أي ألم يعلموا أنه المختص بقبول التوبة، وأن ذلك سنة مستمرة له، وشأن دائم؟»[4].

---

(١) تفسير القرطبي (٨/ ٢٥٠).

(٢) صحيح مسلم، (٢/ ٧٠٢)، رقم الحديث (١٠١٤).

(٣) تفسير الألوسي (روح المعاني) (٦/ ١٦).

(٤) انظر: تفسير القاسمي (محاسن التأويل) (٥/ ٤٩٦).

وقال الشيخ رشيد رضا: «وَالِاسْتِفْهَامُ عَلَى هَذَا تَحْضِيضٌ عَلَى هَذَا الْعِلْمِ وَمَا يَسْتَلْزِمُهُ مِنَ التَّوْبَةِ»[1].

بينما يقول سيد قطب: «وهو استفهام تقريري يفيد: فليعلموا أن الله هو يقبل التوبة»[2].

ويقول الطاهر بن عاشور «ونُزل جميعهم منزلة من لا يعلم قبول التوبة، لأن حالهم حال من لا يعلم ذلك، سواء في ذلك من يعلم قبولها ومن لا يعلم حقيقةً، وكان الكلام أيضاً مسوقاً للتحْضيض.

وقوله: ﴿وأن الله هو التواب الرحيم﴾ عطف على ﴿أن الله هو يقبل التوبة﴾، تنبيهاً على أنه كما يجب العلم بأن الله يفعل ذلك، يجب العلم بأن من صفاته العُلا أنه التواب الرحيم» [3].

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة: «﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ فيه قراءتان إحداهما بالياء والأخرى بالتاء، فأما التي بالتاء فتكون خطاباً للمؤمنين، وتقريراً لحقيقة دينية يجب الإيمان بها، وأن يعلموا أن الله تعالى لَا يترك المذنب في ردغة الذنب، بل إنه سبحانه يفتح له الباب لتطهير نفسه من الذنوب وتخليصها منها، والله تعالى منه قريب يستجيب دعوته إذا دعاه، ويغفر له إذا استغفره بقلب سليم لم يركس، ولم يستغلق باب التوبة، وعلى القراءة بالياء تكون الآية الكريمة في شأن العصاة الذين تابوا، والذين لم يتوبوا، وترجى توبتهم، فهي دعوة لمن لم يتب ألا ييأس من روح الله، ويعود إلى الله ورسوله والمؤمنين، إن الإسلام يستجر الناس إلى الخير فقد جاء داعياً إليه، ولا يستجرهم إلى العصيان حيث يكون العقاب.

---

(١) تفسير المنار (١١/ ٢٦).

(٢) في ظلال القرآن (٣/ ١٧٠٨).

(٣) التحرير والتنوير (١١/ ٢٤).

و(أَلَمْ) في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ فيه (الهمزة) للاستفهام الإنكاري بمعنى النفي، و(لَمْ) للنفي، ونفي النفي إثبات، فيكون المعنى تأكيد علمهم بأن اللَّه يقبل التوبة عن عباده، ويأخذ الصدقات التي يريدون بها تكفير سيئاتهم، واللَّه تعالى هو المتصف بأنه التواب الرحيم، الذي يكثر قبوله للتوبة رحمة بهم؛ لأنه الرحيم الغفور الودود.

والتقرير هنا لتطمئن نفس التائب، فهو تقرير لقبول التوبة، واطمئنان العاصي إلى أن التوبة جبت ذنبه، والتعدية بـ(عن) في قوله تعالى: ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ لتضمن قبول التوبة معنى التجاوز عن المعصية التي عصاها المعبود، فالمعنى على ذلك: يقبل التوبة متجاوزًا عن سيئات عباده، شأن القادر العليم الحكيم الذي هو فوق عباده، وفوق الوجود كله»[1].

وقال الشيخ الشعراوي: «و﴿أَلَمْ يعلموا﴾ مكونة من ثلاث كلمات هي: همزة استفهام، (لم) حرف نفي و(يعلم) وهو فعل.

فهل يريد اللَّه هنا أن ينفي عنهم العلم أم يقرر لهم العلم؟ لقد جاء سبحانه بهمزة يسمونها «همزة الاستفهام الإنكاري»، والإنكار نفي، فإذا دخل نفي على نفي فهو إثبات، أي: فليعلموا، ولماذا لم يأت بالمسألة كأمر؟ نقول: إن الحق حين يعرضها معرض الاستفهام، فهو واثق من أن المجيب لا يجيب إلا بهذا، وبدلاً من أن يكون الأمر إخباراً من اللَّه، يكون إقراراً من السامع.

﴿أَلَمْ يعلموا أَنَّ اللَّه هُوَ يَقْبَلُ التوبة﴾ لماذا جاء الحق بكلمة ﴿هُوَ﴾، وكان يستطيع سبحانه أن يقول: (ألم يعلموا أن اللَّه يقبل التوبة» ولن يختل الأسلوب؟ أقول: لقد شاء الحق أن يأتي بضمير الفصل، مثلما نقول: فلان يستطيع أن يفعل

(١) زهرة التفاسير (٧/ ٣٤٣٦).

لك كذا.

وهذا القول لا يمنع أن غيره يستطيع إنجاز نفس العمل، لكن حين تقول: فلان هو الذي يستطيع أن ينجز لك كذا.

فهذا يعني أنه لا يوجد غيره.

وهذا هو ضمير الفصل الذي يعني الاختصاص والقصر، ويمنع المشاركة.

لذلك قال الحق: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾[التوبة: ١٠٤] وهل كانت هناك مظنة أن أحداً غير الله يقبل التوبة؟ لا، بل الكل يعلم أننا نتوب إلى الله، ولا نتوب إلى رسول الله»[(١)].

ونحن إذا استعرضنا أساليب القرآن، وجدنا أن ضمير الفصل أو ضمير الاختصاص هو الذي يمنع المشاركة فيما بعدها لغيرها:

١٠-مريم(٦٥)-﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾.

قال الطبري: «﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ يقول: هل تعلم يا محمد لربك هذا الذي أمرناك بعبادته، والصبر على طاعته مثلا في كرمه وجوده، فتعبده رجاء فضله وطوله دونه كلا ما ذلك بموجود.

عن قتادة، قوله: (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) لا سميّ لله ولا عَدل له، كلّ خلقه يقر له، ويعترف أنه خالقه، ويعرف ذلك، ثم يقرأ هذه الآية: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾»[(٢)].

بينما يقول الماوردي: «فيه أربعة أوجه:

---

(١) تفسير الشعراوي (٩/ ٥٤٧٤).

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٢٢٦).

أحدها: يعني مِثْلاً وشبيهاً، قاله ابن عباس، ومجاهد، مأخوذ من المساماة.

الثاني: أنه لا أحد يسَمى باللَّه غيره، قاله قتادة، والكلبي.

الثالث: أنه لا يستحق أحد أن يسمى إلهاً غيره.

الرابع: هل تعلم له من ولد، قاله الضحاك»[1].

وقال الواحدي: «﴿هل تعلم له سميا﴾ هل تعلم أحداً يسمى اللَّه غيره؟» [2]

وقال الزمخشري: «أي: لم يسم شيء باللَّه قط، وعن ابن عباس ﷺ: لا يسمى أحد الرحمن غيره»[3].

وقال الفخر الرازي: «ومن الناس من قال: المراد أنه سبحانه ليس له شريك في اسمه، وبينوا ذلك من وجهين: الأول: أنهم وإن كانوا يطلقون لفظ الإله على الوثن، فما أطلقوا لفظ اللَّه على شيء سواه»[4].

وقال القرطبي: «عن قتادة والكلبي: هل تعلم أحداً يسمي اللَّه تعالى غير اللَّه، أو يقال له اللَّه إلا اللَّه، وهل بمعنى لا أي لا تعلم، واللَّه تعالى أعلم» [5].

وقال أبو حيان: «والسميّ من توافق في الاسم تقول: هذا سميك أي اسمه مثل اسمك، فالمعنى أنه لم يسم بلفظ اللَّه شيء قط، وكان المشركون يسمون أصنامهم آلهة، والعزّى إله، وأما لفظ اللَّه فلم يطلقوه على شيء من أصنامهم، قال ابن عطية: وكان السميّ بمعنى المسامي والمضاهي، فهو من السمو، وهذا قول حسن، ولا يحسن في ذكر يحيى انتهى. يعني لم نجعل له من قبل (سمياً)، وقال

---

(١) تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٣/ ٣٨٢).

(٢) الوجيز في التفسير (ص ٦٨٦).

(٣) الكشاف (٣/ ٣٠).

(٤) تفسير الرازي (٢١/ ٥٥٥).

(٥) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) (١١/ ١٣٠).

غيره: يقال فلان سميّ فلان إذا شاركه في اللفظ، وسمِّيه إذا كان مماثلاً له في صفاته الجميلة ومناقبه» [1].

ويقول البقاعي: «﴿هل تعلم له سمياً﴾ أي متصفاً بوصف من أوصافه اتصافاً حقيقياً، أو مسمى باسمه، العلمَ الواقع موقع لأنه لا مماثل له حتى ولا في مجرد الاسم، وإيراده بصورة الاستفهام كالدعوى بدليلها»[2].

وقال أبو السعود العمادي: «﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سميا﴾ السمي هو الشريكُ في الاسم، والظاهرُ أن يراد به ههنا الشريكُ في اسم خاص قد عُبِّر عنه تعالى بذلك وهو ربُّ السموات والأرض وَمَا بَيْنَهُمَا، والمرادُ بإنكار العلم ونفيه إنكار المعلوم، ونفيه على أبلغ وجه وآكد، فالجملةُ تقريرٌ لما أفاده الفاءُ من علّية ربوبيته العامةِ لوجوب عبادتِه بل لوجوب تخصيصها به تعالى ببيان استقلالِه ﷻ بذلك الاسمِ، وانتفاءِ إطلاقِه على الغير بالكلية حقاً أو باطلاً.

وقيل: المرادُ هو الشريكُ في الاسم الجليلِ، فإن المشركين مع غلوهم في المكابرة لم يسمّوا الصنم بالجلالة أصلاً.

وقيل: هو الشريكُ في اسم الإله، والمرادُ بالتسمية التسميةُ على الحق، فالمعنى هل تعلم شيئاً يسمى بالاستحقاق إلها» [3].

ويرى الشوكاني أن: «﴿هل تعلم له سمياً﴾ الاستفهام للإنكار.

والمعنى: أنه ليس له مثل ولا نظير حتى يشاركه في العبادة، فيلزم من ذلك أن تكون غير خالصة له سبحانه، فلما انتفى المشارك استحق اللَّه سبحانه أن يفرد بالعبادة وتخلص له، هذا مبني على أن المراد بالسمي هو الشريك في المسمى،

---

(١) البحر المحيط (٧/ ٢٨٣).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٢/ ٢٣٢).

(٣) إرشاد العقل السليم، إلى مزايا الكتاب الكريم (٥/ ٢٢٤).

وقيل المراد به: الشريك في الاسم كما هو الظاهر من لغة العرب، فقيل المعنى: إنه لم يسم شيء من الأصنام ولا غيرها بالله قط، يعني بعد دخول الألف واللام التي عوضت عن الهمزة ولزمت، وقيل المراد هل تعلم أحداً اسمه الرحمن غيره.

قال الزجاج: تأويله والله أعلم: هل تعلم له سمياً يستحق أن يقال له خالق وقادر وعالم بما كان وبما يكون، وعلى هذا لا سمي لله في جميع أسمائه، لأن غيره وإن سمي بشيء من أسمائه، فللّه سبحانه حقيقة ذلك الوصف، والمراد بنفي العلم المستفاد من الإنكار هنا نفي المعلوم على أبلغ وجه وأكمله»[1].

وقال الشيخ السعدي: «وهذا استفهام بمعنى النفي، المعلوم بالعقل. أي: لا تعلم له مسامياً ولا مشابها، لأنه الرب، وغيره مربوب، الخالق، وغيره مخلوق، الغني من جميع الوجوه، وغيره فقير بالذات من كل وجه، الكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وغيره ناقص ليس فيه من الكمال إلا ما أعطاه الله تعالى، فهذا برهان قاطع على أن الله هو المستحق لإفراده بالعبودية، وأن عبادته حق، وعبادة ما سواه باطل، فلهذا أمر بعبادته وحده، والاصطبار لها، وعلل ذلك بكماله وانفراده بالعظمة والأسماء الحسنى»[2].

وقال الشعراوي: «سبق أن تكلمنا في معنى (السَّميّ) وقد اختلف العلماء في معناها، قالوا: السَّميُّ: الذي يُساميك، أي: أنت تسمو وهو يسمو عليك، أو السَّميّ: النظير والمثيل، والحق ﷻ ليس له سميٌّ يُساميه في صفات الكمال، وليس له نظير أو مثيل أو شبيه، وكذلك الحق تبارك وتعالى لم يتسمَّ أحدٌ باسمه، لا قبل هذه الآية، ولا بعد أنْ أطلقها رسول الله تحدّياً بين الكفار والملاحدة الذين يتجرؤون على الله.

---

(١) فتح القدير (٣/ ٣٤٨).

(٢) تفسير السعدي (ص ٤٩٨).

فلماذا لم يجرؤ أحد من هؤلاء أنْ يُسمى ولده الله ؟ الحقيقة أن هؤلاء وإنْ كانوا كفاراً وملاحدة، إلا أنهم في قرارة أنفسهم يؤمنون بالله، ويعترفون بوجوده، ويخافون من عاقبة هذه التسمية، ولا يأمنون أنْ يصيبهم السوء بسببها، إذن: لم تحدث، ولم يجرؤ أحد عليها؛ لأن الله تعالى قالها، وأعلنها تحدياً، وإذا قال الله تعالى، ملَكَ اختيار الخَلْق، وعلم أنهم لن يجرؤوا على هذه الفعلة»[1].

٣- العلم بصفات اللَّه

أمر بالعلم بصفة من صفات الله وهي أنه ﴿شديد العقاب﴾

١- البقرة (١٩٦)- ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾.

ذكر في تفسير التحرير والتنوير: «وقوله: ﴿واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ افتتح بقوله: ﴿واعلموا﴾ اهتماماً بالخبر، فلم يقتصر بأن يقال: ﴿واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ فإنه لو اقتصر عليه لحصل العلم المطلوب، لأن العلم يحصل من الخبر، لكن لما أريد تحقيق الخبر افتتح بالأمر بالعلم، لأنه في معنى تحقيق الخبر، كأنه يقول: لا تشكوا في ذلك، وتقدم آنفاً عند قوله تعالى: ﴿واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾»[2].

أمر بالعلم بأن الله بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

٢- البقـــــرة(٢٣١)-﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ

(١) تفسير الشعراوي (١٥/ ٩١٤٨).

(٢) التحرير والتنوير (٢/ ٢٢٦).

بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾.

ذكر **الطبري**: «وقوله: ﴿واعلموا أن الله بكل شيء عليم﴾، يقول: واعلموا أيها الناس أن ربكم الذي حد لكم هذه الحدود، وشرع لكم هذه الشرائع، وفرض عليكم هذه الفرائض، في كتابه وفي تنزيله على رسوله محمد ﷺ بكل ما أنتم عاملوه- من خير وشر، وحسن وسيئ، وطاعة ومعصية، عالم لا يخفى عليه من ظاهر ذلك وخفيه وسره وجهره، شيء، وهو مجازيكم بالإحسان إحساناً، وبالسيئ سيئاً، إلا أن يعفو ويصفح، فلا تتعرضوا لعقابه وتظلموا أنفسكم»[1].

وفي تفسير **التحرير والتنوير**: «وقوله: ﴿واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم﴾ تذكير بالتقوى، وبمراعاة علمهم بأن الله عليم بكل شيء، تنزيلاً لهم في حين مخالفتهم بأفعالهم لمقاصد الشريعة، منزلة من يجهل أن الله عليم، فإن العليم لا يخفى عليه شيء، وهو إذا علم مخالفتهم لا يحول بين عقابه وبينهم شيء، لأن هذا العليم قدير»[2].

وفي هذا العلم تحذيرفي مخالفة حدود الله، وترغيب في الالتزام بها، وخصوصاً أن الخلاف بين الزوجين، وهو يكون داخل البيوت.

أمر بالعلم بأن الله بصير

٣- البقرة (٢٣٣)- ﴿۞ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا

(١) تفسير الطبري (٥/ ١٦).

(٢) التحرير والتنوير (٢/ ٤٢٥).

جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾.

ورد في **التحريروالتنوير** عن قوله: «﴿واعلموا أن اللَّه﴾ تذكير لهم بذلك، وإلاّ فقد علموه»[1].

وفي **صفوة التفاسير**: «واعلموا أَنَّ اللَّه: إظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتربية المهابة والروعة»[2].

العلم (بصفة اللَّه)

٤- البقرة (٢٥٩) ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

ذكر ابن أبي حاتم في تفسيره: «عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: (ذُكِرَ لَنَا، وَاللَّه أَعْلَمُ، أَنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّه مِنْهُ عَيْنَاهُ، ثُمَّ جَعَلَ يَخْلُقُ بَعْدُ بَقِيَّةَ خَلْقِهِ، وَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنَيْهِ، كَيْفَ يَكْسُو الْعِظَامَ لَحْمًا، لِيَعْتَبِرَ، وَيَعْلَمَ أَنَّ اللَّه يُحْيِي الْمَوْتَى، وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَلَمَّا رَأَى مَا أَرَاهُ اللَّه مِنْ ذَلِكَ، أَجَابَ رَبَّهُ خَيْرًا، فِي مَعْرِفَتِهِ، فَقَالَ: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾»[3].

أما الواحدي، فقد ذكر في تفسيره الوجيز: «﴿قال أعلم أن اللَّه على كل شيء قدير﴾ أي: اعلم العلم الذي لا يعترض عليه الإشكال، وتأويله: إني قد علمت مشاهدة ما كنت أعلمه غيباً»[4].

وذكر **البغوي** في تفسيره: «قرأ حمزة، والكسائي مجزوماً على الأمر على معنى قال اللَّه تعالى: اعلم»[5].

---

(١) التحرير والتنوير (٢/ ٤٤٠).
(٢) صفوة التفاسير (١/ ١١٧).
(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٠٧).
(٤) الوجيز للواحدي (ص: ١٨٥).
(٥) تفسير البغوي (١/ ٣٥٦).

وفي **زاد المسير**: «وقرأ الجعفي عن أبي بكر: (أعلم) بكسر اللام على معنى الأمر بإعلام الغير»[1].

وذكر في تفسير **مفاتيح الغيب** عن الذي مر على قرية: «وحجة من قال: إنه كان مؤمناً، وكان نبياً من وجوه، الأول: أن قوله: ﴿أو كالذي مر على قرية وهي﴾ يدل على أنه كان عالماً بالله، وعلى أنه كان عالماً بأنه تعالى يصح منه الإحياء في الجملة»[2].

وورد في تفسير **القرطبي** عن كلمة أعلم: «معناه أعلم هذا الضرب من العلم الذي لم أكن علمته.

وورد كذلك في موضع آخر: وفي حرف عبد الله ما يدل على أنه أمر من الله تعالى له بالعلم على معنى الزم هذا العلم لما عاينت وتيقنت، وذلك أن في حرفه: قيل اعلم»[3].

أما في تفسير **ابن عاشور**: «وقوله: ﴿قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ قرأ الجمهور: أعلم بهمزة قطع على أنّه مضارع عَلم، وجاء بالمضارع ليدل على ما في كلام هذا النبي من الدلالة على تجدد علمه بذلك؛ لأنه عَلِمه في قبلُ وتجدد علمه إياه»[4].

وفي **زهرة التفاسير** عن كلمة أعلم - فنقول: «إن العلم درجات، واليقين درجات، فالعلم المبني على الأدلة العقلية، وعلى الإذعان المطلق للحق ببيان من لَا يتطرق الظن إلى قوله هو نوع من العلم القاطع الجازم، وهو مهما تكن درجته

---

(١) زاد المسير في علم التفسير (١/ ٢٣٥).
(٢) تفسير الرازي (٧/ ٢٧).
(٣) تفسير القرطبي (٣/ ٢٩٧).
(٤) التحرير والتنوير (٣/ ٣٨).

من القوة والإيمان والإذعان دون العلم المبني على التجربة والحس والعيان، فذلك العلم المبني على التجربة، والحس هو العلم الجديد الذي علمه ذلك النبي، والذي كان نتيجة لذلك التبين الحسي الذي لم يعتمد على التفكير المجرد، بل اعتمد مع ذلك على قوة الحس والتجربة، فالتقى للعلم سببان: سبب مشتق من التفكير والإيمان والتصديق، وسبب آخر مشتق من التجربة والعيان»[1].

الاستفهامُ الإنكاريُّ لتقرير العلم بالله بأنه على كل شيء قدير

٥- المائـــدة(٤٠)-﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾.

يذكر **الطبري** في تفسيره: «قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ألم يعلم هؤلاء[يعني القائلين] لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، الزاعمين أنهم أبناء الله وأحباؤه أن الله مدبِّر ما في السموات وما في الأرض، ومصرفه وخالقه، لا يمتنع شيء مما في واحدة منهما مما أرادَه، لأن كل ذلك ملكه، وإليه أمره، ولا نسب بينه وبين شيء مما فيهما، ولا مما في واحدة منهما، فيحابيه بسبب قرابته منه، فينجيه من عذابه، وهو به كافر، ولأمره ونهيه مخالف، أو يدخله النار وهو له مطيع لبعد قرابته منه، ولكنه يعذّب من يشاء من خلقه في الدنيا على معصيته بالقتل والخسف والمسخ، وغير ذلك من صنوف عذابه، ويغفر لمن يشاء منهم في الدنيا بالتّوبة عليه من كفره ومعصيته، فينقذه من الهلكة، وينجيه من العقوبة، (والله على كل شيء قدير)، يقول: والله جل وعز على تعذيب من أرَاد تعذيبه من خلقه على معصيته، وغفرانِ ما أراد غفرانه منهم باستنقاذه من الهلكة بالتوبة عليه، وغير ذلك من الأمور كلها قادرٌ، لأن الخلق خلقُه، والملك ملكه، والعباد عباده.

(١) زهرة التفاسير (٢/ ٩٦٤).

وخرج قوله: (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض)، خطابًا له ﷺ، والمعنيُّ به من ذكرتُ من فرق بني إسرائيل الذين كانوا بمدينة رسول الله ﷺ وما حَوَاليها، وقد بيَّنا استعمال العرب نظيرَ ذلك في كلامها بشواهده فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع»[1].

أما **البغوي** فيقول في تفسيره: «الخطاب مع النبي ﷺ، والمراد به الجميع، وقيل: معناه ألم تعلم أيها الإنسان، فيكون خطاباً لكل أحد من الناس»[2].

وصاحب **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** يقول: «والاستفهامُ الإنكاريُّ لتقرير العلم»[3].

ويقول **الشعراوي** في تفسيره عن الاستفهام ألم تعلم: «ويستخدم الحق سبحانه من أساليب البيان ما يخرجنا عن الغفلة، فلم يقل: «الله له ملك السموات والأرض»، ولو كان قد قال ذلك لكان الأمر خَبَراً من المتكلم وهو الله، ولكنه يريد أن يكون الخبر من المُخَاطَب إقراراً من العبد.

ولا يخرج الخَبَر مَخرج الاستفهام إلا وقائل الخبر واثِقٌ من أن جواب الاستفهام في صالحه»[4].

ذَلِكَ الْجَعْلَ لِأَجْلِ العلم بالله وبأنه بكل شيء عليم

٦- المائدة(٩٧)-﴿۞جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٩٧﴾.

أعطانا ربنا معلومات ملموسة عن نفسه، لنستدل بها على حقائق عن الله،

(١) تفسير الطبري (٨/ ٤١٢).
(٢) تفسير البغوي (٣/ ٥٥).
(٣) تفسير أبي السعود (٣/ ٣٥).
(٤) تفسير الشعراوي (٥/ ٣١٣٠).

ولنعلم معلومات حقيقية غيبية عن الله كأنها رأي العين.

إذا أردنا أن نسأل أنفسنا سؤالاً نعرف به سر ورود كلمة (لتعلموا)، نقول: لماذا جعل الله الكعبة ؟

الجواب: لتعلموا عن الله، أنه يعلم ...

ذكر **الطبري** في تفسيره قال أبو جعفر: «يقول تعالى ذكره: صيرت لكم، أيها الناس، ذلك قيامًا، كي تعلموا أن من أحدث لكم لمصالح دنياكم ما أحدث، مما به قوامكم، علمًا منه بمنافعكم ومضاركم، أنه كذلك يعلم جميع ما في السموات وما في الأرض مما فيه صلاحُ عاجلكم وآجلكم، ولتعلموا أنه بكل شيء (عليم)، لا يخفى عليه شيء من أموركم وأعمالكم، وهو محصيها عليكم، حتى يجازي المحسنَ منكم بإحسانه، والمسيء منكم بإساءته»[1].

ويلخص **الواحدي** في تفسيره معنى (ذلك) أي: ذلك الذي أنبأتكم به في هذه السورة من أخبار الأنبياء، وأحوال المنافقين واليهود، وغير ذلك ﴿لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات﴾ الآية أي: يدلكم ذلك على أن لا يخفى عليه شيء»[2].

ويقول صاحب **تفسير المنار**: «أَيْ فَعَلَ ذَلِكَ الْجَعْلَ لِأَجْلِ أَنْ تَعْلَمُوا مِنْهُ إِذَا تَأَمَّلْتُمْ فِيهِ أَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا فِي الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ، وَأَنَّ عِلْمَهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ ﷻ جَعَلَ فِي قُلُوبِ الْعَرَبِ فِي طَوْرِ جَاهِلِيَّتِهَا وَغَفْلَتِهَا وَتَفَانِيهَا فِي الْغَزْوِ وَالسَّلْبِ وَالنَّهْبِ، تَعْظِيمًا لِهَذَا الْمَكَانِ، وَلِلْأَعْمَالِ الَّتِي تُعْمَلُ فِيهِ، وَلِلزَّمَنِ الَّذِي فِيهِ تُؤَدَّى هَذِهِ الْأَعْمَالُ»[3].

وفي تفسير **ابن عاشور** يقول في هذا المعنى كلمة رائعة: «فحصول هذا العلم

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ١١).

(٢) الوجيز للواحدي (ص: ٣٣٦).

(٣) تفسير المنار (٧/ ١٠١).

غاية من الغايات التي جعل الله الكعبة قياماً لأجلها»[1].

أمر بالعلم بصفات الله

٧- المائدة(٩٨)-﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾.

وقد ذكرت تفسيرها في العلم بالأسماء.

٨-الأنفال(٢٥)-﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾.

إن لم يخبرنا ربنا عن نفسه هذا الخبر، وإن لم يعطِنا هذه المعلومة، ونعلم عنه أنه شَدِيدُ الْعِقَابِ، فما الذي يحثنا على لزوم الاستقامة إليه، والخوف من عقابه.

وفي تفسير الطبري: «وأما قوله: (واعلموا أن الله شديد العقاب)، فإنه تحذير من الله، ووعيد لمن واقع الفتنة التي حذره إياها بقوله: (واتقوا فتنة)، يقول: اعلموا، أيها المؤمنون، أن ربكم شديد عقابه لمن افتُتن بظلم نفسه، وخالف أمره، فأثم به»[2].

وفي تفسير المنار لرشيد رضا: «﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لِمَنْ خَالَفَ سُنَنَهُ فِي الْأُمَمِ وَالْأَفْرَادِ الَّتِي لَا تَبْدِيلَ لَهَا وَلَا تَحْوِيلَ، وَلِمَنْ خَالَفَ هِدَايَةَ دِينِهِ الْمُزَكِّيَةَ لِلْأَنْفُسِ، وَقَطْعِيَّاتِ شَرْعِهِ الْمَبْنِيَّةَ عَلَى دَرْءِ الْمَفَاسِدِ وَالْمَضَارِّ وَحِفْظِ الْمَصَالِحِ وَالْمَنَافِعِ.

وَهَذَا الْعِقَابُ مِنْهُ مَا يَقَعُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمِنْهُ مَا يَقَعُ فِي إِحْدَاهُمَا فَقَطْ، سَوَاءٌ كَانَ لِلْأَفْرَادِ أَوْ لِلْأُمَمِ، وَعِقَابُ الْأُمَمِ الْمَذْكُورُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مُطَّرِدٌ فِي الدُّنْيَا، وَأَوَّلُ مَنْ أَصَابَهُ مِنْ أُمَّتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ أَهْلُ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ الَّذِينَ كَانُوا خَيْرَهَا بَلْ خَيْرَ

(١) التحرير والتنوير (٧/ ٥٩).

(٢) تفسير الطبري (١١/ ١١٦).

الْأُمَمِ كُلِّهَا، وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا قَصَّرُوا فِي دَرْءِ الْفِتْنَةِ الْأُولَى عَاقَبَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهَا عِقَابًا شَدِيدًا كَمَا تَقَدَّمَ آنِفًا، وَهَكَذَا تَسَلْسَلَ الْعِقَابُ فِي كُلِّ جِيلٍ وَقَعَ فِيهِ ذَلِكَ، ثُمَّ امْتَزَجَتِ الْفِتَنُ الْمَذْهَبِيَّةُ بِالْفِتَنِ السِّيَاسِيَّةِ الْخَاصَّةِ بِالْخِلَافَةِ وَالسُّلْطَانِ»[1].

وفي ظلال القرآن: «والفتنة: الابتلاء أو البلاء.. والجماعة التي تسمح لفريق منها بالظلم في صورة من صوره، وأظلم الظلم أن يروا ألوهية اللَّه تنكر وتقوم ألوهية العبيد مقامها ! ومن أظلم الظلم نبذ شريعة اللَّه ومنهجه للحياة

وهم ساكتون. ثم هم بعد ذلك يرجون أن يخرجهم اللَّه من الفتنة لأنهم هم في ذاتهم صالحون طيبون!»[2].

وفي التحرير والتنوير: «فإن المسلمين إن لم يكونوا كلمة واحدة في الاستجابة للَّه وللرسول عليه الصلاة والسلام، دب بينهم الاختلاف، واضطربت أحوالهم، واختل نظام جماعتهم باختلاف الآراء، وذلك الحال هو المعبر عنه بالفتنة.

وافتتاح جملة: ﴿واعلموا أن اللَّه شديد العقاب﴾ بفعل الأمر بالعلم للاهتمام لقصد شدة التحذير، والمعنى أنه شديد العقاب لمن يخالف أمره، وذلك يشمل من يخالف الأمر بالاستجابة»[3].

وفي زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة: «ولم يبق إلا أن نعلم أن اللَّه أنذرنا بعقابه فقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ وإنا قد علمناه، ولم نرتدع عن غينا، ونسلك طريق ربنا، علمناه وآمنا به، ورأينا بعضه، وهو عقاب الدنيا، فتفرق جمعنا، وتقطع الأمر بيننا، وتحكّم الأعداء فينا وصرنا نهبا مقسوما، وما يلقانا يوم

(١) تفسير المنار (٩/ ٥٣١).

(٢) في ظلال القرآن (٣/ ١٤٩٦).

(٣) التحرير والتنوير (٩/ ٣١٦).

القيامة أشد هولاً، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[1].

علم باللَّه. بأن الله مولى المؤمنين

٩-الأنفال(٤٠)-﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾

اللَّه عز وعظم الذي يعطينا المعلومة عن نفسه، ويعلمنا عما في نفسه، أراد أن يكون هو مولانا ولم يكلف أحدا من خلقه أن يكون مولانا، يريد ربنا أن يكون هذا علماً ويقيناً ومستقراً في قلوبنا، لا ظناً، ولا وهماً.

اللَّه بما أعلمكم عن نفسه في آيات كثيرة، وبما علمتم عنه أنه هو مولاكم، كذلك اعلموا أنه نِعْمَ الْمَوْلَىٰ، وَنِعْمَ النّصِيرُ.

[وإن تولوا وأعرضوا عن الإيمان، ولم ينتهوا، فاعلموا أن اللَّه مولاكم ناصركم ومعينكم، فثقوا بولايته ونصرته، نعم المولى، لا يضيع من تولاه، ونعم النصير، لا يغلب من نصره][2].

لا تخافوا تَوليهم؛ فإن اللَّه مولاكم، وهو يقدر لكم ما فيه نفعكم حتى لا تكون فتنة.

وافتتاح جملة جواب الشرط بـ(اعلموا) لقصد الاهتمام بهذا الخبر وتحقيقه، أي لا تغفلوا عن ذلك[3].

١٠-التوبة(٣)-﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾.

---

(١) زهرة التفاسير (٦/ ٣١٠١).

(٢) تفسير النسفي (١/ ٦٤٥).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٩/ ٣٤٨).

فاعلموا أنكم غير معجزي الله، بل هو قادر عليكم، وأنتم في قبضته، وتحت قهره ومشيئته[1].

والمراد بالتولي: الإعراض عن الإيمان، وأريد بفعل (تولّيتم) معنى الاستمرار، أي: إن دمتم على الشرك فاعلموا أنكم غير مفلتين من قدرة الله، أي اعلموا أنّكم قد وقعتم في مكنة الله، وأوشكتم على العذاب[2].

علم بعظمة علم الله

١١-التوبة(٧٨)-﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾.

قال الطبري: «ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يكفرون بالله ورسوله سرًّا، ويظهرون الإيمان بهما لأهل الإيمان بهما جهرًا (أن الله يعلم سرهم)، الذي يسرُّونه في أنفسهم، من الكفر به وبرسوله (ونجواهم)، يقول: (ونجواهم)، إذا تناجوا بينهم بالطعن في الإسلام وأهله، وذكرِهم بغير ما ينبغي أن يُذكروا به، فيحذروا من الله عقوبته أن يحلَّها بهم، وسطوته أن يوقعها بهم، على كفرهم بالله وبرسوله، وعيبهم للإسلام وأهله، فينزعوا عن ذلك، ويتوبوا منه (وأن الله علام الغيوب)، يقول: ألم يعلموا أن الله علام ما غاب عن أسماع خلقه وأبصارهم وحواسّهم، مما أكنّته نفوسهم، فلم يظهرْ على جوارحهم الظاهرة، فينهاهم ذلك عن خداع أوليائه بالنفاق والكذب، ويزجرهم عن إضمار غير ما يبدونه، وإظهار خلاف ما يعتقدونه؟»[3].

وفي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: «ولما كانت المعاهدة

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٠٣).
(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ١١١).
(٣) تفسير الطبري (١١/ ٥٨٧).

سبباً للإغناء في الظاهر، وكان ذلك ربما كان مظنة لأن يتوهم من لا علم له أن ذلك لخفاء أمر البواطن عليه سبحانه، وكان الحكم هنا وارداً على القلب بالنفاق الذي هو أقبح الأخلاق، مع عدم القدرة لصاحبه على التخلص منه، كان ذلك أدل دليل على أنه تعالى أعلم بما في كل قلب من صاحب ذلك القلب، فعقب ذلك بالإنكار على من لا يعلم ذلك والتوبيخ له والتقريع فقال: ﴿ألم يعلموا أن الله﴾.

(وأن الله) أي الذي له الإحاطة الكاملة (علام الغيوب) أي: كلها، أي: ألم يعلموا أنه تعالى لا يخادع لعلمه بالعواقب، فيخشوا عاقبته، فيوفوا بعهده، وفائدة الإعطاء مع علمه بالخيانة إقامة الحجة؛ قال أبو حيان: وقرأ علي، وأبو عبدالرحمن، والحسن: (ألم تعلموا) بالتاء، وهو خطاب للمؤمنين على سبيل التقرير. انتهى، وفائدة الالتفات الإشارة إلى أن هذا العلم إنما ينفع من هيئ للإيمان»[1].

وأما في إرشاد العقل السليم، إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي: «وإظهارُ اسمِ الجلالةِ في الموقعين لإلقاء الروعةِ وتربيةِ المهابةِ، وفي إيراد العلم المتعلّق بسرهم ونجواهم بصيغة الفِعلِ الدالِّ على الحدوث والتجدد، والعلمِ المتعلقِ بالغيوب الكثيرةِ الدائمةِ بصيغة الاسم الدالِّ على الدوام، والمبالغة من الفخامة والجزالة ما لا يخفى، وعلى الثاني لتقرير علم المؤمنين بذلك، وتنبيههم على أنه تعالى مؤاخِذُهم ومجازيهم بما علم من أعمالهم»[2].

وفي ظلال القرآن: «ولقد كان من مقتضى علمهم بهذا، ألا يستخفوا عن الله بنية، وألا تحدثهم نفوسهم بإخلاف ما عاهدوا الله عليه، والكذب عليه في إعطاء

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٨/ ٥٥٤).
(٢) تفسير أبي السعود (٤/ ٨٦).

العهود»[1].

وأما في التحرير والتنوير: فـ«استئناف لأجل التقرير، والكلامُ تقرير للمخاطَب عنهم؛ لأنّ كونهم عالمين بذلك معروف لدى كلّ سامع.

وإنّما عطفت النجوى على السرّ مع أنّه أعمّ منها؛ لينبئهم باطّلاعه على ما يتناجَون به من الكيد والطعن.

ثم عَمّم ذلك بقوله: ﴿وأن اللَّه علام الغيوب﴾ أي: قوي علمُه لجميع الغيوب.

والغيوب: جمع غيب، وهو ما خفي، وغاب عن العيان»[2].

وفي زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة: «الاستفهام إنكاري بمعنى النفي مع التوبيخ، و(لَمْ) نافية، ونفي النفي إثبات، والمعنى يعلمون علما لَا مرية فيه أن اللَّه تبارك وتعالى يعلم سرهم ونجواهم، والسر ما يكون في النفس، ويجري في العقل، وتحدثهم به نفوسهم، والنجوى ما يتناجون به ويتشاورون، ولا يعلنونه جهاراً بين الناس، أي أن اللَّه يعلم ما في نفوسهم وما ينوونه، وأكد سبحانه بأن اللَّه أحاط بكل شيء، بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّه عَلَّام الْغُيوبِ﴾ عطف هذا المصدر على ألم يعلموا، أي أنهم يعلمون أن اللَّه تعالى يعلم سرهم ونجواهم، وأن اللَّه تعالى علام الغيوب، يعلم ما استكن في نفوسهم من إرادة النفاق والكذب، وأنهم لن يوفوا»[3].

ويرى الشعراوي: «والعلم هنا مقصود به معرفة الخبر الذي لم يكن معروفاً قبل ذلك، وقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ﴾ فيه همزة الاستفهام؛ ولم النافية مثل قول الحق سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾[الفيل: ١] ونحن نعرف أن

(١) في ظلال القرآن (٣/ ١٦٧٩).

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٧٤).

(٣) زهرة التفاسير (٧/ ٣٣٨٧).

الإخبار بين المتكلم والمخاطب له عدة صور: **الصورة الأولى**؛ أن يخبر المتكلم المخاطب بما عنده، وهذا (خبر).

والصورة الثانية: أن لا يخبر المتكلم مخاطبة بالخبر، بل يجعل المتكلم نفسه يقو الخبر، مثل قول أحد المحسنين: ألم أحسن إليك؟ وكان في استطاعته أن يقول «أنا أحسنت إليك»، فيكون خبراً من جهته، لكنه يريد أن يعطي للخبر قوة، فجعل الكلام من المسْتَفهَم منه، وكأن عرض الأمر مَعْرِض السؤال في معرض النفي؛ ثقة في أن المخاطَب لن يجد إلا جواباً واحداً هو: نعم أحسنت إليّ.

إذن: فالخبر إما أن يكون خبراً مجرداً عن النفي، أو خبراً معه النفي، أو خبراً معه الاستفهام.

وأقوى أنواع الإخبار: الخبر الموجود معه النفي، والموجود مع النفي الاستفهام؛ لأن الخبر على الصورة الأولى يكون من المتكلم، والخبر من المتكلم قابل لأن يكون صادقاً وأن يكون كاذباً.

ولكن الاستفهام يقتضي جواباً من المخاطَب، ولا يجيب المخاطَب إلا بما كان في نفس المتكلم؛ ولو كان المتكلم يعلم أن المخاطَب قد ينكر فلن يسأله.

أو يقول لإنسان: أنا راضي ذمتك، وهذا القول يعني أن قائله علم أنه لا حق غير هذا، ومن يدير الكلام في عقله لن يجد إلا أن ما يسمعه هو الحق.

١٢-الحج(٧٠)-﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾.

قال مقاتل بن سليمان: «﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ يا محمد ﴿أَنَّ اللَّه يَعْلَمُ مَا فِي السَّماءِ وَالْأَرْضِ﴾ إِنَّ ذلِكَ العلم فِي كِتابٍ يعني اللوح المحفوظ»[1].

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٣٧).

وفي الوجيز في التفسير للواحدي: «(إن ذلك) كله (في كتاب) اللوح المحفوظ (إن ذلك) علمه بجميع ذلك (على الله يسير) »[1].

وفي البحر المحيط: «والظاهر أنه إشارة إلى حصر المخلوقات تحت علمه وإحاطته»[2].

وقال الزمخشري: «ومعلوم عند العلماء بالله أنه يعلم كل ما يحدث في السموات والأرض، وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه»[3].

وقال ابن كثير: «﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض﴾ وهذا من تمام علمه تعالى أنه علم الأشياء قبل كونها وقدرها وكتبها أيضاً، فما العباد عاملون قد علمه تعالى قبل ذلك على الوجه الذي يفعلونه، فيعلم قبل الخلق أن هذا يطيع باختياره، وهذا يعصي باختياره، وكتب ذلك عنده، وأحاط بكل شيء علماً، وهو سهل عليه يسير لديه»[4].

قال ابن عرفة: «هذا الاستفهام على معنى التقرير، معناه: قد علمت ذلك، فإن أريد علماً [ماضياً] فيكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فخصوصيته [أو له]، ولمن يلحق به من العلماء، وإن أريد به مطلق العلم فالخطاب لكل واحد»[5].

وفي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: «﴿ألم تعلم أن الله﴾ بجلال عزه وعظيم سلطانه (يعلم ما في)، ولما كان السياق لحفظ أحوال الثقلين

---

(١) الوجيز للواحدي (ص: ٧٤٠).
(٢) البحر المحيط في التفسير (٧/ ٥٣٥).
(٣) تفسير الزمخشري (٣/ ١٧٠).
(٤) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٥٢).
(٥) تفسير ابن عرفة (٣/ ١٩٨).

للحكم بينهم، وكان أكثر ما يتخيل أن بعض الجن يبلغ استراق السمع من السماء الدنيا، لم تدع حاجة إلى ذكر أكثر منها، فأفرد معبراً بما يشمل لكونه جنساً - الكثير أيضاً فقال: (السماء والأرض) مما يتفق منهم ومن غيرهم من جميع الخلائق الحيوانات وغيرها.

ولما كان الإنسان محل النسيان، لا يحفظ الأمور إلا بالكتاب، خاطبه بما يعرف، مع ما فيه من عجيب القدرة، فقال: (إن ذلك) أي الأمرالعظيم (في كتاب) كتب فيه كل شيء حكم بوقوعه قبل وقوعه وكتب جزاءه؛ ولما كان جمع ذلك في كتاب أمراً بالنسبة إلى الإنسان متعذراً، أتبعه التعريف بسهولته عنده فقال: (إن ذلك) أي علم ذلك الأمر العظيم بلا كتاب، وجمعه في كتاب قبل كونه وبعده (على الله) أي الذي لا حد لعظمته، وحده (يسير) »[1].

وفي إرشاد العقل السليم، إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي: «﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ استئنافٌ مقرِّرٌ لمضمونِ ما قبله والاستفهامُ للتَّقرير أي قد علمتَ»[2].

وأما في التحرير والتنوير: «أي: فهو لا يفوته شيء من أعمالكم، فيجازي كلاً على حساب عمله، فالكلام كناية عن جزاء كل بما يليق به. و(ما في السماء والأرض) يشمل ما يعمله المشركون وما كانوا يخالفون فيه، والاستفهام إنكاري أو تقريري، أي أنك تعلم ذلك، وهذا الكلام كناية عن التسلية، أي: فلا تضق صدراً مما تلاقيه منهم، وجملة (إن ذلك في كتاب) بيان للجملة قبلها، أي يعلم ما في السماء والأرض علماً مفصلاً لا يختلف، لأنّ شأن الكتاب أن لا تتطرق إليه الزيادة والنُقصان.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٩١).

(٢) تفسير أبي السعود (٦/ ١١٩).

واسم الإشارة عائد إلى العلم المأخوذ من فعل (يعلم،) أي أن علم الله بما في السماء والأرض لله حاصل دون اكتساب، لأن علمه ذاتي لا يحتاج إلى مطالعة وبحث»[1].

وفي زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة: «(أَلَمْ تَعْلَمْ) معناها: قد علمت، وبينا كيف استخلص ذلك المعنى السامي، الاستفهام الإنكاري الداخل على فعل منفي، وسياق القول: قد علمت يا محمد علما مؤكدا يقينيا من عقلاء وأناس مكلفين، وما مكَّن لهم فيهما، وماذا فعلوا فيما سخر لهم، فإذا كان هو الله الذي يحكم بينهم فحكمه هو الفصل، وهو خير الفاصلين، وإنه مع علمه سبحانه المحيط، قد سجل ذلك في كتاب وهو اللوح المحفوظ، وهو الكتاب الذي لَا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وقد بين الله تعالى الحكم والإحصاء في كتاب سهل يسير على الله تعالى»[2].

١٣-الطلاق(١٢)-﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾.

في أيسر التفاسير: «اللَّه تَعَالَى هُوَ الذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ، وَخَلَقَ مِثْلَهُنَّ فِي العَدَدِ مِنَ الأَرْضِ، وَيَجْرِي قَضَاءُ اللَّه وَقَدَرُهُ بَيْنَهُنَّ، وَيَنْفُذُ حُكْمُهُ فِيهِنَّ، فَهُوَ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فِيهِنَّ وَفْقَ عِلْمِهِ الوَاسِعِ وَحِكْمَتِهِ»[3].

وعند البيضاوي: «لتعلموا أن اللَّه على كل شيء قدير، وأن اللَّه قد أحاط بكل شيء علماً علة لـ(خلق)، أو لـ(يتنزل)، أو مضمر يعمهما فإن كلاً منهما يدل على

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ٣٣١).
(٢) زهرة التفاسير (٩/ ٥٠٢٦).
(٣) أيسر التفاسير لأسعد حومد.

كمال قدرته وعلمه»[1].

وفي التحرير والتنوير: «فإنه بعد أن جرى ذكر شؤون من عظيم شؤون الله تعالى ابتداء من قوله: ﴿واتقوا الله ربكم﴾ [الطلاق: ١] إلى هنا، فقد تكرر اسم الجلالة وضميره والإسناد إليه زهاء ثلاثين مرة فاقتضى المقام عقب ذلك أن يُزاد تعريف الناس بهذا العظيم.

وفيه تنويه بالقرآن لأنه من جملة الأمر الذي يتنزل بين السماء والأرض»[2].

ويرى السعدي: «كل ذلك لأجل أن يعرفه العباد، ويعلموا إحاطة قدرته بالأشياء كلها، وإحاطة علمه بجميع الأشياء، فإذا عرفوه بأوصافه المقدسة، وأسمائه الحسنى، وعبدوه وأحبوه، وقاموا بحقه، فهذه الغاية المقصودة من الخلق والأمر معرفة الله وعبادته، فقام بذلك الموفقون من عباد الله الصالحين، وأعرض عن ذلك، الظالمون المعرضون»[3].

وقال الطبري: «ينزل قضاء الله وأمره بين ذلك كي تعلموا أيها الناس كنه قدرته وسلطانه، وأنه لا يتعذّر عليه شيء أراده، ولا يمتنع عليه أمر شاءه؛ ولكنه على ما يشاء قدير، (وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) يقول جلّ ثناؤه: ولتعلموا أيها الناس أن الله بكل شيء من خلقه محيط علمًا، لا يعزُب عنه مثقالُ ذرّة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر: يقول جلّ ثناؤه فخافوا أيها الناس المخالفون أمر ربكم عقوبته، فإنه لا يمنعه من عقوبتكم مانع، وهو على ذلك قادر، ومحيط أيضًا بأعمالكم، فلا يخفى عليه منها خاف، وهو محصيها

---

(١) تفسير البيضاوي (٥/ ٢٢٣).

(٢) التحرير والتنوير (٢٨/ ٣٣٩).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٨٧٢).

عليكم، ليجازيكم بها، يوم تجزى كلّ نفس ما كسبت»[1].

وفي مراح لبيد: «(لِّتَعْلَمُواْ) متعلق بـ(خلق) أو بـ (يتنزل) »[2].

٤- العلم بأفعال اللَّه

١ - البقـرة(٢٢)- ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

وَأَنْتُمْ تعلمون أن اللَّه هو الذي خلق وجعل وأنزل فأخرج، وأن غيره لا يمكنه أن يفعل من ذلك شيئا.

والمعلومات هنا هي أن اللَّه:

١ - خلقنا وخلق الأجيال التي سبقتنا

٢- قادر على جعل أي شيء كما يشاء، ونسب إلى نفسه فعل (الجعل).

٣ - جعل الأرض فراشاً.

٤ - جعل السماء بناءً.

٥ - وَأَنزَلَ مِنَ السمَاءِ مَاءً.

٦ - فَأَخْرَجَ بِهِ أنواعاً كثيرةً مِنَ الثّمَرَاتِ.

٧ - يمن علينا بأنه أخرجها رزقاً لنا، فلا نطيع أوامرغيره، ولا نعظم غيره ولا نقابل كل ذلك بأن نجعل له أندادا من خلقه الذين خلقهم.

قال الطبري: «فأفردوا ليَ الطاعة، وأخلصُوا ليَ العبادة، ولا تجعلوا لي شريكًا ونِدًّا من خلقي، فإنكم تعلمون أن كلّ نعمةٍ عليكم فمنِّي.

عن ابن عباس، قال: نَزَل ذلك في الفريقين جميعًا من الكفار والمنافقين.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٨٢).

(٢) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (٢/ ٥٣٩).

أي لا تشركوا بالله غيرَه من الأنداد التي لا تَنفع ولا تضرّ، وأنتم تعلمون أنه لا ربّ لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول من توحيده هو الحق لا شك فيه.

عن قتادة في قوله: (وأنتمْ تعلمون) أي تعلمون أنّ الله خَلقكم وخلق السموات والأرض، ثم تجعلون له أندادًا

عن مجاهد: (فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون)، أنه إله واحدٌ في التوراة والإنجيل.

عن مجاهد: وأنتم تعلمون أنّه لا ندّ له في التوراة والإنجيل»[1].

ورد في تفسير **ابن أبي حاتم** «وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لا رَبَّ لَكُمْ يَرْزُقُكُمْ غَيْرُهُ، وَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِي يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ الرَّسُولُ مِنْ تَوْحِيدِهِ هُوَ الْحَقُّ لا يُشَكُّ فِيهِ. كذلك وأنتم تَعْلَمُونَ أَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ.

وكذلك وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، ثُمَّ أَنْتُمْ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا»[2].

وفي التفسير **الميسر** يذكر: «وأنتم تعلمون تفرُّده بالخلق والرزق، واستحقاقِه العبودية»[3].

علم بأن الله يعلم

٢ - البقرة(٧٧)-﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

ورد في تفسير **مفاتيح الغيب**: «فيه قولان، الأول: وهو قول الأكثرين إن

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٩٢).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٦٢).

(٣) التفسير الميسر (١/ ٤).

اليهود كانوا يعرفون الله ويعرفون أنه تعالى يعلم السر والعلانية فخوفهم الله به. الثاني: أنهم ما علموا بذلك فرغبهم بهذا القول في أن يتفكروا فيعرفوا أن لهم ربا يعلم سرهم وعلانيتهم وأنهم لا يأمنون حلول العقاب بسبب نفاقهم، وعلى القولين جميعا، فهذا الكلام زجر لهم عن النفاق، وعن وصية بعضهم بعضا بكتمان دلائل نبوة محمد.

والأقرب أن اليهود المخاطبين بذلك كانوا عالمين بذلك، لأنه لا يكاد يقال على طريق الزجر: أولا يعلم كيت وكيت إلا وهو عالم بذلك الشيء، ويكون ذلك الشيء زاجراً له عن ذلك الفعل»[1].

وفي تفسير **البحر المحيط** يقول: «وظاهر هذا الاستفهام أنه تقريرٌ لهم أنهم عالمون بذلك، أي بأن الله يعلم السر والعلانية، أي قد علموا ذلك، فلا يناسبهم النفاق، والتكذيب بما يعلمون أنه الحق، وقيل: ذلك تقريعٌ لهم وحثٌّ على التفكر، فيعلمون بالتفكر ذلك»[2].

ويقول **ابن عثيمين**: «(أو لا يعلمون): الاستفهام هنا للتوبيخ، والإنكار عليهم لكونهم نزَّلوا أنفسهم منْزلة الجاهل؛ أن الله يعلم ما يسرون»[3].

علم بأفعاله مثل: النسخ والإنساء والإتيان

٣ - البقرة(١٠٦)-﴿۞مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾.

ويقول **الطبري** في تفسيره «أَلَمْ تَعْلَم يَا مُحَمَّد أَنِّي قَادِر عَلَى تَعْوِيضك مِمَّا

(١) تفسير الرازي (٣/ ٥٦٣).

(٢) البحر المحيط في التفسير (١/ ٤٤٣).

(٣) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٥٤).

نَسَخْت مِنْ أَحْكَامِي وَغَيَّرْته مِنْ فَرَائِضِي الَّتِي كُنْت افْتَرَضْتهَا عَلَيْك مَا أَشَاء مِمَّا هُوَ خَيْر لَك وَلِعِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ مَعَك، وَأَنْفَع لَك وَلَهُمْ، إمَّا عَاجِلًا فِي الدُّنْيَا، وَإِمَّا آجِلًا فِي الْآخِرَة، أَوْ بِأَنْ أُبَدِّل لَك وَلَهُمْ مَكَانه مِثْله فِي النَّفْع لَهُمْ عَاجِلًا فِي الدُّنْيَا وَآجِلًا فِي الْآخِرَة وَشَبِيهه فِي الْخِفَّة عَلَيْك وَعَلَيْهِمْ، فَاعْلَمْ يَا مُحَمَّد أَنِّي عَلَى ذَلِكَ وَعَلَى كُلّ شَيْء قَدِير»[1].

علم عن الله أين يجعل رسالته ومن يكلم

٤ -البقـــرة(١١٨)-﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨﴾.

أي لاَ يَعْلَمُونَ عن الله من يكلم ومتى تأتي آيته ؟ فطلبهم هذا من الجهل بالله

وكما نفى ربنا في آيات أخر عن الكافرين الحياة، أو نفى السمع،أو البصر،أو العقل، نفى هنا العلم به وذلك نفي اعتبار وذم.

أورد صاحب البحر المحيط عن (لا يعلمون) «فنفى عنهم العلم، لانتفاء ثمرته، وهو الاتباع له والعمل بمقتضاه. وحذف مفعول العلم هنا اقتصاراً، لأن المقصود إنما هو نفي نسبة العلم إليهم، لا نفي علمهم بشيء مخصوص، فكأنه قيل: وقال الذين ليسوا ممن له سجية في العلم لفرط غباوته، فهي مقالة صدرت ممن لا يتصف بتمييز ولا إدراك»[2].

أمر بالعلم بأن الله يعلم ما في أنفسنا

٥-البقـــرة(٢٣٥)- ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ٢٣٥﴾

(١) تفسير الطبري (٢/ ٤٠٣).

(٢) البحر المحيط في التفسير (١/ ٥٨٧).

ذكر في **تفسير الدر المنثور**: «وَأخرج ابْن أبي حَاتِم عَن قَتَادَة ﴿وَاعْلَمُوا أَن اللَّه يعلم مَا فِي أَنفسكُم فَاحْذَرُوهُ﴾ قَالَ: وَعِيد»[1].

وفي **مفاتيح الغيب**: «ثم إنه تعالى ختم الآية بالتهديد فقال: (واعلموا أن اللَّه يعلم ما في أنفسكم فاحذروه)، وهو تنبيه على أنه تعالى لما كان عالماً بالسر والعلانية، وجب الحذر في كل ما يفعله الإنسان في السر والعلانية، ثم ذكر بعد الوعيد الوعد، فقال: (واعلموا أن اللَّه غفور حليم) »[2].

وفي تفسير **ابن عثيمين**: «قوله تعالى: (واعلموا) فعل أمر؛ وأتى سبحانه وتعالى به للأهمية، والتحذير من المخالفة؛ وهذه الجملة يؤتى بها من أجل التنبيه؛ فيقال: اعلم كذا، وكذا؛ لكي تنتبه؛ (أن اللَّه يعلم ما في أنفسكم) أي ما استقر في أنفسكم مما تضمرونه من كل شيء؛ (فاحذروه) الفاء هذه للتفريع - أي إذا علمتم هذا فاحذروا اللَّه ﷻ من أن تضمروا في هذه الأنفس ما لا يرضاه سبحانه وتعالى؛ والحذر من الشيء معناه أخذ الحِذْر - وهو الاحتياط، وعدم المخالفة.

قوله تعالى: (واعلموا أن اللَّه غفور حليم)؛ فإذا أضمرتم في أنفسكم ما لا يرضاه، فإن لديكم باباً واسعاً - وهو المغفرة؛ تعرضوا لمغفرة اللَّه ﷻ بأن تستغفروه، وتتوبوا إليه»[3].

الاستفهامُ الإنكاريُّ لتقرير العلم باللَّه

٦- المائدة(٤٠)-﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾.

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (١/ ٦٩٧).
(٢) تفسير الرازي (٦/ ٤٧٣).
(٣) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٣/ ١٦١).

وقد ذكر تفسيرها في العلم بالصفات

أمر بالعلم بأفعال الله وبما يريد

٧- المائدة(٤٩)-﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩﴾.

في حياتنا نحتاج إلى العلم بما يريد الله من خلقه، وبما يريد من إنزال رسالته، وبما يريد من عباده، وبما يريد مني أن أعلم عنه، وعن سنن أفعاله، وأمر الله بالعلم ليحقق لعبده الشعور بثمرة هذه المعلومة.

ذَلِكَ الْجَعْلَ لِأَجْلِ العلم بالله

٨- المائدة(٩٧)-﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٩٧﴾.

وقد ذكر تفسيرها في العلم بالصفات

نَبِّئُونِي عن الله بعلم به أنه حرم

٩-الأنعام(١٤٣)-﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَاجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٤٣﴾.

قال الطبري: «(نبئوني بعلم)، يقول: قل لهم: خبروني بعلم ذلك على صحته: أيَّ ذلك حرم ربكم عليكم، وكيف حرم؟ (إن كنتم صادقين)، فيما تنحلونه ربكم من دعواكم، وتضيفونه إليه من تحريمكم.

وإنما هذا إعلامٌ من الله جل ثناؤه نبيَّه أنّ كل ما قاله هؤلاء المشركون في ذلك، وأضافوه إلى الله، فهو كذب على الله، وأنه لم يحرم شيئًا من ذلك، وأنهم

إنما اتّبعوا في ذلك خطوات الشيطان، وخالفوا أمره»[1].

وفي البحر المحيط: «في نسبة ذلك التحريم إلى الله، فأخبروني عن الله بعلمٍ لا بافتراءٍ ولا بتخرصٍ، وأنتم لا علم لكم بذلك إذ لم يأتكم بذلك وحي من الله تعالى، فلا يمكن منكم تنبئةً بذلك، وفَصَل بهذه الجملة المعترضة بين المتعاطفين على سبيل التقريع لهم والتوبيخ حيث لم يستندوا في تحريمهم إلا إلى الكذب البحت والافتراء»[2].

وفي التحرير والتنوير: «والباء في (بعلم): يحتمل أن تكون لتعدية فعل الإنباء، فالعلم بمعنى المعلوم. ويحتمل أن تكون للملابسة، أي نبّئوني إنباءً ملابساً للعلم، فالعلم ما قابل الجهل أي إنباء عالم، ولمَّا كانوا عاجزين عن الإنباء دلّ ذلك على أنَّهم حرّموا ما حرّموه بجهالةٍ وسوء عقلٍ لا بعلم، وشأن من يتصدّى للتحريم والتّحليل أن يكون ذا علم»[3].

وفي تفسير المنار: «أَيْ خَبِّرُونِي بِعِلْمٍ يُؤْثَرُ عَنْ أَحَدِ رُسُلِ اللَّهِ أَوْ بِبَيِّنَةٍ مُتَلَبِّسَةٍ بِعِلْمٍ يَرْكَنُ إِلَيْهِ الْعَقْلُ بِأَنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَيْكُمْ، وَإِلَّا كَانَ تَخْصِيصُ مَا حَرَّمْتُمْ دُونَ أَمْثَالِهِ جَهْلًا مَحْضًا كَمَا أَنَّهُ افْتِرَاءُ كَذِبٍ»[4].

وابن كثير: «أي أخبروني عن يقينٍ كيف حرم الله عليكم ما زعمتم تحريمه»[5].

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٦٢٦).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٤/ ٦٧٢).

(٣) التحرير والتنوير (٨-أ/ ١٣٣).

(٤) تفسير المنار (٨/ ١٢٤).

(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٥١).

علم بالله: فعل الله

١٠-الأعراف(١٨٢)-﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾﴾.

(لا يعلمون) عن استدراج الله وسنن أفعاله في خلقه وجزائه.

وكيف ومتى وبماذا ومن أين يستدرجهم.

قال الطبري في جامع البيان «وأصل (الاستدراج) اغترارُ المستدرَج بلطف من [استدرجه]، حيث يرى المستدرَج أن المستدرِج إليه محسنٌ، حتى يورِّطه مكروهًا»[١].

وقال البغوي: «(والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون)، قال عطاء: سنمكر بهم من حيث لا يعلمون.

وقيل: نأتيهم من مأمنهم، كما: ﴿فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾ [الحشر - الآية ٢]، قال الكلبي: يزين لهم أعمالهم ويهلكهم.

وقال الضحاك: كلما جددوا معصيةً جددنا لهم نعمة.

قال سفيان الثوري: نسبغ عليهم النعمة وننسيهم الشكر.

قال أهل المعاني: الاستدراج أن يتدرج إلى الشيء في خفية قليلاً قليلاً، فلا يباغت ولا يجاهر، ومنه درج الصبي إذا قارب بين خطاه في المشي، ومنه درج الكتاب إذا طواه شيئاً بعد شيء»[٢].

وقال الزمخشري: «ومعنى (سنستدرجهم) نستدنيهم قليلاً قليلاً إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم (من حيث لا يعلمون) ما يراد بهم وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي. فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطراً وجددوا

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٦٠٠).

(٢) تفسير البغوي (٣/ ٣٠٨).

معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين أن مواترة النعم أثرة من الله وتقريب وإنما هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج الله تعالى نعوذ بالله منه»[1].

وفي زاد المسير في علم التفسير: «قوله تعالى: (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ) قال الخليل بن أحمد: سنطوي أعمارهم في اغترار منهم.

وقال أبو عبيدة: الاستدراج: أن يُتدرج إلى الشيء في خُفية قليلاً قليلاً ولا يُهجم عليه، وأصله من الدَّرَجة، وذلك أن الراقي والنازل يرقى وينزل مَرقاة مرقاة ومنه: دَرَجَ الكتابَ: إذا طواه شيئاً بعد شيء ودرج القوم: إذا ماتوا بعضُهم في إثر بعض.

وقال اليزيدي: الاستدراج: أن يأتيه من حيث لا يعلم.

وقال ابن قتيبة: هو أن يذيقهم من بأسه قليلاً قليلاً من حيث لا يعلمون، ولا يباغتهم به ولا يجاهرهم.

وقال الأزهري: سنأخذهم قليلاً قليلاً من حيث لا يحتسبون، وذلك أن الله تعالى يفتح عليهم من النّعيم ما يغتبطون به، ويركنون إليه، ثم يأخذهم على غرَّتهم أغفل ما يكونون.

وفي قوله تعالى: (مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ) قولان:

أحدهما: من حيث لا يعلمون بالاستدراج.

والثاني: بالهلكة»[2].

وقال الشعراوي: «لأن البشر يعلمون طرق استدراج بعضهم لبعض»[1].

---

(١) تفسير الزمخشري (٢/ ١٨٢).

(٢) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ١٧٣).

علم بالله علم بفعله

١١-الأنفال(٢٤)-﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾.

وفي تفسير الطبري «قال أبو جعفر: وأولى الأقوال بالصواب عندي في ذلك أن يقال: إن ذلك خبرٌ من الله ﷻ أنه أملك لقلوب عباده منهم، وأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء، حتى لا يقدر ذو قلب أن يُدرك به شيئًا من إيمان أو كفر، أو أن يَعِي به شيئًا، أو أن يفهم، إلا بإذنه ومشيئته. وذلك أن «الحول بين الشيء والشيء»، إنما هو الحجز بينهما، وإذا حجز جل ثناؤه بين عبد وقلبه في شيء أن يدركه أو يفهمه، لم يكن للعبد إلى إدراك ما قد منع الله قلبَه إدراكَه سبيلٌ.

غير أنه ينبغي أن يقال: إن الله عم الخبرَ عن أنه يحول بين العبد وقلبه، ولم يخصص من المعاني التي ذكرنا شيئًا دون شيء، والكلام محتمل كل هذه المعاني، فالخبر على العموم حتى يخصه ما يجب التسليم له.

وأما قوله: (وأنه إليه تحشرون)، فإن معناه: واعلموا، أيها المؤمنون، أيضًا، مع العلم بأن الله يحول بين المرء وقلبه: أنّ الله الذي يقدر على قلوبكم، وهو أملك بها منكم، إليه مصيركم ومرجعكم في القيامة، فيوفّيكم جزاء أعمالكم، المحسنَ منكم بإحسانه، والمسيءَ بإساءته، فاتقوه وراقبوه فيما أمركم ونهاكم هو ورسوله أن تضيعوه، وأن لا تستجيبوا لرسوله إذا دعاكم لما يحييكم، فيوجب ذلك سَخَطَه، وتستحقوا به أليم عذابه حين تحشرون إليه»[٢].

وفي تفسير معالم التنزيل للبغوي «وقيل: هو أن القوم لما دعوا إلى القتال في

=

(١) تفسير الشعراوي (٧/ ٤٤٩١).

(٢) تفسير الطبري (١١/ ١١٢).

حالة الضعف ساءت ظنونهم، واختلجت صدورهم، فقيل لهم: قاتلوا في سبيل الله، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه، فيبدل الخوف أمناً، والجبن جرأةً»[1].

وفي كشاف الزمخشري «(إِذَا دَعَاكم) وحد الضمير كما وحده فيما قبله لأن استجابة رسول الله ﷺ كاستجابته وإنما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد والمراد بالاستجابة. الطاعة والامتثال. وبالدعوة: البعث والتحريض.

لما يحييكم من علوم الديانات والشرائع؛ لأن العلم حياة كما أن الجهل موت، ولبعضهم: لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت، وثوبه كفن، يعني أنه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها، وهي التمكن من إخلاص القلب، ومعالجة أدوائه وعلله، ورده سليماً كما يريده الله، فاغتنموا هذه الفرصة، وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله (واعلموا أنكم إليه تحشرون) فيثيبكم على حسب سلامة القلوب وإخلاص الطاعة.

وقيل: معناه إن الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه، ويغير نياته ومقاصده، ويبدله بالخوف أمناً، وبالأمن خوفاً، وبالذكر نسياناً، وبالنسيان ذكراً، وما أشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى، فأما ما يثاب عليه العبد، ويعاقب من أفعال القلوب فلا»[2].

وفي مفاتيح الغيب «قوله: (واعلموا) جار مجرى التهديد والوعيد»[3].

وفي ظلال القرآن «ويا لها من صورة رهيبة مخيفة للقدرة القاهرة اللطيفة..(يحول بين المرء وقلبه) فيفصل بينه وبين قلبه؛ ويستحوذ على هذا القلب ويحتجزه، ويصرفه كيف شاء، ويقلبه كما يريد.

---

(١) تفسير البغوي (٣/ ٣٤٥).

(٢) تفسير الزمخشري (٢/ ٢١٠).

(٣) تفسير الرازي (١٥/ ٤٧١).

وصاحبه لا يملك منه شيئاً وهو قلبه الذي بين جنبيه! إنها صورة رهيبة حقاً؛ يتمثلها القلب في النص القرآني، ولكن التعبير البشري يعجز عن تصوير إيقاعها في هذا القلب، ووصف هذا الإيقاع في العصب والحس !إنها صورة تستوجب اليقظة الدائمة، والحذر الدائم، والاحتياط الدائم.

اليقظة لخلجات القلب وخفقاته ولفتاته؛ والحذر من كل هاجسة فيه، وكل ميل مخافة أن يكون انزلاقاً؛ والاحتياط الدائم للمزالق والهواتف والهواجس.. والتعلق الدائم باللَّه - سبحانه - مخافة أن يقلب هذا القلب في سهوة من سهواته، أو غفلة من غفلاته، أو دفعة من دفعاته..ولقد كان رسول اللَّه ﷺ، وهو رسول اللَّه المعصوم يكثر من دعاء ربه: «اللَّهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك).. فكيف بالناس، وهم غير مرسلين ولا معصومين ؟!إنها صورة تهز القلب حقاً؛ ويجد لها المؤمن رجفة في كيانه حين يخلو إليها لحظات، ناظراً إلى قلبه الذي بين جنبيه، وهو في قبضة القاهر الجبار؛ وهو لا يملك منه شيئاً، وإن كان يحمله بين جنبيه ويسير صورة يعرضها على الذين آمنوا وهو يناديهم: (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا للَّه وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)..ليقول لهم:إن اللَّه قادر على أن يقهركم على الهدى - لو كان يريد - وعلى الاستجابة التي يدعوكم إليها هذه الدعوة، ولكنه - سبحانه - يكرمكم ؛ فيدعوكم لتستجيبوا عن طواعية تنالون عليها الأجر؛ وعن إرادة تعلو بها إنسانيتكم وترتفع إلى مستوى الأمانة التي ناطها اللَّه بهذا الخلق المسمى بالإنسان.. أمانة الهداية المختارة؛ وأمانة الخلافة الواعية، وأمانة الإرادة المتصرفة عن قصد ومعرفة.

وهو مع هذا يدعوكم لتستجيبوا استجابة الحر المأجور، لا استجابة العبد

المقهور»[1].

وفي التحرير والتنوير: «وافتتحت الجملة باعلموا؛ للاهتمام بما تتضمنه وحث المخاطبين على التأمل فيما بعدَه، وذلك من أساليب الكلام البليغ أن يفتتح بعض الجمل المشتملة على خبر أوْ طلبٍ فهم باعْلم أو تَعَلمْ لَفتاً لذهن المخاطب.

وفيه تعريض غالباً بغفلة المخاطب عن أمر مهم فمن المعروف أن المخبر أو الطالب ما يريد إلاّ علمَ المخاطب فالتصريح بالفعل الدال على طلب العلم مقصود للاهتمام»[2].

علم بالله (علم بعذابه)

١٢-الأنفال(٣٤)-﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

لا يعلمون على ماذا يعذب، وعلى ماذا لا يعذب.

لا يعلمون عظمة الأشياء التي ينسبها الله سبحانه لنفسه مثل بيوت الله ومساجده، ولا يعلمون مراده من الأعمال الحسنة مع مساجده، وما يسخطه من الأعمال السيئة مع مساجده.

قال الطبري «ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن أولياء الله المتقون، بل يحسبون أنهم أولياء الله»[3].

وفي الوجيز للواحدي: «(لا يعلمون) غيب علمي وما سبق في قضائي»[4].

---

(١) في ظلال القرآن (٣/ ١٤٩٥).

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٣١٤).

(٣) تفسير الطبري (١١/ ١٥٩).

(٤) الوجيز للواحدي (ص: ٤٣٩).

وفي ظلال القرآن: «(ولكن أكثرهم لا يعلمون)..إنه لا يمنع العذاب عنهم ما يدعونه من أنهم ورثة إبراهيم وسدنة بيت الله الحرام، إنهم أعداء هذا البيت وغاصبوه ! إن بيت الله الحرام ليس تركة يرثها الخلف عن السلف، إنه بيت الله يرثه أولياء الله المتقون لله.

والمتقون هم ورثة إبراهيم وبيت الله الذي بناه لله ؛ فإذا هم يصدون عنه أولياءه الحقيقيين المؤمنين بدين إبراهيم! »[1].

وفي زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة «وإن هؤلاء المشركين لَا يعرفون شيئاً مما يليق بهذا البيت العتيق الذي هو أقدس بيت في هذه الأرض»[2].

ويرى الشعراوي «إذن فكيف تصد قريش محمداً والمؤمنين معه عن البيت الحرام، وهم بإقرار سيدهم قديماً يعلمون أنَّ للبيت ربّاً يحميه، فكيف تكون لكم على البيت ولاية؟ وكان عليهم أن يعلموا أن ولاية أمر بيت الله باختيار الله، ولا تكون إلاَّ للمتقين، ولم تكن قريش من المتقين، وحيثيَّات التعذيب إذن هي صدهم عن المسجد الحرام، وما كانوا أولياءه، وإذا كان أكثرهم لا يعلم، فأقلهم يعلم علم اليقين حقيقة البيت الحرام، فقداسة هذا البيت التي تعلمها الأقلية ونسيتها الأكثرية»[3].

علم بالله بأنه مخزي الكافرين

١٣-التوبة(٢)-﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢﴾.

الأمر بالعلم بالله يكون حسب أحوال المأمور فيكون للمشركين والكافرين،

(١) في ظلال القرآن (٣/ ١٥٠٦).

(٢) زهرة التفاسير (٦/ ٣١٢٠).

(٣) تفسير الشعراوي (٨/ ٤٦٩٢).

ويكون للتحدي، ويكون للتهديد والوعيد.

وهنا سؤال يطرح نفسه: من الذي يوصل أمر الله للكافرين في عصرنا؟

هل من متبع للرسل؟! ليقوم بما قامت به الرسل.

﴿لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن﴾ [الرعد- الآية ٣٠].

في تفسير الطبري: «اعلموا، أيها المشركون، أنكم إن سحتم في الأرض، واخترتم ذلك مع كفركم بالله. على الإقرار بتوحيد وتصديق رسوله (غير معجزي الله)، يقول: غير مُفِيتيه بأنفسكم، لأنكم حيث ذهبتم وأين كنتم من الأرض، ففي قبضته وسلطانه، لا يمنعكم منه وزيرٌ، ولا يحول بينكم وبينه إذا أرادكم بعذاب معقلٌ ولا موئل. إلا الإيمان به وبرسوله. والتوبة من معصيته. يقول: فبادروا عقوبته بتوبة، ودعوا السياحة التي لا تنفعكم.

(وأن الله مخزي الكافرين) واعلموا أن الله مُذلُّ الكافرين، ومُورثهم العارَ في الدنيا، والنارَ في الآخرة»[1].

وقال ابن أبي حاتم عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ، «قَالَ: بَلَغَنَا وَاللَّهِ أَعْلَمُ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ﴾ يَقُولُ: أَنَّكُمْ غَيْرُ سَابِقِي اللَّهِ فِي الأَرْضِ»[2].

وفي زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي «قوله تعالى: وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكافِرِينَ قال الزجاج: الأجود فتح (أن) على معنى: اعلموا أن، ويجوز كسرها على الاستئناف.

وهذا ضمان من الله نصرة المؤمنين على الكافرين»[3].

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ٣٢٠).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٤٧).

(٣) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٢٣٤).

وفي مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي «وأما قوله: (واعلموا أنكم غير معجزي الله) فقيل: اعلموا أن هذا الإمهال ليس لعجز، ولكن لمصلحة ولطف ليتوب من تاب.

وقيل تقديره: فسيحوا عالمين أنكم لا تعجزون الله في حال»[1].

وفي التحرير والتنوير: «وافتتاح الكلام بـ(واعلموا) للتنبيه على أنّه ممّا يحقّ وعيه، والتدبر فيه.

وكان ذكر (الكافرين) إخراجاً على خلاف مقتضى الظاهر: لأنّ مقتضى الظاهر أن يقول: وإنّ الله مخزيكم، ووجه تخريجه على الإظهار الدلالة على سببية الكفر في الخزي.

والإخزاء: الإذلال، والخزي بكسر الخاء الذلّ والهوان، أي مقدّر للكافرين الإذلال: بالقتل، والأسر، وعذاب الآخرة، ما داموا متلبّسين بوصف الكفر»[2].

علم بالله علم بأفعال الله

١٤-التوبة(١٠٤)-﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾.

سبق تفسيرها.

علم بالله: علم بفعله التبوء

١٥-النحل(٤١)-﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾.

---

(١) تفسير الرازي (١٥/ ٥٢٥).

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ١٠٧).

قال الرازي: «ثم قال تعالى: (ولأجر الآخرة أكبر)، وأعظم، وأشرف؛ (لو كانوا يعلمون)، والضمير إلى من يعود؟ فيه قولان: الأول: أنه عائد إلى الكفار، أي لو علموا أن الله تعالى يجمع لهؤلاء المستضعفين في أيديهم الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم.

والثاني: أنه راجع إلى المهاجرين، أي لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم»[1].

«(وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ) أي ولأجر دار الآخرة أكبر، أي أكبر من أن يعلمه أحد قبل أن يشاهده؛ (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)، أي لو كان هؤلاء الظالمون يعلمون ذلك. وقيل: هو راجع إلى المؤمنين، أي: لو رأوا ثواب الآخرة، وعاينوه لعلموا أنه أكبر من حسنة الدنيا»[2].

وفي أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: «(لو كانوا يعلمون) الضمير للكفار أي لو علموا أن الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم، أو للمهاجرين أي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم»[3].

وفي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: «ولما كان التقدير: ولنبوئنهم في الآخرة أجراً كبيراً، عطف عليه قوله تعالى: (ولأجر الآخرة) المعد لهم (أكبر) مما جعلته لهم في الدنيا (لو كانوا يعلمون)، أي: لو كان الكفار لهم بجبلاتهم علم بأن يكون لهم عقل يتدبرون به؛ لعلموا - بإحساني إلى أوليائي في الدنيا من منعي لهم منهم في عنادهم مع كثرتهم وقلتهم، وإسباغي لنعمي عليهم لا سيما في الأماكن التي هاجروا إليها من الحبشة والمدينة وغيرهما مع

(١) تفسير الرازي (٢٠/ ٢٠٩).
(٢) تفسير القرطبي (١٠/ ١٠٧).
(٣) تفسير البيضاوي (٣/ ٢٢٧).

اجتهادهم في منعها عنهم - أني أجمع لأوليائي الدارين، وأن إحساني إليهم في الآخرة أعظم»[1].

وفي فتح القدير الجامع بين فنَّي الرواية والدراية من التفسير للشوكاني: «جزاء أعمالهم في الآخرة (أكبر) من أن يعلمه أحد من خلق الله قبل أن يشاهده، ومنه قوله تعالى: (وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً)، (لو كانوا يعلمون) أي: لو كان هؤلاء الظلمة يعلمون ذلك، وقيل: إن الضمير في (يعلمون) راجع إلى المؤمنين: أي لو رأوا ثواب الآخرة وعاينوه، لعلموا أنه أكبر من حسنة الدنيا»[2].

وفي التحرير والتنوير: «وجملة (لو كانوا يعلمون) معترضة، وهي استئناف بياني ناشىء عن جملة الوعد كلّها، لأن ذلك الوعد العظيم بخير الدنيا والآخرة يثير في نفوس السامعين أن يسألوا كيف لم يقتدِ بهم من بقوا على الكفر، فتقع جملة (لو كانوا يعلمون) بياناً لما استبهم على السّائِل.

والتقدير: لو كانوا يعلمون ذلك لاقتدوا بهم، ولكنّهم لا يعلمون.

فضمير (يعلمون) عائد إلى (الذين كفروا) [النحل - الآية ٣٩].

ويجوز أن يكون السؤال المثار هو: كيف يحْزن المهاجرون على ما تركوه من ديارهم وأموالهم وأهليهم، فيكون: المعنى لو كان المهاجرون يعلمون ما أعدّ لهم عِلم مشاهدة لما حزِنوا على مفارقة ديارهم ولكانت هجرتهم عن شوق إلى ما يلاقونه بعد هجرتهم، لأن تأثير العلم الحسّي على المزاج الإنساني أقوى من العلم العقلي لعدم احتياج العلم الحسّي إلى استعمال نظر واستدلال، ولعدم اشتمال العلم العقلي على تفاصيل الكيفيات التي تحبّها النفوس وترتمي إليها

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١١/ ١٦٥).
(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/ ١٩٦).

الشهوات، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ [البقرة- الآية ٢٦٠].

فليس المراد بقوله تعالى: (لو كانوا يعلمون) لو كانوا يعتقدون ويؤمنون، لأن ذلك حاصل لا يناسب موقع (لو) الامتناعية. فضمير (يعلمون) على هذا «للذين هاجروا وفي هذا الوجه تتناسق الضمائر» [(١)].

وفي زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة: «و(لَوْ) تكون للتمني، أي ليتهم يعلمون ذلك علم العيان والرؤية، لَا علم الخبر والذكر، وفي ذلك بيان لفضله، وعظم شأنه، كأنه فوق الخيال والتصور»[(٢)].

ويقول الشيخ الشعراوي: «وساعة أنْ تسمع كلمة (أكبر)، فاعلم أن مقابلها ليس أصغر أو صغير، بل مقابلها (كبير)، فتكون حسنة الدنيا التي بوَّأهم الله إياها هي (الكبيرة)، لكن ما ينتظرهم في الآخرة (أكبر).

وكذلك قد تكون صيغةُ أفعل التفضيل أقلَّ في المدح من غير أفعل التفضيل..فمن أسماء الله الحسنى (الكبير) في حين أن الأكبر صفةٌ من صفاته تعالى، وليس اسماً من أسمائه، وفي شعار ندائنا لله نقول: الله أكبر ولا نقول: الله كبير..ذلك لأن كبير ما عداه يكون صغيراً..إنما أكبر، ما عداه يكون كبيراً، فنقول في الأذان: الله أكبر لأن أمور الدنيا في حَقِّ المؤمن كبيرة من حيث هي وسيلة للآخرة»[(٣)].

وفي الميسر: «لو كان المتخلفون عن الهجرة يعلمون علم يقين ما عند الله من

---

(١) التحرير والتنوير (١٤/ ١٥٨)

(٢) زهرة التفاسير (٨/ ٤١٨٢).

(٣) تفسير الشعراوي (١٣/ ٧٩٤٤).

الأجر، والثواب للمهاجرين في سبيله، ما تخلَّف منهم أحد عن ذلك»[1].

علم بالله: علم بأفعال الله: الإرسال والإيحاء

١٦-النحـــــل(٤٣)-﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾.

وأنا أراها معلومة عن الله (ما أرسل إلا بشراً).

لاشك أن الخطاب الخاص لمشركي قريش، أما الآن، وبعد أكثر من ألف سنة المشرك الحالي من الذي سيوجهه لو خطر بباله شيء، وأحب أن يستهدي عن الله، يسأل من ؟ أهل ماذا ؟... عن الرحمن يسأل به خبيراً، عن الله يسأل أهل العلم وأهل الذكر.

قال الطبري: «(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) يقول لمشركي قريش: وإن كنتم لا تعلمون أن الذين كنا نرسل إلى من قبلكم من الأمم رجال من بني آدم مثل محمد ﷺ، عن ابن عباس (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) قال: قال لمشركي قريش: إن محمدا في التوراة والإنجيل.

عن ابن عباس، قال: لما بعث الله محمداً رسولاً أنكرت العرب ذلك، أو من أنكر منهم، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد، فاسألوا أهل الذكر: يعني أهل الكتب الماضية، (أبشراً) كانت الرسل التي أتتكم أم ملائكة؟ فإن كانوا ملائكة أنكرتم، وإن كانوا بشراً فلا تنكروا أن يكون محمد رسولاً»[2].

وقال ابن الجوزي: «وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ قولان: أحدهما: لا تعلمون أن الله تعالى بعث رسولاً من البشر، والثاني: لا تعلمون أن محمداً

(١) التفسير الميسر (١/ ٢٧١).

(٢) تفسير الطبري (١٤/ ٢٢٧).

رسول الله.

فعلى القول الأول، جائز أن يسأل مَن آمن برسول الله ومَن كفر، لأن أهل الكتاب والعلم بالسِّيَر متفقون على أن الأنبياء كلَّهم من البشر، وعلى الثاني إنما يسأل مَنْ آمَنَ مِنْ أهل الكتاب»[1].

وقال الفخر الدين الرازي: «قال الزجاج: فاسألوا أهل الكتب الذين يعرفون معاني كتب الله تعالى؛ فإنهم يعرفون أن الأنبياء كلهم بشر، والثالث: أهل الذكر أهل العلم بأخبار الماضين، إذ العالم بالشيء يكون ذاكرا له. وقال أيضا: معناه سلوا كل من يذكر بعلم وتحقيق»[2].

وفي أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: «(إن كنتم لا تعلمون) وفي الآية دليل على أنه تعالى لم يرسل امرأة، ولا ملكاً للدعوة العامة»[3].

وقال النسفي: «فاسئلوا أهل الذكر أهل الكتاب ليعلموكم أن الله لم يبعث إلى الأمم السالفة إلا بشراً، وقيل للكتاب: الذكر؛ لأنه موعظة، وتنبيه للغافلين إن كنتم لا تعلمون»[4].

وعند ابن عرفة المالكي دليل على أن خبر التواتر يفيد العلم، وعلى أن خبر الواحد يفيد العلم؛ لأن المعنى: فاسألوا أهل الذكر لتعلموا إن كنتم لَا تعلمون، فهو سؤال عما لم يعلم[5].

وفي تفسير الجلالين: «(وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم) لا

---

(١) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٥٦١).

(٢) تفسير الرازي (٢٠/ ٢١١).

(٣) تفسير البيضاوي (٣/ ٢٢٧).

(٤) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) (٢/ ٢١٤).

(٥) ينظر: تفسير ابن عرفة (٣/ ٢٠).

ملائكة، (فاسألوا أهل الذكر) العلماء بالتوراة والإنجيل (إن كنتم لا تعلمون)، ذلك فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد ﷺ»[1].

ويقول البقاعي: «(أهل الذكر) أي العلم بالكتاب، سمي ذكراً لأن الذكر - الذي هو ضد السهو - بمنزلة السبب المؤدي إليه فأطلق عليه، كأن الجاهل ساهٍ وإن لم يكن ساهياً، وكذا الذكر - الذي هو الكلام المذكور - سبب للعلم.

ولما كان عندهم حسّ من ذلك بسماع أخبار الأمم قبلهم، أشار إليه بقوله تعالى: (إن كنتم) أي جبلة وطبعاً (لا تعلمون) أو هو التنفير من الرضى بالجهل»[2].

وفي روح المعاني للألوسي البغدادي: «وقال الرماني، والزجاج، والأزهري: المراد بأهل الذكر علماء أخبار الأمم السالفة كائناً من كان، فالذكر بمعنى الحفظ كأنه قيل: اسألوا المطلعين على أخبار الأمم يعلموكم بذلك (إِن كُنْتُم لَا تَعْلَمُونَ)، وجواب (إن) إما محذوف لدلالة ما قبله عليه أي فاسألوا، وأما نفس ما قبله بناءً على جواز تقدم الجواب على الشرط»[3].

وقال السعدي: «(إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) نبأ الأولين، وشككتم هل بعث الله رجالاً؟ فاسألوا أهل العلم بذلك الذين نزلت عليهم الزبر والبينات، فعلموها وفهموها، فإنهم كلهم قد تقرر عندهم أن الله ما بعث إلا رجالاً يوحي إليهم من أهل القرى، وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه العلم بكتاب

---

(١) تفسير الجلالين (ص: ٣٥١).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١١/ ١٦٧).

(٣) تفسير الألوسي (روح المعاني) (٧/ ٣٨٦).

الله المنزل»[1].

وفي التحرير والتنوير: «(إن كنتم لا تعلمون) إيماء إلى أنهم يعلمون ذلك ولكنهم قصدوا المكابرة والتمويه لتضليل الدهماء، فلذلك جيء في الشرط بحرف (إن) التي ترد في الشرط المظنون عدم وجوده»[2].

وقال الشيخ محمد أبو زهرة: «ولقد نبههم سبحانه إلى أن عليهم أن يتعرفوا الأمر من أهل المعرفة، فقد كانوا أميين منقطعين عن الرسالة فأراد سبحانه أن يوجههم إلى سؤال أهل المعرفة: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكرِ إِن كُنتمْ لَا تَعْلَمُونَ)، (الفاء) تفصح عن شرط مقدر، أو واقعة في جواب الشرط (إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)، وأهل الذكر هم أهل التفكر والتدبر والعلم بالأشياء على وجهها، ويدخل في هؤلاء أهل الكتاب، أي إن كنتم لا تعلمون هذه الحقائق، فلا تعجبوا في الأمر لمجرد أنه يثير عجبكم واستغرابكم، بل تعرفوا الأمر من أهل الذكر والحكمة والمعرفة، وأهل الكتاب ليزول عجبكم واستغرابكم، وذلك مع المعجزة الكبرى التي قدمها لكم، وتحداكم أن تأتوا بسورة من مثله، وما زال يتحداكم وهكذا نرى القرآن الكريم يصرف الآيات ليدركوا وليستبينوا الحق»[3].

وقال الشيخ الشعراوي: «(إِن كُنْتُم لاَ تَعْلَمُونَ) يوحي بأنهم يعلمون، وليس لديهم شَكٌّ في هذه القضية..مثل لو قلتَ لمخاطبك: اسأل عن كذا إنْ كنت لا تعرف..هذا يعني أنه يعرف، أما إذا كان في القضية شَكٌّ فنقول: اسأل عن كذا دون أداة الشرط..إذن: هم يعرفون، ولكنه الجدال والعناد والاستكبار عن قبول

(١) تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٤١).
(٢) التحرير والتنوير (١٤/ ١٦١).
(٣) زهرة التفاسير (٨/ ٤١٨٣).

الحق»[1].

علم بالله: علم بأفعال الله

١٧-النحل(١٠١)-﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾

لا يعلمون حكمة تبديلنا، ولا يعلمون أن الله أعلم بِمَا يُنَزّلُ، وحقيقة وصدق رسولنا.

قال الطبري في جامع البيان في تأويل آي القرآن: «بل أكثر هؤلاء القائلين لك يا محمد: إنما أنت مفتر جهال، بأنّ الذي تأتيهم به من عند الله ناسخه ومنسوخه، لا يعلمون حقيقة صحته»[2].

وللواحدي: «(بل أكثرهم لا يعلمون) حقيقة القرآن، وفائدة النسخ والتبديل»[3].

وقال أبو حيان: «ومفعول لا يعلمون محذوف لدلالة المعنى عليه، أي: لا يعلمون أنّ الشرائع حكم ومصالح»[4].

وأما البقاعي فقال: «(بل أكثرهم) وهم الذين يستمرون على الكفر (لا يعلمون) أي: لا يتجدد لهم علم، بل هم في عداد البهائم، لعدم انتفاعهم بما وهبهم الله من العقول، لانهماكهم في اتباع الشيطان، حتى زلت أقدامهم في هذا الأمر الواضح بعد إقامة البرهان بالإعجاز على أن كل ما كان معجزاً كان من عند الله، سواء كان ناسخاً أو منسوخاً أو لا، فصارت معرفة أن هذا القرآن، وهذا غير

(١) تفسير الشعراوي (١٣/ ٧٩٥١).
(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٢٩٧).
(٣) الوجيز للواحدي (ص: ٦١٩).
(٤) البحر المحيط في التفسير (٦/ ٥٩٤).

قرآن بعرضه على هذا البرهان من أوضح الأمور، وأسهلها تناولاً لمن أراد ذلك منهم، أو من غيرهم من فرسان البلاغة»[1].

وفي مراح لبيد (التفسير المنير لمعالم التنزيل): «(لاَ يَعْلَمُونَ) إن الله لا يأمر عباده إلا بما يصلح لهم»[2].

وقال السعدي: «(لَا يَعْلَمُونَ) فهم جهال لا علم لهم بربهم، ولا بشرعه، ومن المعلوم أن قدح الجاهل بلا علم لا عبرة به»[3].

وفي التحرير والتنوير: «و(بل) للإضراب الإبطالي على كلامهم، وهو من طريقة النقض الإجمالي في علم المناظرة.

وضمير (أكثرهم) للذين قالوا: (إنما أنت مفتر) أي: ليس كما قالوا، ولكن أكثر القائلين ذلك لا يعلمون، أي لا يفهمون وضع الكلام مواضعه وحَمله محامله.

وفهم من الحكم على أكثرهم بعدم العلم أن قليلاً منهم يعلمون أن ذلك ليس افتراء، ولكنهم يقولون ذلك تلبيساً وبهتاناً، ولا يعلمون أن التّنزيل من عند الله لا ينافي إبطال بعض الأحكام إذا اختلفت المصالح، أو روعي الرّفق.

ويجوز حمل لفظ أكثر على إرادة جميعهم»[4].

ويقول الشعراوي: «بل: حرف يفيد الإضراب عن الكلام السابق، وتقرير كلام جديد»[5].

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١١/ ٢٥٤).

(٢) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (١/ ٦٠٧).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٤٤٩).

(٤) التحرير والتنوير (١٤/ ٢٨٣).

(٥) تفسير الشعراوي (١٣/ ٨٢١٩).

وفي التفسير الميسر: «بل أكثرهم لا عِلْم لهم بربهم، ولا بشرعه وأحكامه»[1].

علم بالله وبأفعاله

١٨-الإسراء(١٠٢)-﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾.

في البحر المحيط: «فبكتَّه وأعلمه أنه يعلم آيات الله، ومن أنزلها، ولكنه مكابر معاند، وخاطبه بذلك على سبيل التوبيخ أي أنت بحال من يعلم هذا، وهي من الوضوح بحيث تعلمها، وليس خطابه على جهة إخباره عن علمه»[2].

وفي تفسير الجلالين: «قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء (الآيات) إلا رب السموات والأرض بصائر، عبراً، ولكنك تعاند، وفي قراءة بضم التاء (وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً) هالكاً، أو مصروفاً عن الخير»[3].

وفي روح المعاني للألوسي: «وقرأ علي كرم الله تعالى وجهه، وزيد بن علي رضي الله تعالى عنهما، والكسائي: (لَقَدْ عَلِمْتُ) بضم التاء، فيكون موسى عليه السلام قد أخبر عن نفسه أنه ليس بمسحور كما زعم عدو الله تعالى، وعدوه، بل هو يعلم أن ما أنزل تلك الآيات إلا خالق السموات والأرض ومدبرهما، وروي عن الأمير كرم الله تعالى وجهه أنه قال: والله ما علم عدو الله تعالى، ولكن موسى عليه السلام هو الذي علم، وتعقبه أبو حيان بأنه لا يصح؛ لأنه رواه كلثوم المرادي، وهو مجهول، وكيف يقول ذلك باب مدينة العلم كرم الله تعالى وجهه، ووجه نسبة العلم إليه ظاهر»[4].

---

(١) التفسير الميسر (١/ ٢٧٨).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٧/ ١٢١).

(٣) تفسير الجلالين (ص: ٣٧٧).

(٤) تفسير الألوسي (٨/ ١٧٥).

وفي التحرير والتنوير: «أن فرعون لم يبق في نفسه شك في أن تلك الآيات لا تكون إلا بتسخير الله، إذ لا يقدر عليها غيرُ الله، وأكد كلام موسى بلام القسم وحرف التحقيق، تحقيقاً لحصول علم فرعون بذلك، وإنما أيقن موسى بأن فرعون قد علم بذلك: إما بوحي من الله أعلمه به، وإما برأي مُصيب، لأن حصول العلم عند قيام البرهان الضروري حصول عقلي طبيعي لا يتخلف عن عقل سليم، وعبر عن الله بطريق إضافة وصف الرب للسموات والأرض تذكيراً بأن الذي خلق السموات والأرض هو القادر على أن يخلق مثل هذه الخوارق»[1].

١٩-الحج(٧٠)-﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾.

٢٠-القصص(٧٣)-﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

قال الطبري: «ولو كان الله يؤتي الأموال من يؤتيه لفضل فيه وخير عنده، ولرضاه عنه، لم يكن يهلك من أهلك من أرباب الأموال الذين كانوا أكثر منه مالاً، لأن من كان الله عنه راضياً، فمحال أن يهلكه الله، وهو عنه راضٍ، وإنما يهلك من كان عليه ساخطاً»[2].

وعند ابن أبي حاتم: «عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾، يَقُولُ:(عَلَى خَيْرٍ عِنْدِي وَعِلْمٍ عِنْدِي).

ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، قَالَ:(لَوْلا رِضَا اللَّهِ عَنِّي وَمَعْرِفَتِهِ بِفَضْلِي مَا أَعْطَانِي هَذَا وَقَرَأَ: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ

(١) التحرير والتنوير (١٥/ ٢٢٦).
(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٦٢٦).

مِنْهُ قُوَّةً)

عَنِ السُّدِّيِّ، قَالَ: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾:(عَلِمَ اللَّهُ أَنِّي أَهْلٌ لِذَلِكَ)»[1].

وقال البغوي: «قال، يعني قارون، (إنما أوتيته على علم عندي)، أي: على فضل وخير، وعلمه الله عندي، فرآني أهلاً لذلك، ففضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره، قيل: هو علم الكيمياء، قال سعيد بن المسيب: كان موسى يعلم الكيمياء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم، وعلم كالب بن يوقنا ثلثه، وعلم قارون ثلثه، فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه، وكان ذلك سبب أمواله. وقيل: على علم عندي بالتصرف في التجارات والزراعات وأنواع المكاسب»[2].

وقال البيضاوي: «قال إنما أوتيته على علم عندي، فضلت به على الناس، واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال، و(على علم) في موضع الحال، وهو علم التوراة، وكان أعلمهم بها، وقيل: هو الكيمياء، وقيل علم التجارة والدهقنة، وسائر المكاسب، وقيل: العلم بكنوز يوسف، (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً) تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته، وكثرة ماله، مع علمه بذلك؛ لأنه قرأه في التوراة، وسمعه من حفاظ التواريخ، أو رد لادعائه للعلم، وتعظمه به بنفي هذا العلم عنه، أي أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعى، ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين»[3].

وقال النسفي: «أو لم يعلم قارون أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، (٩/ ٣٠١٢).

(٢) تفسير البغوي (٦/ ٢٢٢).

(٣) تفسير البيضاوي (٤/ ١٨٥).

أشد منه قوة، هو إثبات لعلمه بأن الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأغنى؛ لأنه قد قرأه في التوراة، كأنه قيل: أو لم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا، حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته، أو نفي لعلمه بذلك؛ لأنه لما قال: أوتيته على علم عندي قيل: عنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه، ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة، ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين»[1].

وقال ابن كثير: «أي أنا لا أفتقر إلى ما تقولون، فإن الله تعالى إنما أعطاني هذا المال لعلمه بأني أستحقه، ولمحبته لي، فتقديره: إنما أعطيته لعلم الله في أني أهل له، وهذا كقوله تعالى: (وإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم) أي على علم من الله بي»[2].

وفي تفسير الجلالين: «وكان أعلم بني إسرائيل في التوراة بعد موسى وهارون، قال تعالى: (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من) الأمم (هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً) للمال، أي: هو عالم بذلك، ويهلكهم الله»[3].

وفي التحرير والتنوير: «أي: ما أوتيت المال الذي ذكرتموه في حال من الأحوال، إلا في حال تمكني من علم راسخ، فيجوز أن يكون المراد من العلم علم أحكام إنتاج المال من التوراة، أي أنا أعلم منكم بما تعظونني به، يعني بذلك قولهم له: لا تفرح، وابتغ.... وقد كان قارون مشهوراً بالعلم بالتوراة، ولكنه أضلّه الله على علم، فأراد بهذا الجواب قطع موعظتهم.

ويجوز أن يكون المراد بالعلم علم اكتساب المال من التجارة ونحوها، فأراد بجوابه إنكار قولهم: آتاك الله صلفاً منه وطغياناً، وقوله: (عندي) صفة لـ(علم)

---

(١) تفسير النسفي (٢/ ٦٥٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٥٤).

(٣) تفسير الجلالين (ص: ٥١٨).

تأكيداً لتمكنه من العلم وشهرته به»[1].

وفي التفسير الميسر: «قال قارون لقومه الذين وعظوه: إنما أُعطيتُ هذه الكنوز بما عندي من العلم والقدرة»[2].

علم بالله علم بمغفرة الله وجعله

٢١-يس(٢٦)-﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦﴾

وفي تفسير ابن كثير: «تمنى والله أن يعلم قومه بما عاين من كرامة الله، وما هجم عليه، وقال ابن عباس: نصح قومه في حياته بقوله: (يا قومي اتبعوا المرسلين)، وبعد مماته في قوله: (يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) رواه ابن أبي حاتم»[3].

وقال في التحرير والتنوير: «والقائل: (ادخل الجنة) هو الله تعالى، والمقولُ له هو الرجل الذي جاء من أقصى المدينة، وإنما لم يذكر ضمير المقول له مجروراً باللام؛ لأن القول المذكور هنا قول تكويني، لا يقصد منه المخاطب به، بل يقصد حكاية حصوله؛ لأنه إذا حصل حصل أثره كقوله تعالى: (أن نقول له كن فيكون) [النحل: ٤٠]، وإذ لم يقَصَّ في المثَل أنه غادر مَقامه الذي قام فيه بالموعظة كان ذلك إشارة إلى أنه مات في مقامه ذلك، ويفهم منه أنه مات قتيلاً في ذلك الوقت أو بإثره، وإنما سلك في هذا المعنى طريق الكناية، ولم يصرح بأنهم قتلوه إغماضاً لهذا المعنى عن المشركين كيلا يسرّهم أن قومه قتلوه، فيجعلوه من جملة ما ضرب به المثل لهم، وللرسول ﷺ فيطمعوا فيه أنهم يقتلون الرسول ﷺ، فهذه الكناية لا يفهمها إلا أهل الإِسلام الذين تقرر عندهم التلازم بين

(١) التحرير والتنوير (٢٠/ ١٨١).

(٢) التفسير الميسر (١/ ٣٩٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٥٠٧).

الشهادة في سبيل الله، ودخول الجنة، أما المشركون فيحسبون أن ذلك في الآخرة، وقد تكون في الكلام البليغ خصائص يختص بنفعها بعض السامعين، وجملة (قال يا ليت قومي يعلمون) مستأنفة أيضاً استئنافاً بيانياً؛ لأن السامع يترقب ماذا قال حين غمره الفرح بدخول الجنة، والمعنى: أنه لم يُلهِه دخوله الجنة عن حال قومه، فتمنى أن يعلموا ماذا لقي من ربه ليعلموا فضيلة الإيمان فيؤمنوا، وما تمنّى هلاكهم ولا الشماتة بهم، فكان متّسِماً بكظم الغيظ، وبالحلم على أهل الجهل، وذلك لأن عالم الحقائق لا تتوجه فيه النفس إلا إلى الصلاح المحض، ولا قيمة للحظوظ الدنية وسفساف الأمور، وأدخلت الباء على مفعول (يعلمون) لتضمينه معنى: يُخبَرون، لأنه لا مطمع في أن يحصل لهم علم ذلك بالنظر والاستدلال»[1].

«يقول تعالى ذكره: قال الله له إذ قتلوه كذلك فلقيه: (ادْخُلِ الْجَنَّةَ) فلما دخلها وعاين ما أكرمه الله به لإيمانه وصبره فيه (قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي) يقول: يا ليتهم يعلمون أن السبب الذي من أجله غفر لي ربي ذنوبي، وجعلني من الذين أكرمهم الله بإدخاله إياه جنته، كان إيماني بالله وصبري فيه، حتى قتلت، فيؤمنوا بالله ويستوجبوا الجنة[2].

وقال العز بن عبد السلام: «تمنى أن يعلموا حُسن عاقبته، أو تمنى ذلك ليؤمنوا كإيمانه، فيصيروا إلى ما صار إليه، فنصحهم حياً وميتاً»[3].

علم بالله بأفعاله مع العباد

٢٢-الزمر(٤٩)-﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ بَلْ

(١) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٧٠).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٠٩).

(٣) تفسير العز بن عبد السلام (٣/ ٣٧).

هِيَ فِتۡنَةٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٩﴾

وَقال البغوي: «(قال إنما أوتيته على علم)، أي: على علم من الله أني له أهل. وقال مقاتل: على خير علمه الله عندي»[1].

وفي التفسير الميسر: «(ولكن أكثرهم لا يعلمون)، أنه استدراج وامتحان، بل ذلك فتنة يبتلي الله بها عباده؛ لينظر مَن يشكره ممن يكفره، ولكن أكثرهم- لجهلهم، وسوء ظنهم وقولهم- لا يعلمون؛ فلذلك يعدُّون الفتنة منحة»[2].

وفي تفسير الجلالين: «(ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن التخويل استدراج وامتحان»[3].

وقال الطبري: «وقوله: (بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ) يقول تعالى ذكره: بل عطيتنا إياهم تلك النعمة من بعد الضرّ الذي كانوا فيه فتنة لهم، يعني بلاء ابتليناهم به، واختباراً اختبرناهم به، (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ) لجهلهم، وسوء رأيهم (لا يَعْلَمُونَ) لأي سبب أعطوا ذلك»[4].

وفي فتح القدير: «(ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن ذلك استدراج لهم من الله وامتحان لما عندهم من الشكر أو الكفر»[5].

وفي ظلال القرآن: «إن الضر يسقط عن الفطرة ركام الأهواء والشهوات، ويعريها من العوامل المصطنعة التي تحجب عنها الحق الكامن فيها، وفي ضمير هذا الوجود، فعندئذ ترى الله وتعرفه، وتتجه إليه وحده، حتى إذا مرت الشدة،

---

(١) تفسير البغوي (٤/ ٩٣).

(٢) التفسير الميسر (١/ ٤٦٤).

(٣) تفسير الجلالين (ص: ٦١٣).

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٣٠٤).

(٥) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٥٣٨).

وجاء الرخاء، نسي هذا الإنسان ما قاله في الضراء.

(ولكن أكثرهم لا يعلمون) هي فتنة للاختبار والامتحان، ليتبين إن كان سيشكر أو سيكفر»[1].

وفي تفسير حدائق الروح والريحان: «(قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) أي خير علمه الله مني، فإن كانت النعمة سعة في المال، قال: إنما حصل هذا بكسبي، وإن كانت صحة قال: إنما حصلت هذه الصحة بسبب العلاج الفلاني، (بَلْ هِيَ) أي النعمة (فِتْنَةٌ) أي اختبار أيشكر أم يكفر، (لاَ يَعْلَمُونَ) أي هذا التخويل، إنما كان لأجل اختبار أي: إنا نتفضل على ذلك الإنسان، وهو يظن أنه إنما وجده بالاستحقاق»[2].

٢٣-الزمر (٥٢)-﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٥٢﴾.

وفي التحرير والتنوير: «﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢)﴾ عطف على جملة (ولكن أكثرهم لا يعلمون) [الزمر: ٤٩]، فبعد أن وصف أكثرهم بانتفاء العلم بأن الرحمة لهم فتنةٌ وابتلاء، عُطف عليه إنكار علمهم انتفاء علمهم بذلك، وإهمالهم النظر في الأدلّة المفيدة للعلم، وصمهم آذانهم عن الآيات التي تذكّرهم بذلك حتى بَقُوا في جهالة مركَّبة، وكان الشأن أن يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، أي يعطي الخيْر من يشاء، ويمنع من يشاء، فالاستفهام إنكار عليهم في انتفاء علمهم بذلك؛ لأنهم تسببوا في انتفاء العلم، فالإنكار عليهم يتضمن توبيخاً، واقتصر في الإنكار على

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٣٠٥٦).

(٢) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٢٥/ ٣١).

إنكار انتفاء العلم بأن بسط الرزق وقدْرَه من فعل الله تعالى؛ لأنه أدنى لمشاهدتهم أحوال قومهم، فكم من كاد غير مرزوق، وكم من آخر يجيئه الرزق من حيث لا يحتسب، وجُعل في ذلك آيات كثيرة لأن اختلاف أحوال الرزق الدالة على أن التصرف بيد الله تعالى ينبئ عن بقية الأحوال، فتحصُلُ في ذلك آيات كثيرة دالة على انفراد الله تعالى بالتصرف في نفس الأمر، وجعلت الآيات لقوم يؤمنون؛ لأن المؤمنين قد علموا ذلك، وتخلقوا به، ولم تكن فيه آيات للمشركين الغافلين عنه»[1].

وفي التفسير الميسر: «أولم يعلم هؤلاء أن رزق الله للإنسان لا يدل على حسن حال صاحبه، فإن الله لبالغ حكمته يوسّع الرزق لمن يشاء مِن عباده، صالحًا كان أو طالحًا، ويضيّقه على مَن يشاء منهم؟ إن في ذلك التوسيع والتضييق في الرزق لَدلالات واضحات لقوم يُصدِّقون أمر الله، ويعملون به»[2].

علم بالله وبأفعاله وعلم بالرسول

٢٤-الحجرات(٧)-﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾.

قال ابن كثير: «(واعلموا أن فيكم رسول الله) أي اعلموا أن بين أظهركم رسول الله فعظموه ووقروه، وتأدبوا معه، وانقادوا لأمره؛ فإنه أعلم بمصالحكم، وأشفق عليكم منكم، ورأيه فيكم أتم من رأيكم لأنفسكم، كما قال تبارك وتعالى: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم).

عن أنس ﷺ قال كان رسول الله ﷺ يقول: (الإسلام علانية، والإيمان في

(١) التحرير والتنوير (٢٤/ ٣٨).

(٢) التفسير الميسر (١/ ٤٦٤).

القلب - قال ثم يشير بيده إلى صدره ثلاث مرات ثم يقول - التقوى ههنا التقوى ههنا))[1].

وقال البيضاوي: ((واعلموا أن فيكم رسول الله) أن بما في حيزه ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال، وهو قوله: (لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم)؛ فإنه حال من أحد ضميري فيكم، ولو جعل استئنافاً لم يظهر للأمر فائدة، والمعنى أن فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها، وهي أنكم تريدون أن يتبع رأيكم في الحوادث، ولو فعل ذلك (لعنتم)، أي: لوقعتم في الجهد من العنت، وفيه إشعار بأن بعضهم أشار إليه بالإيقاع ببني المصطلق، وقوله: (ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان) استدراك ببيان عذرهم، وهو أنه من فرط حبهم للإيمان وكراهتهم للكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد، أو بصفة من لم يفعل ذلك منهم إحماداً لفعلهم، وتعريضاً بذم من فعل، ويؤيده قوله: (أولئك هم الراشدون)، أي: أولئك المستثنون هم الذين أصابوا الطريق السوي))[2].

وفي التحريروالتنوير: ((وابتداء الجملة بـ(اعلموا) للاهتمام، وقوله: (أن فيكم رسول الله) إن خبر مستعمل في الإيقاظ والتحذير على وجه الكِنَاية، فإن كون رسول الله ﷺ بين ظهرانيهم أمر معلوم لا يخبر عنه، فالمقصود تعليم المسلمين باتباع ما شرع لهم رسول الله ﷺ من الأحكام، ولو كانت غير موافقة لرغباتهم))[3].

فجاءت الآية التالية ((تذكرهم بالحقيقة الضخمة، والنعمة الكبيرة التي تعيش

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٧٢).

(٢) تفسير البيضاوي (٥/ ١٣٥).

(٣) التحرير والتنوير (٢٦/ ٢٣٤).

بينهم ليدركوا قيمتها، وينتبهوا دائماً لوجودها: (واعلموا أن فيكم رسول الله)، وهي حقيقة تتصور بسهولة؛ لأنها وقعت ووجدت، ولكنها عند التدبر تبدو هائلة لا تكاد تتصور ! وهل من اليسير أن يتصور الإنسان أن تتصل السماء بالأرض صلة دائمة حية مشهودة ؛ فتقول السماء للأرض ؛وتخبر أهلها عن حالهم وجهرهم وسرهم، وتقوم خطاهم أولا بأول، وتشير عليهم في خاصة أنفسهم وشؤونهم، ويفعل أحدهم الفعلة ويقول أحدهم القولة، ويسر أحدهم الخالجة ؛ فإذا السماء تطلع، وإذا الله ﷻ ينبئ رسوله بما وقع، ويوجهه لما يفعل وما يقول في هذا الذي وقع.. إنه لأمر. وإنه لنبأ عظيم. وإنها لحقيقة هائلة. قد لا يحس بضخامتها من يجدها بين يديه، ومن ثم كان هذا التنبيه لوجودها بهذا الأسلوب: (واعلموا أن فيكم رسول الله).. اعلموا هذا وقدروه حق قدره، فهو أمر عظيم.

ومن مقتضيات العلم بهذا الأمر العظيم أن لا يقدموا بين يدي الله ورسوله. ولكنه يزيد هذا التوجيه إيضاحاً وقوة، وهو يخبرهم أن تدبير رسول الله ﷺ لهم بوحي الله، أو إلهامه فيه الخير لهم والرحمة واليسر، وأنه لو أطاعهم فيما يعن لهم أنه خير لعنتوا وشق عليهم الأمر، فالله أعرف منهم بما هو خير لهم، ورسوله رحمة لهم فيما يدبر لهم ويختار»[1].

علم بأفعال الله

٢٥-الحديد(١٧)-﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧﴾.

«اعلموا: فعل أمر، فأمر بالعلم بهذه القضية الهامة، وهي أن الله يحيي الأرض بعد موتها، يعني أن الأرض تجدها يابسة ليس بها نبات، فينزل الله عليها المطر فتنبت وتحيا وتنمو، إذا علمنا هذا ونحن عالمون به، ونشاهده، فإننا نستدل به

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٣٤٢.

على قدرة الله - تبارك وتعالى - على إحياء الموتى، فإن الناس أحياء الآن، ثم يموتون، ثم يبعثون يوم القيامة، فالقادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على إحياء الأجسام بعد موتها من أجل الحساب والجزاء؛ لأنه ليس من الحكمة أن يخلق الله - تبارك وتعالى - خلقاً يأمرهم وينهاهم، ويبيح دماء من لم يستجب وأموالهم ثم تكون النتيجة أن يموت الإنسان فقط، بل لابد من حياة، هي الحياة الحقيقية»[1].

يقول الزمخشري: «هذا تمثيل لأثر الذكر في القلوب، وأن يحييها كما يحيي الغيث الأرض ونحوه، لابن عطية قال: أي: لَا يبعد عليكم أيها التاركون للخشوع رجوعكم إليه، فإن الله يحيي الأرض بعد موتها، وكذلك يفعل بالقلوب، انتهى، فهذا أمر فرعي، ويحتمل بأن يكون المراد التنبيه على صحة الإعادة، بكمال قدرة الله تعالى على إحياء الأرض بعد موتها»[2].

قال ابن عاشور: «افتتاح الكلام بـ(اعلموا) ونحوه يؤذن بأن ما سيلقى جدير بتوجه الذهن بشراشره إليه، والخطاب في قوله: (اعلموا) للمؤمنين على طريقة الالتفات إقبالاً عليهم للاهتمام، وقوله: (أن الله يحيي الأرض بعد موتها) استعارة تمثيلية مصرّحة ويتضمن تمثيلية مَكْنية بسبب تضمنه تشبيه حال ذِكر الله والقرآن في إصلاح القلوب بحال المطر في إصلاحه الأرض بعد جدبها، وطُوي ذكر الحالة المشبه بها، ورُمز إليها بلازمها، وهو إسناد إحياء الأرض إلى الله؛ لأن الله يحيي الأرض بعد موتها بسبب المطر.

والمقصود الإرشاد إلى وسيلة الإنابة إلى الله، والحث على تعهد النفس بالموعظة، والتذكير بالإقبال على القرآن وتدبره، وكلامِ الرسول ﷺ وتعليمه، وأن

(١) تفسير ابن عثيمين، سورة الحديد، ص ٣٩١.
(٢) الكشاف، ٤/ ٤٢٠.

في اللجأ إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ نجاة، وفي المفزع إليهما عصمة»[1].

قال الطبري: «(اعْلَمُوا) أيها الناس (أَنَّ اللَّه يُحْيِي الأَرْضَ) الميتة التي لا تنبت شيئا، (بَعْدَ مَوْتِهَا) يعني: بعد دثورها ودروسها، يقول: وكما نحيي هذه الأرض الميتة بعد دروسها، كذلك نهدي الإنسان الضَّالَّ عن الحقّ إلى الحق، فنوفِّقه ونسدِّده للإيمان حتى يصير مؤمناً من بعد كفره، ومهتدياً من بعد ضلاله»[2].

وقال الشوكاني: «أي كي تعقلوا ما تضمنته من المواعظ وتعلموا بموجب ذلك»[3].

علم بالله وبأفعاله

٢٦-القلم(٤٤)-﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

«سَنَسْتَدْرِجُهُمْ من حيث لايعلمون أننا نحن الذين نستدرجهم بل يحسبون ويظنون».

قال الطبري: «وقوله: (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ) يقول جلّ ثناؤه: سنكيدهم من حيث لا يعلمون، وذلك بأن يمتعهم بمتاع الدنيا حتى يظنوا أنهم متعوا به بخير لهم عند الله، فيتمادوا في طغيانهم، ثم يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون.

استدرجه إلى كذا: إذا استنزله إليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه، واستدراج الله العصاة أن يرزقهم الصحة والنعمة، فيجعلوا رزق الله ذريعة ومتسلقاً إلى ازياد الكفر والمعاصي (من حيث لا يعلمون) أي: من الجهة التي لا يشعرون أنه

(١) التحرير والتنوير، ٢٧/ ٣٩٤.

(٢) تفسير الطبري، ٢٣/ ١٨٩.

(٣) فتح القدير للشوكاني، ٥/ ٢٠٧.

استدراج وهو الإنعام عليهم لأنهم يحسبونه إيثاراً لهم وتفضيلاً على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم»[1].

وفي مفاتيح الغيب: «قال أبو روق: (سنستدرجهم) أي كلما أذنبوا ذنبا جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار، فالاستدراج إنما حصل في الاغتناء الذي لا يشعرون أنه استدراج، وهو الإنعام عليهم لأنهم يحسبونه تفضيلاً لهم على المؤمنين، وهو في الحقيقة سبب لهلاكهم[2].

قال القرطبي: «يعني القرآن؛ قاله السدي. وقيل: يوم القيامة»[3].

وفي روح المعاني للألوسي: «(منْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ) أنه استدراج بل يزعمون أن ذلك إيثار لهم، وتفضل على المؤمنين مع أنه سبب لهلاكهم[4].

وعند النسفي: «(سَنَسْتَدْرِجُهُم) سندنيهم من العذاب درجة درجة. يقال: استدرجه إلى كذا أي استنزله إليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه، واستدراج الله تعالى العصاة أن يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلون رزق الله ذريعة إلى زيادة المعاصي (منْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ) من الجهة التي لا يشعرون أنه استدراج»[5].

«وجملة (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) بيان لمضمون فذَرني ومن يكذّب بهذا الحديث) باعتبار أن الاستدراج والإملاء يعقبهما الانتقام فكأنه قال: سنأخذهم بأعمالهم فلا تستبطىء الانتقام فإنه محقق وقوعه ولكن يؤخر لحكمة تقتضي تأخيره.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٩٨).
(٢) تفسير الرازي (٣٠/ ٦١٥).
(٣) تفسير القرطبي (١٨/ ٢٥١).
(٤) تفسير الألوسي (١٥/ ٤١).
(٥) تفسير النسفي (٣/ ٥٢٥).

(من حيث لا يعلمون) أن استدراجهم المفضي إلى حلول العقاب بهم يأتيهم من أحوال وأسباب لا يتفطنون إلى أنها مفضية بهم إلى الهلاك.

فـ(مِن) ابتدائية، و(حيث) للمكان المجازي، أي الأسباب والأفعال والأحوال التي يحسبونها تأتيهم بخير، فتنكشف لهم عن الضر، ومفعول (لا يعلمون) ضمير محذوف عائد إلى (حيث).

«كِلْ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ إِلَيّ أَمْرَ هَؤُلاَءِ المُكَذِّبِينَ بِالقُرْآنِ، وَلاَ تَشْغَلْ قَلْبَكَ بِشَأْنِهِمْ فَأَنَا أَكْفِيكَ أَمْرَهُمْ، وَسَأَسْتَدْرِجُهُمْ إِلَى العَذَابِ دَرَجَةً فَدَرَجَةً بِالإِمْهَالِ، وَبِإِدَامَةِ الصّحَةِ، وَزِيَادَةِ النِّعْمَةِ، مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ اسْتِدْرَاجٌ، فَيَظُنُّونَ أَنَّهُ إِيثَارٌ لَهُمْ مِنَ اللَّه، وَتَفْضِيلُ لَهُمْ عَلَى المُؤْمِنِينَ»[1].

علم بأفعاله وبأجله

٢٧-نـــــوح(٤)-﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤﴾.

«((لو كنتم تعلمون) عن أجل اللَّه أو أي شيء من العلم باللَّه.

(لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) يقول: لو علمتم أن ذلك كذلك، لأنبتم إلى طاعة ربكم»[2].

«لو كنتم تعلمون لعلمتم أن أجل اللَّه إذا جاء لا يؤخر، قاله الحسن»[3].

فإن قلت: كيف قال (ويؤخركم) مع إخباره بامتناع تأخير الأجل وهل هذا إلا تناقض قلت: قضى اللَّه مثلاً أن قوم نوح إن آمنوا عمرهم ألف سنة وإن بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة.

---

(١) أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥١٩٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٩٠).

(٣) تفسير الماوردي (٦/ ٩٩).

فقيل لهم: آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمى أي: إلى وقت سماه الله وضربه أمداً تنتهون إليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الأطول تمام الألف ثم أخبر أنه إذا جاء ذلك الأجل الأمد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادروا في أوقات الإمهال والتأخير.

ثُـمَّ أَخْبَـرَهُمْ نُـوحٌ أَنَّ أَجَـلَ اللهِ، الـذِي كَتَبَـهُ فِـي أَمِّ الكِتَـابِ، إِذَا جَـاءَ لاَ يُـؤَخَّرُ مِيقَاتُهُ، وَلَـوْ أَنَّهُـمْ كَـانُوا يَعْلَمُـونَ مَـا سَيَحِلُّ بِهِـمْ مِـنَ الخِـزْيِ والنَّدَامَةِ عِنْدَ انْقِضَـاءِ آجَالِهِمْ لَسَارَعُوا إِلَى الإِيْمَانِ والطَّاعَةِ»[1].

وقال القرطبي: «قال الحسن: معناه لو كنتم تعلمون لعلمتم أن أجل الله إذا جاءكم لم يؤخر»[2].

وفي فتح القدير: «لو كنتم تعلمون) أي شيئاً من العلم لسارعتم إلى ما أمرتكم به»[3].

وقال النسفي: «(وقيل: إنهم كانوا يخافون على أنفسهم الإهلاك من قومهم بإيمانهم وإجابتهم لنوح عليه السلام، فكأنه عليه السلام أمّنهم من ذلك ووعدهم أنهم بإيمانهم يبقون إلى الأجل الذي ضرب لهم لو لم يؤمنوا أي أنكم إن أسلمتم بقيتم إلى أجل مسمى آمنين من عدوكم»[4].

٢٨-العلق(١٤)-﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾.

قال الطبري: «ألم يعلم أبو جهل إذ ينهى محمدا عن عبادة ربه، والصلاة له،

(١) تفسير الزمخشري (٤/ ٦١٥).
(٢) تفسير القرطبي (١٨/ ٣٠٠).
(٣) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٥٦).
(٤) تفسير النسفي (٣/ ٥٤٢).

بأن الله يراه فيخاف سطوته وعقابه»[1].

وقال القرطبي: «(ألم يَعْلَمْ بأنَّ اللَّه يَرَى) يعني أبا جهل، وفيه وجهان:

أحدهما: ألم تعلم يا محمد أن اللَّه يرى أبا جهل؟

الثاني: ألم تعلم يا أبا جهل أن اللَّه يراك؟

وفيه وجهان:

أحدهما: يرى عمله ويسمع قوله.

الثاني: يراك في صلاتك حين نهاك أبو جهل عنها.

ويحتمل ثالثاً: يرى ما همّ به أبو جهل فلا يمكنه من رسوله.

ثم يقول: ويله ألم يعلم أبو جهل بأن اللَّه يرى ؛ أي يراه ويعلم فعله ؛ فهو تقرير وتوبيخ»[2].

والاستفهام للتقريع والتوبيخ.

وفي التحرير والتنوير: «هنا يجيء التهديد الملفوف كما جاء في نهاية المقطع الماضي: (ألم يعلم بأن اللَّه يرى ؟) يرى تكذيبه وتوليه. ويرى نهيه للعبد المؤمن إذا صلى، وهو على الهدى، آمر بالتقوى. يرى. وللرؤية ما بعدها! »[3].

وفي ظلال القرآن: «والتقدير: إن كذب وتولى فاللَّه عالم به، كناية عن توعده، وتكون جملة: (ألم يعلم بأن اللَّه يرى) مستأنفة لإنكار جهل المكذب بأن اللَّه سيعاقبه، وكني بأن اللَّه يرى عن الوعيد بالعقاب. وضمن فعل (يعلم) معنى يوقنْ فلذلك عُدي بالباء، وعلق فعل (أرأيت) هنا عن العمل لوجود الاستفهام في قوله:

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٣٦).

(٢) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٢٥).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٢/ ١٤٣).

(ألم يعلم)، والاستفهام إنكاري، أي كان حقه أن يعلم ذلك ويقي نفسه العقاب.

وحُذف مفعول (يرى) ليعمّ كل موجود، والمراد بالرؤية المسندة إلى الله تعالى تعلق علمه بالمحسوسات»[1].

٥-العلم بالذي هو من اللَّه

عبارة من الله في القرآن كثيرة، تصنع موضوعاً قرآنياً مهماً، ويدخل في موضوعات العلم بالله، لكن في هذا البحث أورد فقط مايرد مع كلمة عنده، كلمة علم.

المثل من الله وهو الحق

١- البقرة(٢٦)- ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾.

فيعلمون أن اللَّه لا يستحيي من ضرب مثل ما.

ويعلمون أن ضرب اللَّه للمثل حق.

ويعلمون أن اللَّه لايستحيي أن يَضْرِبَ مَثَلاً مّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا.

ويعلمون أن هذا الذي يتكلم به الرسول هو حقٌ وهو كلام اللَّه.

يذكر **ابن كثير** عن كلمة يعلمون: وقال قتادة: (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم) أي يعلمون أنه كلام الرحمن، وأنه من عند اللَّه[2].

أما تفسير **ابن سعدي** فيقول «فَيَعْلَمُونَ أن اللَّه لم يضربها عبثاً بل لحكمةٍ بالغةٍ

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٩٤٢).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٢٠٨).

ونعمةٍ سابغة»[1].

الحق من الله والأمر بتولية الوجه من الله

٢ -البقرة(١٤٤)- ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ .

ليعلمون أن الذي أمر بالتوجه هو الله وعليه فإن هذا الأمرحق فالله يعلم أعمالهم ليس بغافل عنها ومن تلك الأعمال إنكارهم الحق الذي يعلمون في الأمر بتحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام.

ورد في **البحر المحيط** «(لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ): أي التوجه إلى المسجد الحرام، (ٱلْحَقّ): الذي فرضه الله على إبراهيم وذريته، وقال قتادة والضحاك: إن القبلة هي الكعبة. وقال الكسائي: الضمير يعود على الشطر»[2].

الرزق من الله

٣-القصص(٥٧)-﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

لا يعلمون أن الله مكن لهم حرما آمناً، ولا يعلمون أن ما يجبى من رزق هو من الله:

قال الطبري: «ولكن أكثر هؤلاء المشركين القائلين لرسول الله ﷺ: (إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا) لا يعلمون أنا نحن الذين مكَّنا لهم حرما آمنا، ورزقناهم فيه، وجعلنا الثمرات من كلّ أرض تجبي إليهم، فهم بجهلهم بمن فعل

(١)تفسير السعدي (ص: ٤٧).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٢/ ٢٥).

ذلك بهم يكفرون»[1].

وفي الوجيز في التفسير للواحدي: «لا يعلمون أن ذلك مما تفضل الله به سبحانه عليهم»[2].

وفي الكشاف للزمخشري «(ولكن أكثرهم لا يعلمون) متعلق بقوله (من لدنا) أي قليل منهم يقرون بأن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له ولو علموا أنه من عند الله لعلموا أن الخوف والأمن من عنده. ولما خافوا التخطف إذا آمنوا به وخلعوا أنداده»[3]..

وفي البيضاوي: «(ولكن أكثرهم لا يعلمون) جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموه، وقيل إنه متعلق بقوله (من لدنا) أي قليل منهم يتدبرون فيعلمون أن ذلك رزق من عند الله، وأكثرهم لا يعلمون إذ لو علموا لما خافوا غيره»[4].

وفي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: «ولما كان هذا الذي أبدوه عذراً عن تخلفهم عن الهدى يظنونه من نفائس العلم، رده تعالى نافياً عمن لم يؤمن منهم جميع العلم الذي بنفيه ينتفي أن يكون هذا الفرد علماً، فقال في أسلوب التأكيد لذلك: (ولكن أكثرهم) أي أهل مكة وغيرهم ممن لا هداية له (لا يعلمون) أي ليس لهم قابلية للعلم حتى يعلموا أنا نحن الفاعلون لذلك بترتيب أسبابه حتى تمكن ذلك وتم فلا قدرة لأحد على تغييره، وإنا قادرون على أن نمنعهم - إذا تابعوا أمرنا - ممن يريدهم، بل نسلطهم على كل من ناواهم، كقدرتنا على ما مكنا لهم وهو خارج عن القياس على ما يقتضيه عقول الناس،

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٢٨٩).
(٢) الوجيز للواحدي (ص: ٨٢٢).
(٣) تفسير الزمخشري (٣/ ٤٢٣).
(٤) تفسير البيضاوي (٤/ ١٨١).

وإنا قادرون على سلب ذلك كله عنهم لإصرارهم على الكفر، ولا بد أن نذيقهم ذلك أجمع بعد هجرتك ليعلموا أنه إنما نالهم ذلك ببركتك، ولو علموا ذلك لشكروا، ولكنهم جهلوا فكفروا، ولذلك أنذروا»[1].

وفي مراح لبيد: «(لاَ يَعْلَمُونَ) إنا جعلنا الحرم آمناً وإنا سقنا إليه الرزق من كل جهة»[2].

وفي ظلال القرآن «(وقالوا:إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا).

قالوها للرسول ﷺ معتذرين عن اتباعه مخافة أن يفقدوا سلطانهم على قبائل العرب المجاورة، التي تعظم الكعبة، وتدين لسدنتها، وتعظم أصنامها، فتتخطفهم تلك القبائل، أو يتخطفهم أعداؤهم من وراء شبه الجزيرة دون أن تساندهم هذه القبائل.

فيبين لهم أين يكون الأمن وأين يكون الخوف من واقعهم التاريخي، ومن حاضرهم الذي يشهدونه، بعدما أبان لهم في هذه السورة عن ذلك في قصة موسى وفرعون.

ويجول معهم جولة في مصارع الغابرين تكشف لهم كذلك عن أسباب الهلاك الحقيقية ممثلة في البطر وقلة الشكر والتكذيب بالرسل والإعراض عن الآيات.

ثم جولة أخرى أبعد تكشف عن حقيقة القيم وتبدو فيها ضآلة الحياة الدنيا كلها ومتاعها إلى جوار ما عند الله.

إنها النظرة السطحية القريبة، والتصور الأرضي المحدود، هو الذي أوحى

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٤/ ٣٢٦).

(٢) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (٢/ ٢٠٣).

لقريش وهو الذي يوحي للناس أن اتباع هدى الله يعرضهم للمخافة، ويغري بهم الأعداء، ويفقدهم العون والنصير، ويعود عليهم بالفقر والبوار.

فهم لا ينكرون أنه الهدى، ولكنهم يخافون أن يتخطفهم الناس.

وهم ينسون الله، وينسون أنه وحده الحافظ، وأنه وحده الحامي ؛ وأن قوى الأرض كلها لا تملك أن تتخطفهم وهم في حمى الله ؛ وأن قوى الأرض كلها لا تملك أن تنصرهم إذا خذلهم الله.

ذلك أن الإيمان لم يخالط قلوبهم، ولو خالطها لتبدلت نظرتهم للقوى، ولاختلف تقديرهم للأمور، ولعلموا أن الأمن لا يكون إلا في جوار الله، وأن الخوف لا يكون إلا في البعد عن هداه.

(ولكن أكثرهم لا يعلمون) ولا يعلمون أن مرد الأمر كله لله»[1].

وفي التحرير والتنوير: «ومعنى (من لدنا) من عندنا، والعندية مجاز في التكريم والبركة، أي رزقاً قدرناه لهم إكراماً فكأنه رزق خاص من مكان شديد الاختصاص بالله تعالى.

وموقع الاستدراك في قوله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أنه متعلق بالكلام المسوق مساق الرد على قولهم (إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) إذ التقدير: أن تلك نعمة ربانية ولكن أكثرهم لا علم لهم فلذلك لم يتفطنوا إلى كُنه هذه النعمة فحسبوا أن الإسلام مفضٍ إلى اعتداء العرب عليهم ظنّاً بأن حرمتهم بين العرب مزيّة ونعمة أسداها إليهم قبائل العرب. وفعل (لا يعلمون) منزَّل منزلة اللازم فلا يقدَّر له مفعول، أي ليسوا ذوي علم ونظر بل هم جهلة لا يتدبّرون الأحوال. ونُفِي العلم عن أكثرهم لأن بعضهم أصحاب رأي فلو نظروا

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٢٧٠٣).

وتدبروا لما قالوا مقالتهم تلك. ولو قدر لفعل (يعلمون) مفعول دل عليه الكلام، أي لا يعلمون تمكين الحرم لهم وأن جلب الثمرات إليهم من فضلنا لما استقام إسناد نفي العلم إلى أكثرهم بل كان يسند إلى جميعهم لإطباق كلمتهم على مقالة (إن نتبع الهُدى معك نُتَخطَّف من أرضنا»[1].

وفي أيسر التفاسير: «(ولكن أكثرهم لا يعلمون) فهذه علة إصرارهم على الشرك والكفر. إنها الجهل بالله تعالى وعظمته وعلمه وحكمته»[2].

مغفرة من الله ورضوان

٤-الحديد(٢٠)-﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾.

قال ابن عرفة: «يحتمل أن يراد الأمر بلازم ذلك، وهو الاتعاظ، والإنابة، والتذكر، واللعب يشغل النفس بما يلهي على سبيل الفرح»[3].

قال ابن عاشور: «وافتتاح هذا بقوله تعالى: (اعلموا) للوجه الذي بيناه آنفاً في قوله: (اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها) [الحديد: ١٧]. و(أَنَّمَا) المفتوحةُ الهمزة أخت (إنما) المكسورة الهمزة في إفادة الحصر، وحصر الحياة الدنيا في الأخبار الجارية عليها هو قصر أحوال الناس في الحياة على هذه الأمور الستة باعتبار غالب الناس، فهو قصر ادعائي بالنظر إلى ما تنصرف إليه همم غالب الناس من شؤون الحياة الدنيا، والتي إن سلم بعضهم من بعضها لا يخلو من ملابسة بعض آخر إلا الذين عصمهم الله تعالى فجعل أعمالهم في الحياة كلها

(١) التحرير والتنوير (٢٠/ ٢٤٩).
(٢) أيسر التفاسير للجزائري (٤/ ٨٦).
(٣) تفسير ابن عرفة (٤/ ١٦٥).

لوجه اللَّه، وإلا فإن الحياة قد يكون فيها أعمال التقى والمنافع والإحسان والتأييد للحق وتعليم الفضائل وتشريع القوانين، وقد ذكر هنا من شؤون الحياة ما هو الغالب على الناس وما لا يخلو من مقارفة تضييع الغايات الشريفة أو اقتحام مساوٍ ذميمة، وهي أصول أحوال المجتمع في الحياة وهي أيضاً أصول أطوار آحاد الناس في تطور كل واحد منهم، فإن اللعب طور سِنّ الطفولة والصبا، وطور الشباب، والزينة طور الفتوة، والتفاخرَ طور الكهولة، والتكاثر طور الشيخوخة. وذكر هنا خمسة أشياء: فاللعب: اسم لقول أو فعل يراد به المزح والهزل لتمضية الوقت أو إزالة وحشة الوحدة، أو السكون، أو السكوت، أو لجلب فرح ومسرة للنفس، أو يجلب مثل ذلك للحبيب، أو يجلب ضده للبغيض، كإعمال الأعضاء وتحريكها دفعاً لوحشة السكون، والهذيان المقصود لدفع وحشة السكوت، ومنه العبث، وكالمزح مع المرأة لاجتلاب إقبالها ومع الطفل تحبباً أو إرضاء له. واللعب: هو الغالب على أعمال الأطفال والصبيان فطور الطفولة طور اللعب ويتفاوت غيرهم في الإتيان منه فيقل ويكثر بحسب تفاوت الناس في الأطوار الأولى من الإنسان وفي رجاحة العقول وضعفها. والإفراط فيه من غير أصحاب طوره يؤذن بخسة العقل»[1].

أي: (اعلموا) - أيها المؤمنون علم استجابة وامتثال لما آمركم به - الوسيط

٦- علم بما عند اللَّه

عبارة عند الله في القرآن كثيرة ، تصنع موضوعاً قرآنياً مهماً، ويدخل في موضوعات العلم بالله، ومن هذه العبارات وعنده مفاتح الغيب، وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ... لكن في هذا البحث أورد فقط مايرد مع كلمة عنده، كلمة علم.

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ٩٢).

مثوبة من عند الله خير

١ – البقرة (١٠٣)-﴿وَلَوْأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.

لو كانوا يعلمون العلم العام وماعند الله من المثوبة والجزاء.

ذكر في تفسير **ابن أبي حاتم**عن كلمة لو: «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: (كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ ﴿لَوْ﴾ فَإِنَّهُ لا يَكُونُ أَبَدًا»[١].

وفي التفسير **الميسر**: «ولو أن اليهود آمنوا وخافوا الله لأيقنوا أن ثواب الله خير لهم من السِّحر ومما اكتسبوه به، لو كانوا يعلمون ما يحصل بالإيمان والتقوى من الثواب والجزاء علماً حقيقياً لآمنوا»[٢].

وعلى سبيل المثال أقول لشخص أخطأ: (لو) تعرف الخطر الذي يلحقك من هذا الخطأ؟! وأ قول لشخص فاته خير لو تعرف الربح الذي يكون لك من هذا!! فأنا أحثه وأحضه على علم هذا وهذا وبالتالي فالعمل في الحالين لدرء خطر أو جلب نفع.

وفي رقم (٥) ورد قبل قوله تعالى: (لو كانوا يعملون): (ولبئس ماشروا به أنفسهم) وفي رقم (٦) ورد قبل قوله تعالى (لو كانوا يعلمون): (لمثوبة من عند الله خير..) ففي الأولى ترهيب وفي الثانية ترغيب؛فعندما تسمع عبارة (لو كانوا يعلمون) بعدهما يكون المعنى حثاً وحضاً وتأكيداً على علم ماسبق بمعنى اعلموا ذلك وتيقنوه.

عند الله طائرهم

٢-الأعراف(١٣١)-﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٩٦).

(٢) التفسير الميسر (١/ ١٦).

وَمَن مَّعَهُۥۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾.

قال الطبري: «قال ابن عباس: (ألا إنما طائرهم عند الله)، قال: الأمر من قبل الله»[1].

وفي الوجيز في التفسير للواحدي: «(ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن الذي أصابهم من الله»[2] .

وفي زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي: «وقال الزجاج: المعنى: ألا إن الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وُعدوا به في الآخرة، لا ما ينالهم في الدّنيا»[3].

وفي مفاتيح الغيب: «واعلم أن كل ما يصيبهم من خير أو شر فهو بقضاء الله تعالى وبتقديره (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن الكل من الله تعالى، وذلك لأن أكثر الخلق يضيفون الحوادث إلى الأسباب المحسوسة ويقطونها عن قضاء الله تعالى وتقديره، والحق أن الكل من الله، فإسنادها إلى غير الله يكون جهلاً بكمال الله تعالى»[4].

وقال القرطبي: «(وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أن ما لحقهم من القحط والشدائد إنما هو من عند الله عز وجل بذنوبهم لا من عند موسى وقومه»[5].

وفي إرشاد العقل السليم، إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي: «(ولكن أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) ذلك وإسنادُ عدمِ العلمِ إلى أكثرهم للإشعار بأن بعضهم يعلمون أن ما أصابهم من الخير والشرِّ من جهة الله تعالى أو يعلمون أن

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٣٧٨).
(٢) الوجيز للواحدي (ص: ٤٠٩).
(٣) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ١٤٧).
(٤) تفسير الرازي (١٤/ ٣٤٥).
(٥) تفسير القرطبي (٧/ ٢٦٧).

ما أصابهم من المصائب والبلايا ليس إلا بما كسبتْ أيديهم ولكن لا يعملون بمقتضاه عناداً واستكباراً»[1].

وفي فتح القدير: «قوله: (ألا إنما طائرهم عند الله) أي سبب خيرهم وشرهم بجميع ما ينالهم من خِصْبٍ وقَحْطٍ هو من عند الله ليس بسبب موسى ومن معه، وكان هذا الجواب على نمط ما يعتقدونه وبما يفهمونه، ولهذا عبر بالطائر عن الخير والشر الذي يجري بقدر الله وحكمته ومشيئته (ولكن أكثرهم لا يعلمون) بهذا بل ينسبون الخير والشر إلى غير الله جهلاً منهم»[2].

وفي التحرير والتنوير: «و(عند) مستعملة في التصرف مجازاً؛ لأن الشيء المتصرَّف فيه كالمستقر في مكان، أي: سبب شؤمهم مقدر من الله، وهذا كما وقع في الحديث: «ولا طيْرَ إلا طَيْرُك» فعبر عما قدره الله للناس «بطير» مشاكلة لقوله: «ولا طَيْر» ومن فسر الطائر بالحظ فقد أبعد عن السياق.

والقصر المستفاد من (إنما) إضافي أي: سوء حالهم عقابٌ من الله، لا من عند موسى ومن معه، فلا ينافي أن المؤمنين يعلمون أن سبب حلول المصائب بأهل الشرك المعاندين للرسل، هو شركهم وتكذيبهم الرسل: يعلمون ذلك بأخبار الرسل، أو بصدق الفراسة وحسن الاستدلال، كما قال أبو سفيان ليلة الفتح لما هداه الله: «لقد علمتُ أن لو كان معه إله آخر لَقد أغنَى عني شيئاً». فأما المشركون وأضرابهم من أهل العقائد الضالة، فيسندون صدور الضرر والنفع إلى أشياء تقارن حصول ضر ونفع، فيتوهمون تلك المقارنة تسبباً، ولذلك تراهم يتطلبون معرفة حصول الخير والشر من غير أسبابها، ومن ذلك الاستقسام بالأزلام كما تقدم في سورة العقود.

---

(١) تفسير أبي السعود (٣/ ٢٦٤).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٢٧١).

وجملة (ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون) معترضة ولذلك فصلت، والاستدراك المستفاد من (لكّن) عما يوهمه الاهتمام بالخبر الذي قبله لقرنه بأداة الاستفتاح، واشتماله على صيغة القصر: من كون شأنه أن لا يجهله العقلاء، فاستدرك بأن أكثر أولئك لا يعلمون

فالضمير في قوله: (أكثرهم) عائد إلى الذين (قالوا لنا هذه) وإنما نفي العلم عن أكثرهم تنبيهاً على أن قليلاً منهم يعلمون خلاف ذلك، ولكنهم يشايعون مقالة الأكثرين»[1].

وفي الوسيط: «استئنافٌ مَسُوقٌ للرد على خرافاتهم وأباطيلهم. وصدر بلفظ (ألا) الذي يفيد التنبيه لإبراز كمال العناية بمضمون هذا الخبر»[2].

علم الساعة عند الله

٣-الأعراف(١٨٧)- ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.

إذا كان علم الساعة عند ربنا، عند الله، فليس عيباً على أحد أن لا يعلم أيان مرساها ولا عيباً على رسوله أن لا يعلم كذلك.

ولا يعني القول (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) لا يعلمون أيان مرساها وأن أقلهم يعلم أيان مرساها.

إذا ماهو العيب في كونهم لا يعلمون ؟

كونهم لايعلمون عن الله أنه لاَ يُجَلّيهَا لِوَقْتِهَا إِلا هُوَ، ولايعلمون المعلومات

---

(١) التحرير والتنوير (٩/ ٦٧).

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي (٥/ ٣٥٨).

عن الساعة وعن لقاء الله في الآخرة، ولايعلمون ماذا سيفعل الله من أفعال في أمر الساعة وشأنها وأحوالها.

كونهم لا يعلمون ما يلزم لهم أن يعلموه عن الله وعن ماعنده من علوم الآخرة والساعة المذكورة في القرآن.

كونهم لايعلمون هذه المعلومات التي أمر الله بتعلمها مما أنزل إلينا، هو العيب وهو الجهل وهو السبة كما قال سبحانه: (بل ادارك علمهم في الآخرة).

والشيء المعيب والمشين أن يمتنعوا عن ما أمروا بعلمه فكلما جد أمر من الله بالعلم جددوا معه الإمتناع حتى استحقوا هذا الوصف من الذي خلقهم ومع كل هذا يأتوا إلى السؤال والإستعلام عن أشياء أكبر مما خلقوا له.

قال الطبري: «(ولكن أكثر الناس لا يعلمون)، يقول: ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك لا يعلمه إلا الله، بل يحسبون أن علم ذلك يوجد عند بعض خلقه»[1].

وفي مفاتيح الغيب: «(ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وفيه وجوه: أحدها: ولكن أكثر الناس لا يعلمون السبب الذي لأجله أخفيت معرفة وقته المعين عن الخلق.

وفي البحر المحيط: «وقيل: (لا يعلمون) أن القيامة حق لأنّ أكثر الخلق ينكرون المعاد ويقولون: (إن هي إلا حياتنا الدنيا) الآية»[2].

وفي إرشاد العقل السليم، إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي: «(ولكن أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) أي لا يعلمون ما ذُكر من اختصاص علمِها به تعالى،

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٦١٥).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٥/ ٢٣٩).

فبعضُهم ينكرونها رأساً، فلا يعلمون شيئاً مما ذكر قطعاً، وبعضُهم يعلمون أنها واقعةٌ البتةَ ويزعُمون أنك واقفٌ على وقت وقوعِها فيسألونك عنه جهلاً، وبعضُهم يدّعون أن العلم بذلك من مواجب الرسالةِ فيتخذون السؤالَ عنه ذريعةً إلى القدح في رسالتك والمستثنى من هؤلاء هم الواقفون على جلية الحالِ من المؤمنين.

وأما السائلون عنها من اليهود بطريق الامتحانِ، فهم منتظِمون في سلك الجاهلين، حيث لم يعلموا بعلمهم، وأظن (لم يعملوا) »[1].

وفي زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة: «(وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) الاستدراك هنا عما وهمه الناس من أن العلم بميقات الساعة ينفع ولا يضر، ولذا قال أكثر الناس لَا يعلمون حكمة القادر الحكيم العليم، فيما يبين، ويترك بيانه لميقاتها، والله ﷻ بكل شيء عليم.

ولقد بين ﷻ أن النبي ﷺ لَا يعلم من الغيب إلا ما أطلعه الله تعالى عليه، ولم يطلعه عن ميقات الساعة»[2].

عند الله أجر

٤-الأنفال(٢٨)-﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨﴾.

قال الطبري: «وأن الله عنده أجر عظيم، يقول: واعلموا أن الله عنده خيرٌ وثواب عظيم، على طاعتكم»[3].

وفي تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: «(واعلموا) وهي

(١) تفسير أبي السعود (٣/ ٣٠٢).
(٢) زهرة التفاسير (٦/ ٣٠٢٦).
(٣) تفسير الطبري (١١/ ١٢٦).

كلمة ينبه بها السامع على أن ما بعدها مهم جداً»[1].

وفي محاسن التأويل للقاسمي: «قال الحاكم: قد أمر الله بالعلم بذلك، وطريق العلم به التفكر في أحوالهما، وزوالهما، وقلة الانتفاع بهما، وكثرة الضرر، وأنه قد يعصي الله بسببهما»[2].

وفي زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة: «أمرنا ألا نخون، وعلمنا كيف نحارب نوازع الخيانة في نفوسنا، ونعالج منابع الفساد فينا، وهدانا السبيل لأن نربي أنفسنا؛ طلب إلينا ألا نخون، ثم بيَّن موضع الداء وهو فتنة المال والولد.

والأمر أمر تعليم وعلم، وهذا العلم هو أن المال والولد فتنة، وإنه يجب محاربة المتعة حتى لَا تشتط بالإنسان بطلب متعة، أبقى وأدوم وأهدى سبيلاً، ولذا علمنا الله تعالى الإيمان بأن عند الله أجرًا عظيما، إذا قاومنا فتنة المال والولد، والمقاومة ليست بالحرمان كما أشرنا، ولكن بالحذر.

وقد أكد الله تعالى أجر الله الذي يتكافأ مع مقاومة الخيانة بسبب متعة المال والولد، أولاً: بالتعبير بالجملة الاسمية.

وثانيًا: بـ(أنَّ)، وثالثًا: بتنكير أجر، فإن معنى هذا التنكير الكبر إلى درجة، ورابعًا: بوصفه بأنه عظيم، وذلك لتحصين نفسه بهذا الأجر الذي لَا يقارن قدره»[3].

وفي المنتخب لعلماء الأزهر: «واعلموا أن ثواب الله عظيم يجزيكم عن المال والولد»[4].

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٨/ ٢٦٢).

(٢) تفسير القاسمي (٥/ ٢٨٠).

(٣) زهرة التفاسير (٦/ ٣١٠٧).

(٤) المنتخب (ص ٢٤٦).

عند الله خير

٥-النحـــــــل(٩٥)-﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩٥﴾.

وقال مقاتل بن سليمان: «(إِنَّما عِنْدَ اللَّه) من الثواب لمن وفي منكم بالعهد (هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) من العاجل (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)»[١].

وفي البحر المحيط: «قال الزمخشري: كان قوم ممن أسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش، واستضعافهم المسلمين، وإيذائهم لهم، ولما كانوا يعدونهم إنْ رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول اللَّه ﷺ فثبتهم اللَّه، ولا تشتروا: ولا تستبدلوا بعهد اللَّه، وبيعة رسول اللَّه ثمناً قليلاً عرضاً من الدنيا يسيراً، وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم إن رجعوا أنّ ما عند اللَّه من إظهاركم وتغنيمكم، ومن ثواب الآخرة خير لكم، وقال ابن عطية: هذه آية نهي عن الرشا، وأخذ الأموال على ترك ما يجب على الآخذ فعله، أو فعل ما يجب عليه تركه، فإن هذه هي التي عهد اللَّه إلى عباده فيها»[٢].

وقال ابن كثير: «ثم قال (ولا تشتروا بعهد اللَّه ثمناً قليلاً) أي لا تعتاضوا عن الإيمان باللَّه عرض الحياة الدنيا وزينتها، فإنها قليلة لو حيزت لابن آدم الدنيا بحذافيرها، لكان ما عند اللَّه هو خير له؛ أي جزاء اللَّه وثوابه خير لمن رجاه، وآمن به وطلبه وحفظ عهده رجاء موعوده ولهذا قال (إن كنتم تعلمون) »[٣].

وفي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: «(تعلمون) أي ممن يتجدد له علم، ولم تكونوا في عداد البهائم، فصار العهد الشامل للأيمان مبدوءاً في هذه

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٥).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٦/ ٥٩١).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٠٠).

الآيات بالأمر بالوفاء به، ومختوماً بالنهي عن نقضه، والأيمان التي هي أخص منه وسط بين الأمر والنهي المتعلقين به، فصار الحث عليها على غاية من التأكيد عظيمة ورتبة من التوثيق جليلة»[1].

وفي إرشاد العقل السليم: «(إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) أي: إنْ كنتُم من أهلِ العلمِ والتمييزِ، وهو تعليلٌ للنهي على طريقة التحقيقِ»[2].

وأما في التحرير والتنوير: «إن كنتم تعلمون حقيقة الذي عند الله ادخره لكم، و(ما عند الله) هو ما ادّخره للمسلمين من خير في الدنيا وفي الآخرة (إن كنتم تعلمون) إن كنتم تعلمون حقيقة عواقب الأشياء، ولا يغرّكم العاجل. وفيه حثّ لهم على التأمّل والعلم»[3].

٧- إلى اللَّه أشياء كثيرة

عبارة إلى الله في القرآن كثيرة ، تصنع موضوعاً قرآنياً مهماً، ويدخل في موضوعات العلم بالله، ومن هذه العبارات إليه ترجعون، إليه يرد علم الساعة ... لكن في هذا البحث أورد فقط مايرد مع كلمة إليه، كلمة علم.

إلى اللَّه تحشر الناس

١- البقرة(٢٠٣)- ﴿۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٠٣﴾.

في هذه الآية أمر بأن نعلم أن الحشر يكون إلى الله، وفيه تهديد بذلك، فهنا في هذا الموضع علم بأن إليه الحشر، وفي مواضع أخرى، إليه أشياء كثيرة غير الحشر.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١١/ ٢٤٧).

(٢) تفسير أبي السعود (٥/ ١٣٨).

(٣) التحرير والتنوير (١٤/ ٢٧١).

وقد ورد في **مفاتيح الغيب**: «فأما قوله: (واعلموا أنكم إليه تحشرون) فهو تأكيد للأمر بالتقوى، وبعث على التشديد فيه، لأن من تصور أنه لا بد من حشر ومحاسبة ومساءلة، وأن بعد الموت لا دار إلا الجنة أو النار، صار ذلك من أقوى الدواعي له إلى التقوى، وأما الحشر فهو اسم يقع على ابتداء خروجهم من الأجداث إلى انتهاء الموقف، لأنه لا يتم كونهم هناك إلا بجميع هذه الأمور، والمراد بقوله: (إليه) إنه حيث لا مالك سواه، ولا ملجأ إلا إياه، ولا يستطيع أحد دفعا عن نفسه»[1].

وقال صاحب **البحر المحيط**: «في ذكر الحشر تخويف من المعاصي، وذكر الأمر بالعلم دليل على أنه لا يكفي في اعتقاد الحشر إلاَّ الجزم الذي لا يجامعه شيء من الظن، وقدم إليه للاعتناء بمن يكون الحشر إليه.

أقول: وفي التقديم الحصر والقصر بأن الحشر إليه لا إلى غيره، وبه يحصل مزيد من الحث والترغيب بالتقوى»[2].

٢-**الأنفال** (٢٤)-﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾.

سبق تفسيرها

٨- علم بما للَّه

عبارة (لله) وكلمة (له) في القرآن كثيرة ، تصنع موضوعاً قرآنياً مهماً، ويدخل في موضوعات العلم بالله، ومن هذه العبارات لله الأمر، لله غيب

(١) تفسير الرازي (٥/ ٣٤٣).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٢/ ٣٢٤).

السماوات، وله كل شيء ... لكن في هذا البحث أورد فقط مايرد مع كلمة لله أو له، كلمة علم.

له ملك السماوات والأرض

١ -البقـــرة(١٠٧)-﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾.

ذكر **الماوردي** في تفسيره: «فإن قيل: أو كان النبي ﷺ غير عالم بأن الله على كل شيء قدير، وأن الله .له ملك السموات والأرض؟ قيل: عن هذا ثلاثة أجوبة:

أحدها: أن قوله ألم تعلم بمعنى أعلمت.

والثاني: أنه خارج مخرج التقرير بمعنى قد علمت، لا مخرج الاستفهام.

والثالث: أن هذا الخطاب للنبي ﷺ، والمراد به أمته»[1].

يبدو والله أعلم أن سورة آل عمران والنساء لايوجد فيهما هذا النوع من الآيات.

له ملك السماوات والأرض

٢ المائـــدة(٤٠)-﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾.

وقد ذكر تفسيرها في العلم بالصفات

ماذا لله

٣-الأنفال(٤١)-﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾.

---

(١) تفسير الماوردي (١/ ١٧٢).

تفسير الطبري: «قال أبو جعفر: وهذا تعليم من الله ﷻ المؤمنين قَسْمَ غنائمهم إذا غنموها.

عن سفيان الثوري قال: (الغنيمة)، ما أصاب المسلمون عنوة بقتال، فيه الخمس، وأربعة أخماسه لمن شهدها. و(الفيء)، ما صولحوا عليه بغير قتال، وليس فيه خمس، هو لمن سمَّى الله.

عن مغيرة، عن إبراهيم في قوله: (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه)، قال: لله كل شيء، وخُمس لله ورسوله، ويقسم ما سوى ذلك على أربعة أسهم.

عن مجاهد قال: كان آل محمد ﷺ لا تحلّ لهم الصدقة، فجعل لهم خمس الخمس»[1].

قال ابن عرفة: «يؤخذ منها من لوازم العلم العمل؛ لأنه المقصود في الآية لأنه إذا انتفى الملزوم، فليس المراد علم ذلك على العلم به، فلولا أن العلم بالشيء يستلزم العمل به لما صح الاكتفاء به عنه، ويلزم من عدم العمل به عدم العلم به، ويلزم من نفي اللازم نفي الملزوم، وهل المراد العلم حقيقة أو المراد اعتقاد ذلك علماً أو ظناً؟ قال: أما بالنسبة إلى الصحابة فهو علم حقيقة، وأما بالنسبة إلى من بعدهم، فتقرر الخلاف في دلالة القرآن هل هي قطعيةٌ أم ظنية، والظاهر أنه علم حقيقة لما تقرر من أن أهل أصول الدين يحتجون بآية القرآن في المطالب العلمية، فلولا أنه يفيد العلم لما صح احتجاجهم بذلك، والغنيمة ما أخذ بمجادلة وتكتسب من غير بيع ولا شراء، وقيل: ما أوجف عليه بالخيل والركاب»[2].

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ١٨٤).

(٢) تفسير ابن عرفة (٢/ ٢٨٥).

وفي تفسير الجلالين: «فأن لله خمسه يأمر فيه بما يشاء»[1].

وقال البقاعي باختصار: ولما كان التقدير: فإذا أعانكم مولاكم عليهم وغلبتموهم وغنمتم فيه، فلا تنسبوا إلى أنفسكم فعلاً، بل **اعلموا** أنه هو الفاعل وحده لأن جميع الأفعال متلاشية بالنسبة إلى فعله فلا تتنازعوا في المغنم تنازع من أخذه بقوته وحازه بقدرته، عطف عليه قوله: (**واعلموا**) ابتداء بهذا الأمر إشارة إلى أن ما بعدها من المهمات ليبذلوا الجهد في تفريغ أذهانهم لوعيه وتنزيله منازله ورعيه (أنَّما) أي الذي (غنمتم)، وزاد في التعميم حتى لأقل ما يمكن بقوله: (من شيء) أي حتى الخيط والمخيط فإنه كله له، لأنه الناصر وحده وإنما أنتم آلة لا قدرة لكم على مقاومة الأعداء لأنهم جميع أهل الأرض ولا نسبة لكم منهم في عدد ولا قوة أصلاً، فالجاري على منهاج العدل المتعارف عندكم أن يأخذه كله ولا يمكنكم من شيء منه كما كان فيمن قبلكم، يعزل فتنزل نار من السماء فتأكله، ولكنه سبحانه - علم ضعفكم فمنّ عليكم به، ورضي منكم منه بالخمس، فسماه لنفسه ورده عليكم، وهو معنى قوله: (فأن لله) أي الذي له كل شيء (خمسه).

ولما كان من المعلوم أن الله تعالى أجلّ من أن يناله نفع أو ضر، كان من المعلوم أن ذكر اسمه سبحانه إنما هو للإعلام بأن إسلام هذا الخمس، والتخلي عنه لا حظ للنفس فيه، وإنما هو لمحض الدين تقرباً إليه سبحانه، فالحاصل أنه سبحانه لم يرزأكم من المغنم شيئاً، فاعرفوا فضله عليكم أولاً بالإنعام بالنصر، وثانياً بحل المغنم، وثالثاً بالإمكان من الأربعة الأخماس، ورابعاً برد الخمس الخامس فيكم، فاشتغلوا بشكره فضلاً عن أن تغفلوا عن ذلك فضلاً عن أن

(١) تفسير الجلالين (ص: ٢٣٤).

تتوهموا أن بكم فعلاً تستحقون به شيئاً فضلاً عن أن تفعلوا من المنازعة في المغنم فعل القاطع بالاستحقاق، **اعلموا** ذلك كله علم المصدق المؤمن المذعن لما علم، لتنشأ عنه ثمرة العمل (إن كنتم) صادقين في أنكم (آمنتم بالله) أي الذي لا أمر لأحد معه (وما) أي وبالذي (أنزلنا) أي إنزالاً واحداً سريعاً لأجل التفريج عنكم من القرآن والجنود، والسكينة في قلوبكم، وغير ذلك مما تقدم وصفه (على عبدنا) أي الذي يرى دائماً أن الأفعال كلها لنا فلا ينسب لنفسه شيئاً إلا بنا (يوم الفرقان) أي يوم بدر الذي جعلنا لكم فيه عزاً ينفذ به أقوالكم وأفعالكم في فصل الأمور[1].

وفي الدر المنثور في التفسير بالمأثور: «عَن ابْن عَبَّاس ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُول اللَّه ﷺ يقسم مَا افْتتح على خَمْسَة أَخْمَاس فَأَرْبَعَة مِنْهَا لمن شهده، وَيَأْخُذ الْخمس خمس اللَّه فيقسمه على سِتَّة أسْهم: فسهم للَّه، وَسَهْم للرسول، وَسَهْم لذِي الْقُرْبَى، وَسَهْم لِلْيَتَامَى، وَسَهْم للْمَسَاكِين، وَسَهْم لِابْنِ السَّبِيل، وَكَانَ النَّبِي ﷺ يَجْعَل سهم اللَّه فِي السِّلَاح والكراع وَفِي سَبِيل اللَّه، وَفِي كسْوَة الْكَعْبَة وطيبها وَمَا تحْتَاج إِلَيْهِ الْكَعْبَة وَيجْعَل سهم الرَّسُول فِي الكراع وَالسِّلَاح، وَنَفَقَة أَهله وَسَهْم لذِي الْقُرْبَى لِقَرَابَتِهِ يضع رَسُول اللَّه ﷺ فيهم مَعَ سهمهم مَعَ الْبَأْس ولليتامى وَالْمَسَاكِين وَابْن السَّبِيل ثَلَاثَة أسْهم يَضَعهُ رَسُول اللَّه ﷺ فِيمَن شَاءَ، وَحَيْثُ شَاءَ لَيْسَ لبني عبد الْمطلب فِي هَذِه الثَّلَاثَة إِلَّا سهم، ولرسول اللَّه ﷺ سَهْمه مَعَ سِهَام النَّاس»[2].

وفي إرشاد العقل السليم، إلى مزايا الكتاب الكريم: «فاعلموا أن الخمسَ من الغنيمة يجب التقربُ بهِ إلى اللَّه تعالَى، فاقطعوا أطماعَكم منه، واقتنعوا بالأخماس الأربعة ليس المرادُ به مجردَ العلم بذلك، بل العلمَ المشفوعَ بالعمل والطاعةِ

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٨/ ٢٨٢).
(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤/ ٦٧).

لأمره تعالى»[1].

وقال السعدي: «أي: أخذتم من مال الكفار قهراً بحق، قليلاً كان أو كثيرا.

(فَأَنَّ للَّه خُمُسَهُ) أي: وباقيه لكم أيها الغانمون، لأنه أضاف الغنيمة إليهم، وأخرج منها خمسها.

فدل على أن الباقي لهم، يقسم على ما قسمه رسول اللَّه ﷺ: للراجل سهم، وللفارس سهمان لفرسه، وسهم له»[2].

وفي التحرير والتنوير:«وافتتاحه بـ(اعلموا) للاهتمام بشأنه، والتنبيهِ على رعاية العمل به، كما تقدّم في قوله: (واعلموا أن اللَّه يحول بين المرء وقلبه) [الأنفال: ٢٤] فإنّ المقصود بالعلم تقرّر الجزم بأنّ ذلك حكم اللَّه، والعمل بذلك المعلوم، فيكون (اعلموا) كناية مراداً به صريحه ولازمه»[3].

لله مافي السماوات والأرض

٤-يونس(٥٥)-﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٥﴾.

قال الطبري: «(ألا إن وعد اللَّه حق)، يعني أن عذابه الذي أوعد هؤلاء المشركين على كفرهم حقٌّ، فلا عليهم أن لا يستعجلوا به، فإنه بهم واقع لا شك، (ولكن أكثرهم لا يعلمون)، يقول: ولكن أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون حقيقةَ وقوع ذلك بهم، فهم من أجل جهلهم به مكذِّبون»[4].

وقال ابن الجوزي: «قوله تعالى: أَلا إِنَّ وَعْدَ اللَّه حَقٌّ قال ابن عباس: ما وعد

(١) تفسير أبي السعود (٤/ ٢٣).
(٢) تفسير السعدي (ص: ٣٢١).
(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٥).
(٤) تفسير الطبري (١٢/ ١٩٣).

أولياءه من الثواب، وأعداءه من العقاب»[1].

وقال الرازي: «(ألا إن لله ما في السماوات والأرض) مقدمة توجب الجزم بصحة قوله: (ألا إن وعد الله حق) ثم قال: (ولكن أكثرهم لا يعلمون) والمراد أنهم غافلون عن هذه الدلائل، مغرورون بظواهر الأمور، فلا جرم بقوا محرومين عن هذه المعارف.

كلمة (ألا) إنما تذكر عند تنبيه الغافلين، وإيقاظ النائمين، وأهل هذا العالم مشغولون بالنظر إلى الأسباب الظاهرة، فيقولون البستان للأمير، والدار للوزير والغلام لزيد، والجارية لعمرو، فيضيفون كل شيء إلى مالك آخر، والخلق لكونهم مستغرقين في نوم الجهل، ورقدة الغفلة يظنون صحة تلك الإضافات، فالحق نادى هؤلاء النائمين الغافلين بقوله: (ألا إن لله ما في السماوات والارض) وذلك لأنه لما ثبت أن ما سواه ملكه وملكه، وإذا كان كذلك، فليس لغيره في الحقيقة ملك، فلما كان أكثر الخلق غافلين عن معرفة هذا المعنى غير عالمين به، لا جرم أمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام أن يذكر هذا النداء، لعل واحداً منهم يستيقظ من نوم الجهالة ورقدة الضلالة»[2].

وعند البقاعي: «صرح بمضمون ذلك بقوله مؤكداً لإنكارهم: (ألا إن وعد الله) أي الذي له الكمال كله (حق) لأنه تام القدرة والغنى، فلا حامل له على الإخلاف (ولكن أكثرهم) أي الذين تدعوهم، وهم يدعون دقة الأفهام، وسعة العقول (لا يعلمون*) أي لا علم لهم، فهم لا يتدبرون ما نصبنا من الأدلة، فلا ينقادون لما أمرنا به من الشريعة، فهم باقون على الجهل معدودون مع البهائم؛ و(ألا) مركبة من همزة الاستفهام و«لا»، وكانت تقريراً وتذكيراً فصارت تنبيهاً، وكسرت إن

(١) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٣٣٥).
(٢) تفسير الرازي (١٧/ ٢٦٦).

بعدها لأنها استئنافية ينبه بها على معنى يبتدأ به؛ ولذا يقع بعدها الأمر والدعاء بخلاف (لو) و(إلا) للاستقبال فلم يجز بعدها إلا كسر (إن) (أما) قد تكون بمعنى «حقاً» في قولهم: أما إنه منطلق، وهي للحال، فجاز في (أن) بعدها الوجهان»[1].

وقال القاسمي: «(وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ، هُوَ يُحيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) إعلام بأن له الملك كله، وأنه المثيب المعاقب، وماوعده من الثواب والعقاب فهو حق، وهو القادر على الإحياء والإماتة، لا يقدر عليهما غيره، وإلى حسابه وجزائه المرجع، ليعلم أن الأمر كذلك، فيخاف ويرجى، ولا يغتر به المغترون»[2].

وفي التحرير والتنوير: «وأظهر اسم الجلالة في الجملة الثانية دون الإتيان بضميره لتكون الجملة مستقلة لتجري مجرى المثل والكلام الجامع.

ووقع الاستدراك بقوله: (ولكنَّ أكثرهم لا يعلمون) لأن الجملتين اللتين قبله أريد بهما الرد على معتقدي خلافهما، فصارتا في قوة نفي الشك عن مضمونهما، فكأنه قيل: لا شك يَحق في ذلك، ولكن أكثرهم لا يعلمون فلذلك يَشكّون.

وتقييد نفي العلم بالأكثر إشارة إلى أن منهم من يعلم ذلك، ولكنه يجحده مكابرة»[3].

وقال محمد أبو زهرة: «(وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) الاستدراك هنا لمخالفة المخالفين بعد تأكد الخبر من فَمِ الأمين الصادق ومن الله تعالى، وذلك يوجب التصديق والإذعان والإيمان، وحكم على الكثرة لَا على الجميع؛ لأن الذين لَا

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٩/ ١٤٢).
(٢) تفسير القاسمي (٦/ ٣٤).
(٣) التحرير والتنوير (١١/ ١٩٩).

يعلمون الحق وأخذوا بالمادة هم الأكثرون»[1].

لله الحكم

٥-يوسف(٤٠)-﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

وكون إنسان يوصف بأنه لايعلم، أو كون أناس يوصفون بأنهم لايعلمون، فإن ذلك يكفيه أو يكفيهم وصمة عار أنهم لايعلمون مصالحهم التي تمس حياتهم العاجلة والآجلة.

(لاَيَعْلَمُونَ): ليس لديهم علم، وكذلك لايقومون بما يستوجبه العلم والتعلم.

ولكن أكثر الناس لا يعلمون:

١- لا يعلمون أنهم مَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاّ أَسْمَاءً.

٢- لا يعلمون أن اللَّه مّا أَنزَلَ بِهَا مِن سُلْطَانٍ أي حجة ولا برهان.

٣- لا يعلمون إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ للَّه الحكم والتصرف والمشيئة والملك كله للَّه.

٤- لا يعلمون أَمَرَ أَلاّ تَعْبُدُوَاْ إِلاّ إِيّاهُ.

٥- لا يعلمون ذَلِكَ الدّينُ الْقَيّمُ الدين المستقيم الذي أمر اللَّه به الذي يحبه ويرضاه.

٦- لايعلمون أن اللَّه غالب على أمره.

٧- ولكن أهل الشرك باللَّه يجهلون ذلك، فلا يعلمون حقيقته.

قال البيضاوي: «والمعنى أنكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الألوهية (عقلاً ولا نقلاً) آلهةً، ثم أخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها.

(إن الحكم) ما الحكم في أمر العبادة. (إلا للَّه) لأنه المستحق لها بالذات

---

(١) زهرة التفاسير (٧/ ٣٥٩٣).

من حيث الموجد للكل والمالك لأمره.

(أمر) على لسان أنبيائه (أن لا تعبدوا إلا إياه) الذي دلت عليه الحجج. (ذلك الدين القيم) الحق، وأنتم لا تميزون المعوج عن القويم، وهذا من التدرج في الدعوة، وإلزام الحجة،تبين لهم أولاً رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة، ثم برهن على أن ما يسمونها آلهة و يعبدونها لا تستحق الألوهية، فإن استحقاق العبادة إما بالذات، وإما بالغير، وكلا القسمين مُنتفٍ عنه»[1].

وفي تفسير المنار: «لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ حَقَّ الْعِلْمِ، لِاتِّبَاعِهِمْ أَهْوَاءَ آبَائِهِمُ الْوَثَنِيِّينَ، الَّذِينَ اتَّخَذُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَرْبَابًا مُتَفَرِّقَةً لَيْسَ لَهَا مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ أَدْنَى نَصِيبٍ»[2].

وعند السعدي: «(وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) حقائق الأشياء، وإلا فإن الفرق بين عبادة اللَّه وحده لا شريك له، وبين الشرك به، أظهر الأشياء وأبينها»[3].

وفي ظلال القرآن: «وكونهم (لا يعلمون) لا يجعلهم على دين اللَّه القيم. فالذي لا يعلم شيئاً لا يملك الاعتقاد فيه ولا تحقيقه.. فإذا وجد ناس لا يعلمون حقيقة الدين، لم يعد من الممكن عقلاً وواقعاً، وصفهم بأنهم على هذا الدين ! ولم يقم جهلهم عذراً لهم يسبغ عليهم صفة الإسلام.

ذلك أن الجهل مانع للصفة ابتداء.

---

(١) تفسير البيضاوي (٣/ ١٦٤).

(٢) تفسير المنار (١٢/ ٢٥٥).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٣٩٨).

فاعتقاد شيء فرع عن العلم به.. وهذا منطق العقل والواقع.. بل منطق البداهة الواضح»[1].

وفي: صفوة التفاسير: «(لاَيَعْلَمُونَ) أي يجهلون عظمة الله فيعبدون ما لايضر ولاينفع»[2].

لله الأرض ومن فيها

٦-المؤمنون(٨٤)-﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سيقولون لله ﴾.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المكذّبين بالآخرة من قومك: لمن ملك الأرض، ومن فيها من الخلق، إن كنتم تعلمون من مالكها؟ ثم أعلمه أنهم سيقرّون بأنها لله ملكاً»[3].

وقال البغوي: «إن كنتم تعلمون، خالقها ومالكها»[4].

وفي كشاف الزمخشري: «أي: أجيبوني عما استعلمتكم منه إن كان عندكم فيه علم، وفيه استهانة بهم، وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات: أن يجهلوا مثل هذا الظاهر البين»[5].

وقال البيضاوي: «(قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون) إن كنتم من أهل العلم أو من العالمين بذلك، فيكون استهانة بهم، وتقريراً لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح إلزاماً بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم

---

(١) في ظلال القرآن (٤/ ١٩٩١).
(٢) صفوة التفاسير (٢/ ٤٦).
(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٩٨).
(٤) تفسير البغوي (٥/ ٤٢٦).
(٥) تفسير الزمخشري (٣/ ٢٠٠).

إنكاره، ولذلك أخبر عن جوابهم قبل أن يجيبوا»[1].

وقال ابن عرفة: «حذف المقول له، إما لكونه معلوماً من السياق، أو لدلالة حال سيقولون عليه، قال: والآية دالة على وجود الله ووحدانيته، قال: ويستفاد منها أمران: أحدهما: تقرير النعمة لنصب هذه المذكورات دليلا على وجود مالكهما ووحدانيته. الثاني: نفي القدر عمن خالف وجحد، قال: وخصص الأول بالتذكير؛ لأن الإنسان في أول أحواله يتذكر الدليل ليعلم ماذا تقرر عنده، فإذا تقرر عنده العلم حصلت له التقوى، فالقدرة ناشئة عن التذكر فهي في ثاني رتبة، وبدأ أولاً بالأمر الحسي القريب، الوجود منهم ثم بالحسي العلوي الأعظم خلقه، فالمعنوي في قوله تعالى: (قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ... (٨٨)..)، فقرن الأول بالعلم، وحذفها من الثانية»[2].

وفي تفسيرالجلالين: «(قل) لهم (لمن الأرض ومن فيها) من الخلق (إن كنتم تعلمون) خالقها ومالكها»[3].

وقال أبو السعود العمادي: «جوابُه محذوفٌ ثقةً بدلالة الاستفهامِ عليهِ أيْ إنْ كنتُم تعلمون شيئا ما فأخبروني به فإنَّ ذلك كافٍ في الجوابِ، وفيهِ من المُبالغةِ في وضوحِ الأمرِ، وفي تجهيلِهم ما لا يَخْفى، أَوَ إنْ كنتُم تعلمون ذلكَ، فأخبروني وفيه استهانةٌ بهم وتقريرٌ لجهلِهم ولذلك أخبرَ بجوابهم قبل أنْ يُجيبوا»[4].

الانطلاق من مسلماتهم لإثبات ما ينكرونه.

وفي التحرير والتنوير: «و(إن كنتم تعلمون) شرط حذف جوابه لدلالة

(١) تفسير البيضاوي (٤/ ٩٣).
(٢) تفسير ابن عرفة (٣/ ٢١٣).
(٣) تفسير البغوي (٥/ ٤٢٦).
(٤) تفسير أبي السعود (٦/ ١٤٧).

الاستفهام عليه، تقديره: فأجيبوني عن السؤال، وفي هذا الشرط توجيه لعقولهم أن يتأملوا فيظهر لهم أن الأرض لله، وأن من فيها لله فإن كون جميع ذلك لله قد يخفى؛ لأن الناس اعتادوا نسبة المسببات إلى أسبابها المقارنة، والتصرفات إلى مباشريها، فنُبهوا بقوله: (إن كنتم تعلمون) إلى التأمل، أي إن كنتم تعلمون علم اليقين»[1].

وقال أبو زهرة: « الأمر للنبي ﷺ بأن يواجههم بالحقائق وما يترتب على العلم بها، ولمن الأرض؛ أي من يملك الأرض ومن عليها من العقلاء ملكية كاملة بالخلق والإنشاء والتكوين؛ أمره أن يسألهم عن ذات الأرض، وعن العقلاء فيها، ولكن لم يسأل عن غير العقلاء من الدواب، وما في باطنها من معادن وفلزات، وما في بحارها من جواهر كريمة، ونقول: إن كلمة الأرض شملت بعمومها كل ما على ظاهرها من نبات وحيوان وجماد، وما في جوفها من فلزات سائلة وغير سائلة ومعادن أكثرها في باطنها.

ولأن الملكية، وإن وقعت على العقلاء باعترافهم فهي على غيرهم تثبت بالأولى؛ لأن غير العقلاء أشياء تشترى وتباع، فهي أولى بالملكية، ويعلق النبي - بأمر الله - الإجابة على علمهم، والتعليق يومئ إلى علمهم، وأنه حقيقة، ولكن ذكر بـ (إنْ) التي تفيد الشك في وقوع الشرط، للإشارة إلى أن علمهم كلا علم؛ لأنهم يعملون بنقيضه»[2].

لله ملكوت كل شيء

٧-المؤمنون(٨٨)-﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ

(١) التحرير والتنوير (١٨/ ١٠٩).

(٢) زهرة التفاسير (١٠/ ٥١٠٨).

تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سيقولون لله ﴾.

قال الطبري: «عن مجاهد في قول اللَّه (مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) قال: خزائن كل شيء»[١].

وللماوردي: « ملك كل شيء، قاله الضحاك»[٢].

وقال البغوي: «(قل من بيده ملكوت كل شيء)، الملكوت الملك، والتاء فيه للمبالغة، (إن كنتم تعلمون)، قيل: معناه أجيبوا إن كنتم تعلمون»[٣].

و للنسفي: «الملكوت الملك والواو والتاء للمبالغة فتنبئ عن عظم الملك»[٤].

وللبقاعي: «ولما قررهم بالعالمين: العلوي والسفلي، أمره بأن يقررهم بما هو أعم منهما وأعظم، فقال: (قل من بيده) أي خاصة (ملكوت كل شيء) أي من العالمين وغيرهما.

ولما كان هذا برهاناً مع أنه ظاهر لا يخفى على أحد، قد يمجمج فيه من له غرض في اللدد، ألهبهم إلى المبادرة إلى الاعتراف به وهيجهم بقوله: (إن كنتم) أي كوناً راسخاً (تعلمون) أي في عداد من يعلم، ولذلك استأنف قوله: (سيقولون لله) أي الذي بيده ذلك، خاصاً به،والتقديرلغيرالبصريين: ذلك كله لله،لأن اليد أدل شيء على الملك»[٥].

وفي ظلال القرآن: «هو سؤال عن السيطرة والسطوة والسلطان. سؤال عمن

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ١٠٠).
(٢) تفسير الماوردي (٤/ ٦٥).
(٣) تفسير البغوي (٥/ ٤٢٦).
(٤) تفسير النسفي (٢/ ٤٧٨).
(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ١٧٧).

بيده ملكية كل شيء ملكية استعلاء وسيطرة»[1].

وأما في التحرير والتنوير: «(إن كنتم تعلمون) كما عقب الاستفهام الأول بمثله حثاً لهم على علمه والاهتداء إليه، ثم عقب بما يدل على أنهم إذا تدبروا علموا»[2].

وقال أبو زهرة: «و(مَنْ بِيَدِهِ)،أي من له السلطان والملك الكامل لأقصى أنواع الملك، وهو يقبضه كما يقبض صاحب الصولجان.

وقد صور الله ﷻ اتساع سلطانه، وفرضه على كل إنسان وكل شيء بذي قوة يضم إلى جواره من يشاء، ويمنعه من أن تصل إليه يد معتدية، لا يمكن أن يكون لأحد جوار يمنعه سبحانه من أن ينزل من الهلاك ما شاء لمن شاء؛ لأنه فوق العالمين وأتى بـ (إن)؛ لأن حالهم من الشرك تدل على أنهم لَا يعلمون»[3].

لله الحق في الإلهية

٨-القصص(٧٥)-﴿وَنَزَعۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا فَقُلۡنَا هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٧٥﴾.

قال الطبري: «فعلموا حينئذ أن الحجة البالغة لله عليهم، وأن الحق لله، والصدق خبره، فأيقنوا بعذاب من الله لهم دائم»[4].

وفي الوجيز في التفسير للواحدي: «(فعلموا أن الحق لله) أن الحق ما دعا إليه الله سبحانه وأتاهم به الرسول ﷺ»[5].

---

(١)في ظلال القرآن (٤/ ٢٤٧٨).

(٢) التحرير والتنوير (١٨/ ١١٢).

(٣) زهرة التفاسير (١٠/ ٥١١٠).

(٤)تفسير الطبري (١٨/ ٣٠٨).

(٥) الوجيز للواحدي (ص: ٨٢٤).

وعند ابن الجوزي: «(فَقُلْنا هاتُوا بُرْهانَكُمْ) أي: حُجَّتكم على ما كنتم تعبُدون من دوني (فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ للَّه) أي: عَلِموا أنَّه لا إِله إِلا هو (وَضَلَّ عَنْهُمْ) أي: بَطَل في الآخرة (ما كانُوا يَفْتَرُونَ) في الدنيا من الشّركاء»[1].

وقال البيضاوي: «(فعلموا) حينئذ (أن الحق للَّه) في الألوهية لا يشاركه فيها أحد»[2].

وقال ابن كثير: «(فعلموا أن الحق للَّه) أي لا إله غيره»[3].

وفي تفسير الجلالين: «ونزعنا) أخرجنا (من كل أمة شهيداً) وهو نبيهم يشهد عليهم بما قالوا (فقلنا) لهم (هاتوا برهانكم) على ما قلتم من الإشراك (فعلموا أن الحق) في الإلهية (للَّه) لا يشاركه فيه أحد، (وضل) غاب (عنهم ما كانوا يفترون) في الدنيا من أن معه شريكاً تعالى عن ذلك»[4].

وفي مراح لبيد: «(فَعَلِمُواْ) أي كل أمة يومئذ (أَنَّ ٱلْحَقَّ للَّه) أي أن حقيقة الإلهية للَّه تعالى لا يشاركه فيها أحد»[5].

وفي محاسن التأويل للقاسمي: «(فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ للَّه) أي في الألوهية، لا يشاركه فيها أحد (وَضَلَّ عَنْهُمْ) أي غاب عنهم غيبة الضائع (ما كانُوا يَفْتَرُونَ) أي من الباطل والمذاهب المختلفة، والطرق المتشعبة المتفرقة (إِنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسى) أي من شاكلتهم في الكفر والطغيان»[6].

---

(١) زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٣٩١).
(٢) تفسير البيضاوي (٤/ ١٨٤).
(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٥٢).
(٤) تفسير الجلالين (ص: ٥١٨).
(٥) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (٢/ ٢٠٥).
(٦) تفسير القاسمي (٧/ ٥٣٦).

وفي التحرير والتنوير: «ولما علموا عجزهم من إظهار برهان لهم في جعل الشركاء للَّه أيقنوا أن الحق مستحق للَّه تعالى، أي علموا علم اليقين أنهم لا حق لهم في إثبات الشركاء وأن الحق للَّه إذ كان ينهاهم عن الشرك على لسان الرسول في الدنيا»[1].

وفي الوسيط: «وعلموا أن العبادة الحق إنما هي للَّه - تعالى - وحده»[2].

٩- العلم بمعية اللَّه

معية الله مع المتقين

١ -البقرة(١٩٤)-﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾.

ذكر في تفسير **التحرير والتنوير**: «وقوله: (واعلموا أن اللَّه مع المتقين) افتتاح الكلام بكلمة (اعلموا) إيذانٌ بالاهتمام بما سيقوله، فإن قولك في الخطاب: (اعلم) إنباءٌ بأهمية ما سيلقى للمخاطب.

فيكون المعنى: واتقوا اللَّه في حرماته في غير أحوال الاضطرار: واعلموا أن اللَّه مع المتقين، فهو يجعلهم بمحل عنايته، ويرغبهم في التقوى لأن معية اللَّه مرغوبة»[3].

معية الله مع المتقين

٢-التوبة(٣٦)-﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

---

(١) التحرير والتنوير (٢٠/ ١٧٣).

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٠/ ٤٣٤).

(٣) التحرير والتنوير (٢/ ٢١١).

قال الطبري: «وأما قوله: (واعلموا أن اللَّه مع المتقين)، فإن معناه: واعلموا، أيها المؤمنون باللَّه، أنكم إن قاتلتم المشركين كافة، واتقيتم اللَّه فأطعتموه فيما أمركم ونهاكم، ولم تخالفوا أمره فتعصوه، كان اللَّه معكم على عدوكم وعدوه من المشركين، ومن كان اللَّه معه لم يغلبه شيء، لأن اللَّه مع من اتقاه فخافه وأطاعه فيما كلفه من أمره ونهيه»[1].

وفي مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي: «قال الزجاج: تأويله أنه ضامن لهم النصر»[2].

وفي البحر المحيط لأبي عبداللَّه بن حيان الأندلسي: «والمعية بالنصر والتأييد، وفي ضمنه الأمر بالتقوى والحث عليها»[3].

وقال ابن عرفة المالكي: «قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (٣٦)﴾ فإن قلت: ما أفاد زيادة (وَاعْلَمُوا)؟ وهلا قيل: واللَّه مع المتقين؟ فالجواب: إما بأنه تنبيه للعاقل فيحضر ذمته، وإما بأن المراد اعلموا ذلك بالدليل والبرهان إشارة إلى وضوح الدلائل الدالة عليه، وإمَّا أنه تأكيد في الإخبار»[4].

وقال البقاعي: «فلا تخافوهم وإن زادت جموعهم وتضاعفت قواهم لأن اللَّه يكون معكم (واعلموا أن اللَّه) أي الذي له جميع العظمة معكم، هكذا كان الأصل، ولكنه أظهر الوصف تعليقاً للحكم به وتعميماً فقال: (مع المتقين) جميعهم، وهم الذين يثبتون تقواهم على ما شرعه لهم، لا على النسيء ونحوه،

(١) تفسير الطبري (١١/ ٤٤٩).
(٢)تفسير الرازي (١٦/ ٤٤).
(٣) البحر المحيط في التفسير (٥/ ٤١٦).
(٤) تفسير ابن عرفة (٢/ ٣٠١).

ومن كان الله معه نصر لا محالة»[1].

وقال العمادي: «(واعلموا أَنَّ اللَّه مَعَ المتقين) أي معكم بالنصر والإمداد فيما تباشِرونه من القتال، وإنما وضع المُظهرُ موضعَه مدحاً لهم بالتقوى، وحثاً للقاصرين عليه.

وإيذاناً بأنه المدارُ في النصر، وقيل هي بشارةٌ وضمانٌ لهم بالنصرة بسبب تقواهم»[2].

وفي التحرير والتنوير: «وجملة (واعلموا أن الله مع المتقين) تأييد وضمان بالنصر عند قتالهم المشركين، لأنّ المعية هنا معية تأييد على العمل، وليست معية عِلم، إذ لا تختصّ معيّة العلم بالمتّقين.

وابتدئت الجملةُ بـ(اعلموا) للاهتمام بمضمونها كما تقدّم في قوله تعالى: (واعلموا أن ما غنمتم من شيء) [الأنفال- الآية ٤١] الآية، بحيث يجب أن يعلموه ويَعوه.

والجملة بمنزلة التذييل لما قبلها من أجل ما فيها من العموم في المتّقين، دون أن يقال واعلموا أنّ الله معكم ليحصل من ذكر الاسم الظاهر معنى العموم، فيفيد أنّ المتّصفين بالحال المحكية في الكلام السابق معدودون من جملة المتقين، لئلا يكون ذكر جملة (واعلموا أن الله مع المتقين) غريباً عن السياق، فيحصل من ذلك كلام مستقلّ يجري مجرى المثل، وإيجازٌ يفيد أنّهم حينئذٍ من المتّقين، وأنّ الله يؤيّدهم لتقواهم، وأنّ القتال في الأشهر الحرم في تلك الحالة طاعة لله وتقوى، وأنّ المشركين حينئذٍ هم المعتدون على حرمة الأشهر، وهم الحاملون على

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٨/ ٤٥١).
(٢) تفسير أبي السعود (٤/ ٦٤).

المقابلة بالمثل للدفاع عن النفس»[1].

معية الله مع المتقين

٣-التوبة(١٢٣)-﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣﴾.

قال الطبري: «(واعلموا أن اللَّه مع المتقين)، يقول: وأيقنوا، عند قتالكم إياهم، أن اللَّه معكم، وهو ناصركم عليهم، فإن اتقيتم اللَّه وخفتموه»[2].

وفي مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي: «ثم قال: (واعلموا أن اللَّه مع المتقين) والمراد أن يكون إقدامه على الجهاد والقتال بسبب تقوى اللَّه لا بسبب طلب المال والجاه، فإذا رآه قبل الإسلام أحجم عن قتاله، وإذا رآه مال إلى قبوله الجزية تركه، وإذا كثر العدو أخذ الغنائم على وفق حكم اللَّه تعالى»[3].

وفي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: «ولما كان التقدير: وليكن كل ذلك مع التقوى لا بسبب مال ولا جاه، فإنها ملاك الأمر كله، قال منبهاً على ذلك بقوله: (واعلموا أن اللَّه) أي الذي له الكمال كله (مع المتقين) فلا تخافوا أن يؤدي شيء من مصاحبتها إلى وهن فإن العبرة بمن كان اللَّه معه»[4].

وعند أبي السعود العمادي: «والمرادُ بهم إما المخاطَبون ووضعُ الظاهرِ موضعَ الضمير للتنصيص على أن الإيمانَ والقتالَ على الوجه المذكور من باب التقوى والشهادة بكونهم من زمرة المتقين، وإما الجنس، وهم داخلون فيه دخولاً أولياً، والمرادُ بالمعية الولايةُ الدائمةُ، وقد ذُكر وجهُ دخولِ مع على المتبوع في

(١) التحرير والتنوير (١٠/ ١٨٨).
(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٨٧).
(٣) تفسير الرازي (١٦/ ١٧٤).
(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٩/ ٥٠).

قوله تعالى إن الله مَعَنَا»[1].

وفي تفسير المنار: «وَأَمْرُ الْقِتَالِ مَبْنِيٌّ عَلَى الشِّدَّةِ وَالْغِلْظَةِ فِي كُلِّ الْأُمَمِ، وَقَدْ حَرَّمَ فَظَائِعَهَا الْإِسْلَامُ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْأَنْفَالِ، وَقَدْ بَلَغَتْ فَظَائِعُهَا عِنْدَ الْإِفْرِنْجِ فِي هَذَا الْعَصْرِ مَا يُخْشَى أَنْ يُفْضِيَ إِلَى تَدْمِيرِ الْعُمْرَانِ كُلِّهِ (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) لَهُ فِي مُرَاعَاةِ أَحْكَامِهِ وَسُنَنِهِ بِالْمَعُونَةِ وَالنَّصْرِ، وَأَهَمُّهَا مَا يَجِبُ اتِّقَاؤُهُ فِي الْحَرْبِ، مِنَ التَّقْصِيرِ فِي أَسْبَابِ النَّصْرِ وَالْغَلَبِ الَّتِي بَيَّنَهَا فِي كِتَابِهِ، وَالَّتِي تُعْرَفُ بِالْعِلْمِ وَالتَّجَارِبِ، كَإِعْدَادِ مَا يُسْتَطَاعُ مِنْ قُوَّةٍ، وَالصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ، وَالطَّاعَةِ وَالنِّظَامِ، وَتَرْكِ التَّنَازُعِ وَالِاخْتِلَافِ، وَكَثْرَةِ ذِكْرِ اللَّهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ فِيمَا وَرَاءَ الْأَسْبَابِ»[2].

وفي ظلال القرآن: «إنما المقصود هو الخشونة التي لا تميع المعركة ؛ وهذا الأمر ضروري لقوم أمروا بالرحمة والرأفة في توكيد وتكرار، فوجب استثناء حالة الحرب، بقدر ما تقتضي حالة الحرب، دون رغبة في التعذيب والتمثيل والتنكيل»[3].

وفي التحرير والتنوير: «وجملة: (واعلموا أن اللَّه مع المتقين) تأييد وتشجيع ووعد بالنصر إن اتقوا بامتثال الأمر بالجهاد.

وافتتحت الجملة بـ(اعلموا) للاهتمام بما يراد العلم به والمعية هنا معية النصر والتأييد، وهذا تأييد لهم إذ قد علموا قوة الروم»[4].

وفي زهرة التفاسير: «وقوله: (أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)، أي هو مصاحب لهم، فلا

---

(١) تفسير أبي السعود (٤/ ١١٢).

(٢) تفسير المنار (١١/ ٦٦).

(٣) في ظلال القرآن (٣/ ١٧٤١).

(٤) التحرير والتنوير (١١/ ٦٤).

يقع عليهم، وهو قريب منهم ينصرهم ويعزهم، ولا يمكن عدوا منهم، وقد أكد سبحانه أنه مع المتقين بالجملة الاسمية، وبـ إنَّ الدالة على التوكيد، وبتصدير القول بلفظ الجلالة الذي يربي في النفس المهابة من الله ومخافته.

وقد بين الله ﷻ كيف يتلقى المتقون ما ينزل من القرآن، وكيف يتلقاه غيرهم»[1].

١٠- العلم بحدود اللَّه

حدود الله

١ البقرة(٢٣٠)-﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٢٣٠﴾ .

يعلمون أهمية الحدود ومعناها والوقوف عندها وعدم تعديها فيلتزمونها.

(لقوم يعلمون) أي يتعلمون حدود الله.

لقوم يعلمون: لأن يعلمون فعلٌ يفيد الاستمرار كلما أمروا بالعلم تعلموا وقد أمر الله تعالى بالعلم في كتابه قرابة ثلاثين مرة.

أورد **الطبري** في تفسيره: «قال أبو جعفر: يُبَيّنُهَا يفصِّلُها، فيميّزُ بينها، ويعرِّفُهم أحكامها لقوم يعلمونها إذا بيَّنها الله لهم، فيعرفون أنها من عند الله، فيصدقون بها، ويعملون بما أودعهم الله من علمه، دون الذين قد طبع الله على قلوبهم، وقضى عليهم أنهم لا يؤمنون بها، ولا يصدقون بأنها من عند الله، فهم يجهلون أنها من الله، وأنها تنزيلٌ من حكيمٍ حميد. ولذلك خص القوم الذي يعلمون بالبيان دون الذين يجهلون، إذ كان الذين يجهلون أنها من عنده قد آيس نبيه محمداً ﷺ من تصديق كثيرٍ منهم بها، وإن كان بيَّنها لهم من وجه الحجة عليهم ولزوم العمل

(١) زهرة التفاسير (٧/ ٣٤٨٧).

لهم بها، وإنما أخرجها من أن تكون بياناً لهم من وجه تركهم الإقرار والتصديق به»[1].

وفي تفسير **البغوي**: «يعني يعلمون ما أمرهم الله تعالى به»[2].

أما مفاتيح الغيب فيذكر: «لمن يعلم أن الله أنزل الكتاب وبعث الرسول ليعلموا بأمره وينتهوا عما نهوا عنه»[3].

حدود ما أنزل الله

٢-التوبة(٩٧)-﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾.

قال مقاتل بن سليمان: «يعني سنن ما أنزل الله على رسوله في كتابه يقول: هم أقل فهما بالسنن من غيرهم»[4].

وفي تفسير الطبري: «وإنما وصفهم جل ثناؤه بذلك، لجفائهم، وقسوة قلوبهم، وقلة مشاهدتهم لأهل الخير، فهم لذلك أقسى قلوبًا، وأقلُّ علمًا بحقوق الله»[5].

وقال الماوردي: «ومعنى أجدر أي أقرب، مأخوذ من الجدار الذي يكون بين مسكني المتجاورين»[6].

وفي الوجيز في التفسير للواحدي: «(وأجدر) وأولى وأحق (أن لا يعلموا

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ١٧٧).
(٢) تفسير البغوي (١/ ٢٧٤).
(٣) تفسير الرازي (٦/ ٤٥١).
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٩١).
(٥) تفسير الطبري (١١/ ٦٣٢).
(٦) تفسير الماوردي (٢/ ٣٩٣).

حدود ما أنزل الله) »[1].

وفي زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي: «(وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا) قال الزجاج: (أن) في موضع نصب، لأن الباء محذوفة من (أن)، المعنى: أجدر بترك العلم.

تقول: جدير أن تفعل، وجدير بأن تفعل، كما تقول: أنت خليق بأن تفعل، أي: هذا الفعل ميسَّر فيك»[2].

١١- العلم بما في نفس اللَّه

نفي العلم بما في نفس اللَّه

١ المائدة(١١٦)- ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾.

ورد في تفسير مقاتل: «وَلا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ يقول ولا أطلع على غيبك. وقَالَ أيضًا: وَلا أَعْلَم ما فِي علمك، ما كان منك وما يَكُون إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ»[3].

وفي تفسير الطبري: «ولا أعلم أنا ما أخفيته عني فلم تطلعني عليه، لأني، إنما أعلم من الأشياء ما أعلمتنيه (إنك أنت عَلام الغيوب)، يقول: إنك أنت العالم بخفيّات الأمور التي لا يطلع عليها سواك، ولا يعلمها غيرك»[4].

---

(١) الوجيز للواحدي (ص: ٤٧٨).

(٢) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٢٩٠).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥١٩).

(٤) تفسير الطبري (٩/ ١٣٧)،

١٢- العلم بوعد اللَّه

وعد الله

١-يونس(٥٥)-﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٥﴾.

سبق تفسيرها

وعدا عليه حقا

٢-النحل(٣٨)-﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٨﴾.

وقال الطبري: «ولكن أكثر قريش لا يعلمون وعد الله عباده، أنه باعثهم يوم القيامة بعد مماتهم أحياء»[١].

وفي مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي: «وهذا القسم واليمين إشارة إلى أنهم كانوا يدعون العلم الضروري بأن عوده بعينه بعد عدمه محال في بديهة العقل»[٢].

وفي الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السُّنَّة وأحكام الفرقان: «هذا تعجيب من صنعهم، إذ أقسموا بالله وبالغوا في تغليظ اليمين بأن الله لا يبعث من يموت. ووجه التعجيب أنهم يظهرون تعظيم الله فيقسمون به ثم يعجزونه عن بعث الأموات»[٣].

وقال البيضاوي: «(ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أنهم يبعثون وإما لعدم علمهم بأنه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها، وإما لقصور نظرهم

---

(١) تفسير الطبري (١٤/ ٢١٩).

(٢) تفسير الرازي (٢٠/ ٢٠٦).

(٣) تفسير القرطبي (المقدمة/ ٦).

بالمألوف فيتوهمون امتناعه»[1].

وفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي: «بلى هو إثبات لما بعد النفي أي بل يبعثهم وعداً عليه حقاً، وهو مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لأن يبعث موعد من اللَّه وبين أن الوفاء بهذا الوعد حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن وعده حق أو أنهم يبعثون»[2].

وقال البقاعي: «وقد وعد به (وعداً) وبين أنه لا بد منه بقوله: (عليه) وزاده تأكيداً في مقابلة اجتهادهم في أيمانهم بقوله: (حقاً) أي لأنه قادر عليه، وهو لا يبدل القول لديه، فصار واجباً في الحكمة كونه، وأمر البعث معلوم عند كل عاقل سمع أقوال الهداة تاركاً لهواه (ولكن أكثر الناس) أي بما لهم من الاضطراب (لا يعلمون) أي لا علم لهم يوصلهم إلى ذلك؛ لأنه من عالم الغيب لا يمكن عقولهم الوصول إليه بغير إرشاد من اللَّه، ولا هم يقبلون أقوال الدعاة إليه الذين أيدهم بروح منه لتقيدهم بما توصلهم إليه عقولهم، وهي مقصورة على عالم الشهادة لا يمكنها الترقي منه إلى عالم الغيب بغير وساطة منه ﷻ، فلذلك ترى الإنسان منهم يأبى ذلك استعباداً لأن يكون شيء معقول لا يصل إليه بمجرد عقله وهو خصيم مبين»[3].

وفي إرشاد العقل السليم للعمادي: «(ولكن أَكْثَرَ الناس) لجهلهم بشئون اللَّه عز شأنه من العلم والقدرةِ والحكمة وغيرِها من صفات الكمالِ وبما يجوز عليه، وما لا يجوز، وعدمِ وقوفِهم على سرّ التكوين والغايةِ القصوى منه، وعلى أن البعثَ مما يقتضيه الحكمةُ التي جرت عادتُه سبحانه بمراعاتها (لا يَعْلَمُونَ) أنه

(١) تفسير البيضاوي (٣/ ٢٢٧).
(٢) تفسير النسفي (٢/ ٢١٢).
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١١/ ١٦٢).

يبعثهم فيبتون القولَ بعدمه، أو أنه وعدٌ عليه حق فيكذبونه قائلين (لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وآباؤنا هذا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أساطير الأولين)»[1].

وفي ظلال القرآن: «(ولكن أكثر الناس لا يعلمون) حقيقة وعد الله»[2].

وفي التحرير والتنوير: «والمراد بأكثر الناس المشركون، وهم يومئذٍ أكثر الناس، ومعنى (لا يعلمون) أنهم لا يعلمون كيفيّة ذلك فيقيمون من الاستبعاد دليل استحالة حصول البعث بعد الفناء. والاستدراك ناشىء عن جعله وعداً على الله حقّاً، إذ يتوهّم السامع أن مثل ذلك لا يجهله أحد فجاء الاستدراك لرفع هذا التوهّم، ولأن جملة (وعداً عليه حقاً) تقتضي إمكان وقوعه والناس يستبعدون ذلك»[3].

وقال أبو زهرة: «الاستدراك هنا من الوعد المؤكد الثابت الذي ألزم الله تعالى به نفسه، إذ كان الواجب عليهم أن يعلموا من قياس القابل على الحاضر، ولكن أكثرهم لَا يعلمون، أي ليس من شأنهم أن يدركوا، وأن يعلموا لأنهم لم يؤمنوا بالغيب، ولم يعرفوا قدرة ربهم»[4].

وفي المنتخب: «ولكن أكثر الناس من الكفار لا يعلمون حكمة الله في خلْق هذا العالم، وأنه لم يخلقه عبثاً، ولا عن حسابه في الآخرة ومجازاته»[5].

وقال الشعراوي: «أي: لا يعلمون أن الله قادر على البعث، فقد استبعد الكفار أمر البعث؛ لأنهم لا يتصورون كيف يبعث الله الخلْق من لَدُن آدم عليه السلام

---

(١) تفسير أبي السعود (٥/ ١١٤).

(٢) في ظلال القرآن (٤/ ٢١٧٢).

(٣) التحرير والتنوير (١٤/ ١٥٤).

(٤) زهرة التفاسير (٨/ ٤١٧٨).

(٥) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٣٩١).

حتى تقوم الساعة.. فالأمر ليس مزاولة يجمع الله سبحانه بها جزئيات البشر كل على حدة..لا..ليس في الأمر مزاولة أو معالجة تستغرق وقتاً»[1].

﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾[يس: ٨٢].

ونضرب لذلك مثلاً ولله المثل الأعلى فنحن نرى مثل هذه الأوامر في عالم البشر عندما يأتي المعلّم أو المدرب الذي يُدرِّب الجنود نراه يعلِّم ويُدرِّب أولاً، ثم إذا ما أراد تطبيق هذه الأوامر فإنه يقف أمام الجنود جميعاً وبكلمة واحدة يقولها يمتثل الجميع، ويقفون على الهيئة المطلوبة، هل أمسك المدرب بكل جندي وأوقفه كما يريد؟! لا..بل بكلمة واحدة تَمَّ له ما يريد.

وكأن انضباط المأمور وطاعته للأمر هو الأصل، كذلك كل الجزئيات في الكون منضبطة لأمره ﷻ..هي كلمة واحدة بها يتم كل شيء..فليس في الأمر مُعَالجة، لأن المعالجة أنْ يُباشر الفاعل بجزئيات قدرته جزئيات الكائن، وليس البعث هكذا..بل بالأمر الانضباطي: كن.

قال في روح المعاني: «(ولكن أَكْثَرَ الناس) لجهلهم بشؤون الله تعالى من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال وبما يجوز عليه وما لا يجوز، وعدم وقوفهم على سر التكوين والغاية القصوى منه، وعلى البعث مما تقتضيه الحكمة (لاَّ يَعْلَمُونَ) أنه تعالى يبعثهم، ونعى عليهم عدم العلم بالبعث دون العلم بعدمه الذي يزعمونه على ما يقتضيه ظاهر قسمهم ليعلم منه نعي ذاك بالطريق»[2].

وعد الله

---

(١) تفسير الشعراوي (١٣/ ٧٩٣١).

(٢) تفسير الألوسي: روح المعاني (٧/ ٣٨٠).

٣-الكهف(٢١)-﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۗ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾.

قال أبو عبد الغني: لقد أعثر الله عليهم عدداً محدداً من البشر فشاهدهم، فهل الذي سمع بخبرهم وصدقه منذ ذلك الوقت وما بعده إلى يوم القيامة لا يشمله أن يكون من المعنيين أن يعلموا أن وعد الله حق، وأن الساعة التي يخبر الله عنها، والتي سيفعل فيها مايفعل بالبشر وباقي الخلق آتية لاريب في شأنها كله.

وهذه الواقعة التي فعلها الله تعلم منذ ذلك الوقت إلى قيام الساعة لكل من رأى أوسمع أن وعد الله حق وأن الساعة آتية لاريب فيها.

وهل من رأى بعينه فقط هو المطالب بأمر العلم بأن وعد الله حق ؟.

وفي الوجيز للواحدي: «ليعلم القوم الذين كانوا في ذلك الوقت (أن وعد الله) بالثواب والعقاب (حق وأن الساعة) القيامة (لا ريب فيها) لا شك فيها، وذلك أنهم يستدلون بقصتهم على صحة أمر البعث»[1].

وفي النكت والعيون للماوردي: «(وليعلموا أن وعْدَ الله حقٌّ...) يحتمل وجهين: أحدهما: ليعلم أهل بلدهم أن وعد الله حق في قيام الساعة وإعادة الخلق أحياء، لأن من أنامهم كالموتى هذه المدة الخارجة عن العادة ثم أيقظهم أحياء قادر على إحياء من أماته وأقبره.

الثاني: معناه ليرى أهل الكهف بعد علمهم أن وعد الله حق في إعادتهم.

وفي مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي (فكذلك أعثرنا عليهم) أي أطلعنا غيرهم على أحوالهم يقال عثرت على كذا أي علمته وقالوا: إن أصل هذا أن من

(١) الوجيز للواحدي (ص: ٦٥٧).

كان غافلاً عن شيء فعثر به نظر إليه فعرفه، فكان العثار سبباً لحصول العلم والتبين، فأطلق اسم السبب على المسبب، واختلفوا في السبب الذي لأجله عرف الناس واقعة أصحاب الكهف على وجهين: الأول: أنه طالت شعورهم وأظفارهم طولاً مخالفاً للعادة، وظهرت في بشرة وجوههم آثار عجيبة تدل على أن مدتهم قد طالت طولاً خارجاً عن العادة.

والثاني: أن ذلك الرجل لما دخل إلى لسوق ليشتري الطعام، وأخرج الدراهم لثمن الطعام قال صاحب الطعام: هذه النقود غير موجودة في هذا اليوم.

وإنها كانت موجودة قبل هذا الوقت بمدة طويلة ودهر داهر، فلعلك وجدت كنزا، واختلف الناس فيه، وحملوا ذلك الرجل إلى ملك البلد فقال الملك: من أين وجدت هذه الدراهم؟ فقال: بعت بها أمس شيئاً من التمر، وخرجنا فراراً من الملك دقيانوس فعرف ذلك الملك أنه ما وجد كنزاً، وأن الله بعثه بعد موته ثم قال تعالى: (ليعلموا أن وعد الله حق) يعني أنا إنما أطلعنا القوم على أحوالهم ليعلم القوم أن وعد الله حق بالبعث والحشر والنشر، روي أن ملك ذلك الوقت كان ممن ينكر البعث، إلا أنه كان مع كفره منصفاً فجعل الله أمر الفتية دليلاً للملك، وقيل بل اختلفت الأمة في ذلك الزمان، فقال بعضهم: الجسد والروح يبعثان جميعاً، وقال آخرون: الروح تبعث، وأما الجسد فتأكله الأرض»[1].

وقال ابن عرفة المالكي: «وكذلك جعلنا ناساً عاثرين عليهم من العاثر لأنه يعثر على الشيء من غير قصد»[2].

وفي روح المعاني للألوسي: «ويجوز أن يراد كل وعده تعالى أو كل موعوده

---

(١) تفسير الماوردي (٣/ ٢٩٥).

(٢) تفسير ابن عرفة (٣/ ٨٤).

سبحانه، ويدخل في ذلك ما ذكر دخولاً أولياً (حَقّ) صادق لا خلاف فيه أو ثابت متحقق سيقع ولا بد»[1].

وعد الله

٤-القصص (١٣)-﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾.

قال الطبري: «ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن وعد الله حقّ، لا يصدقون بأن ذلك كذلك»[2].

وفي مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي: «(ولتعلم أن وعد الله حق) أي فيما كان وعدها من أنه يرده إليها، ولقد كانت عالمة بذلك، ولكن ليس الخبر كالعيان فتحققت بوجود الموعود (ولكن أكثرهم لا يعلمون) فيه وجوه أربعة: **أحدها**: ولكن أكثر الناس في ذلك العهد وبعد لا يعلمون لإعراضهم عن النظر في آيات الله.

وثانيها: قال الضحاك ومقاتل يعني أهل مصر لا يعلمون أن الله وعدها برده إليها، **وثالثها**: هذا كالتعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى عليه السلام فجزعت وأصبح فؤادها فارغاً.

ورابعها: أن يكون المعنى إنا إنما رددناه إليها (لتعلم أن وعد الله حق) والمقصود الأصلي من ذلك الرد هذا الغرض الديني، ولكن الأكثر لا يعلمون أن هذا هو الغرض الأصلي، وأن ما سواه من قرة العين وذهاب الحزن تبع»[3].

---

(١) تفسير الألوسي (٨/ ٢٢١).

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ١٨٠).

(٣) تفسير الرازي (٢٤/ ٥٨٢).

وقال البيضاوي: «(ولتعلم أن وعد الله حق) علم مشاهدة (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن وعده حق فيرتابون فيه، أو أن الغرض الأصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع، وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون»[1].

وقال ابن كثير: «قال تعالى: (فرددناه إلى أمه كي تقر عينها) أي به (ولا تحزن) أي عليه (ولتعلم أن وعد الله حق) أي فيما وعدها من رده إليها، وجعله من المرسلين فحينئذ تحققت برده إليها أنه كائن منه رسول من المرسلين، فعاملته في تربيته ما ينبغي له طبعاً وشرعاً.

وقوله تعالى: ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أي حكم الله في أفعاله وعواقبها المحمودة»[2].

وفي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: «(ولتعلم) أي علماً هو عين اليقين، كما كانت عالمة به علم اليقين، وعلم شهادة كما كانت عالمة علم الغيب (أن وعد الله) أي الأمر الذي وعدها به الملك الأعظم الذي له الكمال كله في حفظه وإرساله (حق) أي هو في غاية الثبات في مطابقة الواقع إياه.

ولما كان العلم هو النور الذي من فقده لم يصح منه عمل، ولم ينتظم له قصد، قال عاطفاً على ما تقديره: فعلمت ذلك برده عين اليقين بعد علم اليقين: (ولكن أكثرهم) أي أكثر آل فرعون وغيرهم (لا يعلمون) أي لا علم لهم أصلاً، فكيف يدعون ما يدعون من الإلهية والكبرياء على من يكون الله معه»[3].

وعند أبي السعود العمادي: «(وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ) أي جميعَ ما وعدَهُ من ردِّه

---

(١) تفسير البيضاوي (٤/ ١٧٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٢٤).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٤/ ٢٥٣).

وجعلِه من المرسلين (حق) لاخلف فيه بمشاهدةِ بعضِه وقياسِ بعضِه عليه»[1].

وقال السعدي: «فأريناها بعض ما وعدناها به عياناً، ليطمئن بذلك قلبها، ويزداد إيمانها، ولتعلم أنه سيحصل وعد الله في حفظه ورسالته، (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) فإذا رأوا السبب متشوشا، شوش ذلك إيمانهم، لعدم علمهم الكامل، أن الله تعالى يجعل المحن الشاقة والعقبات الشاقة، بين يدي الأمور العالية والمطالب الفاضلة، فاستمر موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عند آل فرعون، يتربى في سلطانهم، ويركب مراكبهم، ويلبس ملابسهم، وأمه بذلك مطمئنة، قد استقر أنها أمه من الرضاع، ولم يستنكر ملازمته إياها وحنوها عليها»[2].

وفي التحرير والتنوير: «وضمير (أكثرهم لا يعلمون) عائد إلى الناس المفهوم من المقام، أو إلى رعية فرعون، ومن الناس بنو إسرائيل، والاستدراك ناشىء عن نصب الدليل لها على أن وعد الله حق، أي فعلمت ذلك وحدها وأكثر القوم لا يعلمون ذلك لأنهم بين مشركين وبين مؤمنين تقادم العهد على إيمانهم وخلت أقوامهم من علماء يلقنونهم معاني الدين فأصبح إيمانهم قريباً من الكفر.

(ولتعلم أن وعد الله حق) من الإيماء إلى تذكير المؤمنين بأن نصرهم حاصل بعد حين، ووعيد المشركين بأن وعيدهم لا مفرّ لهم منه. وعاشره: ما في قوله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) من الإشارة إلى أن المرء يُؤتى من جهله النظر في أدلة العقل»[3].

وعد الله

٥-الروم(٦)-﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾.

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٦١٣).

(٢) تفسير أبي السعود (٧/ ٦).

(٣) التحرير والتنوير (٢٠/ ٨٥).

يذكر في تفسير أضواء البيان قَوْلُهُ تَعَالَى: «(وَعْدَ اللَّهِ)، مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ لِنَفْسِهِ، لِأَنَّ قَوْلَهُ قَبْلَهُ: (وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) إِلَى قَوْلِهِ: (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ)، هُوَ نَفْسُ الْوَعْدِ كَمَا لَا يَخْفَى، أَيْ: وَعَدَ اللَّهُ ذَلِكَ وَعْدًا فَسُبْحَانَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ مَا أَعْلَمَهُ، وَمَا أَعْظَمَهُ، وَمَا أَحْسَنَ تَعْلِيمَهُ. فَقَدْ أَوْضَحَ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، وَيَدْخُلُ فِيهِمْ أَصْحَابُ هَذِهِ الْعُلُومِ الدُّنْيَوِيَّةِ دُخُولًا أَوَّلِيًّا، فَقَدْ نَفَى عَنْهُمْ جَلَّ وَعَلَا اسْمَ الْعَلَمِ بِمَعْنَاهُ الصَّحِيحِ الْكَامِلِ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا عَمَّنْ خَلَقَهُمْ، فَأَبْرَزُهُمْ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ، وَرَزَقَهُمْ، وَسَوْفَ يُمِيتُهُمْ، ثُمَّ يُحْيِيهِمْ، ثُمَّ يُجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَمْ يَعْلَمُوا شَيْئًا عَنْ مَصِيرِهِمُ الْأَخِيرِ الَّذِي يُقِيمُونَ فِيهِ إِقَامَةً أَبَدِيَّةً فِي عَذَابٍ فَظِيعٍ دَائِمٍ، وَمَنْ غَفَلَ عَنْ جَمِيعِ هَذَا فَلَيْسَ مَعْدُودًا مِنْ جِنْسِ مَنْ يَعْلَمُ ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ الْمَذْكُورَةُ، ثُمَّ لَمَّا نَفَى عَنْهُمْ جَلَّ وَعَلَا اسْمَ الْعَلَمِ بِمَعْنَاهُ الصَّحِيحِ الْكَامِلِ، أَثْبَتَ لَهُمْ نَوْعًا مِنَ الْعِلْمِ فِي غَايَةِ الْحَقَارَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهِ. وَعَابَ ذَلِكَ النَّوْعَ الْمَذْكُورَ مِنَ الْعِلْمِ، بِعَيْبَيْنِ عَظِيمَيْنِ: أَحَدُهُمَا: قِلَّتُهُ وَضِيقُ مَجَالِهِ، لِأَنَّهُ لَا يُجَاوِزُ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَالْعِلْمُ الْمَقْصُورُ عَلَى ظَاهِرٍ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي غَايَةِ الْحَقَارَةِ وَضِيقِ الْمَجَالِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْعِلْمِ بِخَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَلَّ وَعَلَا، وَالْعِلْمِ بِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَبِمَا يُقَرِّبُ عَبْدَهُ مِنْهُ، وَمَا يُبْعِدُهُ عَنْهُ، وَمَا يَخْلُدُ فِي النَّعِيمِ الْأَبَدِيِّ وَالْعَذَابِ الْأَبَدِيِّ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَالثَّانِي مِنْهُمَا: هُوَ دِنَاءَةُ هَدَفِ ذَلِكَ الْعِلْمِ، وَعَدَمُ نُبْلِ غَايَتِهِ، لِأَنَّهُ لَا يَتَجَاوَزُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَهِيَ سَرِيعَةُ الِانْقِطَاعِ وَالزَّوَالَ، وَيَكْفِيكَ مِنْ تَحْقِيرِ هَذَا الْعِلْمِ الدُّنْيَوِيِّ أَنَّ أَجْوَدَ أَوْجُهِ الْإِعْرَابِ فِي قَوْلِهِ: (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا)، أَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ قَبْلَهُ (لَا يَعْلَمُونَ)، فَهَذَا الْعِلْمُ كَلَا عِلْمٍ لِحَقَارَتِهِ. قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي «الْكَشَّافِ»: وَقَوْلُهُ: (يَعْلَمُونَ) بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ: (لَا يَعْلَمُونَ)، وَفِي هَذَا الْإِبْدَالِ مِنَ النُّكْتَةِ أَنَّهُ أَبْدَلَهُ مِنْهُ وَجَعَلَهُ بِحَيْثُ يَقُومُ مَقَامَهُ، وَيَسُدُّ مَسَدَّهُ

لِيُعَلِّمَكَ أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ عَدَمِ الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ الْجَهْلُ، وَبَيْنَ وُجُودِ الْعِلْمِ الَّذِي لَا يَتَجَاوَزُ الدُّنْيَا. وَقَوْلُهُ: (ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يُفِيدُ أَنَّ لِلدُّنْيَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فَظَاهِرُهَا مَا يَعْرِفُهُ الْجُهَّالُ مِنَ التَّمَتُّعِ بِزَخَارِفِهَا، وَالتَّنَعُّمِ بِمَلَاذِّهَا وَبَاطِنِهَا، وَحَقِيقَتُهَا أَنَّهَا مَجَازٌ إِلَى الْآخِرَةِ، يُتَزَوَّدُ مِنْهَا إِلَيْهَا بِالطَّاعَةِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَفِي تَنْكِيرِ الظَّاهِرِ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ إِلَّا ظَاهِرًا وَاحِدًا مِنْ ظَوَاهِرِهَا. وَهُمُ الثَّانِيَةُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُبْتَدَأً، وَ(غَافِلُونَ) خَبَرُهُ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ (هُمْ) الْأُولَى، وَأَنْ يَكُونَ تَكْرِيرًا لِلْأُولَى، وَ(غَافِلُونَ) خَبَرُ الْأُولَى، وَأَيَّةً كَانَتْ فَذِكْرُهَا مُنَادٍ عَلَى أَنَّهُمْ مَعْدِنُ الْغَفْلَةِ عَنِ الْآخِرَةِ، وَمَقَرُّهَا، وَمَحَلُّهَا وَأَنَّهَا مِنْهُمْ تَنْبُعُ وَإِلَيْهِمْ تَرْجِعُ، انْتَهَى كَلَامُ صَاحِبِ «الْكَشَّافِ». وَقَالَ غَيْرُهُ: وَفِي تَنْكِيرِ قَوْلِهِ: ظَاهِرًا تَقْلِيلٌ لِمَعْلُومِهِمْ، وَتَقْلِيلُهُ يُقَرِّبُهُ مِنَ النَّفْيِ، حَتَّى يُطَابِقَ الْمُبْدَلَ مِنْهُ، اهـ، وَوَجْهُهُ ظَاهِرٌ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَجِبُ عَلَيْهِمْ تَعَلُّمُ هَذِهِ الْعُلُومِ الدُّنْيَوِيَّةِ، كَمَا أَوْضَحْنَا ذَلِكَ غَايَةَ الْإِيضَاحِ فِي سُورَةِ «مَرْيَمَ»، فِي الْكَلَامِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ [مريم- آية ٧٨].

وَهَذِهِ الْعُلُومُ الدُّنْيَوِيَّةُ الَّتِي بَيَّنَّا حَقَارَتَهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا غَفَلَ عَنْهُ أَصْحَابُهَا الْكُفَّارُ، إِذَا تَعَلَّمَهَا الْمُسْلِمُونَ، وَكَانَ كُلٌّ مِنْ تَعْلِيمِهَا وَاسْتِعْمَالِهَا مُطَابِقًا لِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ، كَانَتْ مِنْ أَشْرَفِ الْعُلُومِ وَأَنْفَعِهَا ؛ لِأَنَّهَا يُسْتَعَانُ بِهَا عَلَى إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ جَلَّ وَعَلَا، وَإِصْلَاحِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَا عَيْبَ فِيهَا إِذَنْ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال- آية ٦٠] فَالْعَمَلُ فِي إِعْدَادِ الْمُسْتَطَاعِ مِنَ الْقُوَّةِ امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَسَعْيًا فِي مَرْضَاتِهِ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ عِلْمِ الْكُفَّارِ الْغَافِلِينَ عَنِ الْآخِرَةِ كَمَا تَرَى، وَالْآيَاتُ بِمِثْلِ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى. قَوْلُهُ تَعَالَى: (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ)، وَأَمَّا الثَّانِي مِنْهَا: وَهُوَ أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ وَهُمُ الْكُفَّارُ لَا يَعْلَمُونَ»[1].

١٣- العلم باللَّه (الإله الواحد)

علم بأن لا إله إلا اللَّه

١-هـــود(١٤)-﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٤﴾.

بعد الأمر بالعلم باللَّه طلب العمل مع اللَّه (الإسلام له)

قال مقاتل بن سليمان: «وَاعلموا أَنْ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ بأنه ليس له شريك إن لم يجيئوا بمثل هذا القرآن قل لهم: فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ»[2].

وقال الطبري في جامع البيان في تأويل آي القرآن: «قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: فإن لم يستجب لكمْ من تدعون من دون اللَّه إلى أنْ يأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن مفتريات، ولم تطيقوا أنتم وهم أن تأتوا بذلك، فاعلموا وأيقنوا أنه إنما أنزل من السماء على محمد ﷺ بعلم اللَّه وإذنه، وأن محمدًا لم يفتره، ولا يقدر أن يفتريه، (وأن لا إله إلا هو)، يقول: وأيقنوا أيضًا أن لا معبود يستحق الألوهة على الخلق إلا اللَّه الذي له الخلق والأمر، فاخلعوا الأنداد والآلهة، وأفردوا له العبادة»[3].

وقال البغوي: «(فاعلموا)، قيل: هذا خطابٌ مع المؤمنين. وقيل: مع المشركين، (أنما أنزل بعلم اللَّه)، يعني: القرآن. وقيل: أنزله وفيه علمه، (أنه لا إله إلا هو) أي: فاعلموا أن لا إله إلا هو، (فهل أنتم مسلمون)، لفظه استفهام ومعناه

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/ ١٦٦).
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٢٧٥).
(٣) تفسير الطبري (١٢/ ٣٤٥).

أمر، أي: أسلموا»[1].

وقال الزمخشري: «فإن قلت: ما وجه جمع الخطاب بعد إفراده وهو قوله: (لكم فاعلموا) بعد قوله: (قل) قلت: معناه فإن لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لأن رسول اللَّه ﷺ والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع آخر: (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم) [القصص: ٥٠]، ويجوز أن يكون الجمع لتعظيم رسول اللَّه ﷺ، ووجه آخر: وهو أن يكون الخطاب للمشركين والضمير في (لم يستجيبوا) لمن استطعتم يعني: فإن لم يستجب لكم من تدعونه من دون اللَّه إلى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه، وأن طاقتهم أقصر من أن تبلغه (فاعلموا أنما أنزل بعلم اللَّه) أي أنزل ملتبساً بما لا يعلمه إلا اللَّه من نظم معجز للخلق، وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه و اعلموا عند ذلك (وأن لا إله إلا) اللَّه وحده، وأن توحيده واجب، والإشراك به ظلم عظيم (فهل أنتم مسلمون) مبايعون بالإسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد.

ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه: فاثبتوا على العلم الذي أنتم عليه وازدادوا يقيناً وثبات قدم على أنه منزل من عند اللَّه وعلى التوحيد»[2].

وفي زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي: «قوله تعالى: (فَاعْلَمُوا أَنَّما أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّه) فيه قولان:أحدهما: أنزله وهو عالم بإنزاله، وعالم بأنه حق من عنده.

والثاني: أنزله بما أخبر فيه من الغيب، ودلَّ على ما سيكون وما سلف، ذكرهما الزّجّاج.

---

(١) تفسير البغوي (٤/ ١٦٥).

(٢) تفسير الزمخشري (٢/ ٣٨٣).

قوله تعالى: (وَأَنْ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ) أي: واعلموا ذلك»[1].

وفي مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي: «لو كان القرآن مفترى على الله لوجب أن يقدر الخلق على مثله ولما لم يقدروا عليه، ثبت أنه من عند الله، فقوله: (أنما أنزل بعلم الله) كناية عن كونه من عند الله ومن قبله، كما يقول الحاكم هذا الحكم جرى بعلمي»[2].

وفي البحر المحيط لأبي عبدالله بن حيان الأندلسي: «فإنْ لم يستجب من تدعونه إلى المعارضة فأذعنوا حينئذ، واعلموا أنه من عند الله، وأنه أنزل ملتبساً بما لا يعلمه إلا الله من نظم معجز للخلق، وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه. واعلموا عند ذلك أنه لا إله إلا هو.

وعلى أن الخطاب للمؤمنين معنى (فاعلموا) أي: دوموا على العلم وازدادوا يقيناً وثبات قدم أنه من عند الله .

ولكون الخطاب يكون لواحد، ولترتب الجواب على الشرط ترتباً حقيقياً من الأمر بالعلم، ولا يتحرر بأنه أراد به فدوموا على العلم، ودوموا على العلم بأنه لا إله إلا هو.

ولما طولبوا بالمعارضة وأمروا بأن يدعوا من يساعدهم على تمكن المعارضة، ولا استجاب أصنامهم ولا آلهتهم لهم، أمروا بأن يعلموا أنه من عند الله وليس مفترى فتمكن معارضته، وأنه تعالى هو المختص بالألوهية لا يشركه في شيء منها آلهتهم وأصنامهم، فلا يمكن أن يجيبوا لظهور عجزهم، وأنها لا تنفع ولا تضر في شيء من المطالب»[3].

---

(١) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٣٦١).

(٢) تفسير الرازي (١٧/ ٣٢٦).

(٣) البحر المحيط في التفسير (٦/ ١٣١).

وفي إرشاد العقل السليم: «الأمر بالتحدّي فيه تنبيهٌ لطيفٌ على أن حقهم أن لا ينفكوا عنه ﷺ ويناصِبوا معه لمعارضة المعارِضين كما كان يفعلونه في الجهاد.

وإرشادٌ إلى أن ذلك مما يفيد الرسوخَ في الإيمان والطُمأنينةَ في الإيقان، ولذلك رُتِّب عليه قولُه ﷻ (فاعلموا) أي اعلموا حين ظهر لكم عجزُهم عن المعارضة مع تهالُكهم عليها علماً يقيناً متاخِماً لعين اليقينِ بحيث لا مجالَ معه لشائبة ريبٍ بوجه من الوجوه كأن ما عداه من مراتب العلمِ ليس بعلم لكن لا للإشعار بانحطاطِ تلك المراتبِ، بل بارتفاع هذه المرتبةِ، وبه يتضح سراً يراد كلمةِ الشكِّ مع القطعِ بعدم الاستجابةِ، فإن تنزيلَ سائرِ المراتبِ منزلةَ العدمِ مستتبعٌ لتنزيل الجزْمِ بعدم الاستجابةِ منزلةَ الشكِّ فيه أو اثبُتوا واستمِرّوا على ما كنتم عليه من العلم»[1].

علم بأن الله إله واحد

٢-إبـــــراهيم(٥٢)-﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾.

من غايات هذا القرآن: البلاغ والإنذار والعلم باللَّه بأنه إله واحد، وليتذكر بهذا القرآن حين يكرروا قراءته وسماعه، وينتفعوا به نوع معين من الناس أناس يتعاهدون قلوبهم، وصنعوا بهذا التعاهد لأنفسهم لب.

وإذا علمت أيها الإنسان أن اللَّه ....إله..... وأنه إله واحد، فلا داع أن تتخذ إلهاً آخر، وإذا اتخذت إلهاً آخر، فهذا يعني أنك لم تعلم بهذا القرآن، ولم تعلم بمجموع الآيات التي غايتها أن تقر في لبك حقيقتين، الأولى أنه إله واحد والثانية

(١) تفسير أبي السعود (٤/ ١٩٢).

أنه لاإله إلا هو، وهذا يعني أيضا أنك لم تنتفع بهذا القرآن.

قال الطبري: «وليعلموا بما احتجّ به عليهم من الحجج فيه أنما هو إله واحد، لا آلهة شتى، كما يقول المشركون بالله، وأن لا إله إلا هو الذي له ما في السماوات وما في الأرض وليتذكر فيتعظ بما احتجّ الله به عليه من حججه التي في هذا القرآن، فينزجر عن أن يجعل معه إلهًا غيره، ويُشْرِك في عبادته شيئاً»[1].

وقال القرطبي: «وهذه اللامات في (ولينذروا) (وليعلموا) (وليذكر) متعلقة بمحذوف، التقدير: ولذلك أنزلناه. وروى يمان بن رئاب أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ، وسئل بعضهم: **هل لكتاب الله عنوان** ؟ فقال: نعم ؛ قيل: وأين هو ؟ قال قوله تعالى: (هذا بلاغ للناس ولينذروا به) إلى آخرها»[2].

وقال ابن كثير: «(وليعلموا أنما هو إله واحد) أي يستدلوا بما فيه من الحجج والدلالات على أنه لا إله إلا هو»[3].

وقال السعدي: «(وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ) حيث صرف فيه من الأدلة والبراهين على ألوهيته ووحدانيته، ما صار ذلك حق اليقين»[4].

وفي ظلال القرآن: «إن الغاية الأساسية من ذلك البلاغ وهذا الإنذار، هي أن يعلم الناس (أنما هو إله واحد).. فهذه هي قاعدة دين الله التي يقوم عليها منهجه في الحياة»[5].

وفي التحرير والتنوير: «والمعنى وليعلموا مِما ذكر فيه من الأدلة مَا الله إلا إلهٌ

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٧٤٧).

(٢) تفسير القرطبي (٩/ ٣٨٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٢٣).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٤٢٨).

(٥) في ظلال القرآن (٤/ ٢١١٤).

واحد، أي مقصور على الإلهية الموحدة. وهذا قصر موصوف على صفة وهو إضافي، أي أنه تعالى لا يتجاوز تلك الصفة إلى صفة التعدد بالكثرة أو التثليث»[1].

وفي أضواء البيان: «مِنْ حِكَمِ إِنْزَالِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الْعِلْمَ بِأَنَّهُ تَعَالَى إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَأَنَّ مِنْ حِكَمِهِ أَنْ يَتَّعِظَ أَصْحَابُ الْعُقُولِ»[2].

وقال الشعراوي: «(وليعلموا أَنَّمَا هُوَ إله وَاحِدٌ..) وهذه هي القضية العقدية الأولى، والتي تأتي في قِمّة كل القضايا؛ **فهو إله واحد نصدر جميعاً عن أمره**؛ لأن الأمر الهام في هذه الحياة أن تتضافر حركة الأحياء وتتساند؛ لا أن تتعاند.

ولا يرتقي بنيان، ما إذا كنتَ أنت تبني يوماً ليأتي غيرك فيهدم ما بنيتَ.

ومهمة حركة الحياة أن نُؤدِّي مهمتنا كخلفاء للَّه في الأرض؛ بأن تتعاضدَ مواهبنا، لا أن تتعارضَ، فيتحرك المجتمع الإنساني كله في اتجاه واحد؛ لأنه من إله واحد وأمر واحد»[3].

علم بأنه لاإله إلا الله

٣-محمد(١٩)-﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾.

وقال البغوي: «وقيل: معناه فاثبت عليه. وقال الحسين بن الفضل: فازدد علماً على علمك»[4].

(١) التحرير والتنوير (١٣/ ٢٥٥).
(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ٢٥٠).
(٣) تفسير الشعراوي (١٢/ ٧٦٢٢).
(٤) تفسير البغوي (٧/ ٢٨٥).

قال ابن كثير: «هذا إخبار بأنه لا إله إلا الله ولا يتأتى كونه آمراً بعلم ذلك»[1]

وقال البيضاوي: «فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية»[2].

«فرع على جميع ما ذكر من حال المؤمنين وحال الكافرين ومن عواقب ذلك ووعده أو وعيده أن أمَر الله رسوله ﷺ بالثبات على ما له من العلم بوحدانية الله وعلى ما هو دأبه من التواضع لله بالاستغفار لذنبه ومن الحرص على نجاة المؤمنين بالاستغفار لهم لأن في ذلك العلم وذلك الدأب استمطار الخيرات له ولأمته والتفريع هذا مزيد مناسبة لقوله آنفاً (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم)، فالأمر في قوله: (فاعلم) كناية عن طلب العلم وهو العمل بالمعلوم، وذلك مستعمل في طلب الدوام عليه؛ لأن النبي ﷺ قد علم ذلك وعلمه المؤمنون، وإذا حصل العلم بذلك مرة واحدة تقرر في النفس؛ لأن العلم لا يحتمل النقيض فليس الأمر به بعد حصوله لطلب تحصيله بل لطلب الثبات فهو على نحو قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالله ورسوله﴾ [النساء: ١٣٦].

ومن اللطائف القرآنية أن أمر هنا بالعلم قبل الأمر بالعمل في قوله: (واستغفر لذنبك). قال ابن عيينة لما سئل عن فضل العلم: ألم تسمع قوله حين بدأ به (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك)، وترجم البخاري في كتاب العلم من «صحيحه» باب العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى: (فاعلم أنه لا إله إلا الله) فبدأ بالعلم. وما يستغفر منه النبي ﷺ ليس من السيئات لعصمته منها، وإنما هو استغفار من الغفلات ونحوها»[3].

وفي تفسير الجلالين: «(فاعلم أنه لا إله إلا الله) أي دم يا محمد على علمك

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣١٦).

(٢) تفسير البيضاوي (٥/ ١٢٢.

(٣) التحرير والتنوير (٢٦/ ١٠٤)

بذلك النافع في القيامة»[1].

«العلم لا بد فيه من إقرار القلب ومعرفته، بمعنى ما طلب منه علمه، وتمامه أن يعمل بمقتضاه.

وقال السعدي: «وهذا العلم الذي أمر الله به -وهو العلم بتوحيد الله - فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد، كائنا من كان، بل كل مضطر إلى ذلك. والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا هو أمور: أحدها بل أعظمها: تدبر أسمائه وصفاته، وأفعاله الدالة على كماله وعظمته وجلالته فإنها توجب بذل الجهد في التأله له، والتعبد للرب الكامل الذي له كل حمد ومجد وجلال وجمال.

الثاني: العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير، فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية.

الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، فإن ذلك يوجب تعلق القلب به ومحبته، والتأله له وحده لا شريك له.

الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر والنعم العاجلة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به، فإن هذا داع إلى العلم، بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها.

الخامس: معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت مع الله، واتخذت آلهة، وأنها ناقصة من جميع الوجوه، فقيرة بالذات، لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشوراً، ولا ينصرون من عبدهم، ولا ينفعونهم بمثقال ذرة، من جلب خير أو دفع شر، فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا هو وبطلان إلهية ما سواه.

---

(١) تفسير الجلالين (ص: ٦٧٥).

السادس: اتفاق كتب الله على ذلك، وتواطؤها عليه.

السابع: أن خواص الخلق، الذين هم أكمل الخليقة أخلاقاً وعقولاً، ورأياً وصواباً، وعلماً -وهم الرسل والأنبياء والعلماء الربانيون- قد شهدوا لله بذلك.

الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية، التي تدل على التوحيد أعظم دلالة، وتنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطائف صنعته، وبديع حكمته، وغرائب خلقه.

فهذه الطرق التي أكثر الله من دعوة الخلق بها إلى أنه لا إله إلا الله، وأبداها في كتابه وأعادها عند تأمل العبد في بعضها، لا بد أن يكون عنده يقين وعلم بذلك، فكيف إذا اجتمعت وتواطأت واتفقت، وقامت أدلة التوحيد من كل جانب، فهناك يرسخ الإيمان والعلم بذلك في قلب العبد، بحيث يكون كالجبال الرواسي، لا تزلزله الشبه والخيالات، ولا يزداد -على تكرر الباطل والشبه- إلا نمواً وكمالاً.

هذا، وإن نظرت إلى الدليل العظيم، والأمر الكبير -وهو تدبر هذا القرآن العظيم، والتأمل في آياته- فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد ويحصل به من تفاصيله وجمله ما لا يحصل في غيره»[1].

وقال الطبري: «فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهة، ويجوز لك وللخلق عبادته، إلا الله الذي هو خالق الخلق، ومالك كل شيء، يدين له بالربوبية كل ما دونه»[2].

وقال العز بن عبد السلام: «(فَاعْلَمْ) أن الله أعلمك (أَنَّهُ لآ إِلَهَ إِلا اللَّه) هو، أو

(١)تفسير السعدي (ص: ٧٨٧)

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٢٠٩).

ما علمته استدلالاً فاعلمه يقيناً، أو ما ذكر عبر عن الذكر بالعلم لحدوثه عنه[1].

وفي ظلال القرآن: «وعلى أساس العلم بهذه الحقيقة واستحضارها في الضمير تبدأ التوجيهات الأخرى، والفاء في قوله: (فاعلم) للإفصاح عن جواب شرط معلوم مما مر من آيات»[2].

«والتقدير: إذا تبين لك ما سقناه عن حال السعداء والأشقياء، فاعلم أنه لا إله إلا الله، واثبت على هذا العلم، واعمل بمقتضاه، واستمر على هذا العمل»[3].

١٤- العلم بسبيل اللَّه

سبيل الله مذكور في كتابه بكثرة، وهناك أعمال كثيرة مع سبيل الله، وهو موضوع هام جدا في حياة المؤمن، وهو من العلم بالله، والعمل مع سبيل الله كبير ومتعلق به جزاء عظيم، سواء كان العمل حسنا أوسيئا وسأتطرق إليه في كتاب آخر إن شاء الله، وأشرت إليه هنا لتكتمل في الذهن أبواب ومفهوم العلم بالله حينما يذكر وكأني لم أجد اقتران كلمة العلم وكلمة سبيل الله، وماأبرئ نفسي.

١٥- علم بأوامر اللَّه

بالتوجه كما يريد هو

١ -البقرة(١٤٤)- ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ .

ليعلمون أن الذي أمر بالتوجه هو الله وعليه فإن هذا الأمرحق فالله يعلم أعمالهم ليس بغافل عنها، ومن تلك الأعمال إنكارهم الحق الذي يعلمون في

(١) تفسير العز بن عبد السلام (٣/ ١٩٧).

(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٢٩٥).

(٣) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٣/ ٢٣٥).

الأمر بتحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام.

ورد في البحر المحيط «(لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ): أي التوجه إلى المسجد الحرام، (ٱلْحَقّ): الذي فرضه الله على إبراهيم وذريته. وقال قتادة والضحاك: إن القبلة هي الكعبة. وقال الكسائي: الضمير يعود على الشطر»[1].

التوقف والإمتناع عن عبادة غيره ثم الإبتداء بعبادته

٢-يوسف(٤٠)-﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

سبق تفسيرها

١٦-العلم بما نسب اللّٰه إلى نفسه (عظمته وحرمته)

مساجد الله

١-الأنفال(٣٤)-﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

مدعوا الولاية لمسجد الله، لا يعلمون عظمة الأشياء التي ينسبها الله سبحانه لنفسه، مثل بيوت الله وغيرها ولايعلمون مراده من الأعمال الحسنة مع مساجده، ولاما يسخطه من الأعمال السيئة مع مساجده.

قال الطبري: «ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن أولياء الله المتقون، بل يحسبون أنهم أولياء الله»[2].

وفي الوجيز للواحدي: «(لا يعلمون) غيب علمي وما سبق في قضائي»[3].

---

(١) البحر المحيط في التفسير (٢/ ٢٥).

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ١٨٠).

(٣) الوجيز للواحدي (ص: ٤٣٩).

وفي ظلال القرآن: «(ولكن أكثرهم لا يعلمون). إنه لا يمنع العذاب عنهم ما يدعونه من أنهم ورثة إبراهيم وسدنة بيت الله الحرام، إنهم أعداء هذا البيت وغاصبوه ! إن بيت الله الحرام ليس تركة يرثها الخلف عن السلف، إنه بيت الله يرثه أولياء الله المتقون لله.

والمتقون هم ورثة إبراهيم، وبيت الله الذي بناه لله ؛ فإذا هم يصدون عنه أولياءه الحقيقيين المؤمنين بدين إبراهيم! »[1].

وفي زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة: «وإن هؤلاء المشركين لَا يعرفون شيئا مما يليق بهذا البيت العتيق الذي هو أقدس بيت في هذه الأرض»[2].

قال الشعراوي: «إذن فكيف تصد قريش محمداً والمؤمنين معه عن البيت الحرام، وهم بإقرار سيدهم قديماً يعلمون أنَّ للبيت ربّاً يحميه، فكيف تكون لكم على البيت ولاية؟ وكان عليهم أن يعلموا أن ولاية أمر بيت الله باختيار الله، ولا تكون إلاَّ للمتقين، ولم تكن قريش من المتقين.وحيثيَّات التعذيب إذن هي صدهم عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه. وإذا كان أكثرهم لا يعلم، فأقلهم يعلم علم اليقين حقيقة البيت الحرام، فقداسة هذا البيت التي تعلمها الأقلية ونسيتها الأكثرية»[3].

١٧- العلم بأمر اللَّه (بشأنه سبحانه)

١-يوسف(٢١)-﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾.

(١) في ظلال القرآن (٣/ ١٥٠٦).
(٢) زهرة التفاسير (٦/ ٣١٢٠).
(٣) تفسير الشعراوي (٨/ ٤٦٩٢).

قال الطبري: «والهاء في قوله: (على أمره) عائدة على يوسف.

وقوله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يقول: ولكن أكثر الناس الذين زهدوا في يوسف، فباعوه بثمن خسيس، والذين صَار بين أظهرهم من أهل مصر حين بيع فيهم، لا يعلمون ما الله بيوسف صانع، وإليه يوسف من أمره صائرٌ»[1].

وفي النكت والعيون للماوردي: «(والله غالبٌ على أمره) فيه وجهان:

أحدهما: غالب على أمر يوسف حتى يبلغ فيه ما أراده له، قاله مقاتل.

الثاني: غالب على أمر نفسه فيما يريده، أن يقول له كن فيكون»[2].

وفي (الوجيز في التفسير) للواحدي: «(ولكن أكثر الناس) هم المشركون ومن لا يؤمن بالقدر (لا يعلمون) أن قدرة الله غالبة ومشيئته نافذة»[3].

وفي مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي: «لا يعلمون أن الأمر كله بيد الله»[4].

قال القرطبي: «وقالت الحكماء في هذه الآية: (والله غالب على أمره) حيث أمره يعقوب ألا يقص رؤياه على إخوته فغلب أمر الله حتى قص، ثم أراد إخوته قتله فغلب أمر الله حتى صار ملكا وسجدوا بين يديه، ثم أراد الإخوة أن يخلو لهم وجه أبيهم فغلب أمر الله حتى ضاق عليهم قلب أبيهم، وافتكره بعد سبعين سنة أو ثمانين سنة، فقال: (يا أسفى على يوسف) ثم تدبروا أن يكونوا من بعده قوماً صالحين، أي تائبين فغلب أمر الله حتى نسوا الذنب وأصروا عليه حتى أقروا بين يدي يوسف في آخر الأمر بعد سبعين سنة، وقالوا لأبيهم: (إنا كنا خاطئين) ثم أرادوا أن يخدعوا أباهم بالبكاء والقميص فغلب أمر الله فلم ينخدع، وقال:

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٦٥).

(٢) تفسير الماوردي:النكت والعيون (٣/ ٢٠).

(٣) الوجيز للواحدي (ص: ٥٤٢).

(٤) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٨/ ٤٣٦).

(بل سولت لكم أنفسكم أمراً) ثم احتالوا في أن تزول محبته من قلب، أبيهم فغلب أمر الله، فازدادت المحبة والشوق في قلبه، ثم دبرت امرأة العزيز أنها إن ابتدرته بالكلام غلبته، فغلب أمر الله حتى قال العزيز: (استغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين)، ثم دبر يوسف أن يتخلص من السجن بذكر الساقي فغلب أمر الله فنسي الساقي، ولبث يوسف في السجن بضع سنين.

(ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يَعْلَمُونَ) أي: لا يطّلعون على غيبه. وقيل: المراد بالأكثر الجميع ؛ لأن أحداً لا يعلم الغيب. وقيل: هو مجرى على ظاهره ؛ إذ قد يطلع من يريد على بعض غيبه. وقيل: المعنى (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن الله غالبٌ على أمره، وهم المشركون ومن لا يؤمن بالقدر»[1].

وفي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: «(لا يعلمون) لعدم التأمل أنه تعالى عالٍ على كل أمر، وأن الحكم له وحده، لاشتغالهم بالنظر في الظواهر للأسباب التي يقيمها، فهو سبحانه محتجب عنهم بحجاب الأسباب»[2].

ولأبي السعود العمادي: «(لاَ يَعْلَمُونَ) أنَّ الأمرَ كذلكَ فيأتون ويذرون زعماً منهم أن لهم من الأمر شيئاً وأنى لهم ذلك وإن الأمرَ كلَّه لله ﷻ أو لا يعلمون لطائفَ صنعِه وخفايا فضله»[3].

وفي ظلال القرآن: «لا يعلمون أن سنة الله ماضية وأن أمره هو الذي يكون»[4].

وفي التحرير والتنوير: «و(أمرُ اللَّه) هو ما قدّره وأراده، فمن سعى إلى عملٍ

(١) تفسير القرطبي (٩/ ١٦١).
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٠/ ٥٠).
(٣) تفسير أبي السعود (٤/ ٢٦٣).
(٤) في ظلال القرآن (٤/ ١٩٧٩).

يخالف ما أراده الله فحاله كحال المنازع على أن يحقق الأمر الذي أراده ويمنع حصول مراد الله تعالى، ولا يكون إلا ما أراده الله تعالى فشأن الله تعالى كحال الغالب لمنازعه. والمعنى: والله متمم ما قدره، ولذلك عقّبه بالاستدراك بقوله: (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) استدراكاً على ما يقتضيه هذا الحكم من كونه حقيقة ثابتة شأنها أن لا تجعل لأن عليها شواهد من أحوال الحدثان، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك مع ظهوره»[1].

وفي زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة: «(لَا يَعْلَمُونَ) يغترون بما أوتوا من قوة، وما مكنوا، فيعميهم ذلك عن حقيقة السلطان الإلهي، فلا يعلمون»[2].

منقول والتعبير بقوله: (ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يَعْلَمُونَ) احتراسٌ لإنصاف ومدح القلة من الناس الذين يعطيهم الله - تعالى - من فضله ما يجعلهم لا يندرجون في الكثرة التى لا تعلم، بل هو - سبحانه - يعطيهم من فضله ما يجعلهم يعلمون مالا يعلمه غيرهم.

١٨- العلم بفطرة اللَّه

علم بفطرة الله

١-الروم(٣٠)-﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

الله سبحانه خلق الإنسان وفطره على قلب واحد، وعلى إرادة واحدة، وماجعل له قلبين وإرادتين بنفس الوقت، ولو أراد سبحانه ذلك لفعل، ولكن (لاَ

(١) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٤٧).

(٢) زهرة التفاسير (٧/ ٣٨١٤).

تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّه) قضى اللَّه أن لاتبديل ولاتغيير لخلقه، فلا تبديل لقلب إلى قلبين ولا لإرادة إلى إرادتين، فالقلب واحد، والإرادة واحدة، إما يكون القلب والإرادة للَّه، أو لغيره (يا نساء النبي إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً، وإن كنتن تردن اللَّه ...)

إذا لايمكن للإنسان التوجه لاتجاهين متعاكسين في نفس الوقت، أما اللَّه سبحانه، ينصب وجهه لكل مخلوق بآن واحد، وأحدنا لايستطيع أن ينصب وجهه إلا لشيء واحد، فليختر هذا الإنسان وليتوجه وليدين لما يشاء، أما أنت يانبي اللَّه أقم وجهك واتجاهك وإرادتك للَّه الذي أنزل إليك الدين.

وكذلك لايستطيع مخلوق تبديل خلق اللَّه لأن اللَّه قضى لا تبديل. لايستطيع الإنسان أن يريد اللَّه ويريد غيره بنفس الوقت، وهذا المعنى من الآية واحد من عشرات المعاني التي ذكرها المفسرون .

وأكثر الناس لا يعلمون هذه المعلومة وغيرها من المعلومات عن اللَّه.

قال مقاتل بن سليمان: «ثم قال للنبي ﷺ إن لم يوحد كفار مكة ربهم فوحد أنت ربك، (لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّه) يقول لا تحويل لدين اللَّه ﷻ الإسلام يعنى التوحيد (ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) يعني التوحيد»[1].

وقال الطبري: «(ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن الدين الذي أمرتك يا محمد به بقولي: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ للدِّينِ حَنِيفاً) هو الدين الحقّ دون سائر الأديان غيره»[2].

وعند القرطبي: «(وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) أي: لا يتفكرون فيعلمون أن

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤١٣).

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٤٩٧).

لهم خالقاً معبوداً، وإلهاً قديماً سبق قضاؤه، ونفذ حكمه»[1].

وقال ابن كثير: «فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره كما تقدم عند قوله تعالى: (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى)، وفي الحديث (إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم) (لا تبديل لخلق الله) لا يقدر أحد أن يغيره أو ما ينبغي أن يغير»[2].

وقال السعدي: «وهذا الأمر الذي أمرناك به هو (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)، ووضع في عقولهم حسنها، واستقباح غيرها، فإن جميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم، الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثار الحق وهذا حقيقة الفطرة»[3].

وفي ظلال القرآن: «(فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله)..وبهذا يربط بين فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين ؛ وكلاهما من صنع الله ؛ و كلاهما موافق لناموس الوجود ؛ وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه.

والله الذي خلق القلب البشري هو الذي أنزل إليه هذا الدين ليحكمه ويصرفه، ويطب له من المرض ويقومه من الانحراف، وهو أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير.

والفطرة ثابتة والدين ثابت: (لا تبديل لخلق الله) فإذا انحرفت النفوس عن الفطرة لم يردها إليها إلا هذا الدين المتناسق مع الفطرة، فطرة البشر وفطرة الوجود، ذلك الدين القيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.. فيتبعون أهواءهم بغير

(١) تفسير القرطبي (١٤/ ٣١).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٣١٣).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٦٤١).

علم، ويضلون عن الطريق الواصل المستقيم»[1].

وقال الشعراوي: «(ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يَعْلَمُونَ) لا يعلمون العلم على حقيقته، والتي بيَّناها أنها الجزم بقضية مطابقة للواقع، ويمكن إقامة الدليل عليها»[2].

وفي التفسير الميسر: «(ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن الذي أمرتك به -أيها الرسول- هو الدين الحق دون سواه»[3].

١٩- العلم بقسم اللَّه

بقسم الله

١-الواقعة(٧٦)-﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦﴾.

قال الشنقيطي: «وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: الْمُرَادُ بِالنَّجْمِ الْجُمْلَةُ النَّازِلَةُ مِنَ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْجُمًا مُنَجَّمًا فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَكُلُّ جُمْلَةٍ مِنْهُ وَقْتَ نُزُولِهَا يَصْدُقُ عَلَيْهَا اسْمُ النَّجْمِ صِدْقًا عَرَبِيًّا صَحِيحًا كَمَا يُطْلَقُ عَلَى مَا حَانَ وَقْتُهُ مِنَ الدِّيَةِ الْمُنَجَّمَةِ عَلَى الْعَاقِلَةِ، وَالْكِتَابَةِ الْمُنَجَّمَةِ عَلَى الْعَبْدِ الْمُكَاتَبِ. وَعَلَى هَذَا فَقَوْلُهُ: (إِذَا هَوَى) أَيْ نَزَلَ بِهِ الْمَلَكُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ. وَقَوْلُهُ: هَوَى يَهْوِي هُوِيًّا إِذَا اخْتَرَقَ الْهَوَا نَازِلًا مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلَ.

قَالَ مُقَيِّدُهُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ: أَظْهَرُ الْأَقْوَالِ عِنْدِي وَأَقْرَبُهَا لِلصَّوَابِ فِي نَظَرِي - أَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّجْمِ إِذَا هَوَى هُنَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَبِمَوَاقِعِ النُّجُومِ فِي الْوَاقِعَةِ هُوَ نُجُومُ الْقُرْآنِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْمَلَكُ نَجْمًا فَنَجْمًا، وَذَلِكَ لِأَمْرَيْنِ:

---

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٢٧٦٧).

(٢) تفسير الشعراوي (١٨/ ١١٤١٩).

(٣) التفسير الميسر (١/ ٤٠٧).

أَحَدُهُمَا: أَنَّ هَذَا الَّذِي أَقْسَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالنَّجْمِ إِذَا هَوَى الَّذِي هُوَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى حَقٍّ وَأَنَّهُ مَا ضَلَّ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى - مُوَافِقٌ فِي الْمَعْنَى لِمَا أَقْسَمَ عَلَيْهِ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٨٠].

وَالْإِقْسَامُ بِالْقُرْآنِ عَلَى صِحَّةِ رِسَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَى صِدْقِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَأَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنَ اللَّهِ جَاءَ مُوَضَّحًا فِي آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ [يس: ١ - ٥].

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف: ١ - ٤].

وَخَيْرُ مَا يُفَسَّرُ بِهِ الْقُرْآنُ الْقُرْآنُ. وَالثَّانِي: أَنَّ كَوْنَ الْمُقْسَمِ بِهِ الْمُعَبَّرِ بِالنُّجُومِ هُوَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ - أَنْسَبُ لِقَوْلِهِ بَعْدَهُ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾، لَأَنَّ هَذَا التَّعْظِيمَ مِنَ اللَّهِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْمُقْسَمَ بِهِ فِي غَايَةِ الْعَظَمَةِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي هُوَ كَلَامُ اللَّهِ أَنْسَبُ لِذَلِكَ مِنْ نُجُومِ السَّمَاءِ وَنَجْمِ الْأَرْضِ.وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى»[1].

وقال ابن عثيمين: « وأتى بالجملة الاعتراضية في قوله: (لو تعلمون) إشارة على أنه يجب أن نتفطن لهذا القسم وعظمته حتى نكون ذوي علم به»[2].

وقال ابن كثير: «وقوله: (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) أي وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لعظمتم المقسم به عليه»[3].

وقال البيضاوي: «(وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) لما في المقسم له من الدلالة

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ٤٦٣).

(٢) تفسير العثيمين: الحجرات - الحديد (ص: ٣٤٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ٥٤٤).

على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة، ومن مقتضيات رحمته أن لا يترك عباده سدى، وهو اعتراض في اعتراض فإنه اعتراض بين القسم والمقسم عليه، و(لو تعلمون) اعتراض بين الموصوف والصفة»[1].

وفي التحرير والتنوير باختصار: «(مواقع النجوم) جمع موقع يجوز أن يكون مكان الوقوع، أي محالُّ وقوعها من ثوابت وسيارة. والوقوع يطلق على السقوط، أي الهوى، فمواقع النجوم مواضع غُروبها.

وجعل (مواقع النجوم) بهذا المعنى مقسماً به لأن تلك المساقط في حال سقوط النجوم عندها تذكِّر بالنظام البديع المجعول لسير الكواكب كلَّ ليلة لا يختل ولا يتخلف، وتذكِّر بعظمة الكواكب وبتداولها خِلفة بعد أخرى، وذلك أمر عظيم يحق القسم به الراجع إلى القسم بمُبدعه.

ويطلق الوقوع على الحلول في المكان، يقال: وقعت الإبل، إذا بركت، ووقعت الغنم في مرابضها، ومنه جاء اسم الواقعة للحادثة كما تقدم، فالمواقع: محالُّ وقوعها وخطوط سيرها فيكون قريباً من قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١﴾[البروج: ١].

والمواقع هي: أفلاك النجوم المضبوطة السير في أفق السماء، وكذلك بروجها ومنازلها. وذكر (مواقع النجوم) على كلا المعنيين تنويه بها وتعظيم لأمرها لدلالة أحوالها على دقائق حكمة الله تعالى في نظام سيرها وبدائع قدرته على تسخيرها.

ويجوز أن يكون مواقع جمع موقع المصدر الميمي للوقوع. ومن المفسرين من تأول النجوم أنها جمع نجم وهو القِسط الشيء من مال وغيره كما يقال: نجومُ الديات والغرامات وجعلوا النجوم، أي الطوائف من الآيات التي تنزل من

(١) تفسير البيضاوي (٥/ ١٨٢).

القرآن وهو عن ابن عباس وعكرمة فيؤول إلى القسم بالقرآن على حقيقته على نحو ما تقدم في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣﴾[الزخرف: ٢، ٣].

وجملة (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) معترضة بين القسم وجوابه. وضمير (إنه) عائد إلى القَسم المذكور في (لا أقسم بمواقع النجوم)، أو عائداً إلى مواقع النجوم بتأويله بالمذكور فيكون قسم بمعنى مقسم به كما علمت آنفاً. ويجوز أن يعود إلى المقسم عليه وهو ما تضمنه جواب القسم من قوله: (إنه لقرآن كريم).

وجملة (لو تعلمون) معترضة بين الموصوف وصفته وهي اعتراض في اعتراض. والعلْمُ الذي اقتضى شرطُ (لو) الامتناعية عدمَ حصوله لهم إن جعلت ضمير (إنه) عائداً على القسم هو العِلم التفصيلي بأحوال مواقع النجوم، فإن المشركين لا يخلون من علم إجمالي متفاوت بأن في تلك المواقع عبرة للناظرين، أو نُزّل ذلك العلم الإجمالي منزلة العدم لأنهم بكفرهم لم يجروا على موجَب ذلك العلم من توحيد اللَّه فلو علِموا ما اشتملت عليه أحوال مواقع النجوم من متعلقات صفات اللَّه تعالى لعلموا أنها مواقع قدسية لا يَحْلف بها إلا بارٌّ في يمينه ولكنهم بمعزل عن هذا العلم، فإن جلالة المقسم به مما يزع الحالف عن الكذب في يمينه. ودليل انتفاء علمهم بعظمته أنهم لم يدركوا دلالة ذلك على توحيد اللَّه بالإلهية فأثبوا له شركاء لم يخلقوا شيئاً من ذلك ولا ما يدانيه فتلك آية أنهم لم يدركوا ما في طي ذلك من دلائل حتى استوى عندهم خالق ما في تلك المواقع وغير خالقها. فأما إن جعلت ضمير (وإنه لقسم) عائداً إلى المقسم عليه فالمعنى: لو تعلمون ذلك لما احتجتم إلى القسم.

ومفعول (تعلمون) محذوف دل عليه الكلام، أي لو تعلمون عظمته، أي دلائل عظمته، ولك أن تجعل فعل (تعلمون) منزّلاً منزلة اللازم، أي لو كان لكم علم

لكنكم لا تتصفون بالعلم»[1].

وقال في فتح القدير: «وقيل المراد بمواقع النجوم نزول القرآن نجوماً من اللوح المحفوظ، وبه قال السدي وغيره، وحكى الفراء عن ابن مسعود أن مواقع النجوم هو محكم القرآن.

قال الفراء والزجاج: هذا يدل على أن المراد بمواقع النجوم نزول القرآن، والضمير في إنه على القسم الذي يدل عليه أقسم، والمعنى أن القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون»[2].

(وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) فيه مسائل ثلاث نحوية وثلاث معنوية لمن أحب الازدياد.

٢٠-العلم بنذير الله

لم تعلموا نذيري بالعذاب، فستعلمون كيف يكون

١-الملك(١٧)-﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧﴾.

قال الواحدي: «(فستعلمون) أي: عند معاينة العذاب (كيف نذير) أي: إنذاري بالعذاب»[3].

وقال البغوي«(فستعلمون)، في الآخرة وعند الموت، (كيف نذير)، أي إنذاري إذا عاينتم العذاب»[4].

وفي كشاف الزمخشري «(فستعلمون) قرئ: بالتاء والياء (كيف نذير) أي إذا

(١) انظر: التحرير والتنوير (٢٧/ ٣٣٠).
(٢) فتح القدير للشوكاني (٥/ ١٩٢).
(٣) الوجيز للواحدي (ص: ١١١٨).
(٤) تفسير البغوي (٨/ ١٧٩).

رأيتم المنذر به علمتم كيف إنذاري حين لا ينفعكم العلم»[1].

وفي مفاتيح الغيب: «قيل في النذير ههنا إنه المنذر، يعني محمدا عليه الصلاة والسلام وهو قول عطاء عن ابن عباس والضحاك، والمعنى فستعلمون رسولي وصدقه، لكن حين لا ينفعكم ذلك، وقيل: إنه بمعنى الإنذار، والمعنى فستعلمون عاقبة إنذاري إياكم بالكتاب والرسول، و (كيف) في قوله: (كيف نذير) ينبئ عما ذكرنا من صدق الرسول وعقوبة الإنذار»[2].

وفي الجلالين: «إنذاري بالعذاب أنه حق»[3].

وفي فتح القدير: «(فستعلمون كيف نذير) أي إنذاري إذا عاينتم العذاب ولا ينفعكم هذا العلم، وقيل النذير هنا محمد ﷺ، قاله عطاء والضحاك.

والمعنى: ستعلمون رسولي وصدقه، والأول أولى»[4].

وفي روح المعاني للألوسي: «فستعلمون ما حال إنذاري وقدرتي على إيقاعه عند مشاهدتكم للمنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ»[5].

وقال السعدي: «(فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ) أي: كيف يأتيكم ما أنذرتكم به الرسل والكتب، فلا تحسبوا أن أمنكم من الله أن يعاقبكم بعقاب من الأرض ومن السماء ينفعكم، فستجدون عاقبة أمركم، سواء طال عليكم الزمان أو قصر، فإن من قبلكم، كذبوا كما كذبتم، فأهلكهم الله تعالى، فانظروا كيف إنكار الله عليهم، عاجلهم بالعقوبة الدنيوية، قبل عقوبة الآخرة، فاحذروا أن يصيبكم ما

---

(١) تفسير الزمخشري (٤/ ٥٨١).

(٢) تفسير الرازي (٣٠/ ٥٩٢).

(٣) تفسير الجلالين (ص: ٧٥٦).

(٤) تفسير فتح القدير (٥/ ٢٦٣).

(٥) تفسير الألوسي (١٥/ ١٩).

أصابهم»[1].

وفي التحرير والتنوير: «(أم) لإضراب الانتقال من غرض إلى غرض، وهو انتقال من الاستفهام الإنكاري التعجيبي إلى آخر مثله باعتبار اختلاف الأثرين الصادرين عن مفعول الفعل المستفهَم عنه اختلافاً يوجب تفاوتاً بين كنهي الفعلين وإن كانا متحدين في الغاية، فالاستفهام الأول إنكار على أمنهم الذي في السماء من أن يفعل فعلاً أرضياً. والاستفهام الواقع مع (أم) إنكار عليهم أن يأمنوا من أن يرسل عليهم من السماء حاصب وذلك أمكن لمن في السماء وأشد وقعاً على أهل الأرض. والكلام على قوله: (من في السماء) تقدم في الآية قبلها ما يغني عنه. وتفريع جملة (فستعلمون كيف نذير) على الاستفهام الإنكاري كتفريع ملة ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦﴾ [الملك: ١٦].

أي فحين يُخسف بكم أو يرسل عليهم حَاصب تعلمون كيف نذيري، وحرف التنفيس حقه الدخول على الأخبار التي ستقع في المستقبل، وإرسال الحاصب غير مخبر بحصوله وإلاّ لَمَا تخلف لأن خبر الله لا يتخلف، وإنما هو تهديد وتحذير فإنهم ربما آمنوا وأقلعوا فسلموا من إرسال الحاصب عليهم ولكن لما أريد تحقيق هذا التهديد شبه بالأمر الذي وقع فكان تفريع صيغة الإخبار على هذا مؤذناً بتشبيه المهدد به بالأمر الواقع على طريقة التمثيلية المكنية، وجملة (فستعلمون) قرينتها لأنها من روادف المشبه به كما تقدم. و (كيف نذير)، استفهام مُعلِّق فعل (تعلمون) عن العمل، وهو استفهام للتهديد والتهويل، والجملة مستأنفة. وحذفت ياء المتكلم من (نذيري) تخفيفاً وللرعي على الفاصلة. والنذير مصدر بمعنى الإنذار مثل النكير بمعنى الإنكار. وقدم التهديد بالخسف على التهديد بالحاصب لأن الخسف من أحوال الأرض، والكلام على أحوالها أقرب

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٧٧) .

هنا فسُلك شبه طريق النشر المعكوس، ولأن إرسال الحاصب عليهم جزاء على كفرهم بنعمة الله التي منها رزقهم في الأرض المشار إليه بقوله: ﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك: ١٥].

فإن منشأ الأرزاق الأرضية من غيوث السماء قال تعالى ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات: ٢٢]»[١].

٢١-العلم بعذاب اللَّه

علم بوقت وكيفية عذاب الله

١-الأحقاف(٢٣)-﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾.

الذي سيفعله الله بكم، علم ذلك عند الله.

قال ابن كثير: «(قال إنما العلم عند الله) أي الله أعلم بكم إن كنتم مستحقين لتعجيل العذاب فسيفعل ذلك بكم وأما أنا فمن شأني أني أبلغكم ما أرسلت به (ولكني أراكم قوما تجهلون) أي لا تعقلون ولا تفهمون»[٢].

وقال البغوي: «(قال)، هود، (إنما العلم عند الله)، وهو يعلم متى يأتيكم العذاب»[٣].

وقال في التحرير والتنوير: «(إنما العلم عند الله) أي علم وقت إتيان العذاب محفوظ عند الله لا يطلع عليه أحد، فالتعريف في (العلم) للاستغراق العرفي، أي علم المغيبات، أو التعريف عوض عن المضاف إليه، أي وقت العذاب.

أي فالله هو العالم بالوقت الذي يرسل فيه العذاب لحكمة في تأخيره، فقوله: (أبلغكم ما أرسلت به) جملة معترضة بين جملة (إنما العلم عند الله) وجملة

---

(١) التحرير والتنوير (٢٩/ ٣٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٨٦).

(٣) تفسير البغوي (٧/ ٢٦٣).

(ولكني أراكم قوماً تجهلون). وموقع الاستدراك بقوله: (ولكني أراكم قوماً تجهلون) أنه عن قوله: (إنما العلم عند الله)، أي ولكنكم تجهلون صفات الله وحِكمة إرساله الرسل، فتحسبون أن الرسل وسائط لإنهاء اقتراح الخلق على الله أن يريهم العجائب ويساجلهم في الرغائب، فمناط الاستدراك هو معمول خبر (لكنّ) وهو (قوماً تجهلون)، والتقدير: ولكنكم قوم تجهلون، فإدخال حرف الاستدراك على ضمير المتكلم عدول عن الظاهر لئلا يبادرهم بالتجهيل استنزالاً لطائرهم، فجعل جهلهم مظنوناً له لينظروا في صحة ما ظنه من عدمها. وإنما زيد (قوماً) ولم يقتصر على (تجهلون) للدلالة على تمكن الجهالة منهم حتى صارت من مقوّمات قوميتهم وللدلالة على أنها عمت جميع القبيلة»[1].

وقال الطبري: «(قال) هود لقومه عاد: (إِنَّمَا الْعِلْمُ) بوقت مجيء ما أعدكم به من عذاب الله على كفركم به عند الله، لا أعلم من ذلك إلا ما علمني»[2].

وفي المنتخب: «قال هود: إنما العلم بوقت عذابكم عند الله - وحده - وأنا أبلغكم الذي أرسلت به، ولكنى أراكم قوماً تجهلون ما تبعث به الرسل»[3].

علم بعذاب الله

٢-القلم(٣٣)-﴿ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٣٣﴾.

قال الطبري: «وقوله: (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) يقول: لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن عقوبة الله لأهل الشرك به أكبر من عقوبته لهم في الدنيا، لارتدعوا وتابوا وأنابوا، ولكنهم بذلك جهال لا يعلمون»[4].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٦/ ٤٧).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ١٥٥).

(٣) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٧٤٧).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ١٨٤).

وقال البيضاوي: «(لو كانوا يعلمون) لاحترزوا عما يؤديهم إلى العذاب»[1].

وفي فتح القدير: «لو كان المشركون يعلمون أنه كذلك ولكنهم لا يعلمون»[2].

وفي روح المعاني للألوسي: «(لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ) نعى عليهم بالغفلة أي لو كانوا من أهل العلم لعلموا أنه أكبر ولأخذوا منه حذرهم»[3].

وفي التحرير والتنوير: «وضمير (لو كانوا يعلمون) عائد إلى ما عاد إليه ضمير الغائب في قوله: ﴿بَلَوْنَٰهُمْ﴾ [القلم: ١٧]، وهم المشركون فإنهم كانوا ينكرون عذاب الآخرة فهددوا بعذاب الدنيا، ولا يصح عوده إلى ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [القلم: ١٧]، لأنهم كانوا مؤمنين بعذاب الآخرة وشدته»[4].

٢٢- العلم بالجزاء

علم بجزاء اللَّه في الآخرة

١ - البقرة(١٠٢)- ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

ولقد تأكد علمهم بجزاء اللَّه وعقوبته ونكاله في الآخرة على من اشتراه لو كانوا يعلمون بجزاء اللَّه فِي الآخِرَةِ على الشراء أي (التعامل مع السحر) فبئس

(١) تفسير البيضاوي (٥/ ٢٣٦).
(٢) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٢٦).
(٣) تفسير الألوسي (١٥/ ٣٧).
(٤) التحرير والتنوير (٢٣/ ٦٣).

شراؤهم وبئس علمهم الذي لم ينفعهم حيث لم يتصرفوا بحسبه.

ورد في تفسير **ابن أبي حاتم** ما معناه.

«وَقَدْ عَلِمَ أَهْلُ الْكِتَابِ فِيمَا يَقْرَؤونَ مِنْ كِتَابِ اللَّه أو فيما عهد اللَّه إليهم (لَمَنِ اشْتَرَاهُ)أي اسْتَحَبَّهُ وأن الساحر مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ أي من نصيب»[1].

وورد في تفسير **السمعاني**: «(لو كانوا يعلمون): يعني اليهود، وقيل: كلاهما في اليهود، يعني: لكنهم لما لم يعملوا بما علموا فكأنهم لم يعلموا»[2].

وورد في تفسير **البيضاوي**: «وقيل: معناه لو كانوا يعملون بعلمهم، فإن من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم»[3].

علم بالجزاء

٢- البقـــــرة(٢٨٠)-﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾.

تعلمون أن التصدق أكثر ثوابا لكم من الإنظار والإمهال عند اللَّه .

ذكر **الطبري** في تفسيره: «قال أبو جعفر: (إن كنتم تعلمون) موضع الفضل في الصدقة، وما أوجب اللَّه من الثواب لمن وضع عن غريمه المعسر دينه»[4].

وقال **الزمخشري** في تفسيره: «(إن كنتم تعلمون) أنه خير لكم فتعملوا به، جعل من لا يعمل به وإن علمه كأنه لا يعلمه»[5].

ويرى صاحب تفسير **مفاتيح الغيب** في قوله: (إن كنتم تعلمون) «وجوه:

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٩٥).

(٢) تفسير السمعاني (١/ ١١٩).

(٣) تفسير البيضاوي (١/ ٩٨).

(٤) تفسير الطبري (٥/ ٦٣).

(٥) تفسير الزمخشري (١/ ٣٢٣).

الأول: معناه إن كنتم تعلمون أن هذا التصدق خير لكم إن عملتموه، فجعل العمل من لوازم العلم، وفيه تهديد شديد على العصاة.

والثاني: إن كنتم تعلمون فضل التصدق على الإنظار، والقبض .

والثالث: إن كنتم تعلمون أن ما يأمركم به ربكم أصلح لكم.

علم بالجزاء

٣-**الأعراف**(٣٨)-﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨﴾.

«دخول جن وإنس في النار سببه الأكبر لايعلمون بالله ولا بأمره»[١].

يخبركم الله تعالى ويعلمكم ماذا سيفعل بالمجرمين وبالأمم وبمن يقترف ماحذرهم منه، ولكن لاتعلمون قولَه وفعلَه ووعيدَه وجزاءَه.

نخوفكم ولكن لا تخافون، ندعوكم للإيمان ولكن لاتؤمنون نعلمكم ولكن لا تعلمون.

قال الطبري: «وقوله: (ولكن لا تعلمون)، يقول: ولكنكم، يا معشر أهل النار، لا تعلمون ما قدْرُ ما أعدّ الله لكم من العذاب، فلذلك تسأل الضعفَ منه الأمةُ الكافرةُ الأخرى لأختها الأولى»[٢].

وفي مفاتيح الغيب: «والمعنى: ولكن لا تعلمون أيها المخاطبون، ما لكل فريق منكم من العذاب، ويجوز ولكن لا تعلمون يا أهل الدنيا ما مقدار ذلك»[٣].

---

(١) تفسير الرازي (٧/ ٨٧).

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٤١٩).

(٣) تفسير الرازي (١٤/ ٢٣٩).

وفي البحر المحيط «وقرأ الجمهور بالتاء على الخطاب للسائلين أي (لا تعلمون) ما لكلّ فريق من العذاب أو لا تعلمون المقادير وصور العذاب. قيل: أو خطاب لأهل الدّنيا، أي ولكن يا أهل الدّنيا لا تعلمون مقدار ذلك»[1].

وفي التحرير والتنوير: «والاستدراك في قوله: (ولكن لا تعلمون) لرفع ما تُوهِمه التّسوية بين القادة والأتباع في مضاعفة العذاب: أنّ التّغليظ على الأتباع بلا موجب، لأنّهم لولا القادة لما ضلّوا، والمعنى: أنّكم لا تعلمون الحقائق ولا تشعرون بخفايا المعاني، فلذلك ظننتم أنّ موجب مضاعفة العذاب لهم دونكم هو أنّهم علّموكم الضّلال، ولو علمتم حقّ العلم لاطّلعتم على ما كان لطاعتكم إياهم من الأثر في إغرائهم بالازدياد من الإضلال. ومفعول (تعلمون) محذوف دلّ عليه قوله: (لكلٍ ضِعف)، والتّقدير: لا تعلمون سبب تضعيف العذاب لكلّ من الطّائفتين، يعني لا تعلمون سبب تضعيفه لكم لظهور أنّهم علموا سبب تضعيفه للذين أضلّوهم.

وقرأ الجمهور: (لا تَعلمون) بتاء الخطاب على أنّه من تمام ما خاطب اللَّه به الأمّة الأخرى، وقرأه أبو بكر عن عاصم بياء الغَيبة، فيكون بمنزلة التّذييل خطاباً لسامعي القرآن، أي قال اللَّه لهم ذلك وهم لا يَعلمون أنّ لكلٍّ ضعفاً؛ فلذلك سألوا التّغليظ على القادة، فأجيبوا بأنّ التّغليظ قد سُلّط على الفريقين»[2].

وقال الشعراوي: «فلكل أمةٍ منهم ضعف العذاب بما ضلت وأضلت. ونفهم أن الضّعْف معناه «شيء مساوٍ لمثله»، فأنتم أيها المقلِّدون غيرَكم قد أضللتم سواكم بالأسوة أيضاً؛ لأنكم كَثَّرتم عددهم، وقوَّيتم شوكتهم، وأغريتم الناس باتباعهم. ويكون لكم ضعفُ العذاب بحكم أنكم أضللتم أيضاً، وأنتم لا تعلمون

(١) البحر المحيط في التفسير (٥/ ٥٠).
(٢) التحرير والتنوير (٨-ب/ ١٢٣).

أن من يحاسبكم دقيقٌ في الحساب، ويعطي كل إنسانٍ حقه تماماً»[1].

علم بالجزاء

٤-الأعراف(٦٢)-﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ وأعلم من الله عن الله وعن كل ما يتعلق به من العلوم والمعلومات والأفعال والخصائص التي لاتعلمونها، وأعلم أيضا عن عذابه في عدم تسلم رسالة الله مني ما لا تعلمون.

قال مقاتل بن سليمان: «(وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّه) فِي نزول العذاب بكم (مَا لا تَعْلَمُونَ)»[2].

وقال الطبري: «(وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّه مَا لا تَعْلَمُونَ)، من أن عقابه لا يردُّ عن القوم المجرمين»[3].

وفي الوجيز في التفسير للواحدي: «(وأعلم من اللَّه ما لا تعلمون) من أنه غفور لمن رجع عن معاصيه وأن عذابه أليم لمن أصر عليها»[4].

وفي الكشاف: «أي من صفات اللَّه وأحواله، يعني: قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه وأن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين. وقيل: لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحي اللَّه إليه أو أراد: وأعلم من جهة اللَّه أشياء لا علم لكم بها قد أوحى إلي بها»[5].

وفي مفاتيح الغيب: «ثم قال: (وأعلم من اللَّه ما لا تعلمون) وفيه وجوه:

---

(١) تفسير الشعراوي (٧/ ٤١٣٤).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٤٣).

(٣) تفسير الطبري (١٠/ ٢٦٢).

(٤) الوجيز للواحدي (ص: ٣٩٩).

(٥) تفسير الزمخشري (٢/ ١١٥).

الأول: واعلم أنكم إن عصيتم أمره عاقبكم بالطوفان.

الثاني: واعلم أنه يعاقبكم في الآخرة عقابا شديدا خارجا عما تتصوره عقولكم.

الثالث: يجوز أن يكون المراد: واعلم من توحيد الله وصفات جلاله ما لا تعلمون.

ويكون المقصود من ذكر هذا الكلام: حمل القوم على أن يرجعوا إليه في طلب تلك العلوم»[1].

وفي البحر المحيط: «أو أعلم من صفات الله وقدرته وشدة بطشه على من اتخذ إلهاً معه أو (يريد ما لا تعلمون) مما أوحي إلي من بطشه بكم، وهو مآل أمركم إذا لم تفردوه بالعبادة فنبّه على مبدأ أمره ومنتهاه معهم»[2].

وفي أيسر التفاسير: «فأنا على علم بما عليه ربي من عظمة وسلطان، وجلال، وجمال، وما عنده من رحمة وإحسان، وما لديه من نكال وعذاب، وأنتم لا تعلمون»[3].

علم بالجزاء على الأعمال مع الله

٥-التوبة(٦٣)-﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾.

وفي معالم التنزيل للبغوي: «(ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله)، يخالف الله ورسوله أن يكونوا في جانب واحد من الله ورسوله»[4].

---

(١) تفسير الرازي (١٤/ ٢٩٧).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٥/ ٨٣).

(٣) أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ١٨٨).

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٦٨).

وفي كشاف الزمخشري: «(فأن له) على حذف الخبر أي: فحق أن له (نَارِ جَهَنَم)، وقرئ: (ألم تعلموا) بالتاء»[1].

وفي مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي: «قال أهل المعاني: قوله: (ألم تعلم) خطاب لمن حاول الإنسان تعليمه مدة وبالغ في ذلك التعليم ثم إنه لم يعلم فيقال له: ألم تعلم بعد هذه الساعات الطويلة والمدة المديدة، وإنما حسن ذلك لأنه طال مكث رسول الله ﷺ معهم، وكثرت نهاياته للتحذير.

فالضمير في قوله: (أنه من يحادد الله) ضمير الأمر والشأن، والمعنى: أن الأمر والشأن كذا وكذا.

والفائدة في هذا الضمير هو أنه لو ذكر بعد كلمة (ءان) ذلك المبتدأ والخبر لم يكن له كثير وقع.

فأما إذا قلت الأمر والشأن كذا وكذا أوجب مزيد تعظيم وتهويل لذلك الكلام.

وقوله: (من يحادد الله) قال الليث: حاددته أي خالفته، والمحاددة كالمجانبة والمعاداة والمخالفة، واشتقاقه من الحد، ومعنى حاد فلان فلانا، أي صار في حد غيره حده كقوله: شاقه أي صار في شق غير شقه، ومعنى (يحادد الله) أي يصير في حد غير حد أولياء الله بالمخالفة»[2].

وفي أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: « (ألم يعلموا أنه) أن الشأن (من يحادد) يشاقق مفاعلة من الحد»[3].

---

(١) تفسير الزمخشري (٢/ ٢٨٥).

(٢) تفسير الرازي (١٦/ ٩٢).

(٣) تفسير البيضاوي (٣/ ٨٧).

وفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي: «(ألم يعلموا أنه) أن الامر والشأن من يحادد يجاوز الحد بالخلاف وهى مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق»[1].

وفي البحر المحيط لأبي عبدالله بن حيان الأندلسي: «أي ألم يعلم المنافقون؟ وهو استفهام معناه التوبيخ والإنكار. وقرأ الحسن والأعرج: بالتاء على الخطاب، فالظاهر أنه التفات، فهو خطاب للمنافقين. قيل: ويحتمل أن يكون خطاباً للمؤمنين، فيكون معنى الاستفهام التقرير. وإن كان خطاباً للرسول فهو خطاب تعظيم، والاستفهام فيه للتعجب، والتقدير: ألا تعجب من جهلهم في محادّة الله تعالى: وفي مصحف أبيّ ألم يعلم. قال ابن عطية: على خطاب النبي ﷺ انتهى. والأولى أن يكون خطاباً للسامع، قال أهل المعاني: ألم تعلم، الخطاب لمن حاول تعليم إنسان شيئاً مدة وبالغ في ذلك التعليم فلم يعلم فقال له: ألم تعلم بعد المباحث الظاهرة والمدة المديدة، وحسن ذلك لأنه طال مكث النبي ﷺ معه، وكثر منه التحذير»[2].

قال ابن عرفة المالكي: «يؤخذ منه أن [مَن] يخالف الإجماع كافر»[3].

وفي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: «ولما بين أن حلفهم هذا إنما هو لكراهة الخزي عند المؤمنين وبين من هو الأحق بأن يرضوه، أقام الدليل على ذلك في استفهام إنكار وتوبيخ مبيناً أنهم فرّوا من خزي منقض فسقطوا في خزي دائم، والخزي: استحياء في هوان، فقال: (ألم يعلموا) أي لدلالتهم على الأحق بالإرضاء.

---

(١) تفسير النسفي (١/ ٦٩٠).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٥/ ٤٥١).

(٣) تفسير ابن عرفة (٢/ ٣١٦).

ولما كان ذكر الشيء مبهماً ثم مفسراً أضخم، أضمر للشأن فقال: (أنه) أي الشأن العظيم»[1].

وقال أبو السعود: «(أَلَمْ يَعْلَمُواْ) أي أولئك المنافقون والاستفهامُ للتوبيخ على ما أقدَموا عليه من العظيمة مع علمهم بسوء عاقبتها وقرئ بالتاء على الالتفات لزيادةِ التقريعِ والتوبيخ أي ألم يعلموا بما سمعوا من رسول الله ﷺ من فنون القوارعِ والإنذارات»[2].

وفي التحرير والتنوير: «والاستفهام مستعمل في الإنكار والتشنيع، لأنّ عدم علمهم بذلك محقّق بِضرورة أنّهم كافرون بالرسول، وبأنّ رضى الله عند رضاه ولكن لمّا كان عدم علمهم بذلك غريباً لوجود الدلائل المقتضية أنّه ممّا يحقّ أن يعلموه، كان حال عدم العلم به حالاً منكراً.

وقد كثر استعمال هذا ونحوه في الإعلام بأمر مهمّ.

والمعنى: ألم يعلموا شأناً عظيماً هو من يحادد الله ورسوله له نار جهنّم»[3].

وفي زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة: «لقد كان هؤلاء المنافقون مع ما يظهرون من محاولة إرضاء المؤمنين ليبثوا فيهم الخور، وضعف العزيمة، حتى إنه في غزوة (أُحُد) بتأثيرهم - همَّت طائفتان أن تفشلا بعمل كيدهم.

كانوا مع ذلك يستهزءون بالمؤمنين والنبي ﷺ وقد وضعوا أنفسهم في حيز، محادين الله ورسوله، فقال تعالى فيهم: (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) الاستفهام هنا للنفي والتوبيخ، ولم نافية، ونفي النفي إثبات كما يقول أهل العلم بالعربية، فالمعنى لقد علموا أنه من يحادد الله ورسوله، فأن لهم جهنم، وكان

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٨/ ٥١٤).

(٢) تفسير أبي السعود (٤/ ٧٨).

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٤٦).

الإثبات بهذه الطريقة البيانية لتأكيد علمهم وتأكيد شرهم، كأنهم أقدموا على هذا الشر عالمين، ووجه التأكيد في التقرير بهذه الطريقة مؤداه أنه سئل عنهم: يعلمون أم لَا يعلمون، فأجيب عنهم بأنهم يعلمون، فكان في ذلك فضل تأكيد»[1].

وقال الشعراوي: «إذا سمعت (أَلَمْ)، فافهم أن هذا استنكار، كأن وسائل العلم قد تقدمت، وكان من الواجب أن تعلم.

فإذا قلت لإنسان: ألم تعلم أنه حدث كذا وكذا؟ فمعنى ذلك أنه قد أعلن عن هذا الحدث عدة مرات، ومع ذلك لم يعلمه.

وهذا استنكار لتخلُّف هذا الإنسان عن العلم.

وهنا يستنكر الحق عدم علم المنافقين بقضية أعلنها الله مرات ومرات، وكان يجب أن يعلموها وألا تزول عن خواطرهم أبداً.

وسبق أن قلنا: إن الاستفهام فيه نفي، والهمزة همزة استفهام.

ولم تأت للنفي، وإذا دخلت همزة الاستفهام على النفي يكون استنكاراً.

فإن قلت لإنسان: ألم أكرمك؟ كأنك أكرمته عدة مرات وهو مُنكر لذلك.

وقول الحق ﷻ: (أَلَمْ يعلموا) هو إقامة للحجة على أن الحكم قد بلغهم؛ لأنه من الجائز أن يقولوا: إن الحكم لم يبلغنا، فيوضح لهم الحق: بل بلغكم الحكم وقد أعلمتكم به عدة مرات»[2].

علم بجزاء الله

٦-الرعد(٤٢)-﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾.

(١) زهرة التفاسير (٦/ ٣٣٥٥).

(٢) تفسير الشعراوي (٩/ ٥٢٥٧).

قال الطبري: «وسيعلمون إذا قَدموا على ربهم يوم القيامة لمن عاقبة الدار الآخرة حين يدخلون النار، ويدخلُ المؤمنون باللَّه ورسوله الجَنَّة»[1].

وفي مفاتيح الغيب: «والمعنى: إنهم وإن كانوا جهالا بالعواقب فسيعلمون لمن العاقبة الحميدة، وذلك كالزجر والتهديد»[2].

وفي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: «(وسيعلم الكافر) أي كل كافر بوعد لا خلف فيه، إن كان من الجهل بحيث لا يعلم الأشياء إلا بالتصريح أو الحس (لمن عقبى الدار) حين نأتيهم ضد مرادهم؛ والكسب: الفعل لاجتلاب النفع أو دفع الضر»[3].

وفي إرشاد العقل السليم، إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي: «(وَسَيَعْلَمُ الكفار) حين يقضي بمقتضى علمه فيوفّي كلَّ نفس جزاءَ ما تكسبه (لِمَنْ عُقْبَى الدار) أي العاقبةُ الحميدةُ من الفريقين وإن جهِلوا ذلك يومئذ.

وقيل السينُ لتأكيد وقوعِ ذلك وعلمِهم به حينئذ وقرىء (سيعلم الكافرُ) على إرادة الجنسِ والكافرون والكفرُ أي أهله والذين كفروا»[4].

وفي زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة: «(وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ) الكفار (ال) فيها للعهد، أي كفار العرب من مشركين ويهود، ومن لفَّ لفهم، والسين لتأكيد وقوع الخبر في المستقبل، والعلم الذي سيعلمونه علم معاينة، لَا علم خبر وإخبار، إن تتوالى عليهم الهزائم هزيمة بعد هزيمة حتى تصير الأرض العربية كلها تحت ظل الإسلام الظليل، ويخرج المشركون من رجس الوثنية،

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٥٨٠).
(٢) تفسير الرازي (١٩/ ٥٤).
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٠/ ٣٦٧).
(٤) تفسير أبي السعود (٥/ ٢٨).

والفساد اليهودي المنحرف، وتكون الكلمة العليا لله ولرسوله، وللمؤمنين، ومن بقي على كفره يعلم علما آخر بعقبى الدار في جهنم للكافرين، والجنة للمؤمنين»[1].

وفي المنتخب: «وإذا كانوا يجهلون أن العاقبة الحسنة للمؤمنين، فسيعلمون يوم القيامة - بالرؤية - لمن تكون العاقبة الحسنة بالإقامة في دار النعيم»[2].

وفي التفسيرالميسر: «(وسيعلم الكفار) إذا قدموا على ربهم لمن تكون العاقبة المحمودة بعد هذه الدنيا؟ إنها لأتباع الرسل. وفي هذا تهديد ووعيد للكافرين»[3].

علم بالجزاء في الآخرة

٧-النحل(٤١)-﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١﴾.

سبق تفسيرها

علم بالجزاء في الآخرة

٨-السجدة(١٧)-﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾.

قال ابن كثير: «فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد لما أخفوا أعمالهم كذلك أخفى الله لهم من الثواب جزاء وفاقا»[4].

وفي التفسير الميسر: «(فلا تعلم نفس) ما ادَّخر الله لهؤلاء المؤمنين مما تَقَرُّ به

(١) زهرة التفاسير (٨/ ٣٩٧٣).
(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٣٦٢).
(٣) التفسير الميسر (١/ ٢٥٤).
(٤) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٦٥).

العين، وينشرح له الصدر؛ جزاء لهم على أعمالهم الصالحة»[1].

علم بالجزاء حصل بعد فوات الأوان

٩-الشورى(٣٥)-﴿وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ٣٥﴾.

قال البغوي: «أي: يعلم الذين يكذبون بالقرآن إذا صاروا إلى الله بعد البعث أن لا مهرب لهم من عذاب الله»[2].

وقال ابن كثير: «أي لا محيد لهم عن بأسنا ونقمتنا فإنهم مقهورون بقدرتنا»[3].

وفي التحرير والتنوير: «وذكر فعل (يعلَم) للتنويه والاعتناء بالخبر و (مَا) نافية، وهي معلِّقة لفعل (يعلم)، والمعنى: ما لهم من فرار ومهرب من لقاء الله . والمراد: ما لهم من محيد ولا ملجأ»[4].

وقال القرطبي: «يعني الكفار ؛ أي إذا توسطوا البحر وغشيتهم الرياح من كل مكان أو بقيت السفن رواكد علموا أنه لا ملجأ لهم سوى الله، ولا دافع لهم إن أراد الله إهلاكهم فيخلصون له العبادة وقد مضى هذا المعنى في غير موضع ومضى القول في ركوب البحر في البقرة وغيرها بما يغني عن إعادته»[5].

وفي المنتخب لعلماء الأزهر: «الله - سبحانه - فعل ذلك ليعتبر المؤمنون، ويعلم الذين يردون آياته بالباطل أنهم في قبضته، ما لهم مهرب من عذاب الله»[6].

وفي مختصر ابن كثير«أي لا محيد لهم عن بأسنا ونقمتنا، فإنهم مقهورون

---

(١) التفسير الميسر (١/ ٤١٦).
(٢) تفسير البغوي (٧/ ١٩٧).
(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ٢١٠).
(٤) التحرير والتنوير (٢٥/ ١٠٨).
(٥) تفسير القرطبي (١٦/ ٣٣).
(٦) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٧١٩).

بقدرتنا.

وليعلم الّذين ينازعون في آياتنا على وجه التكذيب أن لا مخلص لهم إذا وقفت السفن، وإذا عصفت الرياح فيصير ذلك سبباً لاعترافهم بأن الإلٰه النافع الضار ليس إلا اللَّه»[1].

٢٣- العلم بكتاب اللَّه وبرسالته وبكلامه.

أفردت له بابا لأهميته وضخامته.

٢٤- العلم بلقاء اللَّه

كذلك أفردت له بابا لأهميته وضخامته.

٢٥- العلم بما ورد عن غيب اللَّه

كذلك أفردت له بابا لأهميته وضخامته.

٢٦- العلم برسل اللَّه

كذلك أفردت له بابا لأهميته وضخامته.

إن أبواب العلم بالله الممكن استخراجها من كتاب الله كثيرة،وهي أكثر مما ذكرت هنا، ويدخل فيها كل مايتعلق بالله، وهذا الذي وجدته مقترنا بكلمة العلم، وحين الكتابة عن محور العلم بالله، سأذكر أبواباً أخرى بإذن الله، وسيكون الموضوع موسعاً، مثل (نار الله وناقة الله وخلق الله...) .

٢٧- العلم باللَّه: (الشامل لما سبق أوبعضها)

سنرى في بحثنا آيات كريمة، لم يحدد فيها نوع من أنواع العلم بالله، كما مر معنا وإنما نلحظ أن المراد منها أكثر من نوع، وقد يراد منها عموم الأنواع.

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ٢٧٩).

قول على اللَّه بلا علم

١ -البقرة(٨٠)- ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

لقد قالوا كلاماً في أمرغيبي يخص اللَّه تعالى، ويتعلق بناره وأصحابها، ومدة مكثهم فيها - نعوذ باللَّه منها ومن حرها - فمن أين لهم هذا الكلام ؟

إن نسبة القول إلى اللَّه لاتكون إلابعلم -وهو ما قال اللَّه وقال رسوله - بعيداً عن الظن والتوهم.

ورد في **مفاتيح الغيب**: «أما قوله تعالى: (أم تقولون على اللَّه ما لا تعلمون) فهو بيان لتمام الحجة المذكورة، فإنه إذا كان لا طريق إلى التقدير المذكور إلا السمع، وثبت أنه لم يوجد السمع، كان الجزم بذلك التقدير قولاً على اللَّه تعالى بما لا يكون معلوماً لا محالة»[(١)].

وقد ورد في معنى الآية في **البحر المحيط**: «كأنه قال: بل أتقولون على اللَّه ما لا تعلمون؟ وهو استفهام إنكاري، لأنه قد وقع منهم قولهم على اللَّه ما لا يعلمون، فأنكر عليهم صدور هذا منهم»[(٢)].

وفي **ظلال القرآن** «وهذا هو التلقين الإلهي للحجة الدامغة: (أتخذتم عند اللَّه عهدا فلن يخلف اللَّه عهده ؟).. فأين هو هذا العهد ؟ (أم تقولون على اللَّه ما لا تعلمون).. وهذا هو الواقع، فالاستفهام هنا للتقرير، ولكنه في صورة الاستفهام يحمل كذلك معنى الإنكار والتوبيخ! »[(٣)].

قول على اللَّه بلا علم، وقول بعلم من اللَّه

---

(١) تفسير الرازي (٣/ ٥٦٨).

(٢) البحر المحيط في التفسير (١/ ٤٤٩).

(٣) في ظلال القرآن (١/ ٨٥).

٢ -البقرة(١٦٩)-﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾.

أما الذي تعلمونه عن الله من الله لا يأمركم أن تقولوه.

وأورد باختصار ماورد في تفسير **الطبري**: «وأما قوله: (وأنْ تَقولوا على اللَّه مَا لا تعلمون)، فهو ما كانوا يحرِّمون من البحائر و..، ويزعمون أن اللَّه حرَّم ذلك. فأخبرهم تعالى ذكره أنّ قيلهم: (إنّ اللَّه حرم هذا!) من الكذب الذي يأمرهم به الشيطان، وأنه قد أحلَّه لهم وطيَّبه، ولم يحرم أكله عليهم، ولكنهم يقولون على اللَّه ما لا يعلمون حقيقته، طاعةً منهم للشيطان، واتباعًا منهم خطواته، واقتفاء منهم آثارَ أسلافهم الضُّلال وآبائهم الجهال، الذين كانوا باللَّه، وبما أنزل على رسوله جُهالاً وعن الحق ومنهاجه ضُلالاً - وإسرافًا منهم، كما أنزل اللَّه في كتابه على رسوله ﷺ فقال تعالى ذكره: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّه قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا)»[1].

قول على الله بلا علم، وقول بعلم من الله

٣-الأنعام(١٤٨)-﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾.

قال الطبري: «قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل، يا محمد، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام، المحرِّمين ما هم له محرِّمون من الحُروث والأنعام، القائلين: (لَوْ شَاءَ اللَّه مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ)، ولكنه رضي منا ما نحن عليه من الشرك وتحريم ما نحرم: (هل عندكم)، بدعواكم ما تدعون على اللَّه من رضاه بإشراككم في عبادته ما تشركون،

(١) تفسير الطبري (٣/ ٤٠).

وتحريمكم من أموالكم ما تحرمون علمُ يقينٍ من خبر مَنْ يقطع خبره العذر، أو حجة توجب لنا اليقين، من العلم (فتخرجوه لنا)، يقول: فتظهروا ذلك لنا وتبينوه، كما بينا لكم مواضع خطأ قولكم وفعلكم، وتناقض ذلك واستحالته في المعقول والمسموع (إن تتبعون إلا الظن)، يقولُ له: قل لهم: إن تقولون ما تقولون، أيها المشركون، وتعبدون من الأوثان والأصنام ما تعبدون، وتحرمون من الحروث والأنعام ما تحرّمون، إلا ظنًّا وحسبانًا أنه حق، وأنكم على حق، وهو باطلٌ، وأنتم على باطل (وإن أنتم إلا تخرصون)، يقول: (وإن أنتم)، وما أنتم في ذلك كله (إلا تخرصون)، يقول: إلا تتقوّلون الباطل على الله، ظنًّا بغير يقين علم ولا برهان واضح»[1].

وقال البغوي: «والدليل على أن التكذيب ورد فيما قلنا لا في قولهم: (لو شاء الله ما أشركنا)، قوله: (كذلك كذب الذين من قبلهم)، بالتشديد ولو كان ذلك خبراً من الله ﷻ عن كذبهم في قولهم: (لو شاء الله ما أشركنا)، لقال كذب الذين [من قبلهم]بالتخفيف فكان ينسبهم إلى الكذب لا إلى التكذيب، وقال الحسن بن الفضل: لو ذكروا هذه المقالة تعظيماً وإجلالاً لله ﷻ، ومعرفة منهم به لما عابهم بذلك، لأن الله تعالى قال: (ولو شاء الله ما أشركوا) وقال: (ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله)، (الأنعام،١١١)، والمؤمنون يقولون ذلك، ولكنهم قالوه تكذيباً وتخرصاً وجدلاً من غير معرفة بالله وبما يقولون، نظيره قوله عز وجل: (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) [الزخرف،٢٠]، قال الله تعالى: (ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون) [الأنعام، ١١٦].

وقيل في معنى الآية إنهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة إلا أنهم كانوا

(١) تفسير الطبري (٩/ ٢٥٣).

يعدونه عذراً لأنفسهم ويجعلونه حجة لأنفسهم في ترك الإيمان، ورد عليهم في هذا لأن أمر الله بمعزل عن مشيئته وإرادته، فإنه مريد لجميع الكائنات غير آمر بجميع ما يريد، وعلى العبد أن يتبع أمره وليس له أن يتعلق بمشيئته، فإن مشيئته لا تكون عذراً لأحد. (قل هل عندكم من علم)، أي: كتاب وحجة من الله، (فتخرجوه لنا)، حتى يظهر ما تدعون على الله تعالى من الشرك أو تحريم ما حرمتم، (إن تتبعون)، ما تتبعون فيما أنتم عليه، (إلا الظن)، من غير علم ويقين، (وإن أنتم إلا تخرصون)، تكذبون»[1].

وفي الكشاف للزمخشري: «(قل هَل عِندَكم مِن علم) من أمر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم (فتخرجوه لنا) وهذا من التهكم والشهادة بأن مثل قولهم محال أن يكون له حجة (وإن تتبعوا إلا اَلظَن) (في قولكم هذا (وإن أنتم إلا تخرصون) تقدرون أن الأمر كما تزعمون أو تكذبون. وقرئ: (كذلك كذب الذين من قبلهم) بالتخفيف»[2].

وفي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: «ولما كان ما قالوه شبهة بعيدة عن العلم، أعلى درجاتها أن يكون من أنواع الخطابة فتفيد الظن في أعظم مسائل علم الأصول الذي لا يحل الاعتماد فيه إلا على القواطع، أمره أن يقول لهم ما ينبههم على ذلك فقال: (قل) أي لهؤلاء الذين تلقوا ما يلقيه الشيطان إليهم - كما أشير إليه في سورة الحج - تهكماً بهم في بعدهم عن العلم وجدالهم بعد نهوض الحجج (هل عندكم) أيها الجهلة، وأغرق في السؤال فقال: (من علم) أي يصح الاحتجاج به في مثل هذا المقام الضنك (فتخرجوه لنا) أي لي ولأتباعي وإن كان

(١) تفسير البغوي (٣/ ٢٠١).

(٢) تفسير الزمخشري (٢/ ٧٧).

مما يجب أن يكون مكنوناً مضنوناً به على غير أهله مخزوناً، فهو تهكم بهم»[1].

وقال ابن كثير: «(قل هل عندكم من علم) أي بأن الله راض عنكم فيما أنتم فيه (فتخرجوه لنا) أي فتظهروه لنا وتبينوه وتبرزوه»[2].

وفي البحر المحيط: «استفهامٌ على معنى التهكُّم بهم، وهو إنكار، أي ليس عندكم من علمٍ تحتجون به فتظهرونه لنا»[3].

وفي التحرير والتنوير: «وأمَرَ الله رسولَه بالجواب عن مقالهم الواقع أو المتوقّع بقوله: قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا)، ففصل جملة: (قل) لأنَّها جارية مجرى المقاولة والمجاوبة كما تقرّر غير مرّة، وجاء بالاستفهام المقصود منه الإفحَام والتهكّم بما عُرف من تشبّثُهم بمثل هذا الاستدلال.

وجُعل الاستفهام بـ(هَلْ) لأنَّها تدلّ على طلب تحقيق الإسناد المسؤول عنه، لأنّ أصل (هل) أنَّها حرف بمعنى (قد) لاختصاصها بالأفعال، وكثرَ وقوعها بعد همزة الاستفهام، فغلب عليها معنى الاستفهام، فكثر حذف الهمزة معها حتّى تنوسيت الهمزة في مشهور الكلام ولم تظهر معها إلا في النّادر، وقد تقدّم شيء من هذا عند قوله تعالى: (فهل أنتم منتهون) في سورة العقود (٩١).

فدلّت (هل) على أنَّه سائل عن أمر يريد أن يكون محقّقا كأنَّه يرغب في حصوله فيغريهم بإظهاره حتّى إذا عجزوا كان قطعاً لدعواهم.

والمقصود من هذا الاستفهام التهكّم بهم في قولهم: (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا)، فأظهر لهم من القول من يظهره المعجَب بكلامهم.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٧/ ٣١٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٢١).

(٣) البحر المحيط في التفسير (٤/ ٦٨٢).

وقرينة التّهكّم بادية لأنَّه لا يظنّ بالرّسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين أن يطلبوا العلم من المشركين، كيف وهو يصارحهم بالتّجهيل والتّضليل صباحَ مساءَ.

والعِلم: ما قابل الجهل، وإخراجه الإعلام به، شبهت إفادة المعلوم لمن يجهله بإخراج الشّيء المخبوء، وذلك مثل التّشبيه في قول النّبي ﷺ «وعلم بثّه في صدور الرّجال» ولذلك كان للإتيان: بـ (عندكم) موقع حسن، لأنّ (عند) في الأصل تدلّ على المكان المختصّ بالذي أضيف إليه لفظُها، فهي ممّا يناسب الخفاء، ولولا شيوع استعمالها في المعنى المجازي حتّى صارت كالحقيقة لقلْتُ: إنّ ذكر (عند) هنا ترشيح لاستعارة الإخراج للإعلام.

وجعل إخراج العلم مرتَّباً بفاء السَّببيّة على العندية للدّلالة على أنّ السّؤال مقصود به ما يتسبّب عليه.

واللاّم في: (فتخرجوه لنا) للأجْل والاختصاص، فتؤذن بحاجة مجرورها لمتعلّقها، أي فتخرجوه لأجلنا: أي لنفعنا، والمعنى: لقد أبدعتم في هذا العلم الذي أبديتموه في استفادتكم أنّ الله أمركم بالشّرك وتحريم ما حرّمتموه بدلالة مشيئة على ذلك إذ لو شاء لما فعلتم ذلك فزيدونا من هذا العلم.

وهذا الجواب يشبه المنع في اصطلاح أهل الجدل، ولمّا كان هذا الاستفهام صورياً وكان المتكلّم جازماً بانتفاء ما استَفْهَم عنه أعقبه بالجواب بقوله: (إن تتبعون إلا الظن).

وجملة: (إن تتبعون إلا الظن) مستأنفة لأنَّها ابتداء كلام بإضراب عن الكلام الذي قبله، فبعد أن تهكّم بهم جدّ في جوابهم، فقال: (إن تتبعون إلا الظن) أي: لا

علم عندكم»[1].

وفي زهرة التفاسير: «والاستفهام للإنكار والتوبيخ، واستغراق النفي المتضمن له الاستفهام بـ (مِن) يفيد الاستغراق، أي هل عندكم من علم أي علم تزعمونه فتخرجوه لنا ليكون دليلا لكم؟»[2].

القول على الله بلا علم بالله

٤-الأعراف(٢٨)-﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

قال الطبري: «قال أبو جعفر: فتأويل الكلام إذًا: وإذا فعل الذين لا يؤمنون بالله، الذين جعل الله الشياطين لهم أولياء، قبيحًا من الفعل، وهو (الفاحشة)، وذلك تعرِّيهم للطواف بالبيت وتجردهم له، فعُذِلوا على ما أتوا من قبيح فعلهم وعوتبوا عليه، قالوا: وجدنا على مثل ما نفعل آباءنا، فنحن نفعل مثل ما كانوا يفعلون، ونقتدي بهديهم، ونستنّ بسنتهم، والله أمرنا به، فنحن نتبع أمره فيه».

يقول الله جل ذكره لنبيه محمد ﷺ: (قل)، يا محمد، لهم: (إن الله لا يأمر بالفحشاء)، يقول: لا يأمر خلقه بقبائح الأفعال ومساويها (أتقولون)، أيها الناس، (على الله ما لا تعلمون)، يقول: أترورون على الله أنه أمركم بالتعرِّي والتجرد من الثياب واللباس للطواف، (٤٦) وأنتم لا تعلمون أنه أمركم بذلك؟»[3].

وفي الكشاف للزمخشري: «(أتقولون على الله ما لا تعلمون) إنكار لإضافتهم القبيح إليه وشهادة على أن مبنى قولهم على الجهل المفرط»[4].

---

(١) التحرير والتنوير (٨-أ/ ١٥٠).

(٢) زهرة التفاسير (٥/ ٢٧٢٠).

(٣) تفسير الطبري (١٠/ ١٣٩).

(٤) تفسير الزمخشري (٢/ ٩٩).

وفي مفاتيح الغيب: «ثم قال تعالى: (أتقولون على الله ما لا تعلمون) وفيه بحثان:

البحث الأول: المراد منه أن يقال: إنكم تقولون إن الله أمركم بهذه الأفعال المخصوصة فعلمكم بأن الله أمركم بها حصل لأنكم سمعتم كلام الله تعالى ابتداء من غير واسطة، أو عرفتم ذلك بطريق الوحي إلى الأنبياء؟

أما الأول: فمعلوم الفساد بالضرورة.

وأما الثاني: فباطل على قولكم، لأنكم تنكرون نبوة الأنبياء على الإطلاق، لأن هذه المناظرة وقعت مع كفار قريش، وهم كانوا ينكرون أصل النبوة، وإذا كان الأمر كذلك، فلا طريق لهم إلى تحصيل العلم بأحكام الله تعالى، فكان قولهم أن الله أمرنا بها قولا على الله تعالى بما لا يكون معلوماً.

وإنه باطل.

البحث الثاني: نفاة القياس قالوا: الحكم المثبت بالقياس مظنون وغير معلوم، وما لا يكون معلوما لم يجز القول به لقوله تعالى في معرض الذم والسخرية: (أتقولون على الله ما لا تعلمون) وجواب مثبتي القياس عن أمثال هذه الدلالة قد ذكرناه مراراً»[1].

وقال البيضاوي: «(أتقولون على الله ما لا تعلمون) إنكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله تعالى»[2].

وفي البحر المحيط: «وفي الآية إنكارٌ لإضافتهم القبيح إليه وشهادةٌ على أنّ

(١) تفسير الرازي (١٤/ ٢٢٥).

(٢) تفسير البيضاوي (٣/ ١٠).

مبني أمرِهم على الجهل المفرط»[1].

وقال ابن عطية: «وبّخهم على كذبهم ووقفهم على ما لا علم لهم به ولا رواية لهم فيه بل هي دعوى واختلاق»[2].

وقال البقاعي: «(ما لا تعلمون) لأنكم لم تسمعوا ذلك عن الله بلا واسطة، ولا نقل إليكم بطريق صحيح عن نبي من الأنبياء عليهم السلام، وفيه تهديد شديد على الجهل والقول على الله بالظن»[3].

وقال الجاوي: «(أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّه مَا لاَ تَعْلَمُونَ) أي إنكم ما سمعتم كلام الله مشافهة ولا أخذتموه عن الأنبياء لأنكم تنكرون نبوة الأنبياء فكيف تقولون على الله ما لا تعلمون»[4].

وفي ظلال القرآن: «(أتقولون على الله ما لا تعلمون ؟):إن الله لا يأمر بالفحشاء إطلاقاً - والفاحشة:كل ما يفحش أي يتجاوز الحد - والعري من هذه الفاحشة، فالله لا يأمر به.

وكيف يأمر الله بالاعتداء على حدوده ؟ والمخالفة عن أمره بالستر والحياء والتقوى ؟ ومن الذي أعلمهم بأمر الله ذاك ؟ إن أوامر الله وشرائعه ليست بالادعاء.

إن أوامره وشرائعه واردة في كتبه على رسله.

وليس هناك مصدر آخر يعلم منه قول الله وشرعه.

وليس لإنسان أن يزعم عن أمر أنه من شريعة الله، إلا أن يستند إلى كتاب الله

---

(١) البحر المحيط في التفسير (٥/ ٣٤).

(٢) تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) (٢/ ٣٩١).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٧/ ٣٨٤).

(٤) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (١/ ٣٦٧).

وإلى تبليغ رسول الله.

فالعلم المستيقن بكلام الله هو الذي يستند إليه من يقول في دين الله.. وإلا فأي فوضى يمكن أن تكون إذا قدم كل إنسان هواه، وهو يزعم أنه دين الله !!إن الجاهلية هي الجاهلية.

وهي دائماً تحتفظ بخصائصها الأصيلة.

وفي كل مرة يرتد الناس إلى الجاهلية يقولون كلاماً متشابهاً ؛ وتسود فيهم تصورات متشابهة، على تباعد الزمان والمكان.. وفي هذه الجاهلية التي نعيش فيها اليوم لا يفتأ يطلع علينا كاذب مفتر يقول ما يمليه عليه هواه ثم يقول:شريعة الله ! ولا يفتأ يطلع علينا متبجح وقح ينكر أوامر الدين ونواهيه المنصوص عليها، وهو يقول:إن الدين لا يمكن أن يكون كذلك ! إن الدين لا يمكن أن يأمر بهذا ! إن الدين لا يمكن أن ينهى عن ذاك،.. وحجته هي هواه !!!أتقولون على الله ما لا تعلمون ؟ »[1].

وقال ابن عاشور: «أي ما لا تعلمون أنّ الله أمر به، فحُذف المفعول لدلالة ما تقدّم عليه، لأنّهم لم يعلموا أنّ الله أمرهم بذلك إذ لا مستند لهم فيه، وإنّما قالوه عن مجرّد التّوهّم، ولأنّهم لم يعلموا أنّ الله لا يليق بجلاله وكماله أن يأمر بمثل تلك الرّذائل.

وضمن: (تقولون) معنى تكذبون أو معنى تتقَوّلون، فلذلك عُدّي بعَلى، وكان حقّه أن يعدى بعَنْ لو كان قولاً صحيح النّسبة، وإذ كان التّوبيخ وارداً على أن يقولوا على الله ما لا يعلمون كان القول على الله بما يُتحقّق عدمُ وروده من الله أحرى.

---

(١) في ظلال القرآن (٣/ ١٢٨٠).

وبهذا الرد تمحَّض عملهم تلك الفواحش للضّلال والغرور واتّباع وحي الشّياطين إلى أوليائهم أئمّة الكفر، وقادة الشّرك: مثل عَمْرو بن لُحَي، الذي وَضَعَ عبادة الأصنام، ومثل أبي كَبشة، الذي سنّ عبادة الشّعرى من الكواكب، ومثل ظالم بن أسْعد، الذي وضع عبادة العُزى، ومثل القلَمَّسِ، الذي سنّ النَّسيء إلى ما اتّصل بذلك من موضوعات سدنة الأصنام وبيوتِ الشّرك.

واعلم أن ليس في الآية مستند لإبطال التّقليد في الأمور الفرعيّة أو الأصول الدّينيّة لأنّ التّقليد الذي نعاه الله على المشركين هو تقليدهم مَن ليسوا أهلاً لأنّ يقلَّدوا، لأنّهم لا يرتفعون عن رتبة مقلِّديهم، إلاّ بأنّهم أقدم جيلاً، وأنّهم آباؤهم، فإنّ المشركين لم يعتذروا بأنّهم وجدوا عليه الصّالحين وهداة الأمّة، ولا بأنّه ممّا كان عليه إبراهيم وأبناؤه، ولأنّ التّقليد الذي نعاه الله عليهم تقليد في أعمال بديهيّة الفساد، والتّقليد في الفساد يستوي، هو وتسنينه، في الذّم، على أنّ تسنين الفساد أشدّ مذمّة من التّقليد فيه كما أنبأ عنه الحديث الصّحيح: « مَا من نفس تُقتل ظُلماً إلاّ كان على ابنِ آدم الأولِ كِفْل من دمها ذلك لأنّه أوّلُ من سَنّ القتل»[1].

قول على الله بلا علم، وقول بعلم من الله

٥-الأعراف(٣٣)-﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

قال الطبري: «قال أبو جعفر: (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)، يقول: وأن تقولوا إن الله أمركم بالتعرّي والتجرُّد للطواف بالبيت، وحرم عليكم أكل هذه الأنعام التي حرمتموها وسيَّبتموها وجعلتموها وصائل وحوامي، وغير ذلك مما

(١) التحرير والتنوير (٨ / ٨٤).

لا تعلمون أن الله حرّمه، أو أمر به، أو أباحه، فتضيفوا إلى الله تحريمه وحَظْره والأمر به، فإن ذلك هو الذي حرمه الله عليكم دون ما تزعمون أن الله حرمه، أو تقولون إن الله أمركم به، جهلا منكم بحقيقة ما تقولون وتضيفونه إلى الله»[1].

وقال ابن أبي حاتم: «عن ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُلُّ سُلْطَانٍ فِي الْقُرْآنِ حجَّةٌ»[2].

وقال الرازي: «الجنايات محصورة في خمسة أنواع:

أحدها: الجنايات على الأنساب، وهي إنما تحصل بالزنا، وهي المراد بقوله: (إنما حرم ربي الفواحش)

وثانيها: الجنايات على العقول، وهي شرب الخمر، وإليها الإشارة بقوله: (الإثم) .

وثالثها: الجنايات على الأعراض.

ورابعها: الجنايات على النفوس وعلى الأموال، وإليهما الإشارة بقوله: (والبغى بغير الحق)

وخامسها: الجنايات على الأديان وهي من وجهين:

أحدها: الطعن في توحيد الله تعالى، وإليه الإشارة بقوله: (وأن تشركوا بالله)

وثانيها: القول في دين الله من غير معرفة، وإليه الإشارة بقوله: (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) فلما كانت أصول الجنايات هي هذه الأشياء، وكانت البواقي كالفروع والتوابع، لا جرم جعل تعالى ذكرها جارياً مجرى ذكر الكل، فأدخل فيها كلمة (إنما) المفيدة للحصر»[3].

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ١٦٤).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٠).

(٣) تفسير الرازي (١٤/ ٢٣٣).

وقال محمد رشيد رضا: «والْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ - وَهُوَ أَعْظَمُ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ مِنْ أُصُولِ الْمُحَرَّمَاتِ الذَّاتِيَّةِ الَّتِي حَرَّمَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي دِينِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ جَمِيعِ رُسُلِهِ، فَإِنَّهُ أَصْلُ الْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ وَمَنْشَأُ تَحْرِيفِ الْأَدْيَانِ الْمُحَرَّفَةِ، وَشُبْهَةُ الِابْتِدَاعِ فِي الدِّينِ الْحَقِّ، النَّاسِخِ كِتَابُهُ الْمَعْصُومُ لِلْأَدْيَانِ الْمُبَدَّلَةِ، وَالْمُهَيْمِنِ عَلَى الْكُتُبِ الْمُحَرَّفَةِ، الْمُحَرَّرَةِ سُنَّةُ رَسُولِهِ بِالْأَسَانِيدِ الْمُتَّصِلَةِ، وَالْمُحْصَاةِ تَرَاجُمُ رُوَاتِهَا فِي الْكُتُبِ الْمُدَوَّنَةِ، فَمِنَ الْعَجَائِبِ بَعْدَ هَذَا أَنْ يَنْتَشِرَ فِي أَهْلِهِ الِابْتِدَاعُ، وَتَتَعَارَضَ فِيهِ الْمَذَاهِبُ وَتَتَعَادَى الْأَشْيَاعُ، مَعَ نَهْيِ كِتَابِهِ عَنِ التَّفَرُّقِ وَالِاخْتِلَافِ، وَوَعِيدِهِ الْمُتَفَرِّقِينَ بِعَذَابِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ النَّارِ، وَمَعَ بَيَانِهِ لِلْمَخْرَجِ مِنْ فِتْنَةِ التَّنَازُعِ، وَمُعَالَجَتِهِ لِأَدْوَاءِ التَّدَابُرِ وَالتَّقَاطُعِ. وَلَكِنَّهُمْ حَكَّمُوا الْأَهْوَاءَ حَتَّى فِي الْعِلَاجِ وَالدَّوَاءِ، فَاتَّبَعُوا كَمَا أَنْبَأَ الرَّسُولُ ﷺ سُنَنَ مَنْ قَبْلَهُمْ حَتَّى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣]. وَمِنْ غُمَّةِ الْجَهْلِ أَنَّ أَكْثَرَ الْمُسْلِمِينَ لَا يَشْعُرُونَ بِهَذَا، حَتَّى عُلَمَاؤُهُمُ الَّذِينَ يَرْوُونَ حَدِيثَ: «لَتَتْبَعُنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ:(مَنْ؟). رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا. وَفِي رِوَايَةٍ: «شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا ذِرَاعًا». فَهُمْ يَقُولُونَ: صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا يَبْحَثُونَ فِي أَسْبَابِ هَذَا الِابْتِدَاعِ وَلَا يَتَأَمَّلُونَ فِي أَقْوَالِ مَنْ بَحَثَ فِيهَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ. فَقَدْ نَقَلَ الْحَافِظُ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِ الْعِلْمِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْحُفَّاظِ عَنْ بَعْضِ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ: أَنَّ رَأْسَ الْبَلِيَّةِ فِي هَذَا الِابْتِدَاعِ الْقَوْلُ فِي الدِّينِ بِالرَّأْيِ. وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ، فَمَا مِنْ أَحَدٍ يَبْتَدِعُ أَوْ يَتْبَعُ مُبْتَدِعًا فِي أُصُولِ الدِّينِ أَوْ فُرُوعِهِ إِلَّا وَهُوَ يَسْتَدِلُّ عَلَى بِدْعَتِهِ بِالرَّأْيِ، وَقَدْ ظَهَرَتْ مَبَادِئُ هَذِهِ الْبِدَعِ وَالْآرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ فِي الْقُرُونِ الْأُولَى، قُرُونِ الْعِلْمِ وَالسُّنَّةِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا كُلُّهُ بِمَانِعٍ لَهَا إِذْ كَانَ مِنَ الْأَفْرَادِ، لَا

مِنْ مَصْدَرِ الْقُوَّةِ وَالنِّظَامِ - الَّذِي هُوَ مَقَامُ الْخِلَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ - فَكَيْفَ يَكُونُ الْأَمْرُ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَدْ زَالَ الْعِلْمُ أَوْ كَادَ؛ إِذْ لَا عِلْمَ إِلَّا عِلْمُ الِاسْتِقْلَالِ وَالِاجْتِهَادِ، وَقَدْ صَارَ مَحْصُورًا فِي أَفْرَادٍ لَا يَعْرِفُ قَدْرَهُمُ الْعَوَامُّ وَلَا يَتْبَعُهُمُ الْحُكَّامُ، ثُمَّ فَشَا النِّفَاقُ وَالدِّهَانُ. وَصَارَ طَلَبُ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ حِرْفَةً لِلْكَسَالَى وَالرُّذَّالِ، رَوَى ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى يُتْرَكُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: «إِذَا ظَهَرَ فِيكُمْ مَا ظَهَرَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ - إِذَا ظَهَرَ الْإِدْهَانُ فِي خِيَارِكُمْ، وَالْفُحْشُ فِي شِرَارِكُمْ، وَالْمُلْكُ فِي صِغَارِكُمْ، وَالْفِقَهُ فِي رُذَّالِكُمْ» أَوْرَدَهُ الْحَافِظُ وَأَقَرَّهُ، ثُمَّ قَالَ: وَفِي مُصَنَّفِ قَاسِمِ بْنِ أَصْبَغَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عُمَرَ: فَسَادُ الدِّينِ إِذَا جَاءَ الْعِلْمُ مِنْ قِبَلِ الصَّغِيرِ، اسْتَعْصَى عَلَيْهِ الْكَبِيرُ، وَصَلَاحُ النَّاسِ إِذَا جَاءَ الْعِلْمُ مِنْ قِبَلِ الْكَبِيرِ، تَابَعَهُ عَلَيْهِ الصَّغِيرُ (قَالَ) وَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ أَنَّ الْمُرَادَ بِالصِّغَرِ فِي هَذَا صِغَرُ الْقَدْرِ لَا السِّنِّ اهـ. وَصَغِيرُ الْقَدْرِ هُوَ الْمَهِينُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مِنَ الْعَقْلِ وَالْفَضِيلَةِ وَعِزَّةِ النَّفْسِ مَا يُحْتَرَمُ بِهِ وَيُتَّخَذُ قُدْوَةً، كَمَا هُوَ شَأْنُ أَكْثَرِ الْمُسْتَرْزِقَةِ بِطَلَبِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَمِنْهُ يُعْلَمُ أَنَّ الْكَبِيرَ هُوَ الْكَبِيرُ بِعَقْلِهِ وَفَضْلِهِ، لَا بِنَسَبِهِ وَمَالِهِ.

حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَقُولُوا عَلَيْهِ شَيْئًا بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَالرَّأْيُ وَالظَّنُّ لَيْسَ مِنَ الْعِلْمِ قَالَ تَعَالَى فِي غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨]، وَمَا شُرِعَ مِنَ اجْتِهَادِ الرَّأْيِ فِي حَدِيثِ مُعَاذٍ وَغَيْرِهِ فَهُوَ خَاصٌّ بِالْقَضَاءِ لِأَنَّهُ نَصٌّ فِيهِ وَيَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ وَمِثْلُهُ سَائِرُ الْأَحْكَامِ الدُّنْيَوِيَّةِ، مِنْ سِيَاسِيَّةٍ وَإِدَارِيَّةٍ، لَا فِي أُصُولِ دِينِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ وَمَا حُرِّمَ عَلَى عِبَادِهِ تَحْرِيمًا دِينِيًّا، فَإِنَّ اللَّهَ أَكْمَلَ دِينَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ فِيهِ نَقْصًا يُكْمِلُهُ غَيْرُهُ بِظَنِّهِ وَرَأْيِهِ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِهِ، وَلَيْسَ لِحَاكِمٍ وَلَا مُفْتٍ أَنْ يُسْنِدَ رَأْيَهُ الِاجْتِهَادِيَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَيَقُولُ: هَذَا حُكْمُ اللَّهِ وَهَذَا دِينُهُ، بَلْ يَقُولُ: هَذَا مَبْلَغُ اجْتِهَادِي فَإِنْ كَانَ

صَوَابًا فَمِنْ تَوْفِيقِ اللَّه تَعَالَى وَإِلْهَامِهِ وَإِنْ كَانَ خَطَأً فَمِنِّي وَمِنَ الشَّيْطَانِ، كَمَا رُوِيَ عَنْ بَعْضِ أَئِمَّةِ سَلَفِنَا الصَّالِحِينَ.

وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذِهِ الْآيَةَ حَقَّ التَّأَمُّلِ فَإِنَّهُ يَجْتَنِبُ أَنْ يُحَرِّمَ عَلَى عِبَادِ اللَّه شَيْئًا، أَوْ يُوجِبَ عَلَيْهِمْ شَيْئًا فِي دِينِهِمْ بِغَيْرِ نَصٍّ صَرِيحٍ عَنِ اللَّه وَرَسُولِهِ، بَلْ يَجْتَنِبُ أَيْضًا أَنْ يَقُولَ هَذَا مَنْدُوبٌ أَوْ مَكْرُوهٌ فِي الدِّينِ بِغَيْرِ دَلِيلٍ وَاضِحٍ مِنَ النُّصُوصِ، وَمَا أَكْثَرَ الْغَافِلِينَ عَنْ هَذَا الْمُتَجَرِّئِينَ عَلَى التَّشْرِيعِ، وَقَدْ بَيَّنَّا مِرَارًا فِي هَذَا التَّفْسِيرِ أَنَّ هَذَا حَقُّ اللَّه وَحْدَهُ، وَمَنْ تَهَجَّمَ عَلَيْهِ فَقَدْ جَعَلَ نَفْسَهُ شَرِيكًا لَهُ، وَمَنْ تَبِعَهُ فِيهِ فَقَدِ اتَّخَذَهُ رَبًّا لَهُ، وَقَدْ كَانَ عُلَمَاءُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنِ يَتَحَامَوْنَ الْقَوْلَ فِي الدِّينِ بِالرَّأْيِ، وَيَتَدَافَعُونَ الْفَتْوَى حَتَّى فِي مَوْضِعِ الِاجْتِهَادِ وَإِنَّمَا كَانَ أَئِمَّةُ الْأَمْصَارِ يَقْصِدُونَ بِالتَّوَسُّعِ فِي الِاسْتِنْبَاطِ فَتْحَ أَبْوَابِ الْفَهْمِ لَا التَّشْرِيعِ الَّذِي أُلْصِقَ بِهِمْ، حَتَّى إِذَا قَالَ أَحَدُهُمْ أَكْرَهُ كَذَا - مِنْ بَابِ الْوَرَعِ وَالِاحْتِيَاطِ - جَعَلَ أَتْبَاعُهُ مِنْ بَعْدِهِ قَوْلَهُ مِنَ الْكَرَاهَةِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي جَعَلُوا بَعْضَهَا لِلتَّحْرِيمِ، وَفَسَّرُوهَا بِأَنَّهَا خِطَابُ اللَّه الْمُقْتَضِي لِلتَّرْكِ اقْتِضَاءً جَازِمًا وَبَعْضَهَا لِلتَّنْزِيهِ، وَجَعَلُوا الِاقْتِضَاءَ فِيهَا غَيْرَ جَازِمٍ وَعَلَى ذَلِكَ فَقِسْ.

وَلِلْمُحَقِّقِ ابْنِ الْقَيِمِ تَفْصِيلٌ حَسَنٌ لِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَتَفْسِيرٌ لِلْآيَةِ فِي كِتَابِهِ مَدَارِجِ السَّالِكِينَ هَذَا نَصُّهُ: «وَأَمَّا الْقَوْلُ عَلَى اللَّه بِلَا عِلْمٍ فَهُوَ أَشَدُّ هَذِهِ الْمُحَرَّمَاتِ تَحْرِيمًا وَأَعْظَمُهَا إِثْمًا، وَلِهَذَا ذُكِرَ فِي الْمَرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي عَلَيْهَا الشَّرَائِعُ وَالْأَدْيَانُ، وَلَا تُبَاحُ بِحَالٍ، بَلْ لَا تَكُونُ إِلَّا مُحَرَّمَةً، وَلَيْسَتْ كَالْمَيْتَةِ وَالدَّمِ وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ الَّذِي يُبَاحُ فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ، فَإِنَّ الْمُحَرَّمَاتِ نَوْعَانِ: مُحَرَّمٌ لِذَاتِهِ لَا يُبَاحُ بِحَالٍ، وَمَحْرَّمٌ تَحْرِيمُهُ عَارِضٌ فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ».

قَالَ اللَّه تَعَالَى فِي الْمُحَرَّمِ لِذَاتِهِ: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْهُ إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ فَقَالَ: (وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ) ثُمَّ انْتَقَلَ

مِنْهُ إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ فَقَالَ: (وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا) ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْهُ إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ فَقَالَ: (وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) فَهَذَا أَعْظَمُ الْمُحَرَّمَاتِ عِنْدَ اللَّهِ وَأَشَدُّهَا إِثْمًا، فَإِنَّهُ يَتَضَمَّنُ الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ وَنِسْبَتَهُ إِلَى مَا لَا يَلِيقُ بِهِ، وَتَغْيِيرَ دِينِهِ وَتَبْدِيلَهُ، وَنَفْيَ مَا أَثْبَتَهُ وَإِثْبَاتَ مَا نَفَاهُ، وَتَحْقِيقَ مَا أَبْطَلَهُ وَإِبْطَالَ مَا أَحَقَّهُ، وَعَدَاوَةَ مَنْ وَالَاهُ وَمُوَالَاةَ مَنْ عَادَاهُ.

وَحُبَّ مَا أَبْغَضَهُ وَبُغْضَ مَا أَحَبَّهُ.

وَوَصْفَهُ بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَلَيْسَ فِي أَجْنَاسِ الْمُحَرَّمَاتِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْهُ وَلَا أَشَدُّ إِثْمًا، وَهُوَ أَصْلُ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ، وَعَلَيْهِ أُسِّسَتِ الْبِدَعُ وَالضَّلَالَاتُ.

فَكُلُّ بِدْعَةٍ مُضِلَّةٍ فِي الدِّينِ أَسَاسُهَا الْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ.

«وَلِهَذَا اشْتَدَّ نَكِيرُ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ لَهَا، وَصَاحُوا بِأَهْلِهَا مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَحَذَّرُوا فِتْنَتَهُمْ أَشَدَّ التَّحْذِيرِ، وَبَالَغُوا فِي ذَلِكَ مَا لَمْ يُبَالِغُوا فِي مِثْلِهِ فِي إِنْكَارِ الْفَوَاحِشِ وَالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ، إِذْ مَضَرَّةُ الْبِدَعِ وَهَدْمُهَا لِلدِّينِ وَمُنَافَاتُهَا لَهُ أَشَدُّ.

وَقَدْ أَنْكَرَ تَعَالَى عَلَى مَنْ نَسَبَ إِلَى دِينِهِ تَحْلِيلَ شَيْءٍ أَوْ تَحْرِيمَهُ مِنْ عِنْدِهِ بِلَا»[1]. بُرْهَانٍ مِنَ اللَّهِ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦] الْآيَةَ.

قال محمد رشيد رضا: «فَكَيْفَ بِمَنْ نَسَبَ إِلَى أَوْصَافِهِ مَا لَمْ يَصِفْ بِهِ نَفْسَهُ؟ أَوْ نَفَى عَنْهُ مِنْهَا مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ؟ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لِيَحْذَرْ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقُولَ أَحَلَّ اللَّهُ كَذَا وَحَرَّمَ اللَّهُ كَذَا، فَيَقُولُ اللَّهُ: كَذَبْتَ لَمْ أُحِلَّ هَذَا وَلَمْ أُحَرِّمْ هَذَا.

يَعْنِي: التَّحْلِيلَ وَالتَّحْرِيمَ بِالرَّأْيِ الْمُجَرَّدِ بِلَا بُرْهَانٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

---

(١) تفسير المنار (٨/ ٣٥٤).

وَأَصْلُ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ هُوَ الْقَوْلُ عَلَى اللَّه بِلَا عِلْمٍ، فَإِنَّ الْمُشْرِكَ يَزْعُمُ أَنَّ مَنِ اتَّخَذَهُ مَعْبُودًا مِنْ دُونِ اللَّه، يُقَرِّبُهُ إِلَى اللَّه وَيَشْفَعُ لَهُ عِنْدَهُ، وَيَقْضِي حَاجَتَهُ بِوَاسِطَتِهِ، كَمَا تَكُونُ الْوَسَائِطُ عِنْدَ الْمُلُوكِ»[1].

وعند ابن سعدي: «(وأن تقولوا على اللَّه ما لا تعلمون) أي: في أسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه، فكل هذه قد حرمها اللَّه، ونهى العباد عن تعاطيها، لما فيها من المفاسد الخاصة والعامة، ولما فيها من الظلم والتجرّي على اللَّه، والاستطالة على عباد اللَّه، وتغيير دين اللَّه وشرعه»[2].

قول على اللَّه بلا علم، وقول بعلم من اللَّه

٦-يونس(٦٨)-﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾

قال الطبري: «أفلا تعقلون أيها القوم خطأ ما تقولون؟ (إن عندكم من سلطان بهذا)، يقول: ما عندكم أيها القوم، بما تقولون وتدّعون من أن الملائكة بنات اللَّه، من حجة تحتجون بها، وهي السلطان، أتقولون على اللَّه قولا لا تعلمون حقيقته وصحته، وتضيفون إليه ما لا يجوز إضافته إليه، جهلا منكم بما تقولون، بغير حجة ولا برهان؟»[3].

قال الزمخشري: «(أتقولون على اللَّه ما لا تعلمون) لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على أن كل قول لا برهان عليه لقائله فذاك جهل وليس بعلم»[4].

---

(١) المرجع السابق (٨/ ٣٥٦).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٢٨٧).

(٣) تفسير الطبري (١٢/ ٢٢٩).

(٤) تفسير الزمخشري (٢/ ٣٥٨).

وقال البيضاوي: «(أتقولون على الله ما لا تعلمون) توبيخ وتقريع على اختلافهم وجهلهم.وفيه دليل على أن كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وأن العقائد لا بد لها من قاطع وأن التقليد فيها غير سائغ»[1].

وفي البحر المحيط: «(أتقولون) استفهام إنكارٍ وتوبيخ لمن اتبع ما لا يعلم، ويحتج بذلك في إبطال التقليد في أصول الدين، واستدل بها نفاة القياس وأخبار الآحاد. ولما نفى البرهان عنهم جعلهم غير عالمين، فدل على أن كل قول لا برهان عليه لقائله فذلك جهلٌ وليس بعلم»[2].

ولأبي السعود العمادي: «والالتفاتُ إلى الخطاب لمزيد المبالغةِ في الإلزام والإفحام وتأكيدِ ما في قوله تعالى (أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّه مَا لاَ تَعْلَمُونَ) من التوبيخ والتقريع على جهلهم واختلافهم وفيه تنبيه على أن كل مقالةٍ لا دليلَ عليها فهي جهالةٌ وأن العقائدَ لا بد لها من برهان قطعيَ، وأن التقليدَ بمعزل من الاعتداد به»[3].

وقال الشوكاني: «ويستفاد من هذا أن كل قول لا دليل عليه ليس هو من العلم في شيء، بل من الجهل المحض»[4].

وقال رشيد رضا: «(أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّه مَا لَا تَعْلَمُونَ) هَذَا اسْتِفْهَامُ تَبْكِيتٍ وَتَوْبِيخ عَلَى أَقْبَح الْجَهْلِ وَالْكُفْرِ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ عَلَى اللَّه تَعَالَى مَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَلَا سِيَّمَا بَعْدَ مَجِيءِ مَا يَنْقُضُهُ مِنَ الْعِلْمِ الْبُرْهَانِيّ، وَالْوَحْيِ الْإِلَهِيّ»[5].

---

(١) تفسير البيضاوي (٣/ ١١٩).
(٢) البحر المحيط في التفسير (٦/ ٨٥).
(٣) تفسير أبي السعود (٤/ ١٦٣).
(٤) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٢٤).
(٥) تفسير المنار (١١/ ٣٧٣).

وفي ظلال القرآن: «وقول الإنسان ما لا يعلم منقصة لا تليق.

فكيف إذا كان هذا القول بلا علم على الله - سبحانه - ! إنه جريمة إذن أكبر من كل جريمة.

فهو أولاً ينافي ما يستحقه الله من عباده من تنزيه وتعظيم، لأنه وصف له بمقتضيات الحدوث والعجز والنقص والقصور.

تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ولأنه ضلال في تصور العلاقة بين الخالق والمخلوق، ينشأ عنه ضلال في تصور كل علاقات الحياة والناس والمعاملات. فكلها فرع من تصور هذه العلاقة.

وكل ما ابتدعه الكهنة لأنفسهم في الوثنيات من سلطان ؛ وكل ما ابتدعته الكنيسة لها من سلطان، إنما نشأ عن تصور العلاقة بين الله تعالى وبناته الملائكة!

أو بين الله تعالى وعيسى بن مريم من صلة الأبوة والنبوة، وحكاية الخطيئة، ومنها نشأت مسألة الاعتراف، ومسألة قيام كنيسة المسيح بتوصيل الناس بأبي المسيح [بزعمهم].. إلى نهاية السلسلة التي متى بدأت الحلقة الأولى فيها بفساد تصور العلاقة بين الخالق والمخلوق فسدت الحلقات التالية كلها في كل ضروب الحياة.

فليست المسألة مجرد فساد في التصور الاعتقادي، ولكنه مسألة الحياة برمتها»[1].

وفي التحرير والتنوير: «والاتخاذ: جعل شيء لفائدة الجاعل، وهو مشتق من الأخذ لأن المتخذ يأخذ الشيء الذي يصطفيه.

---

(١) في ظلال القرآن (٣/ ١٨٠٦).

فالاتخاذ يصدق على أخذ شيء موجود للاستئثار به، ويصدق على تكوين شيء للانتفاع به.

وهو هنا صالح للمعنيين لأن منهم مَن يعتقد تولد الولد عن الله تعالى، ومنهم مَن يعتقد أن الله تبنَّى بعض مخلوقاته.

والمعنى: لا حجة لكم تصاحب مَقولكم بأن الله اتخذ ولداً.

وجملة: (أتقولون على الله ما لا تعلمون) جواب ثالث ناشئ عن الجوابين لأنهم لما أُبطل قولهم بالحجة.

ونُفي أن تكون لهم على قولهم حجة كانوا أحرياء بالتوبيخ والتشنيع بأنهم يجترئون على جناب الله فيصفون الله بما لا يعلمون، أي بما لا يوقنون به، ولكونها جواباً فصلت.

فالاستفهام مستعمل في التوبيخ، لأن المذكور بعده شيء ذميم، واجتراء عظيم وجهل كبير مركب»[1].

ويقول الشعراوي: «(أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) [يونس: ٦٨] أي: أنكم لا تملكون إعلاماً من الله تعالى بذلك، فلا إعلام عن الله إلا من الله، وليس لأحد أن يُعْلِم عن ربه، فهو سبحانه من يُعْلِم عن نفسه»[2].

العلماء بالله

٧-فاطر(٢٨)-﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾.

(١) التحرير والتنوير (١١/ ٢٢٩).

(٢) تفسير الشعراوي (١٠/ ٦٠٧٨).

قال ابن أبي حاتم «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاؤُا﴾ [فاطر: ٢٨] قَالَ: (الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

عَنْ صَالِحٍ أَبِي الْخَلِيلِ ﷺ فِي قَوْلِهِ:«﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاؤُا﴾، قَالَ: «أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ أَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً».

مِنْ طَرِيقِ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي حَيَّانَ التَّيْمِيّ، عَنْ رَجُلٍ، قَالَ:(كَانَ يُقَالُ: الْعُلَمَاءُ ثَلاثَةٌ: عَالِمٌ بِاللَّهِ، وَعَالِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَعَالِمٌ بِاللَّهِ لَيْسَ بِعَالِمٍ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَعَالِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَيْسَ بِعَالِمٍ بِاللَّهِ، فَالْعَالِمُ بِاللَّهِ وَبِأَمْرِ اللَّهِ: الَّذِي يَخْشَى اللَّهَ وَيَعْلَمُ الْحُدُودَ وَالْفَرَائِضَ، وَالْعَالِمُ بِاللَّهِ لَيْسَ بِعَالِمٍ بِأَمْرِ اللَّهِ: الَّذِي يَخْشَى اللَّهَ وَلا يَعْلَمُ الْحُدُودَ وَلا الْفَرَائِضَ، وَالْعَالِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ لَيْسَ بِعَالِمٍ بِاللَّهِ: الَّذِي يَعْلَمُ الْحُدُودَ وَالْفَرَائِضَ وَلا يَخْشَى اللَّهَ»[1].

وفي الوجيز للواحدي: «من كان عالما باللَّه اشتدت خشيته»[2].

وقال البغوي: «قال ابن عباس: يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني».

عن عائشة ﷺ: «صنع رسول اللَّه ﷺ شيئاً فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب فحمد اللَّه ثم قال: ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه فواللَّه إني لأعلمهم باللَّه وأشدهم له خشية». وقال النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً». وقال مسروق: كفى بخشية اللَّه علماً وكفى بالاغترار باللَّه جهلاً»[3].

وقال الزمخشري «وقوله (كذلك) أي كاختلاف الثمرات والجبال. المراد: العلماء به الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز عليه وما لا يجوز

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٠).
(٢) الوجيز للواحدي (ص: ٨٩٢).
(٣) تفسير البغوي (٦/ ٤١٩).

فعظموه وقدروه حق قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علماً ازداد منه خوفاً ومن كان علمه به أقل كان آمن. وفي الحديث: أعلمكم بالله أشدكم له خشية وعن مسروق: كفى بالمرء علماً أن يخشى وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعلمه»[1].

وفي مفاتيح الغيب: «وهذا دليل على أن العالم أعلى درجة من العابد، لأن الله تعالى قال: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) فبين أن الكرامة بقدر التقوى، والتقوى بقدر العلم.

فالكرامة بقدر العلم لا بقدر العمل، نعم العالم إذا ترك العمل قدح ذلك في علمه، فإن من يراه يقول: لو علم لعمل»[2].

وقال البيضاوي: «إذ شرط الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وأفعاله، فمن كان أعلم به كان أخشى منه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «إني أخشاكم لله وأتقاكم له» ولذلك أتبعه بذكر أفعاله الدالة على كمال قدرته»[3].

وقال النسفي: «العلماء به الذين علموه بصفاته فعظموه ومن ازداد علماً به ازداد منه خوفا ومن كان علمه به أقل كان آمن وفي الحديث: أعلمكم بالله أشدكم له خشية»[4].

وقال ابن كثير: «ولهذا قال تعالى: بعد هذا (إنما يخشى الله من عباده العلماء) أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى كلما كانت

(١) تفسير الزمخشري (٣/ ٦١٠).
(٢) تفسير الرازي (٢٦/ ٢٣٦).
(٣) تفسير البيضاوي (٤/ ٢٥٨).
(٤) تفسير النسفي (٣/ ٨٦).

المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر»[1].

وقال الألوسي: «والمراد بالعلماء العالمون بالله عز وجل وبما يليق به من صفاته الجليلة وأفعاله الحميدة وسائر شؤونه الجميلة لا العارفون بالنحو والصرف مثلاً فمدار الخشية ذلك العلم لا هذه المعرفة فكل من كان أعلم به تعالى كان أخشى. روى الدارمي عن عطاء قال: قال موسى عليه السلام يا رب أي عبادك أحكم؟ قال الذي يحكم للناس كما يحكم لنفسه قال: يا رب أي عبادك أغنى؟ قال: أرضاهم بما قسمت له قال: يا رب أي عبادك أخشى؟ قال: أعلمهم بي. وصح عنه ﷺ أنه قال: « أنا أخشاكم لله وأتقاكم له ».

ولهذه المناسبة فسر ابن عباس كما أخرج عنه ابن المنذر. وابن جرير (العلماء) في الآية بالذين يعلمون أن الله تعالى على كل شيء قدير، وتقديم المفعول لأن المقصود بيان الخاشين والإخبار بأنهم العلماء خاصة دون غيرهم»[2].

وقال السعدي: «فكل من كان بالله أعلم، كان أكثر له خشية، وأوجبت له خشية الله، الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته، كما قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾»[3].

وفي التحرير والتنوير: «والمعنى: كذلك أمر الاختلاف في ظواهر الأشياء المشاهد في اختلاف ألوانها وهو توطئة لما يرد بعده من تفصيل الاستنتاج بقوله: (إنما يخشى الله من عباده) أي إنما يخشى الله من البشر المختلفة ألوانهم العلماء

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٥٤٤).

(٢) تفسير الألوسي (١١/ ٣٦٣).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٦٨٨).

منهم، فجملة (إنما يخشى الله من عباده العلماء) مستأنفة عن جملة (كذلك). وإذا علم ذلك دل بالالتزام على أن غير العلماء لا تتأتّى منهم خشية الله، والقصر المستفاد من (إنما) قصر إضافي، أي لا يخشاه الجهال، وهم أهل الشرك فإن من أخص أوصافهم أنهم أهل الجاهلية، أي عدم العلم؛ فالمؤمنون يومئذٍ هم العلماء، والمشركون جاهلون نفيت عنهم خشية الله . ثم إن العلماء في مراتب الخشية متفاوتون في الدرجات تفاوتاً كثيراً. وتقديم مفعول (يخشى) على فاعله لأن المحصور فيهم خشية الله هم العلماء فوجب تأخيره على سنة تأخير المحصور فيه. والمراد بالعلماء: العلماء بالله وبالشريعة، وعلى حسب مقدار العلم في ذلك تقْوَى الخشية»[1].

وفي الوسيط: «إنما يخاف الله - تعالى - ويخشاه، العالمون بما يليق بذاته وصفاته، من تقديس وطاعة وإخلاص في العبادة، أما الجاهلون بذاته وصفاته - تعالى -، فلا يخشونه ولا يخافون عقابه وكفى بهذه الجملة الكريمة مدحاً للعلماء، حيث قصر - سبحانه - خشيته عليهم»[2].

وفي التفسير الميسر: «إنما يخشى الله ويتقي عقابه بطاعته واجتناب معصيته العلماءُ به سبحانه، وبصفاته، وبشرعه، وقدرته على كل شيء»[3].

لدي علم بالله، وماليس لدي علم به أدعه

٨-غافر(٤٢)-﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾﴾.

وفي مختصر ابن كثير: «(تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم)

(١) التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٠٤) .

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي (١١/ ٣٤٥).

(٣) التفسير الميسر (١/ ٤٣٧).

أي على جهل بلا دليل (وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار) أي هو في عزته وكبريائه يغفر ذنب من تاب إليه»[1].

وفي البحر المحيط: «(ما ليس لي به علم) هي الأوثان، أي لم يتعلق به علمي، إذ ليس لها مدخل في الألوهية ولا لفرعون»[2].

وفي تفسير البيضاوي: «(وأشرك به ما ليس لي به) بربوبيته (علم)، والمراد نفي المعلوم والإشعار بأن الألوهية لا بد لها من برهان فاعتقادها لا يصح إلا عن إيقان»[3].

وعند الطاهر ابن عاشور: «تدعونني للكفر باللَّه وإشراك ما لا أعلم مع اللَّه في الإلٰهية. ومعنى (مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ) ما ليس لي بصحته أو بوجوده علم، والكلام والكلام كناية عن كونه يعلم أنها ليست آلهة بطريق الكناية بنفي اللازم عن نفي الملزوم»[4].

وفي التفسير الميسر: «(تدعونني لأكفر باللَّه، وأشرك به ما ليس لي به علم) أنه يستحق العبادة من دونه»[5].

وعند الطبري: «وأشرك باللَّه في عبادته أوثانا، لست أعلم أنه يصلح لي عبادتها وإشراكها في عبادة اللَّه، لأن اللَّه لم يأذن لي في ذلك بخبر ولا عقل»[6].

وعند الزمخشري: «(ما ليس لي به علم) أي: بربوبيته والمراد بنفي العلم: نفي

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ٢٤٥).
(٢) البحر المحيط في التفسير (٩/ ٢٦٠).
(٣) تفسير البيضاوي (٥/ ٥٨).
(٤) التحرير والتنوير (٢٤/ ١٥٣).
(٥) التفسير الميسر (١/ ٤٧٢).
(٦) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٣٢).

المعلوم كأنه قال: وأشرك به ما ليس بإله وما ليس بإله كيف يصح أن يعلم إلهاً»[1].

وقال الرازي: «(وأشرك به ما ليس لى به علم) المراد بنفي العلم نفي المعلوم، كأنه قال وأشرك به ما ليس بإله وما ليس بإله كيف يعقل جعله شريكا للإله؟»[2].

ليس لديهم مطلق علم

٩-الزخـــــــــــرف(٢٠)-﴿وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۡۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ٢٠﴾.

قال الشنقيطي: «إِشْكَالٌ مَعْرُوفٌ، وَوَجْهُهُ أَنَّ قَوْلَ الْكُفَّارِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّه عَنْهُمْ هُنَا، هُوَ بِالنَّظَرِ إِلَى ظَاهِرِهِ كَلَامٌ صَحِيحٌ ؛ لِأَنَّ اللَّه لَوْ شَاءَ أَنْ لَا يَعْبُدُوهُمْ مَا عَبَدُوهُمْ، كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: (وَلَوْ شَاءَ اللَّه مَا أَشْرَكُوا)، فَاعْلَمْ أَنَّ وَجْهَ الْإِشْكَالِ، أَنَّ اللَّه صَرَّحَ بِكَذِبِهِمْ فِي هَذِهِ الدَّعْوَى الَّتِي ظَاهِرُهَا حَقٌّ، قَالَ: (مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) أَيْ يَكْذِبُونَ.

وَالْجَوَابُ عَنْ هَذَا أَنَّ مُرَادَهُمْ بِهِ أَنَّ اللَّه لَمَّا كَانَ قَادِرًا عَلَى مَنْعِهِمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَهِدَايَتِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ مِنَ الشِّرْكِ - دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ رَاضٍ مِنْهُمْ بِالشِّرْكِ فِي زَعْمِهِمْ.قَالُوا: لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ رَاضِيًا بِهِ لَصَرَفَنَا عَنْهُ، فَتَكْذِيبُ اللَّه لَهُمْ فِي الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ مُنْصَبٌّ عَلَى دَعْوَاهُمْ أَنَّهُ رَاضٍ بِهِ، وَاللَّه - جَلَّ وَعَلَا - يُكَذِّبُ هَذِهِ الدَّعْوَى فِي الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ، وَفِي قَوْلِهِ: (وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ

(١) تفسير الزمخشري (٤/ ١٦٩).

(٢) تفسير الرازي (٢٧/ ٥١٩).

الْكُفْرَ»[1].

قال ابن كثير: «يعني ما يعلمون قدرة الله تبارك وتعالى على ذلك»[2].

وفي التفسير الميسر: «وقال هؤلاء المشركون من قريش: لو شاء الرحمن ما عبدنا أحدًا من دونه، وهذه حجة باطلة، فقد أقام الله الحجة على العباد بإرسال الرسل وإنزال الكتب، فاحتجاجهم بالقضاء والقَدَر مِن أبطل الباطل مِن بعد إنذار الرسل لهم. ما لهم بحقيقة ما يقولون مِن ذلك مِن علم، وإنما يقولونه تخرُّصًا وكذبًا؛ لأنه لا خبر عندهم من الله بذلك ولا برهان»[3].

علم بالله ماورد عنه

١٠-الزخرف(٨٦)-﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

«وأراد بشهادة الحق قول لا إله إلا الله كلمة التوحيد، (وهم يعلمون)، بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم»[4].

وفي التفسير الميسر: «وهم يعلمون حقيقة ما أقروا وشهدوا به»[5].

وفي تفسير الجلالين: «(ولا يملك الذين يدعون) يعبدون أي الكفار (من دونه) أي من دون الله (الشفاعة) لأحد (إلا من شهد بالحق) قال لا إله إلا الله (وهم يعلمون) بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم وهم عيسى وعزير والملائكة فإنهم

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ٩٣).
(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٠٥).
(٣) التفسير الميسر (١/ ٤٩٠).
(٤) تفسير البغوي (٤/ ١٧١).
(٥) التفسير الميسر (١/ ٤٩٥).

يشفعون للمؤمنين»[1].

وقال السعدي: «(إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ) أي: نطق بلسانه، مقرا بقلبه، عالما بما شهد به»[2].

وأما الطبري فقال: «قوله: (إِلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ) قال: كلمة الإخلاص، (وهم يعلمون أن الله حقّ)»[3].

وقال العز بن عبد السلام: «لا تشفع الملائكة إلا لمن شهد أن لا إله إلا الله وهم يعلمون أن الله ربهم»[4].

وفي تفسير الماوردي: «(إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) فيه وجهان:

أحدهما: يعني أن الشهادة بالحق إنما هي لمن شهد في الدنيا بالحق وهم يعلمون أنه الحق فتشفع لهم الملائكة، قاله الحسن.

الثاني: أن الملائكة لا تشفع إلا لمن شهد أن لا إله إلا الله وهم يعلمون أن الله ربهم»[5].

وفي مراح لبيد: «وهم يعلمون أن الله خلقهم وأنهم عباده»[6].

وأما في مفاتيح الغيب: «(وهم يعلمون) وهذا القيد يدل على أن الشهادة باللسان فقط لا تفيد ألبتة، واحتج القائلون بأن إيمان المقلد لا ينفع ألبتة، فقالوا بين الله تعالى أن الشهادة لا تنفع إلا إذا حصل معها العلم والعلم عبارة عن اليقين

---

(١) تفسير الجلالين (ص: ٦٥٦).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٧١).

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٦٦٢).

(٤) تفسير العز بن عبد السلام (٣/ ١٦٤).

(٥) تفسير الماوردي (٥/ ٢٤٢).

(٦) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (٢/ ٣٩٠).

الذي لو شكك صاحبه فيه لم يتشكك، وهذا لم يحصل إلا عند الدليل، فثبت أن إيمان المقلد لا ينفع ألبتة»[1].

علم عام بالله

١١-الجاثية(٢٤)-﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾.

وقالوا عن خلقهم كأنهم هم الخالقون، وقالوا عن حياتهم كأنهم هم الذين نفخوا الروح في أنفسهم حين كانوا في البطون، وهم الذين ينزعونها من الجسد ويتصرفون فيها كما يشاؤون، ونسبوا الفعل إلى ماذا ؟ إلى من ؟

كل ما قالوه ليس واقعاً وليس حقيقة وليس علماً، والشيء المحقق والمثبت والمسند يوصف بالعلم وإلا فهو ظن وتخمين، (وما لهم بذلك من علم): أي وليس لهم أدنى علم على قولهم لا من وحي، ولا من كتاب إلهي، ولا من عقل صحيح.

قال البغوي: «(وما لهم بذلك)، الذي قالوه، (من علم)، أي لم يقولوه عن علم [علموه]، (إن هم إلا يظنون)»[2].

وفي التحرير والتنوير: «أو استئناف بياني كأنّ سائلاً حين سَمع قوله: (وما لهم بذلك من علم) سأل عن مستندهم في قولهم ذلك فأجيب بأنه الظن المبني على التخيل. وجيء بالمضارع في (يظنون) لأنهم يحددون هذا الظن ويتلقاه صغيرهم عن كبيرهم في أجيالهم وما هم بمقلعين عنه»[3].

وقال الطبري: «وما لهؤلاء المشركين القائلين (من علم): يعني من يقين علم،

---

(١) تفسير الرازي (٢٧/ ٦٤٨).

(٢) تفسير البغوي (٧/ ٢٤٥) .

(٣) التحرير والتنوير (٢١/ ٢٦١).

لأنهم يقولون ذلك تخرّصا بغير خبر أتاهم من الله، ولا برهان عندهم بحقيقته»[1].

٢- نفي العلم باللَّه (لايعلمون)

عمن قال أو اقترح على اللَّه

١- الأنعام(٣٧)- ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

العالم بالله لا يسأل ولا يطلب من الله ولا من رسوله مثل هذه الطلبات بل يكتفي بما تفضل الله وتكرم ابتداء.

يذكر الطبري في تفسيره: «لا يعلمون ما عليهم في الآية إن نزلها من البلاء، ولا يدرون ما وجه ترك إنزال ذلك عليك، ولو علموا السبب الذي من أجله لم أنزلها عليك، لم يقولوا ذلك، ولم يسألوكه، ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك»[2].

وفي البحر المحيط يروي: «(ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن الله قادر على أن ينزل تلك الآية، وإن صارفاً من الحكمة صرفه عن إنزاله»[3].

وفي البحر المحيط: «وقال ابن عطية: (لا يعلمون) أنها لو أنزلت ولم يؤمنوا لعوجلوا بالعذاب، ويحتمل لا يعلمون أن الله تعالى إنما جعل المصلحة في آيات معرضة للنظر والتأمل ليهتدي قوم ويضل آخرون انتهى. والذي يظهر (لا يعلمون) نفى عنهم العلم حيث فرقوا بين تعلق القدرة بالآيات التي نزلت وبين تعلقها بالآيات المقترحة وتعلق القدرة بهما سواء لاجتماع المقترح وغير المقترح في الإمكان، فمن فرق بين المتماثلات ولم يقنع بما ورد منها فهو لا شك

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٩٨).

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٢٣٢).

(٣) البحر المحيط في التفسير (٤/ ٤٩٩).

جاهل»[1].

ويقول صاحب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:«أي ليس فيهم قابلية العلم، فهم لا يتفكرون في شيء من ذلك الذي يحدثه من مصنوعاته ليدلهم على أنه على كل شيء قدير، فلا فائدة لهم في إنزال ما طلبوه، وأما غير الأكثر فهو سبحانه يردهم بآية القرآن أو غيرها مما لم يقترحوه»[2].

جعل للَّه شيء وخرق له شيء

٢- الأنعام(١٠٠)-﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَـٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

بالعلم باللَّه لايمكن لهم أن يجعلوا للَّه شركاء ولا أن يخرقوا له بنين وبنات.

ولكن بغير علم به، وبغيرعلم بجزائه وعقوبته جعلوا للَّه شركاء وخرقوا له بنين وبنات.

ينقل **الطبري** في تفسيره «قال أبو جعفر: فافتعلوا له بنين وبنات بغير علم منهم بحقيقة ما يقولون، ولكن جهلا باللَّه وبعظمته»[3].

ويذكر الزمخشري في تفسيره الكشاف: «(بغير علم) من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوه من خطأ أو صواب ولكن رمياً بقول عن عمى وجهالة. من غير فكر وروية»[4].

ورد في زاد المسير قول الزجاج: «ومعنى: (بغير علم) أنهم لم يذكروه من

(١) البحر المحيط في التفسير (٤/ ٥٠٠).
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٧/ ١٠٤).
(٣) تفسير الطبري (٩/ ٤٥٦).
(٤) تفسير الزمخشري (٢/ ٥٣).

علم، إنما ذكروه تكذّبا»[1].

وفي تفسير **ابن عرفة** «قوله تعالى: (بِغَيْرِ عِلْمٍ). قال ابن عرفة: إن قلت: ما أفاد قوله: (بِغَيْرِ عِلْمٍ) مع أن هذا ليس من قبيل المعلوم؛ لأنه محال؟، فالجواب بوجهين:

الأول: أن هذا مما لَا يصح فيه إلا بعلم، وليس هذا من الأمر الذي يتكلم فيه بالظن، والحدس.

الثاني: التنبيه على أن ليس لهم في ذلك شبهة ولا مستند بل هو مجرد افتراءٍ وجهالة»[2].

وفي تفسير **فتح القدير** «قوله: (بغير علم) متعلق بمحذوف هو حال: أي كائنين بغير علم، بل قالوا ذلك عن جهل خالص»[3].

ويذكر في **التحرير والتنوير** عن قوله: «(بغير علم) متعلّق بـ (خرّقوا)، أي اختلقوا اختلاقاً عن جهل وضلالة، لأنّه اختلاق لا يلتئم مع العقل والعِلم فقد رموا بقولهم عن عمى وجهالة.فالمراد بالعلم هنا العلم بمعناه الصّحيح، وهو حُكمُ الذّهنِ المطابقُ للواقع عن ضرورةٍ أو برهانٍ.

والباء للملابسة، أي ملابساً تخريقُهم غيرَ العلم فهو متلبّس بالجهل بدءاً وغاية، فهم قد اختلقوا بلا داع ولا دليل ولم يجدوا لما اختلقوه ترويجاً، وقد لزمهم به لازمُ الخَطل وفسادِ القول وعدمِ التئامه، فهذا موقع باء الملابسة في الآية الّذي لا يفيد مفادَه غيرُه»[4].

---

(١) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٦٢).

(٢) تفسير ابن عرفة (٢/ ١٧٧).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٢/ ١٦٨).

(٤) التحرير والتنوير (٧/ ٤٠٨).

خلو الإنسان من العلم بالله هو سبب سب الله

٣-الأنعام(١٠٨)-﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾.

قال ابن أبي حاتم: «عَنْ قَتَادَةَ، قال: كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسُبُّونَ أَوْثَانَ الْمُشْرِكِينَ، فَيَرُدُّونَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَنَهَاهُمُ اللَّهُ أَنْ يَسْتَسِبُّوا لِرَبِّهِمْ قَوْمًا جَهَلَةً لا عِلْمَ لَهُمْ بِرَبِّهِمْ»[(١)].

وفي التحرير والتنوير: «والسبّ: كلامٌ يدلّ على تحقير أحدٍ أو نسبته إلى نقيصةٍ أو معرّة، بالباطل أو بالحقّ، وهو مرادف الشّتم. وليس من السبّ النسبةُ إلى خطأٍ في الرّأي أو العملِ، ولا النّسبة إلى ضلالٍ في الدّين إن كان صدر من مخالفٍ في الدّين»[(٢)].

وفي ظلال القرآن: «وهم لا يعلمون جلال قدره وعظيم مقامه - فيكون سب المؤمنين لآلهتهم المهينة الحقيرة ذريعةً لسب الله الجليل العظيم»[(٣)].

لايحصل الضلال مع العلم بالله.

بغير العلم بالله يكون الإفتراء والضلال.

٤-الأنعام(١٤٤)-﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

وقال الطبري: «فقل لهم: أخبرًا قلتم: (إن الله حرم هذا عليكم)، أخبركم به

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٦٧).

(٢) التحرير والتنوير (٧/ ٤٢٧).

(٣) في ظلال القرآن (٢/ ١١٦٩).

رسول عن ربكم، أم شهدتم ربكم فرأيتموه فوصَّاكم بهذا الذي تقولون، وتزوّرون على الله ؟

فإن هذا الذي تقولون من إخباركم عن الله أنه حرام بما تزعمون على ما تزعمون، لا يعلم إلا بوحي من عنده مع رسولٍ يرسله إلى خلقه، أو بسماع منه، فبأي هذين الوجهين علمتم أنّ الله حرم ذلك كذلك؟ برسول أرسله إليكم؟ فأنبئوني بعلم إن كنتم صادقين. أم شهدتم ربكم فأوصَاكم بذلك؟ وقال لكم: (حرمت ذلك عليكم)، فسمعتم تحريمه منه، وعهدَه إليكم بذلك؟ فإنه لم يكن واحدٌ من هذين الأمرين. يقول جل ثناؤه: (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبًا)، يقول: فمن أشد ظلمًا لنفسه، وأبعد عن الحق ممن تخرَّص على الله، قيلَ: الكذب، وأضاف إليه: تحريم ما لم يحرّم، وتحليل ما لم يحلل (ليضل الناس بغير علم)، يقول: ليصدّهم عن سبيله»[1].

وفي إرشاد العقل السليم، إلى مزايا الكتاب الكريم: «(لِيُضِلَّ الناس) متعلق بالافتراء (بِغَيْرِ عِلْمٍ) متعلقٌ بمحذوفٍ وقعَ حالاً من فاعل افترى أي افترى عليه تعالى بصدور التحريم منه تعالى وإنما وصفوا بعد العلمِ بذلك مع أنهم عالمون بعدم صدورِه عنه تعالى إيذاناً بخروجهم في الظالم عن الحدود والنهاياتِ، فإن من افترى عليه تعالى بغير علم بصدوره عنه تعالى مع احتمال الصدورِ عنه إذا كان أظلمَ منْ كلّ ظالمٍ فما ظنُّك بمن افترى عليه تعالى، وهو يعلم أنه لم يصدُرْ عنه ويجوزُ أنْ يكونَ حالاً من فاعل يضل أي ملتبساً بغير علم بما يؤدي بهم إليه»[2].

وفي تفسير المنار: «وَالِاسْتِفْهَامُ إِنْكَارِيٌّ وَالْمَعْنَى لَا أَحَدَ أَظْلَمُ مِنْكُمْ لِأَنَّكُمْ

(١) تفسير الطبري (٩/ ٦٣٠).

(٢) تفسير أبي السعود (٣/ ١٩٤).

مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُفْتَرِينَ عَلَى اللَّه بِقَصْدِ الْإِضْلَالِ عَنْ جَهْلٍ عَامٍّ تَامٍّ.

فَالْعِلْمُ الْمَنْفِيُّ يَشْمَلُ مَا يُؤْثَرُ أَوْ يُعْقَلُ وَيُسْتَنْبَطُ كَالنَّظَرِ الْعَقْلِيِّ وَالتَّجَارِبِ الْعَمَلِيَّةِ، وَطُرُقِ دَرْءِ الْمَفَاسِدِ وَالشُّرُورِ وَالْمَضَارِّ وَتَقْدِيرِ الْمَصَالِحِ وَالْمَنَافِعِ وَعَمَلِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ تَنْكِيرُهُ فِي حَيِّزِ النَّفْيِ الْمُسْتَفَادِ مِنْ كَلِمَةِ غَيْرِ، فَإِنْ قِيلَ: مَا حِكْمَةُ نَفْيِ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِلْمِ فِي أَمْرِ التَّشْرِيعِ الدِّينِيِّ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مَصْدَرٌ غَيْرُ وَحْيِ اللَّه وَرُسُلِهِ؟ قُلْنَا: هِيَ تَسْجِيلُ الْجَهْلِ الْعَامِّ الْمُطْلَقِ عَلَيْهِمْ عَامَّةً.

وَسُوءُ النِّيَّةِ عَلَى مُفْتَرِي ذَلِكَ لَهُمْ خَاصَّةً بِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَثَارَةٌ مِنْ عِلْمٍ، وَلَا قَصْدٌ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْهُدَى إِلَى حَقٍّ أَوْ خَيْرٍ، وَتَسْجِيلُ الْغَبَاوَةِ وَعَمَى الْبَصِيرَةِ عَلَى مُتَّبِعِيهِ بِمَحْضِ التَّقْلِيدِ مِنْ غَيْرِ عَقْلٍ وَلَا هُدًى.

وَقَدْ وُجِدَ فِي الْبَشَرِ أُنَاسٌ آخَرُونَ تَفَكَّرُوا وَبَحَثُوا فِي الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ وَمَا يَجِبُ أَنْ يُشْكَرَ اللَّه تَعَالَى بِهِ تَعَبُّدًا مِنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَفِعْلِ الْخَيْرَاتِ الَّتِي يَدُلُّ عَلَيْهَا الْعَقْلُ، وَفِيمَا يَنْبَغِي اجْتِنَابُهُ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ ضَارٍّ بِالْبَدَنِ أَوِ الْعَقْلِ - وَهُمُ الْحُكَمَاءُ - فَأَصَابُوا فِي بَعْضِ مَا هَدَتْهُمْ إِلَيْهِ عُقُولُهُمْ وَتَجَارِبُهُمْ، وَأَخْطَئُوا فِي بَعْضٍ، فَكَانُوا خَيْرَ النَّاسِ لِأَنْفُسِهِمْ وَلِلنَّاسِ فِي فَتَرَاتِ الرُّسُلِ الَّتِي فُقِدَتْ فِيهَا هِدَايَةُ الْوَحْيِ»[1].

هل عندكم من علم بمشيئة اللَّه

لايعلمون

٥-يونس(٨٩)-﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

قال الطبري: «وقوله: (ولا تتبعانّ سبيل الذين لا يعلمون)، يقول: ولا تسلكانّ طريق الذين يجهلون حقيقة وعدي، فتستعجلان قضائي، فإن وعْدي لا خلف له،

(١) تفسير المنار (٨/ ١٢٦).

وإن وعيدي نازلٌ بفرعون وعذابي واقع به وبقومه»[1].

وفي مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي: «وأما قوله: (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) ففيه بحثان:

البحث الأول: المعنى: لا تتبعان سبيل الجاهلين الذين يظنون أنه متى كان الدعاء مجابا كان المقصود حاصلا في الحال، فربما أجاب الله تعالى دعاء إنسان في مطلوبه، إلا أنه إنما يوصله إليه في وقته المقدر، والاستعجال لا يصدر إلا من الجهال، وهذا كما قال لنوح عليه السلام: (إنى أعظك أن تكون من الجاهلين) [هود: ٤٦].

واعلم أن هذا النهي لا يدل على أن ذلك قد صدر من موسى عليه السلام كما أن قوله: (لئن أشركت ليحبطن عملك) [الزمر: ٦٥] لا يدل على صدور الشرك منه.

البحث الثاني: قال الزجاج: قوله: (ولا تتبعان) موضعه جزم»[2].

وعند البيضاوي: «(ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) طريق الجهلة في الاستعجال، أو عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله تعالى»[3]

وفي البحر المحيط: «ثم أُمِرا بالاستقامة، والمعنى: الديمومة عليها وعلى ما أمرتما به من الدعوة إلى الله تعالى، وإلزام حجة الله والذين لا يعلمون فرعون وقومه، قاله ابن عباس. أو الذين يستعجلون القضاء قبل مجيئه، ذكره أبو سليمان»[4].

وفي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: «أكد قوله: (ولا تتبعان) بالاستعجال أو الفترة عن الشكر (سبيل الذين لا يعلمون) ولما أمر بالتأني الذي

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٢٧٣).

(٢) تفسير الرازي (١٧/ ٢٩٤).

(٣) تفسير البيضاوي (٣/ ١٢٢).

(٤) البحر المحيط في التفسير (٦/ ١٠١).

هو نتيجة العلم، عطف على ذلك الإخبار بالاستجابة قوله: (وجاوزنا) »[1].

في ظلال القرآن: «(ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون).. فيخبطوا على غير علم، ويترددوا في الخطط والتدبيرات، ويقلقوا على المصير، ولا يعرفوا إن كانوا يسيرون في الطريق الهادي أم هم ضلوا السبيل»[2].

وقال محمد أبو زهرة: «(وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) فإن مسلكهم ليس فيه استقامة بل هو الاعوجاج والعدول عن الطريق المستقيم»[3].

لايعلمون

٦-يوسف(٦٨)-﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

(لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ) عن سنن أفعالنا وأقدارنا و.. (وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ).

قال مقاتل بن سليمان: «(وَإِنَّهُ) يعني أباهم (لَذُو عِلْمٍ لِما عَلَّمْناهُ) لأن الله - تعالى- علمه أنه لا يصيب بنيه إلا ما قضى الله عليهم (وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)»[4].

وقال ابن أبي حاتم: «عن قَتَادَةُ، قَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عَلِمٍ﴾، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ خَيْرَ الْعِلْمِ مَا نَفَعَ، وَأَنَّ أَفْضَلَ الْهُدَى مَا اتُّبِعَ، وَأَنَّ أَغْوَى الضَّلالَةِ، الضَّلالَةُ بَعْدَ الْهُدَى، وَإِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِالْعِلْمِ مَنْ عَلَّمَهُ ثُمَّ عَمِلَ بِهِ، وَلا يَنْتَفِعُ بِهِ مَنْ عَلَّمَهُ ثُمَّ تَرَكَهُ»[5].

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٩/ ١٨٣).

(٢) في ظلال القرآن (٣/ ١٨١٧).

(٣) زهرة التفاسير (٧/ ٣٦٢٦).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٤٤).

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٦٩).

وفي الوجيز في التفسير للواحدي: «لذو يقين ومعرفة بالله سبحانه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون»[1].

وفي زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي: «وقال ابن الأنباري: سمّي العمل علماً، لأنّ العلم أول أسباب العمل»[2].

وفي مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي: «وأما قوله: (وإنه لذو علم لما علمناه) فقال الواحدي: يحتمل أن تكون (ما) مصدرية والهاء عائدة إلى يعقوب، والتقدير: وإنه لذو علم من أجل تعليمنا إياه.

ويمكن أن تكون (ما) بمعنى الذي والهاء عائدة إليها، والتأويل وإنه لذو علم للشيء الذي علمناه، يعني أنا لما علمناه شيئا حصل له العلم بذلك الشيء. وفي الآية قولان آخران:

الأول: أن المراد بالعلم الحفظ، أي أنه لذو حفظ لما علمناه، ومراقبة له، والثاني:لذو علم لفوائد ما علمناه، وحسن آثاره، وهو إشارة إلى كونه عاملاً بما علمه، ثم قال: (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وفيه وجهان: الأول: ولكن أكثر الناس لا يعلمون مثل ما علم يعقوب.

والثاني: لا يعلمون أن يعقوب بهذه الصفة والعلم، والمراد بأكثر الناس المشركون، فإنهم لا يعلمون بأن الله كيف أرشد أولياءه إلى العلوم التي تنفعهم في الدنيا والآخرة»[3].

وفي تفسير الجلالين: «(ولكن أكثر الناس) وهم الكفار (لا يعلمون) إلهام الله

---

(١) الوجيز للواحدي (ص: ٥٥٣).

(٢) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٤٥٦).

(٣) تفسير الرازي (١٨/ ٤٨٥).

لأصفيائه»[1].

وقال البقاعي: «ولما كان ذلك ربما أوهم أنه لا فائدة في الاحتياط، أشار تعالى إلى رده بمدح يعقوب عليه الصلاة والسلام، حثاً على الاقتداء به في التسبب مع اعتقاده أن الأمر بيد الله فقال: (وإنه) أي يعقوب عليه الصلاة والسلام مع أمره لبنيه بذلك (لذو علم) أي معرفة بالحكمين: حكم التكليف، وحكم التقدير، واطلاع على الكونين عظيم (لما) أي للذي (علمناه) إياه من أصول الدين وفروعه، ويجوز أن يكون المعنى: لذو علم لأجل تعليمنا إياه.

فاقتدوا به في الاحتياط في تعاطي الأسباب، مع اعتقاد أنه لا أثر لها إلا أن أمضاها الواحد القهار، ولما كان قد يظن أن كل أحد يكون كذلك، أي يعلم ما علمه، نفى ذلك سبحانه بقوله: (ولكن أكثر الناس) أي لأجل ما لهم من الاضطراب (لا يعلمون) أي ليسوا بذوي علم لما علمناهم لإعراضهم عنه واستفرغ قواهم في الاهتمام بما وقع التكفل لهم به من أحوال الدنيا، ومغالبة فطرهم القويمة السليمة بردها إلى ما تدعو إليه الحظوظ والشهوات»[2].

وفي التحرير والتنوير: «والمعنى أن الله أمر يعقوب عليه السلام بأخذ أسباب الاحتياط والنصيحة مع علمه بأن ذلك لا يغني عنهم من الله من شيءٍ قدّره لهم، فإن مراد الله تعالى خفيٌّ عن الناس، وقد أمر بسلوك الأسباب المعتادة، وعَلِم يعقوب عليه السلام ذلك، (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) تطلب الأمرين فيهملون أحدهما، فمنهم من يهمل معرفة أن الأسباب الظاهرية لا تدفع أمراً قَدّره الله وَعَلِم أنه واقع، ومنهم من يهمل الأسباب وهو لا يعلم أن الله أراد في بعض

(١) تفسير الجلالين (ص: ٣١٤).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٠/ ١٦٣).

الأحوال عدم تأثيرها»[1].

وقال الشعراوي: «أنه يعرف موقع المُسبِّب وموقع الأسباب، ويعلم أن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله ؛ لأنه سبحانه قد خلق الأسباب رحمةً بعباده: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦٨﴾ [يوسف: ٦٨]. أي: يعزلون الأسباب عن المُسبِّب، وهذا ما يُتعِب الدنيا»[2].

وفي أيسر التفاسير: «هو كما أخبر عز وجل أكثر الناس لا يعلمون عن الله تعالى صفات جلاله وكماله ومحابه ومساخطه وأبواب الوصول إلى مرضاته والحصول على رضاه ومحبته، وما يتقي مما يحرم على العبد من ذلك. هذا ما دلت عليه الآية الأولى»[3].

مالا تعلمون

٧-يوسف(٨٦)-﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾.

قال الطبري: «عن ابن عباس، في قوله: (وأعلم من الله ما لا تعلمون،) يقول: أعلم أن رؤيا يوسف صادقة، وأني سأسجد له»[4].

وفي كشاف الزمخشري: «أي أعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به أنه يأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب»[5].

وقال القرطبي: «قاله ابن عباس: إني أعلم من إحسان الله تعالى إلي ما يوجب

---

(١) التحرير والتنوير (١٣/ ٢٥).

(٢) تفسير الشعراوي (١١/ ٧٠١٩).

(٣) أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٦٣١).

(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٣٠٧).

(٥) تفسير الزمخشري (٢/ ٤٩٩).

حسن ظني به»[1].

وقال البيضاوي: «(وأعلم من الله) من صنعه ورحمته فإنه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجئ إليه، أن من الله بنوع من الإلهام. (ما لا تعلمون) من حياة يوسف. قيل رأى ملك الموت في المنام فسأله عنه فقال هو حي. وقيل علم من رؤيا يوسف أنه لا يموت حتى يخر له إخوته سجداً»[2].

وفي التحرير والتنوير: «أي أنا أعلم علماً من عند الله علّمنيه لا تعلمونه وهو علم النبوءة»[3].

وفي ظلال القرآن: «فهو يعلم من حقيقة ربه ومن شأنه ما لا يعلم هؤلاء المحجوبون عن تلك الحقيقة بذلك الواقع الصغير المنظور !

وهذه قيمة الإيمان بالله، ومعرفته سبحانه هذا اللون من المعرفة. معرفة التجلي والشهود وملابسة قدرته وقدره، وملامسة رحمته ورعايته، وإدراك شأن الألوهية مع العبيد الصالحين.

إن هذه الكلمات: (وأعلم من الله ما لا تعلمون) تجلو هذه الحقيقة بما لا تملك كلماتنا نحن أن تجلوها. وتعرض مذاقا يعرفه من ذاق مثله، فيدرك ماذا تعني هذه الكلمات في نفس العبد الصالح يعقوب..

والقلب الذي ذاق هذا المذاق لا تبلغ الشدائد منه - مهما بلغت - إلا أن يتعمق اللمس والمشاهدة والمذاق»[4].

مَالَاتَعۡلَمُونَ

(١) تفسير القرطبي (٩/ ٢٥١).
(٢) تفسير البيضاوي (٣/ ١٧٤).
(٣) التحرير والتنوير (١٣/ ٤٥).
(٤) في ظلال القرآن (٤/ ٢٠٢٦).

٨-يوسف(٩٦)-﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

قال الطبري: «قال يعقوب لمن كان بحضرته حينئذ من ولده:ألم أقل لكم يا بني إني أعلم من الله أنه سيردّ عليَّ يوسف، ويجمع بيني وبينه، وكنتم لا تعلمون أنتم من ذلك ما كنت أعلمه، لأن رؤيا يوسف كانت صادقة، وكان الله قد قضى أن أخِرَّ أنا وأنتم له سجودًا، فكنت مُوقنًا بقضائه»(١).

وفي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: «(ألم أقل لكم): إني أجد ريحه؛ ثم علل هذا التقرير بقوله مؤكداً لأن قولهم: قول من ينكر: (إني أعلم من الله) أي المختص بصفات الكمال (ما لا تعلمون) لما خصني به تعالى من أنواع المواهب، وهو عام لأخبار يوسف عليه الصلاة والسلام وغيرها، وهو من التحديث بنعمة الله»(٢).

وفي إرشاد العقل السليم، إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي: «فإن مدارَ النهي المذكورِ إنما هو العلمُ الذي أوتي يعقوبُ من جهة الله سبحانه، وعلى هَذا يجوزُ أنْ يكون هذا مقولَ القولِ أي: ألم أقل لكم حين أرسلتكم إلى مصرَ وأمرتُكم بالتحسس ونهيتُكم عن اليأس من رَوْح الله تعالى وأعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف عليه الصلاة والسلام»(٣).

وقال محمد أبو زهرة: «وعندما كان يذكر لهم ما أعلمه الله تعالى، لذا (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) الاستفهام لإنكار الوقوع مع التنبيه الشديد، داخل على النفي ونفي النفي إثبات، والمعنى لقد علمتم أني أعلم من الله

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٣٤٦).
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٠/ ٢١٤).
(٣) تفسير أبي السعود (٤/ ٣٠٦).

ما لَا تعلمونه أنتم. عندئذ أحسوا بجريمتهم الشديدة نحو أبيهم»[1].

وقال الشعراوي: «وكذلك قد يكون يوسف قد علم بالوحي من الله أن إلقاء القميص على وجه أبيه يردُّ إليه بصره، بإذن من الحق ﷻ، فضلاً عن أن الفرح له آثار نفسية تنعكس على الحالة الصحية، وهكذا تجلَّتْ انتصارات الحقِّ والنبوة.

وقال يعقوب عليه السلام: (أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إني أَعْلَمُ مِنَ الله مَا لاَ تَعْلَمُونَ) ولم يَقُلْ ذلك إذلالاً لهم، بل ليعطي الثقة والتوثيق لأخبار كل نبي، وأن الواقع قد أيَّد الكلام الذي قاله لهم: (يابني اذهبوا فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ القوم الكافرون) فإذا جاءكم خبر من معصوم؛ إياكم أن تقفوا بعقولكم فيه؛ لأن العقول تأخذ مُدْركات الأشياء على قَدْرها، وهناك أشياء فوق مُدْركات العقول.

وحين يُحدِّثكم معصوم عمّا فوق مُدْركات عقولكم إياكم أن تُكذِّبوه؛ سواء فهمتم ما حدَّثكم عنه، أو لم تستوعبوا حديثه عَمَّا فوق مُدْركات العقول»[2].

وفي التفسير الميسر: «فلما أن جاء من يُبشِّر يعقوب بأن يوسف حيٌّ، وطرح قميص يوسف على وجهه فعاد يعقوب مبصرًا، وعمَّه السرور فقال لمن عنده: ألـمْ أخبركم أني أعلم من الله ما لا تعلمونه من فضل الله ورحمته وكرمه؟»[3].

وفي أيسر التفاسير: «أعلم من لطف الله وحسن تدبيره ورحمته وإفضاله ما لا تعلمون»[4].

لاتعلمون

---

(١) زهرة التفاسير (٧/ ٣٨٥٩).

(٢) تفسير الشعراوي (١١/ ٧٠٧٢).

(٣) التفسير الميسر (١/ ٢٤٧).

(٤) أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٦٤٥).

٩-النحل(٧٤)-﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

قال الطبري: «فلا تمثلوا لله الأمثال، ولا تشبّهوا له الأشباه، فإنه لا مِثْل له ولا شِبْه. والله أيها الناس يعلم خطأ ما تمثلون وتضربون من الأمثال وصوابه، وغير ذلك من سائر الأشياء، وأنتم لا تعلمون صواب ذلك من خطئه»[١].

وفي الوجيز للواحدي: «(فلا تضربوا لله الأمثال) لا تشبهوه بخلقه وذلك أن ضرب المثل إنما هو تشبيه ذات بذات أو وصف بوصف والله تعالى منزه عن ذلك (إن الله يعلم) ما يكون قبل أن يكون (وأنتم لا تعلمون) قدر عظمته حيث أشركتم به»[٢].

وفي زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي: «وفي قوله: (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) أربعة أقوال: أحدها: يعلم ضرب المثل، وأنتم لا تعلمون ذلك، قاله ابن السائب.والثاني: يعلم أنه ليس له شريك، وأنتم لا تعلمون أنه ليس له شريك، قاله مقاتل. والثالث: يعلم خطأ ما تضربون من الأمثال، وأنتم لا تعلمون صواب ذلك من خطئه. والرابع: يعلم ما كان ويكون، وأنتم لا تعلمون قدر عظَمته حين أشركتم به ونسبتموه إِلى العجز عن بعث خلقه»[٣].

وقال النسفي: «إن الله يعلم أنه لا مثل له من الخلق وأنتم لا تعلمون ذلك (إن الله يعلم) ما يكون قبل أن يكون(وأنتم لا تعلمون) قدر عظمته حيث أشركتم به»[٤].

وفي البحر المحيط: «وقال ابن عباس: معناه لا تشبهوه بخلقه انتهى. وقال:

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٤/ ٣٠٥).
(٢) الوجيز للواحدي (ص: ٦١٣).
(٣) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٥٧٣).
(٤) تفسير النسفي (٢/ ٢٢٤).

إن الله يعلم أثبت العلم لنفسه، والمعنى: إنه يعلم ما تفعلون من عبادة غيره والإشراك به، وعبر عن الجزاء بالعلم: وأنتم لا تعلمون كنه ما أقدمتم عليه، ولا وبال عاقبته»[1].

وقال ابن كثير: «ولهذا قال تعالى (فلا تضربوا لله الأمثال) أي لا تجعلوا له أندادًا وأشباهًا وأمثالاً (إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون) أي إنه يعلم ويشهد أنه لا إله إلا هو وأنتم بجهلكم تشركون به غيره»[2].

وفي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: «وهذا النهي عام في كل مثل لخطر الأمر خشية أن يكون ذلك المثل غير لائق بمقداره، وقد تقرر أن درء المفاسد أولى من جلب المصالح، لا سيما في هذا لأن الخطأ فيه كفر، ويدل على ذلك تعليل الحكم بقوله تعالى: (إن الله) أي الذي له الأمر كله ولا أمر لغيره (يعلم)أي له جميع صفة العلم، فإذا ضرب مثلاً أتقنه بإحاطة علمه بحيث لا يقدر غيره أن يبدي فرقاً ما بين الممثل والممثل به في الأمر الممثل له (وأنتم لا تعلمون) أي ليس لكم علم أصلاً، فلذلك تعمون عن الشمس وتلبّس عليكم ما ليس فيه لبس، وهذا المقام عال ومسلكه وعر، وسالكه على غاية من الخطر»[3].

وفي ظلال القرآن: «إنه ليس لله مثال، حتى تضربوا له الأمثال»[4].

وفي التحرير والتنوير: «(وأنتم لا تعلمون) استدعاء لإعمال النّظر الصحيح ليصلوا إلى العلم البريء من الأوهام»[5].

---

(١) البحر المحيط في التفسير (٦/ ٥٦٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٨٨).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١١/ ٢١٤).

(٤) في ظلال القرآن (٤/ ٢١٨٣).

(٥) التحرير والتنوير (١٤/ ٢٢٣).

وفي زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة: «وأنتم لَا تعلمون مغبة زعمكم وإشراككم، وهو العذاب الأليم»[1].

وفي المنتخب لعلماء الأزهر: «وحيث ثبت لكم عدم نفع غير الله لكم، فلا تذكروا لله تعالى أشباهاً، وتبرروا عبادتها بأقيسة فاسدة، وتشبيهات غير صحيحة تعبدونها معه. إن الله يعلم فساد ما تعملون، وسيجازيكم عليه، وأنتم في غفلة لا تعلمون سوء مصيركم»[2].

لايعلمون

١٠-النحل(٧٥)-﴿۞ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾.

قال الطبري: «وقوله (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ) يقول: ما الأمر كما تفعلون، ولا القول كما تقولون، ما للأوثان عندهم من يد ولا معروف فتُحْمد عليه، إنما الحمد لله، ولكن أكثر هؤلاء الكفرة الذين يعبدونها لا يعلمون أن ذلك كذلك، فهم بجهلهم بما يأتون ويَذَرون يجعلونها لله شركاء في العبادة والحمد»[3].

وفي الوجيز للواحدي: «(بل أكثرهم لا يعلمون) يقول: هؤلاء المشركون لا يعلمون أن الحمد لي لأن جميع النعم مني»[4].

وفي معالم التنزيل للبغوي: «يقول ليس الأمر كما تقولون،ما للأوثان عندهم من يد ولا معروف فتحمد عليه، إنما الحمد الكامل لله ﷻ، لأنه المنعم والخالق والرازق، ولكن أكثر الكفار لا يعلمون.

---

(١) زهرة التفاسير (٨/ ٤٢٢٢).

(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٣٩٧).

(٣) تفسير الطبري (١٤/ ٣٠٩).

(٤) الوجيز للواحدي (ص: ٦١٣).

وفي مراح لبيد: «إن كل الحمد لله وحده فيسندون نعمه تعالى إلى غيره ويعبدونه لأجلها، وبعض الكفار يعلمون ذلك وإنما لا يعلمون سبب الحمد عناداً كقوله تعالى: (يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون)»[1].

وقال السعدي: «فلو علموا حقيقة العلم لم يتجرؤوا على الشرك العظيم»[2].

وفي التحرير والتنوير: «وأسند نفي العلم إلى أكثرهم لأن منهم من يعلم الحقّ ويكابر استبقاء للسيادة واستجلاباً لطاعة دهمائهم، فهذا ذَمّ لأكثرهم بالصراحة وهو ذمّ لأقلّهم بوصمة المكابرة والعناد بطريق التعريض»[3].

وقال الشعراوي: «قوله: (أكثرهم لا يعلمون) يدل على أن الأقلية تعلم، وهذا ما يُسمُّونه «صيانة الاحتمال» ؛ لأنه لما نزلَ القرآن الكريم كان هناك جماعة من الكفار ومن أهل الكتاب يُفكّرون في الإيمان واعتناق هذا الدين، فلو نفى القرآن العلم عن الجميع فسوف يُصدَم هؤلاء،وربما صرفهم عَمّا يُفكِّرون فيه من أمر الإيمان، فالقرآن يصون الاحتمال في أن أُنَاساً منهم عندهم عِلْم، ويرغبون في الإيمان »[4].

مالهم به من علم

١١-الكهف(٥)-﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝﴾.

قال الطبري: «ما لقائلي هذا القول، يعني قولهم (اتَّخَذَ اللَّه وَلَدًا)(بِهِ): يعني بالله من علم، والهاء في قوله (بِهِ) من ذكر الله، وإنما معنى الكلام: ما لهؤلاء

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (١/ ٦٠١).
(٢) تفسير السعدي (ص: ٤٤٥).
(٣) التحرير والتنوير (١٤/ ٢٢٦).
(٤) تفسير الشعراوي (١٣/ ٨٠٩٩).

القائلين هذا القول بالله إنه لا يجوز أن يكون له ولد من علم، فلجهلهم بالله وعظمته قالوا ذلك، وقوله (ولا لآبائِهِمْ) يقول: ولا لأسلافهم الذين مضوا قبلهم على مثل الذي هم عليه اليوم، كان لهم بالله وبعظمته علم»[1].

وفي البحر المحيط: «قيل: والمعنى (ما لهم) بالله (من علم) فينزهوه عما لا يجوز عليه، ويحتمل أن يعود على القول المفهوم من (قالوا) أي (ما لهم). بقولهم هذا (من علم) فالجملة في موضع الحال أي (قالوا) جاهلين من غير فكر ولا روية ولا نظر في ما يجوز ويمتنع. وقيل: يعود على الاتخاذ المفهوم من (اتخذه) أي (ما لهم) بحكمة الاتخاذ من علم إذ لا يتخذه إلاّ من هو عاجز مقهور يحتاج إلى معين يشد به عضده. وهذا مستحيل على الله»[2].

وقال الألوسي «وقال الطبري: هو عائد على الله تعالى على معنى ليس لهم علم بما يجوز عليه تعالى وما يمتنع (وَلاَ لآبَائِهِمْ) الذين قالوا مثل ذلك ناسبين التبني إليه عز وجل، والتعرض لنفي العلم عنهم لأنهم قدوة هؤلاء»[3].

ولايحيطون به علما

١٣-طه(١١٠)-﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا ١١٠﴾.

كأني أرى معنى كثير من الآيات يتجسد بعدة وجوه، كل واحد من المفسرين يرى ويعبرعن المعنى بوجه من الوجوه، والله أعلم.

قال مقاتل بن سليمان: «(يَعْلَمُ) اللَّه ﷻ (مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ) يقول ما كان قبل أن يخلق الملائكة، وما كان بعد خلقهم، (وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً)»[4].

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ١٤٧).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٧/ ١٣٧).

(٣) تفسير الألوسي (٨/ ١٩٥).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٢).

وقال الطبري: «ولا يحيط خلقه به علما. ومعنى الكلام: أنه محيط بعباده علما، ولا يحيط عباده به علماً»[1].

وفي كشاف الزمخشري: «أي يعلم ما تقدمهم من الأحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون بمعلوماته علماً»[2].

وفي مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي: «ذكروا في قوله: (ولا يحيطون به علما) وجهين: **الأول**: أنه تعالى بين أنه يعلم ما بين أيدي العباد وما خلفهم.

ثم قال: (ولا يحيطون به علماً) أي العباد لا يحيطون بما بين أيديهم وما خلفهم علماً.

الثاني: المراد لا يحيطون بالله علماً، والأول أولى لوجهين: **أحدهما**: أن الضمير يجب عوده إلى أقرب المذكورات والأقرب ههنا قوله: (ما بين أيديهم وما خلفهم).

وثانيهما: أنه تعالى أورد ذلك مورد الزجر ليعلم أن سائر ما يقدمون عليه وما يستحقون به المجازاة معلوم لله تعالى»[3].

وقال القرطبي: «الهاء في (به) لله تعالى ؛ أي أحد لا يحيط به علما ؛ إذ الإحاطة مشعرة بالحد ويتعالى الله عن التحديد. وقيل: تعود على العلم ؛ أي أحد لا يحيط علما بما يعلمه الله»[4].

وعند البيضاوي: «ولا يحيط علمهم بمعلوماته، وقيل بذاته»[5].

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ١٧١).
(٢) تفسير الزمخشري (٣/ ٨٩).
(٣) تفسير الرازي (٢٢/ ١٠٢).
(٤) تفسير القرطبي (١١/ ٢٤٨).
(٥) تفسير البيضاوي (٤/ ٣٩).

وفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي: «ولا يحيطون به علما أي بما أحاط به علم الله فيرجع الضمير إلى أو يرجع الضمير إلى الله لأنه تعالى ليس بمحاط»[1].

وفي البحر المحيط: «والضمير في (به) عائد على (ما) أي (ولا يحيطون) بمعلوماته (علماً) والظاهر عموم»[2].

وفي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: «(ولا يحيطون به علماً) ليحترزوا عما يقدره عليهم، و (علماً) تمييز منقول من الفاعل،أي ولا يحيط علمهم به»[3].

وعند الشوكاني: «(يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي ما بين أيديهم من أمر الساعة، وما خلفهم من أمر الدنيا، والمراد هنا جميع الخلق، وقيل المراد بهم الذين يتبعون الداعي، وقال ابن جرير: الضمير يرجع إلى الملائكة، أعلم الله من يعبدها أنها لا تعلم ما بين أيديها وما خلفها (ولا يحيطون به علماً) أي بالله سبحانه، لا تحيط علومهم بذاته، ولا بصفاته، ولا بمعلوماته، وقيل الضمير راجع إلى ما في الموضعين فإنهم لا يعلمون جميع ذلك»[4].

وفي التحرير والتنوير: «وجملة (ولاَ يُحِيطُونَ بهِ عِلْماً) تذييل للتعليم بعظمة علم الله تعالى وضآلة علم البشر، نظير ما وقع في آية الكرسي»[5].

لايعلمون

---

(١) تفسير النسفي (٢/ ٣٨٤).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٧/ ٣٨٥).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٢/ ٣٤٨).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٥٧).

(٥) التحرير والتنوير (١٦/ ٣١١).

١٣-الأنبياء(٢٤)-﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾ .

من أسماء الله الحق، ومن أسماء القرآن الحق ولاإله إلا الله حق.

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يعلمون أن الله ليس من دونه آلهة.

بل أكثرهم يمتنعون عن العلم بذلك وعن العلم بالله كلما أمروا بالعلم يجددون امتناع بواقعهم أو بانصرافهم أو بانشغالهم.

قال مقاتل بن سليمان: «(بَلْ أَكْثَرُهُمْ) يعني كفار مكة (لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ) يعني التوحيد (فَهُمْ مُعْرِضُونَ)»[١].

وفي كشاف الزمخشري: «كرر (أم اتخذوا من دونه ءالهة) استفظاعاً لشأنهم واستعظاماً لكفرهم أي: وصفتم الله تعالى بأن له شريكاً فهاتوا برهانكم على ذلك: إما من جهة العقل وإما من جهة الوحي فإنكم لا تجدون كتاباً من كتب الأولين إلا وتوحيد الله وتنزيهه عن الأنداد مدعو إليه والإشراك به منهي عنه متوعد عليه»[٢].

وفي البحر المحيط: «وقال ابن عطية ثم حكم عليهم تعالى بأن (أكثرهم لا يعلمون الحق) لإعراضهم عنه وليس المعنى (فهم معرضون) لأنهم لا يعلمون بل المعنى (فهم معرضون) ولذلك (لا يعلمون الحق) »[٣].

وقال أبو السعود العمادي: «(بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ الحق) إضرابٌ من جهتِه تعالى غيرُ داخلٍ في الكلامِ الملقنِ وانتقالٌ من الأمر بتبكيتهم بمطالبة البرهانِ إلى بيان أنه لا ينجح فيهم المحاجة بإظهار حقية الحقِّ وبُطلانِ الباطل فإن أكثرهم لا

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٥).

(٢) تفسير الزمخشري (٣/ ١١١).

(٣) البحر المحيط في التفسير (٧/ ٤٢٢).

يفهمون الحقَّ ولا يميزون بينه وبين الباطل (فَهُمُ) لأجل ذلك (مُعْرِضُونَ) أي مستمرون على الإعراض عن التوحيد واتباعِ الرسول لا يرعوون عمَّا هُم عليهِ من الغي والضلال وإن كُرّرت عليهم البينات والحجج أو معرضون عما ألقي عليهم من البراهين العقلية والنقلية»[1].

وقال الشوكاني: «وجملة (فهم معرضون) تعليل لما قبله من كون أكثرهم لا يعلمون: أي فهم لأجل هذا الجهل المستولي على أكثرهم معرضون عن قبول الحق مستمرون على الإعراض»[2].

وقال السعدي: «(بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ) أي: وإنما أقاموا على ما هم عليه، تقليدا لأسلافهم يجادلون بغير علم ولا هدى، وليس عدم علمهم بالحق لخفائه وغموضه، وإنما ذلك، لإعراضهم عنه، وإلا فلو التفتوا إليه أدنى التفات، لتبين لهم الحق من الباطل تبينا واضحاً جلياً»[3].

وفي التحرير والتنوير: «والمعية في قوله تعالى (مَن معي) معيَّة المتابعة، أي مَن معي من المسلمين، فما صْدق (مَن) الموصولة الأمم، أي هذا ذكر الأمة التي هي معي، أي الذكر المنزل لأجلكم، (وذكر من قبلي) فمعناه ذكر الأمم الذين هم قبلي (بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون)، أي لا تَرجُ منهم اعترافاً ببطلان شركهم من دليل العقل المتقدم ولا من دليل شهادة الشرائع المذكور ثانياً، فإن أكثرهم لا يعلمون الحق ولا يكتسبون عِلمه. والمراد بكونهم لا يعلمون الحق أنهم لا يتطلبون علمه كما دلت عليه قرينة التفريع عليه بقوله تعالى (فهم معرضون)، أي معرضون عن النظر في الأدلة التي تدعوهم أنت إلى

---

(١) تفسير أبي السعود (٦/ ٦٣).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٧٦).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٥٢١).

معرفتها والنظر فيها. وإنما أسند هذا الحكم إلى أكثرهم لا لجميعهم تسجيلاً عليهم بأن قليلاً منهم يعلمون الحق ويجحدونه، أو إيماء إلى أن قليلاً منهم تهيّأت نفوسهم لقبول الحقّ»[1].

وقال الشعراوي: «لأنكم لستم أهلَ علم في شيء، ولا يعني هذا عدمَ وجود العلم، إنما العلم موجود، ولكنكم مُعرِضون عن سماعه، كأن للحق سمات يعلم بها، فَمنْ أقبل على معرفة الحق وجده، أما مَنْ أعرض عن المعرفة، فمن أين له أنْ يعرف؟ إذن: فالحق موجود ولو التمسوه لوجدوه وعرفوه، وأمسكوا بالدليل عليه»[2].

بغير علم بالله يجادل بعض الناس

١٤-الحج(٣)-﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣﴾.

قال الطبري: «عن ابن جُرَيج (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) قال: النضر بن الحارث يعني من يخاصم في اللَّه، فيزعم أن اللَّه غير قادر على إحياء من قد بلي وصار ترابا، بغير علم يعلمه، بل بجهل منه بما يقول.(وَيَتَّبِعُ) في قيله ذلك وجداله في اللَّه بغير علم (كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ) »[3].

وفي الكشاف للزمخشري: «وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على اللَّه وما لا يجوز من الصفات والأفعال ولا يرجع إلى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل (ويتبع) في ذلك خطوات (كل شيطان) عات علم من حاله وظهر وتبين أنه من جعله ولياً له لم تثمر له ولايته إلا الإضلال عن

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ٤٧).
(٢) تفسير الشعراوي (١٥/ ٩٥١١).
(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٤٥٩).

طريق الجنة والهداية إلى النار.

وما أرى رؤساء أهل الأهواء والبدع والحشوية المتلقبين بالإمامة في دين الله إلا داخلين تحت كل هذا دخولاً أولياً بل هم أشد الشياطين إضلالاً وأقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال تدويناً ولقنوه أشياعهم تلقيناً وكأنهم ساطوه بلحومهم ودمائهم»[1].

وفي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: «(ومن الناس) أي المذبذبين المضطربين (من) لا يسعى في إعلاء نفسه وتهذيبها فيكذب فيوبق بسوء أعماله، لأنه (يجادل في الله) أي في قدرة الملك الأعظم على ذلك اليوم وفي غير ذلك من شؤونه بعد أن جاءه العلم بها اجتراء على سلطانه العظيم (بغير علم) بل بالباطل الذي هو جهل صرف، فيترك اتباع الهداة النصحاء (ويتبع) بغاية جهده في جداله (كل شيطان) أي محترق بالشر مبعد باللعن.

ولما كان السياق لذم متبعه، أشار إلى أنه لا قصد له في اتباعه إلا الشر، لأنه لا لبس في أمره بصيغة المبالغة فقال: (مريد) أي متجرد للفساد لا شغل له غيره، فهو في غاية الضراوة عليه»[2].

وفي ظلال القرآن: «والجدال في الله، سواء في وجوده تعالى، أو في وحدانيته، أو في قدرته، أو في علمه، أو في صفة ما من صفاته.. الجدال في شيء من هذا في ظل ذلك الهول الذي ينتظر الناس جميعا، والذي لا نجاة منه إلا بتقوى الله وبرضاه.. ذلك الجدال يبدو عجيبا من ذي عقل وقلب، لا يتقي شر ذلك الهول المزلزل المجتاح. وياليته كان جدالا عن علم ومعرفة ويقين.

---

(١) تفسير الزمخشري (٣/ ١٤٣).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٧).

ولكنه جدال (بغير علم)جدال التطاول المجرد من الدليل. جدال الضلال الناشئ من اتباع الشيطان. فهذا الصنف من الناس يجادل في الله بالهوى: (ويتبع كل شيطان مريد)عات مخالف للحق متبجح»[1].

وفي التحرير والتنوير: «الناس فريقان: فريق يمتثل الأمر فيتقي الله ويخشى عذابه، وفريق يعرض عن ذلك ويعارضه بالجدل الباطِل في شأن الله تعالى من وحدانيته وصفاته ورسالته.

وهذا الفريق هم أيمة الشرك وزعماء الكفر لأنهم الذين يتصدّون للمجادلة بما لهم من أغاليط وسفسطة وما لهم من فصاحة وتمويه.

والاقتصارُ على ذكرهم إيماء إلى أنهم لولا تضليلهم قومَهم وصدهم إياهم عن متابعة الدين لاتّبع عامة المشركين الإسلام لظهور حجته وقبولها في الفطرة.

وقيل: أريد بـ(من يجادل في الله) النضر بن الحارث أو غيره كما سيأتي، فتكون (مَن) الموصولة صادقة على متعدد عامة لكل مَن تصدق عليه الصلة.

والمجادلة: المخاصمة والمحاجّة.

والظرفية مجازية، أي يجادل جدلاً واقعاً في شأن الله.

ووصف الجدل بأنه بغير علم، أي جدلاً ملتبساً بمغايرة العلم، وغير العلم هو الجهل، أي جدلاً ناشئاً عن سوء نظر وسوء تفكير فلا يعلم ما تقتضيه الألوهية من الصفات كالوحدانية والعلم وفعل ما يشاء.

واتباع الشيطان: الانقياد إلى وسوسته التي يجدها في نفسه والتي تلقاها بمعتاده والعمل بذلك دون تردد ولا عَرض على نظر واستدلال.

---

(١) في ظلال القرآن (٤/ ٢٤٠٨).

وكلمة (كل) في قوله (كل شيطان) مستعملة في معنى الكثرة»[1].

وقال الشعراوي: «(وَمِنَ الناس مَن يُجَادِلُ فِي اللَّه..) [الحج: ٣] فكيف يكون الجدل في اللَّه تعالى؟ يكون الجدل في اللَّه وجوداً، كالملحد الذي لا يعترف بوجود إله،أو يكون الجدل في الوحدانية، كمن يشرك باللَّه إلهاً آخر، أو يكون الجدل في إعلام اللَّه بشيء غيبي، كأمر الساعة الذي ينكره البعض ولا يُصدِّقون به، هذا كله جدل في اللَّه»[2].

وفي الوسيط: «و (مِنَ) في قوله (وَمِنَ الناس) للتبعيض. وقوله (يُجَادِلُ) من الجدال بمعنى المفاوضة على سبيل المنازعة والمخاصمة والمغالبة، مأخوذ من جدلت الحبل. أي: أحكمت فتله، كأن المتجادلين يحاول كل واحد منهما أن يقوي رأيه، ويضعف رأي صاحبه.

والمراد بالمجادلة في اللَّه: المجادلة في ذاته وصفاته وتشريعاته.

وقوله: (بِغَيْرِ عِلْمٍ) حال من الفاعل في يجادل. وهي حال موضحة لما تشعر به المجادلة هنا من الجهل والعناد.

أي: ومن الناس قوم استولى عليهم الجهل والعناد، لأنهم يجادلون وينازعون في ذات اللَّه وصفاته، وفي وحيه وفي أحكامه بغير مستند من علم عقلى أو نقلى، وبغير دليل أو ما يشبه الدليل»[3].

وفي أيسر التفاسير: «(ومن الناس من يجادل في اللَّه بغير علم) بجلال اللَّه وكماله ولشرائعه وأحكامه وسننه في خلقه من هداية الآيات: حرمة الكلام في

---

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ١٩٢).

(٢) تفسير الشعراوي (١٦/ ٩٦٩٣).

(٣) التفسير الوسيط لطنطاوي (٩/ ٢٧٥).

ذات اللَّه وصفاته بغير علم من وحي إلهي أو كلام نبوي صحيح»[1].

بغير علم بالله يجادل بعض الناس

١٥-الحج(٨)-﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨﴾.

قال البقاعي: «(بغير علم) أتاه عن اللَّه على لسان أحد من أصفيائه أعم من أن يكون كتاباً أو غيره (ولا هدى) أرشده إليه من عقله أعم من كونه بضرورة أو استدلال (ولا كتاب منير) صح لديه أنه من عند اللَّه، ومن المعلوم أنه بانتفاء هذه الثلاثة لا يكون جداله إلا بالباطل»[2].

وقال أبو السعود العمادي: «وقيل هُو من يتصدَّى لإضلالِ النَّاسِ وإغوائِهم كائناً مَنْ كان.

كما أنَّ الأولَ من يُقلدهم على أنَّ الشَّيطانَ عبارةٌ عن المضلِّ المُغوي على الإطلاقِ (بِغَيْرِ عِلْمٍ) متعلقٌ بمحذوفٍ وقعَ حالاً من ضمير يجادلُ أي كائناً بغيرِ علم»[3].

وقال الشوكاني: «ومن الناس فريق يجادل في اللَّه، فيدخل في ذلك كل مجادل في ذات اللَّه، أو صفاته أو شرائعه الواضحة، و(بغير علم) في محل نصب على الحال: أي كائناً بغير علم. قيل والمراد بالعلم هو العلم الضروري، وبالهدى هو العلم النظري الاستدلالي. والأولى حمل العمل على العموم، وحمل الهدى على معناه اللغوي، وهو الإرشاد»[4].

وفي ظلال القرآن: «ومع هذه الدلائل المتضافرة فهناك من يجادل في اللَّه .

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٤٥١).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ١٥).

(٣) تفسير أبي السعود (٦/ ٩٦).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٥١٩).

والجدال في الله بعد تلك الدلائل يبدو غريبا مستنكرا. فكيف إذا كان جدالا بغير علم. لا يستند إلى دليل، ولا يقوم على معرفة، ولا يستمد من كتاب ينير القلب والعقل، ويوضح الحق، ويهدي إلى اليقين»[1].

وفي التحرير والتنوير: «والمعنى: إن كنتم في ريب من وقوع البعث فإنا نزيل ريبكم بهذه الأدلة الساطعة، فالناسُ بعد ذلك فريقان: فريق يوقن بهذه الدلالة فلا يبقى في ريب، وفريق من الناس يجادل في الله بغير علم وهؤلاء هم أيّمة الشرك وزعماء الباطل»[2].

وفي أضواء البيان: «قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: الْآيَةُ الْأُولَى الَّتِي هِيَ (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ)، نَازِلَةٌ فِي الْأَتْبَاعِ الْجَهَلَةِ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، اتِّبَاعًا لِرُؤَسَائِهِمْ، مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَهَذِهِ الْآيَةُ الْأَخِيرَةُ فِي الرُّؤَسَاءِ الدُّعَاةِ إِلَى الضَّلَالِ الْمَتْبُوعِينَ فِي ذَلِكَ، وَيَدُلُّ لِهَذَا أَنَّهُ قَالَ فِي الْأُولَى: (وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ)، وَقَالَ فِي هَذِهِ: (ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)، فَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ أَنَّهُ مُضِلٌّ لِغَيْرِهِ، مَتْبُوعٌ فِي الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، عَلَى قِرَاءَةِ الْجُمْهُورِ بِضَمِّ يَاءِ (يُضِلُّ)» وَأَمَّا عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ كَثِيرٍ، وَأَبِي عَمْرٍو بِفَتْحِ الْيَاءِ، فَلَيْسَ فِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ،

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي قَوْلِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: بِغَيْرِ عِلْمٍ ؛ أَيْ: بِدُونِ عِلْمٍ ضَرُورِيٍّ، حَاصِلٍ لَهُمْ بِمَا يُجَادِلُونَ بِهِ وَلَا هُدًى؛ أَيْ اسْتِدْلَالٍ وَنَظَرٍ عَقْلِيٍّ، يَهْتَدِي بِهِ الْعَقْلُ لِلصَّوَابِ وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ؛ أَيْ: وَحْيِ نَيِّرٍ وَاضِحٍ، يَعْلَمُ بِهِ مَا يُجَادِلُ بِهِ، فَلَيْسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ ضَرُورِيٌّ وَلَا عِلْمٌ مُكْتَسَبٌ بِالنَّظَرِ الصَّحِيحِ الْعَقْلِيِّ، وَلَا عِلْمٌ مِنْ

(١) في ظلال القرآن (٤/ ٢٤١١).

(٢) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٠٦).

وَحْيٍ، فَهُوَ جَاهِلٌ مَحْضٌ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ»[1].

وقال محمد أبو زهرة: «المجادلة في الله تعالى هي المجادلة في ذاته وصفاته وقدرته وعلمه ووحدانيته، وكل مجادلة حول شركاء له مجادلة في ذات الله، وقوله تعالى: (بِغَيْرِ عِلْمٍ)، أي بغير علم يثبت بالضرورة، منكرًا كل أمر تهدي إليه الفطرة، ومتجاهلا الحقائق الثابتة بأن يتجاهل أن الأوثان لَا تضر ولا تنفع، ومنكر البدهيات، فمعنى (بِغَيْرِ عِلْمٍ) بجهالة»[2].

وقال الجزائري: «(يجادل في الله): أي في شأن الله تعالى فينسب إلى الله تعالى ما هو منه براء كالشريك والولد والعجز عن إحياء الموتى، وهذا المجادل هو أبو جهل.

(بغير علم): أي بدون علم من الله ورسوله.

(ولا كتاب منير): أي ولا كتاب من كتب الله ذي نور يكشف الحقائق ويقرر الحق ويبطل الباطل»[3].

لايعلمون في الدنيا ويوم القيامة يعلمون

١٦-النور(٢٥)-﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾.

قال الطبري: «ويعلمون يومئذ أن الله هو الحق الذي يبين لهم حقائق ما كان يعدهم في الدنيا من العذاب، ويزول حينئذٍ الشكُّ فيه عن أهل النفاق، الذين كانوا فيما كان يعدهم في الدنيا يمترون»[4].

ولابن أبي حاتم الرازي « وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ الدِّينُ فَهُوَ

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/ ٢٨٠).
(٢) زهرة التفاسير (٩/ ٤٩٤٩).
(٣) أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٤٥٦).
(٤) تفسير الطبري (١٧/ ٢٣٢).

الْحِسَابُ)، وَرُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ مِثْلُ ذَلِكَ»[1].

وقال القرطبي: «(وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ) اسمان من أسمائه سبحانه. وقد ذكرناهما في غير موضع، وخاصة في الكتاب الأسنى»[2].

وقال البيضاوي: «(ويعلمون) لمعاينتهم الأمر. (أن اللَّه هو الحق المبين) الثابت بذاته الظاهر ألوهيته لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه، أو ذو الحق البين أي العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شأنه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة»[3].

وقال ابن كثير: «(ويعلمون أن اللَّه هو الحق المبين) أي وعده ووعيده وحسابه هو العدل الذي لا جور فيه»[4].

وقال البقاعي: «(ويعلمون) أي إذ ذاك، لانقطاع الأسباب، ورفع كل حجاب (أن اللَّه) أي الذي له العظمة المطلقة، فلا كفوء له (هو) أي وحده (الحق) أي الثابت أمره فلا أمر لأحد سواه، (المبين) الذي لا أوضح من شأنه في ألوهيته وعلمه وقدرته وتفرده بجميع صفات الكمال، وتنزهه عن جميع سمات النقص، فيندمون على ما فعلوا في الدنيا مما يقدح في المراقبة وتجري عليه الغفلة»[5].

ولأبي السعود العمادي: «(ويعملون) عند معاينتِهم الأهوالَ والخُطوبَ حسبما نطقَ به القرآنُ الكريم (أَنَّ اللَّهَ هُوَ الحق) الثَّابتُ الذي يحقُّ أن يثبت لا محالة في ذاته وصفاته وأفعاله التي من جملتها كلماتها التامات المنبئة عن الشئون التي

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٦٠).
(٢) تفسير القرطبي (١٢/ ٢١١).
(٣) تفسير البيضاوي (٤/ ١٠٣).
(٤) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٤).
(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٢٤٢).

يشاهدونها منطبقة عليها (المبين) المظهرُ للأشياءِ كما هي في أنفسِها أو الظَّاهرُ أنَّه هو الحقُّ وتفسيرُه بظهورِ ألوهيَّتِه تعالى وعدمِ مشاركةِ الغير له فيها وعدمِ قُدرة ما سواه على الثَّوابِ والعقابِ ليس له كثيرُ مناسبةٍ للمقام»[1].

وقال الألوسي: «(وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّه هُوَ الحق المبين) والمبين إما من أبان اللازم أي الظاهر حقيقته على تقدير جعله نعتاً للحق أو الظاهر ألوهيته عز وجل على تقدير جعله خبراً ثانياً أو من أبان المتعدي أي المظهر للأشياء كما هي في أنفسها، وجملة (يَعْلَمُونَ) معطوفة على جملة (يُوَفّيهِمُ اللَّه) فإن كانت مقيدة بما قيدت به الأولى فالمعنى يوم إذ تشهد عليهم أعضاؤهم المذكورة بأعمالهم القبيحة يعلمون أن اللَّه ... إلخ، وإن لم تكن مقيدة بذلك جاز أن يكون المعنى ويعلمون عند معاينتهم الأهوال والخطوب أن اللَّه إلخ، والظاهر أن للشهادة على الأول وللمعاينة على الثاني دخلاً في حصول العلم بمضمون ما في حيز (يَعْلَمُونَ)، وقيل: إن علم الخلق بصفاته تعالى يوم القيامة ضروري، ولعل فائدة هذا العلم يأسهم من إنقاذ أحد إياهم مما هم فيه أو انسداد باب الاعتراض المروح للقلب في الجملة عليهم أو تبين خطئهم في رميهم حرم رسول اللَّه ﷺ بالباطل، وهذه الجملة ظاهرة جداً في أن الآية في ابن أبي وأضرابه من المنافقين الرامين حرم الرسول ﷺ لأن المؤمن عالم أن اللَّه تعالى هو الحق المبين منذ كان في الدنيا لا أنه يحدث له علم ذلك يوم القيامة.

ومن ذهب إلى أنها في الرامين من المؤمنين أو فيهم وفي غيرهم من المنافقين قال: يحتمل أن يكون المراد من العلم بذلك التفات الذهن وتوجهه إليه ولا يأبى ذلك كونه حاصلاً قبل»[2].

---

(١) تفسير أبي السعود (٦/ ١٦٧).

(٢) تفسير الألوسي (٩/ ٣٢٥).

وقال السعدي: «ويعلمون في ذلك الموقف العظيم، أن الله هو الحق المبين، فيعلمون انحصار الحق المبين في الله تعالى.

فأوصافه العظيمة حق، وأفعاله هي الحق، وعبادته هي الحق، ولقاؤه حق، ووعده ووعيده، وحكمه الديني والجزائي حق، ورسله حق، فلا ثم حق إلا في الله وما من الله»[1].

وفي التحرير والتنوير: «(ويعلمون أن الله هو الحق المبين) فيما كذبهم فيه من حديث الإفك وقد كانوا من قبل مبطنين الشرك مع الله فجاعلين الحق ثابتاً لأصنامهم، فالقصر حيئنذ إضافي، أي يعلمون أن الله وحده دون أصنامهم»[2].

المنتخب لعلماء الأزهر «وهنا يعلمون علم اليقين أُلوهية الله وأحكام شريعته، وصدق وعده ووعيده، لأن كل ذلك واضح دون خفاء»[3].

وفي الوسيط: «(ويعلمون) علمًا لا مجال معه للشك أو الريب عندما يشاهدون العذاب (أن الله) - تعالى - هو الإله (الحق) في ذاته وصفاته وأفعاله، وأنه - عز وجل - هو (المبين) أي: المظهر لما أبطنته النفوس، وخبأته الضمائر، والقادر على مجازاة الذين أساءوا بما عملوا، وعلى مجازاة الذين أحسنوا بالحسنى»[4].

أكثرهم لايعلمون

١٧-النمل(٦١)-﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾.

(١) تفسير السعدي (ص: ٥٦٥).
(٢) التحرير والتنوير (١٨/ ١٩٤).
(٣) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٥٢١).
(٤) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٠/ ١٠٤).

قال الطبري: «(أَإِلَهٌ مَعَ اللَّه) سواه فعل هذه الأشياء فأشركتموه في عبادتكم إياه؟ وقوله: (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره: بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قدر عظمة اللَّه، وما عليهم من الضرّ في إشراكهم في عبادة اللَّه غيره، وما لهم من النفع في إفرادهم اللَّه بالألوهة، وإخلاصهم له العبادة، وبراءتهم من كلّ معبود سواه»[1].

وقال القرطبي: «والمبين لما تضمنه من السُّنَّة وأحكام الفرقان (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يعلمون) يعني كأنهم يجهلون اللَّه فلا يعلمون ما يجب له من الوحدانية»[2].

وقال البقاعي «ولما كان من المعلوم أنه اللَّه وحده. ليس عند عاقل شك في ذلك، كرر الإنكار في قوله: (أإله مع اللَّه) أي المحيط علماً وقدرة. ولما كان الجواب الحق قطعاً: لا، وكان قد أثبت لهم في الإضراب الأول علماً من حيث الحكم على المجموع، وكان كل منهم يدعي رجحان العقل، وصفاء الفكر، ورسوخ القدم في العلم بما يدعيه العرب، قال: (بل أكثرهم) أي الخلق الذين ينتفعون بهذه المنافع (لا يعلمون) أي ليس لهم نوع من العلم، بل هم كالبهائم لإعراضهم عن هذا الدليل الواضح»[3].

وفي مراح لبيد « (أَءِلٰهٌ مَّعَ ٱللَّه) في إبداع هذه البدائع؟ (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) كمال قدرته تعالى وحكمته، واستغنائه عن الشريك»[4].

وقال السعدي: «(بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) فيشركون باللَّه تقليدا لرؤسائهم وإلا

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ١٠٢).

(٢) تفسير القرطبي (١٣/ ٢٢٢).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٤/ ١٩٠).

(٤) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (٢/ ١٨٠).

فلو علموا حق العلم لم يشركوا به شيئا»[1].

وفي التحرير والتنوير: «(أَإِلَـٰهٌ مّعَ اللَّه بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) ثم ذيّل بالاستفهام الإنكاري وبالاستدراك بجملة مماثلة لما ذُيّل به الاستدلال الذي قبلها على طريقة التكرير تعديداً للإنكار وتمهيداً للتوبيخ بقوله (بل أكثرهم لا يعلمون) وأوثر هنا نفي صفة العلم عن أكثر المشركين لقلة من ينظر في دقائق هذه المصنوعات وخصائصها منهم فإن اعتياد مشاهدتها من أول نشأة الناظر يذهله عما فيها من دلائل بديع الصنع. فأكثر المشركين يجهل ذلك ولا يهتدي بما فيه، أما المؤمنون فقد نبههم القرآن إلى ذلك فهم يقرأون آياته المتكرر فيها الاستدلال والنظر. وهذه الدلائل لا تخلو عن نعمة من ورائها كما علمته آنفاً ولكنها سيقت هنا لإرادة الاستدلال لا للامتنان»[2].

وقال محمد أبو زهرة «أم: للإضراب الانتقالي، ودالة على الاستفهام المتضمن معنى المعادلة والموازنة، بين الله تعالى خالق الكون وما فيه ومن فيه، وأوثانهم التي يعبدونها.

وإن الإضراب الانتقالي مؤداه أنه انتقال من لوم وتوبيخ إلى لون آخر فيه أشد تأنيبا، وأبعد استنكارا هل يستوي خالق هذا، ومبدع الأرض ذلك الإبداع مع أوثان لَا تضر ولا تنفع، ولذا قال تعالى نافيا عنها الألوهية (أَإِلَـٰهٌ مَعَ اللَّه) الاستفهام إنكاري لإنكار الوقوع، والمعنى لَا إله مع الله، بل هم قوم لَا يعلمون، ومن للإضراب الانتقالي وهم لَا يعلمون، أي لَا علم لهم، ويتجدد جهلهم بتجدد أفعالهم، ولذلك كان التعبير بالمضارع الدال على التصوير، وتجدد الفعل بتجدد

(١) تفسير السعدي (ص: ٦٠٨).

(٢) التحرير والتنوير (٢٠/ ١٣).

أفعالهم وإنكارهم»[1].

ماليس لك به علم

١٨-العنكبوت(٨)-﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

قال الطبري: «إن جاهداك والداك لتشرك بي ما ليس لك به علم أنه ليس لي شريك، فلا تطعهما فتشرك بي ما ليس لك به علم ابتغاء مرضاتهما، ولكن خالفهما في ذلك»[2].

وقال الماوردي: «(لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) وفيه وجهان:

أحدهما: ما ليس لك به حجة لأن الحجة طريق العلم.

الثاني: أن تجعل لي شريكاً لأنه ليس لأحد بذلك من علم»[3].

وفي الكشاف للزمخشري: «وقلنا إن جاهداك أيها الإنسان (ما ليس لك به علم) أي لا علم لك بإلهيته. والمراد بنفي العلم: نفي المعلوم كأنه قال: لتشرك بي شيئاً لا يصح أن يكون إلهاً ولا يستقم»[4].

وفي مفاتيح الغيب: «(ما ليس لك به علم) يعني التقليد في الإيمان ليس بجيد فضلا عن التقليد في الكفر، فإذا امتنع الإنسان من التقليد فيه ولا يطيع بغير العلم لا يطيعهما أصلا، لأن العلم بصحة قولهما محال الحصول، فإذا لم يشرك تقليدا ويستحيل الشرك مع العلم، فالشرك لا يحصل منه قط»[5].

---

(١) زهرة التفاسير (١٠/ ٥٤٧١).

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٣٦٣).

(٣) تفسير الماوردي (٤/ ٢٧٧).

(٤) تفسير الزمخشري (٣/ ٤٤٢).

(٥) تفسير الرازي (٢٥/ ٣٢).

وقال العز بن عبد السلام: «(لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) حجة، أو لا يعلم أحد أن الله تعالى شريكاً»[1].

وقال البيضاوي: «(وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم) بإلهيته عبر عن نفيها بنفي العلم بها إشعاراً بأن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وإن لم يعلم بطلانه فضلاً عما علم بطلانه»[2].

وقال النسفي: «وإن جاهداك أيها الإنسان لتشرك بي ما ليس لك به علم أي لا علم بإلهيته»[3].

وقال في فتح القدير «أي طلبا منك وألزماك أن تشرك بي إلهاً ليس لك به علم بكونه إلهاً فلا تطعهما.

وعبر بنفي العلم عن نفي الإله لأن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه، فكيف بما علم بطلانه؟»[4].

وفي مراح لبيد: «(مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) إشارة إلى أن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه، وإن لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه؟»[5].

وقال السعدي: « وليس لأحد علم بصحة الشرك باللَّه، والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال لتشرك بي شيئا لا يصح أن يكون إله»[6].

---

(١) تفسير العز بن عبد السلام (٢/ ٥٠٦).
(٢) تفسير البيضاوي (٤/ ١٨٩).
(٣) تفسير النسفي (٢/ ٦٦٦).
(٤) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٢٢٣).
(٥) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (٢/ ٢١١).
(٦) تفسير السعدي (ص: ٦٢٧).

وفي التحرير والتنوير: «والمراد بالعلم في قوله: (ما ليس لك به علم) العلم الحق المستند إلى دليل العقل أو الشرع، أي أن تشرك بي أشياء لا تجد في نفسك دليلاً على استحقاقها العبادة كقوله تعالى ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٦] أي علم بإمكان حصوله. وفي «الكشاف»: أن نفي العلم كناية عن نفي المعلوم، كأنه قال: أن تشرك بي شيئاً لا يصح أن يكون إلهاً، أي لا يصح أن يكون معلوماً يعني أنه من باب قولهم: هذا ليس بشيء»[(١)].

وفي الوسيط: «(مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) بيان للواقع، فهذا القيد لا مفهوم له، لأنه ليس هناك من إله في هذا الكون، سوى الله عز وجل»[(٢)].

عقوبة الذين لايعلمون

١٩-الروم(٥٩)-﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

قال الطبري: «كذلك يختم الله على قلوب الذين لا يعلمون حقيقة ما تأتيهم به يا محمد من عند الله من هذه العِبر والعظات، والآيات البيّنات، فلا يفقهون عن الله حُجة، ولا يفهمون عنه ما يتلو عليهم من آي كتابه، فهم لذلك في طغيانهم يتردّدون»[(٣)].

وفي وجيز للواحدي «(كذلك) كما طبع الله على قلوبهم حتى لم يفهموا (يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) أدلة التوحيد»[(٤)].

وقال البغوي: «لا يعلمون توحيد الله»[(٥)].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٠/ ٢١٤).

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي (١١/ ١٦).

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٥٢٩).

(٤) الوجيز للواحدي (ص: ٨٤٦).

(٥) تفسير البغوي (٦/ ٢٧٩).

وقال القرطبي: «أي كما طبع الله على قلوبهم حتى لا يفهموا الآيات عن الله فكذلك (يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) أدلة التوحيد»[1].

وفي فتح القدير: «أي مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الفاقدين للعلم النافع الذي يهتدون به إلى الحق وينجون به من الباطل»[2].

وفي روح المعاني للألوسي «(على قُلُوبِ الذين لاَ يَعْلَمُونَ) أي لا يطلبون العلم ولا يتحرون الحق بل يصرون على خرافات اعتقدوها وترهات ابتدعوها، فإن الجهل المركب يمنع إدراك الحق ويوجب تكذيب المحق»[3].

وفي التحرير والتنوير «(كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) والطبع على القلب: تصييره غير قابل لفهم الأمور الدينية وهو الختم، (والذين لا يعلمون) مراد بهم الذين كفروا أنفسهم، فعدل عن الإضمار لزيادة وصفهم بانتفاء العلم عنهم»[4].

وفي المنتخب لعلماء الأزهر «ومثل ذلك يكون الطبع على قلوب هؤلاء الذين لا يعلمون التوحيد من الجاهلين»[5].

وفي الوسيط «ثم يعقب - سبحانه - على هذا التطاول والغرور بقوله: (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ على قُلُوبِ الذين لاَ يَعْلَمُونَ). والطبع: الختم على الشيء حتى لا يخرج منه ما هو بداخله. ولا يدخل فيه ما هو خارج عنه.

أي: مثل هذا الطبع العجيب، يطبع اللَّه - تعالى على قلوب هؤلاء الذين لا

---

(١) تفسير القرطبي (١٤/ ٤٩).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٢٦٨).

(٣) تفسير الألوسي (١١/ ٦١).

(٤) التحرير والتنوير (٢١/ ١٣٤) .

(٥) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٦١٠).

يعلمون، ولا يعملون على إزالة جهلهم، لتوهمهم أنهم ليسوا بجهلاء، وهذا أسوأ أنواع الجهل، لأنه جهل مركب، إذ صاحبه يجهل أنه جاهل»[1].

وفي صفوة التفاسير: «(كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّه على قُلُوبِ الذين لاَ يَعْلَمُونَ) أي مثل ذلك الطبع على قلوب الجهلة المجرمين، يختم اللَّه على قلوب الكفرة الذين لا يعلمون توحيد اللَّه ولا صفاته»[2].

وفي أيسر التفاسير «(لا يعلمون) أي ما أنزل اللَّه على رسوله وما أوحاه إليه من الآيات البينات.

أي كذلك الطبع على قلوب الكافرين الذين لو جئتهم بكل آية لم يؤمنوا عليها لما ران على قلوبهم وما ختم به عليها، يطبع على قلوب الذين لا يعلمون، إذ ظلمة الجهل كظلمة الشرك والكفر تحجب القلوب عن الفهم والإدراك فلا يحصل إيمان ولا استجابة لدعوة الحق»[3].

ماليس لك به علم

٢٠-لقمان(١٥)-﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥﴾.

قال الطبري: «وإن جاهداك أيها الإنسان، والداك على أن تشرك بي في عبادتك إياي معي غيري، مما لا تعلم أنه لي شريك، ولا شريك له- تعالى ذكره علوّا كبيرا- فلا تطعهما فيما أراداك عليه من الشرك بي»[4].

وقال الماوردي: «(مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) معناه أنك لا تعلم أن لي شريكاً. (فَلا

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (١١/ ١٠٢).
(٢) صفوة التفاسير (٢/ ٤٤٥).
(٣) أيسر التفاسير للجزائري (٤/ ١٩٤).
(٤) تفسير الطبري (١٨/ ٥٥٣).

تُطِعْهُمَا) يعني في الشرك»[1].

وقال البيضاوي: «(ما ليس لك به علم) باستحقاقه الإشراك تقليداً لهما، وقيل أراد بنفي العلم به نفيه أقول أراد نفي الشريك بنفي العلم به أي العلم بالشريك فلا تطعهما في ذلك»[2].

وقال النسفي: «(على أن تشرك بي ما ليس لك به علم) أراد بنفي العلم به (الشريك) نفيه (نفي الشريك) أي لا تشرك بي ماليس بشيء يريد الأصنام»[3].

وفي روح المعاني للألوسي: «(على أَن تُشْرِكَ بي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ) أي باستحقاقه الإشراك أو بشركته له تعالى في استحقاق العبادة، وجعله الطيبي على ذلك من باب نفي الشيء بنفي لازمه وذلك أن العلم تابع للمعلوم فإذا كان الشيء معدوماً لم يتعلق به موجوداً»[4].

وفي «الكشاف» للزمخشري أراد أنه بولغ في نفي الشريك حتى جعل كالاشيء ثم بولغ فيه حتى ما لا يصح أن يتعلق به علم[5].

وفي ظلال القرآن: «فمهما بذل الوالدان من جهد ومن جهاد ومن مغالبة ومن اقناع ليغرياه بأن يشرك بالله ما يجهل ألوهيته - وكل ما عدا الله لا ألوهية له فتعلم!- فهو مأمور من الله صاحب الحق الأول في الطاعة بعدم الطاعة لهما»[6].

---

(١) تفسير الماوردي (٤/ ٣٣٧)

(٢) تفسير البيضاوي (٤/ ٢١٤).

(٣) تفسير النسفي (٣/ ٤٩٤).

(٤) تفسير الألوسي (١١/ ٨٦).

(٥) تفسير الزمخشري (١١/ ٨٦).

(٦) في ظلال القرآن (٥/ ٢٧٨٩).

وفي المنتخب لعلماء الأزهر: «على أن تشرك بالله ما لا تعلم أنه يستحق»[1].

وفي الوسيط: «وجملة (مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) لبيان الواقع، فلا مفهوم لها، إذ ليس هناك من إله يعلم سوى الله - عز وجل»[2].

بغير علم بالله يجادل بعض الناس

٢١-لقمـــــان(٢٠)-﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾.

قال البغوي: «(ومن الناس من يجادل في الله بغير علم)، نزلت في النضر بن الحارث، وأبي بن خلف، وأمية بن خلف، وأشباههم كانوا يجادلون النبي ﷺ في الله وفي صفاته بغير علم»[3].

وقال العز بن عبد السلام: «مَن يُجَادِلُ) نزلت في يهودي قال للرسول ﷺ، أخبرني عن ربك من أي شيء هو، فجاءت صاعقة فأحرقته، أو في النظر بن الحارث كان يقول الملائكة بنات الله »[4].

وقال القرطبي: «وقيل: الظاهرة ما يرى بالأبصار من المال والجاه والجمال في الناس وتوفيق الطاعات، والباطنة ما يجده المرء في نفسه من العلم بالله وحسن اليقين وما يدفع الله تعالى عن العبد من الآفات»[5].

وقال البيضاوي: «(ومن الناس من يجادل في الله) في توحيده وصفاته. (بغير علم) مستفاد من دليل. (ولا هدى) راجع إلى رسول. (ولا كتاب منير) أنزله الله

---

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٦١٣).

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي (١١/ ١٢٠).

(٣) تفسير البغوي (٦/ ٢٩١).

(٤) تفسير العز بن عبد السلام (٢/ ١٤٩).

(٥) تفسير القرطبي (١٤/ ٧٣).

بل بالتقليد»[1].

وقال ابن كثير: «منهم من يجادل في الله أي في توحيده وإرساله الرسل ومجادلته في ذلك بغير علم ولا مستند من حجة صحيحة ولا كتاب مأثور صحيح أي مبين مضيء»[2].

وقال ابن عرفة: «والمجادلة تتعدى باللام وفي، والمجادل لله بحق، لأنه يجادل لإظهار دين الله ونصرته، والمجادل في الله مبطل، لأنه يجادل قادحا في دين الله لنصرة الإشراك بالله.

قوله تعالى: (بِغَيْرِ عِلْمٍ). قال ابن عرفة: [يستفاد منها] أن المجادل في الشيء تارة يكون جداله بعلم استعمله واستنبطه من عقله، وتارة يأتي بدليل استفاده من غيره ممن هو مثله، كمن يستدل بدليل ذكره القاضي الباقلاني، أو غيره، وتارة يأتي بدليل سمعي: كتاب، أو سنة، استفادها من نبي معصوم، أو بلغه عنه، فالأول: راجع لقوله تعالى: (بِغَيْرِ عِلْمٍ)، والثاني: بقوله تعالى: (وَلَا هُدًى)، والثالث: بقوله تعالى: (وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ). قوله تعالى: (مُنِيرٍ) إشارة إلى ذلك الدليل الذي من الكتاب والسنة قطعي الثبوت، وقطعي الدلالة، وأشار الفخر إلى بعض، قال: وفي الآية حجة من قاعدة المنطق واستعمال لفظه غير ذي الأولى، لأنها كالمعدولة المقتضية لوجود الموضوع»[3].

وفي التحرير والتنوير «وشمل قوله: (بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) مراتبَ اكتساب العلم وهي إما: الاجتهاد والاكتساب، أو التلقي من العالم، أو

---

(١) تفسير البيضاوي (٤/ ٢١٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٤٧).

(٣) تفسير ابن عرفة (٣/ ٢٧٢).

مطالعة الكتب الصائبة»[1].

وفي أيسر التفاسير: «(بغير علم): أي بدون علم عنده من وحي ولا هو مستفاد من دليل عقلي»[2].

أكثرهم لايعلمون

٢٢-لقمان(٢٥)-﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

لا يعلمون عن الله ما وجب أن يعلموا، أولا يقومون بعلم ما يلزم، وبهذا يعتبرون أنهم قد امتنعوا عن العلم .

قال الطبري: «بَلْ أكْثرُهُمْ لا يعْلَمون) يقول: بل أكثر هؤلاء المشركون لا يعلمون من الذي له الحمد»[3].

وقال البيضاوي: «(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) لوضوح الدليل المانع من إسناد الخلق إلى غيره بحيث اضطروا إلى إذاعته. (قل الحمد لله) على إلزامهم وإلجائهم إلى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم. (بل أكثرهم لا يعلمون) أن ذلك يلزمهم»[4].

وفي تفسير الجلالين: «(قل الحمد لله) على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد (بل أكثرهم لا يعلمون) وجوبه عليهم»[5].

وفي فتح القدير: «(بل أكثرهم لا يعلمون) أي لا ينظرون ولا يتدبرون حتى

---

(١) التحرير والتنوير (٢١/ ١٧٥).

(٢) أيسر التفاسير للجزائري (٤/ ٢٠٩).

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٥٧١).

(٤) تفسير البيضاوي (٤/ ٢١٦).

(٥) تفسير الجلالين (ص: ٥٤٣).

يعلموا أن خالق هذه الأشياء هو الذي تجب له العبادة دون غيره»[1].

وقال السعدي: «وأظهر الاستدلال عليكم من أنفسكم، فلو كانوا يعلمون، لجزموا أن المنفرد بالخلق والتدبير، هو الذي يفرد بالعبادة والتوحيد. ولكن (أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) فلذلك أشركوا به غيره، ورضوا بتناقض ما ذهبوا إليه، على وجه الحيرة والشك، لا على وجه البصيرة، ثم ذكر في هاتين الآيتين نموذجا من سعة أوصافه، ليدعو عباده إلى معرفته، ومحبته، وإخلاص الدين له»[2].

وفي المنتخب لعلماء الأزهر: «ولكن أكثرهم لا يعلمون أنهم بإقرارهم هذا قد أقاموا الحُجة على أنفسهم بفساد عقيدتهم»[3].

وفي الوسيط: «وقوله - سبحانه - (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) إضراب عن أقوالهم إلى بيان واقعهم، أي: بل أكثرهم لا يعلمون الحقائق علما سليما، وإنما هم يقولون بألسنتهم، وما يتباين تباينا تاما مع أفعالهم، وهذا شأن الجاهلين، الذين انطمست بصائرهم»[4].

أكثر الناس لايعلمون من هو الله ومن هو الرسول

٢٣-سبأ(٢٨)-﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾.

قال الطبري: « (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) أن الله أرسلك كذلك إلى جميع البشر»[5].

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٢٧٩).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٦٥٠).

(٣) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٦١٥).

(٤) التفسير الوسيط لطنطاوي (١١/ ١٢٨).

(٥) تفسير الطبري (١٩/ ٢٨٨).

وقال القرطبي: «لا يعلمون ما عند الله»[1].

وفي فتح القدير: «(ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ما عند الله من النفع في إرسال الرسل»[2].

وفي التحرير والتنوير: « أي لا يعلمون ما بشرتَ به المؤمنين وما أنذرتَ به الكافرين»[3].

وفي المنتخب لعلماء الأزهر: «ولكن أكثر الناس لا يعلمون صدقك وعموم رسالتك»[4].

وفي التفسير الميسر: «ولكن أكثر الناس لا يعلمون الحق، فهم معرضون عنه»[5].

أكثر الناس لايعلمون

٢٤-سبأ(٣٦)-﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

قال الطبري: «وأكثر الناس لا يعلمون أن الله يفعل ذلك اختبارًا لعباده ولكنهم يظنون أن ذلك منه محبة لمن بسط له ومقت لمن قدر عليه»[6].

وقال الماوردي: «(لاَ يَعْلَمُونَ) أن الله يوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء»[7].

---

(١) تفسير القرطبي (١٤/ ٣٠١).
(٢) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٣٧٦).
(٣) التحرير والتنوير (٢٢/ ١٩٩).
(٤) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٦٣٩).
(٥) التفسير الميسر (١/ ٤٣١).
(٦) تفسير الطبري (١٩/ ٢٩٤).
(٧) تفسير الماوردي (٤/ ٤٥٢).

وقال البغوي: «قل الله يبسط الرزق ويقدر ابتلاءً وامتحاناً لا يدل البسط على رضا الله عنه ولا التضييق على سخطه، (ولكن أكثر الناس لا يعلمون)، أنها كذلك»[1].

وقال العز بن عبد السلام: «(لا يَعْلَمُونَ) أن البسط والإقتار بيده»[2].

وقال البيضاوي: «(ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فيظنون أن كثرة الأموال والأولاد للشرف والكرامة وكثيراً ما يكون للاستدراج»[3].

وفي مراح لبيد: «(لاَ يَعْلَمُونَ) أن ضنك العيش وخصبها بالمشيئة من غير اختصاص بالفاسق والصالح»[4].

وفي التفسير الميسر: «ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك اختبار لعباده؛ لأنهم لا يتأملون»[5].

أكثر الناس لايعلمون

٢٥-غافر(٥٧)-﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

قال البغوي: «(لخلق السموات والأرض)، مع عظمهما، (أكبر)، أعظم في الصدور، (من خلق الناس)، (ولكن أكثر الناس)، يعني الكفار، (لا يعلمون)، حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها»[6].

---

(١) تفسير البغوي (٦/ ٤٠١).
(٢) تفسير العز بن عبد السلام (٣/ ١٦).
(٣) تفسير البيضاوي (٤/ ٢٤٩).
(٤) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (٢/ ٢٧٢).
(٥) التفسير الميسر (١/ ٤٣٢).
(٦) تفسير البغوي (٧/ ١٥٣).

وفي التفسير الميسر «لَخَلْق الله السموات والأرض أكبر من خَلْق الناس وإعادتهم بعد موتهم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن خلق جميع ذلك هيّن على الله»[1].

وفي فتح القدير: «(ولكن أكثر الناس لا يعلمون) بعظيم قدرة الله وأنه لا يعجزه شيء»[2].

أكثرهم لايعلمون

٢٦-الدخان(٣٩)-﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

قال البيضاوي:«(ما خلقناهما إلا بالحق) إلا بسبب الحق الذي اقتضاه الدليل من الإيمان والطاعة، أو البعث والجزاء»[3].

وفي التحرير والتنوير: «وجملة (ما خلقناهما إلا بالحق) بدل اشتمال من جملة (وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين). والباء في (بالحق) للملابسة، أي خلقنا ذلك ملابساً ومقارناً للحق، أو الباء للسببية، أي بسبب الحق، أي لإيجاد الحق من خلقهما. والحق: ما يحق وقوعه من عمل أو قول، أي يجب ويتعين لسببية أو تفرع أو مجازاة، فمن الحق الذي خُلقت السماوات والأرض وما بينهما لأجله مكافأة كل عامل بما يناسب عمله ويُجازيه، والاستدراك في قوله: (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ناشىء عما أفاده نفي أن يكون خلق المخلوقات لَعباً وإثبات أنه للحق لا غير من كون شأن ذلك أنْ لا يخفى ولكن جهل المشركين هو الذي سوّل لهم أن يقولوا (ما نحن بمنشرين)»[4].

---

(١) التفسير الميسر (١/ ٤٧٣).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٥٧٠).

(٣) تفسير البيضاوي (٥/ ١٠٣).

(٤) التحرير والتنوير (٢٥/ ٣١٠).

وقال الطبري: «ولكن أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعلمون أن الله خلق ذلك لهم، فهم لا يخافون على ما يأتون من سخط الله عقوبة، ولا يرجون على خير إن فعلوه ثوابا لتكذيبهم بالمعاد»[1].

وفي الوسيط «وقوله - تعالى -: (مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بالحق) استثناء مفرغ من أعم الأحوال. ي: ما خلقناهما إلا خلقا ملتبسا بالحق مؤيدا بالحكمة.

(ولكن أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) ذلك، لانطماس بصائرهم، واستحواذ الشيطان عليهم»[2].

وفي مراح لبيد: «(لاَ يَعْلَمُونَ) أنا خلقنا الخلق بسبب إقامة الحق عليهم»[3].

لايعلمون

٢٧-الجاثية(١٨)-﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾.

قال الراغب: «استعير اسم الشريعة للطريقة الإلهية تشبيهاً بشريعة الماء قلتُ: ووجه الشبه ما في الماء من المنافع وهي الري والتطهير. و (الأمر): الشأن، وهو شأن الدين وهو شأن من شؤون الله تعالى»[4].

وقال السعدي: «أي: الذين تكون أهويتهم غير تابعة للعلم ولا ماشية خلفه»[5].

وقال الطبري: «يقول: ولا تتبع ما دعاك إليه الجاهلون بالله، الذين لا يعرفون

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٥١).

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٣/ ١٣٢).

(٣) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (٢/ ٣٩٦).

(٤) المفردات في غريب القرآن (ص: ٤٥٠).

(٥) تفسير السعدي (ص: ٧٧٧).

الحقّ من الباطل، فتعمل به، فتهلك إن عملت به»[1].

وفي المنتخب: «- ثم جعلناك - يا محمد - بعد اختلاف أهل الكتاب مبعوثاً على منهاج واضح من أمر الدين الذي شرعناه لك ولمن قبلك من رسلنا، فاتبع شريعتك الحقة الثابتة بالحُجج والدلائل، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون طريق الحق»[2].

وقال مقاتل: «لا يعلمون توحيد الله»[3].

وفي فتح القدير: «لا يعلمون توحيد الله وشرائعه لعباده»[4].

أكثر الناس لايعلمون

٢٨-الجاثيـــة(٢٦)-﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٦﴾.

يا محمد قل أنت ومن تبعك (العلم بالله) قل المعلومات عن الله:

المعلومة الأولى:

الله يحييكم ويحيي كل حي ثم.

الله يميتكم ويميت كل حي ثم.

يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه.

ولكن أكثر الناس ممتنعين عن العلم بالله لا يقومون بتحصيل ما يلزم أن يعلموا عن الله.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٨٥).

(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٧٤٠).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١١٣).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٩).

وفي التفسير الميسر: «ولكن أكثر الناس لا يعلمون قدرة الله على إماتتهم ثم بعثهم يوم القيامة»[1].

قال الطبري: «ولكن أكثر الناس الذين هم أهل تكذيب بالبعث، لا يعلمون حقيقة ذلك، وأن الله محييهم من بعد مماتهم»[2].

وفي كشاف الزمخشري: «قلت: لما أنكروا البعث وكذبوا الرسل، وحسبوا أنّ ما قالوه قول مبكت. ألزموا ما هم مقرّون به: من أنّ الله ﷻ هو الذي يحييهم ثم يميتهم، وضم إلى إلزام ذلك إلزام ما هو واجب الإقرار به إن أنصفوا وأصغوا إلى داعي الحق، وهو جمعهم إلى يوم القيامة، ومن كان قادراً على ذلك كان قادراً على الإتيان بآبائهم، وكان أهون شيء عليهم»[3].

وفي المنتخب لعلماء الأزهر: «ولكن أكثر الناس لا يعلمون قدرة الله على البعث، لإعراضهم عن التأمل في الدلائل، والقادر على ذلك قادر على الإتيان بآبائكم»[4].

أكثرهم لايعلمون بجزاء الله

٢٩-الطور(٤٧)-﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

قال ابن عرفة: «(وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ). (الأكثر) إما على بابه أو بمعنى الجميع، وعاقبهم على الجهل لتمكنهم من العلم»[5].

وقال ابن كثير: «(ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي نعذبهم في الدنيا ونبتليهم فيها

---

(١) التفسير الميسر (١/ ٥٠١).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ١٠٠).

(٣) تفسير الزمخشري (٤/ ٢٩٢).

(٤) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٧٤١).

(٥) تفسير ابن عرفة (٤/ ٩٠).

بالمصائب لعلهم يرجعون وينيبون فلا يفهمون ما يراد بهم بل إذا جلى عنهم مما كانوا فيه عادوا إلى أسوأ ما كانوا عليه كما جاء في بعض الأحاديث (إن المنافق إذا مرض وعوفي مثله في ذلك كمثل البعير لا يدري فيما عقلوه ولا فيما أرسلوه) وفي الأثر الإلهي (كم أعصيك ولا تعاقبني؟ قال الله تعالى يا عبدي كم أعاقبك وأنت لا تدري)؟»[1].

وقال البيضاوي: «(وإن للذين ظلموا) يحتمل العموم والخصوص. (عذاباً دون ذلك) أي دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر أو المؤاخذة في الدنيا»[2].

وفي التحرير والتنوير: «(ولكن أكثرهم لا يعلمون). والاستدراك الذي أفادته (لكنَّ) راجع إلى مفاد التأكيد، أي هو واقع لا محالة ولكن أكثرهم لا يعلمون وقوعه، أي لا يخطر ببالهم وقوعه، وذلك من بطرهم وزهوهم ومفعول (لا يعلمون) محذوف اختصاراً للعمل به وأسند عدم العلم إلى أكثرهم دون جميعهم لأن فيهم أهْل رأي ونظر يتوقعون حلول الشر إذا كانوا في خير. والظلم: الشرك وهو الغالب في إطلاقه في القرآن»[3].

وفي القرطبي: «ف(دون) بمعنى غير»[4].

من الذي قضى أن للذين ظلموا عذاب وأكد؟

من الذي يعذب ؟ من الذي يقضي بالعذاب في المستقبل ؟

من أين لنا أن نعرف سنن الله في صب العذاب على الإنسان كفرد أو كمجموعة؟

هل أكثرهم يعلمون هذا عن الله ؟

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٣٨).

(٢) تفسير البيضاوي (٥/ ١٥٦).

(٣) التحرير والتنوير (٢٧/ ٨٢).

(٤) تفسير القرطبي (١٧/ ٧٨).

قال في فتح القدير: «(ولكن أكثرهم لا يعلمون) ما يصيرون إليه من عذاب الله وما أعده لهم في الدنيا والآخرة»[1].

وفي تفسير الرازي: «مفعول (لا يعلمون) جاز أن يكون هو ما تقدم من الأمر: وهو أن لهم عذابا دون ذلك وجاز أن لا يكون له مفعول أصلا، فيكون المراد أكثرهم غافلون جاهلون»[2].

لايعلمون أن لله العزة

٣٠-المنافقون(٨)-﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾.

قال البغوي: «(ولكن المنافقين لا يعلمون)، ذلك ولو علموا ما قالوا هذه المقالة»[3].

وقال الرازي في مفاتيح الغيب: «فإن قيل: قال في الآية الأولى: (لا يفقهون) وفي الأخرى (لا يعلمون) فما الحكمة فيه؟ فنقول: ليعلم بالأول قلة كياستهم وفهمهم، وبالثاني كثرة حماقتهم وجهلهم، ولا يفقهون من فقه يفقه، كعلم يعلم، ومن فقه يفقه: كعظم يعظم، والأول لحصول الفقه بالتكلف والثاني لا بالتكلف، فالأول علاجي، والثاني مزاجي»[4].

وقال القرطبي: «توهموا أن العزة بكثرة الأموال والأتباع ؛ فبين الله أن العزة والمنعة والقوة لله»[5].

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٥/ ١٢٣).
(٢) تفسير الرازي (٢٨/ ٢٢٨).
(٣) تفسير البغوي - طيبة (٨/ ١٣٣).
(٤) تفسير الرازي (٣٠/ ٥٤٩).
(٥) تفسير القرطبي (١٨/ ١٢٩).

وقال البيضاوي: «(ولكن المنافقين لا يعلمون) من فرط جهلهم وغرورهم»[1].

وقال الألوسي: «(ولكن المنافقين لاَ يَعْلَمُونَ) من فرط جهلهم وغرورهم فيهذون ما يهذون والفعل هنا منزل منزلة اللازم فلذا لم يقدر له مفعول ولا كذلك الفعل فيما تقدم، وهو ما اختاره غير واحد من الأجلة، وقيل في وجهه: إن كون العزة لله ﷻ مستلزم لكون الأرزاق بيده دون العكس فناسب أن يعتبر الأخلاق في الجملة المذيلة لما يفيد كون العزة له سبحانه قصداً للمبالغة والتقييد للجملة المذيلة لما يفيد كون الأرزاق بيده تعالى، ثم قيل: خص الجملة الأولى بـ(لا يَفْقَهُونَ) [المنافقون: ٧] والثانية بـ(لاَّ يَعْلَمُونَ) لأن إثبات الفقه للإنسان أبلغ من إثبات العلم له فيكون نفي العلم أبلغ من نفي الفقه فأوثر ما هو أبلغ لما هو أدعى له.

وعن الراغب معنى قوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ﴾ [المنافقون: ٧]: «أنهم يأمرون بالاضرار بالمؤمنين وحبس النفقات عنهم ولا يفطنون أنهم إذا فعلوا ذلك أضروا بأنفسهم فهم لا يفقهون ذلك ولا يفطنون له، ومعنى الثاني إيعادهم بإخراج الأعز للأذل، وعندهم أن الأعز من له القوة والغلبة على ما كانوا عليه في الجاهلية فهم لا يعلمون أن هذه القدرة التي يفضل بها الإنسان غيره إنما هي من الله تعالى فهي له سبحانه ولمن يخصه بها من عباده، ولا يعلمون أن الذل لمن يقدرون فيه العزة وأن الله تعالى معز أوليائه بطاعتهم له ومذل أعدائه بمخالفتهم أمره عز وجل، فقد اختص كل آية بما اقتضاه معناها فتدبر، والإظهار في مقام الإضمار لزيادة الذم مع الإشارة إلى علة الحكم في الموضعين»[2].

وفي مراح لبيد: «(وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ) أن الله معز أولياءه ومذل

(١) تفسير البيضاوي (٥/ ٢١٥).

(٢) تفسير الألوسي (١٤/ ٣١١).

أعداءه، ولو علموه ما قالوا مقالتهم»[1].

وفي ظلال القرآن: «وكيف يعلمون وهم لا يتذوقون هذه العزة ولا يتصلون بمصدرها الأصيل؟»[2].

وفي التحرير والتنوير: «والقول في الاستدراك بقوله: (ولكن المنافقين لا يعلمون) نظير القول آنفاً في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ﴾ [المنافقون: ٧]، وعدل عن الإضمار في قوله: (ولكن المنافقين لا يعلمون). وقد سبق اسمهم في نظيرها قبلها لتكون الجملة مستقلة الدلالة بذاتها فتسير سير المثل. وإنما نفي عنهم هنا العلم تجهيلاً بسوء التأمل في أمارات الظهور والانحطاط فلم يفطنوا للإقبال الذي في أحوال المسلمين وازدياد سلطانهم يوماً فيوماً وتناقص من أعدائهم فإن ذلك أمر مشاهد فكيف يظن المنافقون أن عزتهم أقوى من عزّة قبائل العرب الذين يَسقطون بأيدي المسلمين كلما غزوهم من يوم بدر فما بعده»[3].

وقال الإمام الرازي: «العزة غير الكبر، ولا يحل للمؤمن أن يذل نفسه - لغير الله - فالعزة معرفة الإنسان بحقيقة نفسه، وإكرامها عن أن يضعها في غير موضعها اللائق بها، كما أن الكبر جهل الإنسان بنفسه، وإنزالها فوق منزلتها، فالعزة تشبه الكبر من حيث الصورة، وتختلف من حيث الحقيقة، كاشتباه التواضع بالضعة، فالتواضع محمود، والضعة مذمومة، والكبر مذموم والعزة محمودة»[4].

أهل الكتاب لايعلمون، المطلوب ليعلموا فضل الله

٣١-الحديد(٢٩)-﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (٢/ ٥٣١).
(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٨٠).
(٣) التحرير والتنوير (٢٨/ ٢٥٠).
(٤) تفسير الرازي (٣٠/ ٥٤٩).

ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾.

قال ابن عثيمين «أي: جعل لكم هذا الثواب، ليعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله، وأنهم لا يستطيعون أن يحسدوكم على ما آتاكم الله من فضله، مع محاولتهم الشديدة أن يحسدوا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لا إعطاء ولا منعاً (وأن الفضل بيد الله) ﷻ وهو المدبر لكل ما يريد على حسب ما تقتضيه حكمته»[1].

وقال ابن كثير: «أي ليتحققوا أنهم لا يقدرون على رد ما أعطاه الله ولا إعطاء ما منع الله»[2].

قال البغوي: «(لئلا يعلم أهل الكتاب) أي ليعلم.

وقد ذكر عن ابن مسعود أنه قرأها لكي يعلم وكذا عطاء بن عبدالله وسعيد بن جبير قال ابن جرير: لأن العرب تجعل لا صلة في كل كلام دخل في أوله وآخره جحد غير مصرح فالسابق كقوله (ما منعك ألا تسجد) (وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) بالله (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون)»[3].

قال قتادة: حسد الذين لم يؤمنوا من أهل الكتاب المؤمنين منهم، فأنزل الله تعالى: (لئلا يعلم أهل الكتاب). قال مجاهد: قالت اليهود يوشك أن يخرج منا نبي يقطع الأيدي والأرجل، فلما خرج من العرب كفروا به، فأنزل الله تعالى: (لئلا يعلم أهل الكتاب) أي ليعلم ولا صلة (ألا يقدرون على شيء من فضل الله) أي ليعلم الذين لم يؤمنوا أنهم لا أجر لهم ولا نصيب لهم في فضل الله، (وأن

---

(١) تفسير العثيمين: الحجرات - الحديد (ص: ٤٣١).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٣).

(٣) تفسير البغوي (٥/ ٣٦).

الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)»[1].

وفي التحرير والتنوير: «اسم (أهل الكتاب) لقب في القرآن لليهود والنصارى الذين لم يتديّنوا بالإسلام لأن المراد بالكتاب التوراة والإنجيل إذا أضيف إليه (أهل)، فلا يطلق على المسلمين: أهل الكتاب، وإن كان لهم كتاب، فمن صار مسلماً من اليهود والنصارى لا يوصف بأنه من أهل الكتاب في اصطلاح القرآن، وأنا أرى أن دعوى زيادة (لا) لا داعي إليها، وأن بقاءها على أصل معناها وهو النفي متعينّ، وتجعل اللام للعاقبة، أي أعطيناكم هذا الفضل وحرم منه أهل الكتاب، فبقي أهل الكتاب في جهلهم وغرورهم بأن لهم الفضل المستمر ولا يحصل لهم علم بانتفاء أن يكونوا يملكون فضل الله ولا أن الله قد أعطى الفضل قوماً آخرين وحَرمَهَم إيّاه فينسون أن الفضل بيد الله، وليس أحد يستحقه بالذات. وبهذا الغرور استمروا على التمسك بدينهم القديم، ومعلوم أن لام العاقبة أصلها التعليل المجازي»[2].

وفي تفسير الجلالين: «(لئلا يعلم) أعلمكم بذلك ليعلم (أهل الكتاب) »[3].

وقال السعدي: «وليعلموا (أن الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) ممن اقتضت حكمته تعالى أن يؤتيه من فضله، (وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) »[4].

وفي كشاف الزمخشري: «ولا مزيدة (أَلا يَقْدِرُونَ) أن مخففة من الثقيلة، أصله: أنه لا يقدرون، يعني: أنّ الشأن لا يقدرون (عَلَىٰ شَيْءٍ مّن فَضْلِ ٱللَّهِ) أي: لا ينالون شيئاً مما ذكر من فضله من الكفلين: والنور والمغفرة، لأنهم لم يؤمنوا

(١) تفسير البغوي (٨/ ٤٥).
(٢) التحرير والتنوير (٢٧/ ٤٢٩).
(٣) تفسير الجلالين (ص: ٧٢٤).
(٤) تفسير السعدي (ص: ٨٤٣).

برسول الله، فلم ينفعهم إيمانهم بمن قبله، ولم يكسبهم فضلاً قط. وإن كان خطاباً لغيرهم، فالمعنى: اتقوا الله واثبتوا على إيمانكم برسول الله يؤتكم ما وعد من آمن من أهل الكتاب من الكفلين»[1].

المبحث الثاني: العلم العام وأهمه العلم بالله

آل عمران (١٨)- ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾.

اولو العلم بأي نوع من أنواع العلوم ؟ كيف نبحث عن مراد الله من العلم هل هو العلم بالله دون العلم بغيره ؟ أم هل هو العلم بالكتاب دون العلم بغيره، أم هل هو العلم باللقاء دون العلم بغيره...؟

إن حديث رسول الله يساعدنا على الفهم والتمييز بين العلم العام، والعلم الخاص.

ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ كانَ يومًا بارزًا للناسِ، إذْ أتاهُ رجلٌ يمشِي، فقالَ: يا رسولَ اللَّه ما الإيمانُ ؟ قالَ: (الإيمانُ: أنْ تؤمِنَ باللَّه وملائكتهِ ورسُلِهِ ولقائِهِ، وتؤمنَ بالبعثِ الآخرِ)[2]..هذا من حديث طويل، وهناك روايات أخرى للحديث.

فمن هذا الحديث نفهم أن للإيمان مفهومين:

مفهوم عام، ومفهوم خاص.

ونلحظ في القرآن الكريم ذكر كلمة الإيمان أحياناً بالمفهوم العام، وأحياناً يراد منها نوع من أنواع الإيمان، وحينما يطلق، ولا يقيد بنوع معين، والسياق كذلك لايوحي بأحد الأنواع، فهذا يعني أنه عام وشامل لجميع أنواعه، وأهمه، وأعظمه الإيمان بالله، ثم بملائكته، ثم بكتابه ثم ...

---

(١) تفسير الزمخشري (٤/ ٤٨٣).

(٢) صحيح البخاري (٦/ ١١٥)، رقم الحديث: ٤٧٧٧.

فإذا أردنا أن نقيس تعريف الإيمان على العلم، فمن الممكن أن نعرف العلم بنفس الطريقة فنقول:

العلم: أنْ تعلم: عن اللَّه وملائكتهِ ورسُلِهِ ولقائِهِ، وتعلم بالبعثِ واليوم الآخرِ.

ونلحظ ورود كلمة العلم بنفس الأسلوب أحياناً بالمفهوم العام، وأحياناً يراد منها نوع من أنواع العلم.

ومما هو مسلم به أن العلم بالشيء يسبق الإيمان به، فبناء على ذلك نرى أن العلم قياساً على تعريف الإيمان له مفهومان: عام وخاص.

وكلا المفهومين يردان في القرآن، وكذلك موضوع التقوى، وكلمة الكفر: الكفر باللَّه، والكفر بالآيات، والكفر باللقاء...

وقد نهى اللَّه عن الكفر على وجه الإجمال والتفصيل.

إذاً نخلص مما سبق أنه حينما تذكر كلمة العلم، ولم يحدد نوعيته، ولم يظهر من السياق نوعيته، فإننا نعتبره من العلم العام، وأوله العلم باللَّه.

ونبدأ الآن النظر بالآيات التي أراها تدخل في إطار العلم العام.

١- آيات العلم العام، وأهمه العلم باللَّه: من البقرة- إلى النحل

بعد هذه اللفتة نبدأ باستعراض الآيات مع اختيارات من تفسيرات بعض المفسرين:

علم باللَّه من باب سعة علم اللَّه

١ - البقرة (٣٠)- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

ما لاَ تَعْلَمُونَ من الحكم في جعلي خليفة في الأرض.

وما لا تعلمون عن علمي بصفة عامة، وبهذا الخليفة بصفة خاصة.

ورد في تفسير البحر المحيط: «أن الذي مدح اللَّه به نفسه من العلم دونهم: علمه ما في نفس إبليس مع البغي والمعصية، قاله ابن عباس ومجاهد

والسدي عن أشياخه.

أو علمه بأنه سيكون من ذلك الخليفة أنبياء وصالحون، قاله قتادة.

أو علمه بمن يملأ جهنم من الجنة والناس، قاله ابن زيد.

أو علمه بعواقب الأمور، فيبتلي من تظنون أنه مطيع، فيؤديه الابتلاء إلى المعصية، ومن تظنون أنه عاص فيؤديه الابتلاء إلى الطاعة فيطيع، قاله الزجاج، أو علمه بظواهر الأمور وباطنها، جليلها ودقيقها، عاجلها وآجلها، صالحها وفاسدها، على اختلاف الأحوال والأزمان علماً حقيقياً، وأنتم لا تعلمون ذلك.

أو علمه بغير اكتساب ولا نظر ولا تدبر ولا فكر، وأنتم لا تعلمون المعلومات على هذا النسق.

أو علمه بأن معهم إبليس.

أو علمه باستعظامكم أنفسكم بالتسبيح والتقديس»[1].

مطلق العلم، وأهمه العلم بالله

٢- البقرة(٣٢)-﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾.

لا علم لنا بأي شيء عن أفعالك وحكمتك وعن الخليفة، وعن الأسماء إلا ما علمتنا عن نفسك وأفعالك وسننك وأمرك وخلقك.

قال الطبري: «قال أبو جعفر: وهذا خبر من الله جل ذكره عن ملائكته، بالأوبة إليه، وتسليم علم ما لم يعلموه له، وتبرّيهم من أن يعلموا أو يعلم أحد شيئًا إلا ما علّمه تعالى ذكره.

عن ابن عباس: (قالوا سبحانك) تنزيهًا لله من أن يكون أحدٌ يعلم الغيبَ غيرُه، تُبنا إليك (لا علم لنا إلا ما عَلَّمتنا)، تبرّيًا منهم من علم الغيب،(إلا ما علَّمتنا) كما علمت آدم. سَأَلَ رَجُلٌ مَيْمُونَ بْنَ مِهْرَانَ عَنْ سُبْحَانَ اللَّه، فَقَالَ: (اسْمٌ يُعَظَّمُ

(١) البحر المحيط في التفسير (١/ ٢٣٣).

اللَّه بِهِ وَيُحَاشَى بِهِ مِنَ السُّوءِ))[1].

٣ - البقرة(١٠٢)- ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

في كشاف الزمخشري، «و(لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ) العلم الذي أمر اللَّه الإنسان أن يعلمه عن اللَّه، وعن شرعه ولقائه وجزاء اللَّه الأليم، ما ضيعوا أنفسهم بتعلم السحر (لو كانوا يعلمون) قلت: معناه لو كانوا يعملون بعلمهم، جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم منسلخون عنه»[2].

وفي الوجيز للواحدي: «(لو كانوا يعلمون) كنه ما يصير إليه من يخسر الآخرة من العقاب»[3].

علم باللَّه بالجزاء

٤-البقرة(١٨٤)- ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ بجزاء اللَّه .

قال البيضاوي: «(إن كنتم تعلمون) ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة، وجوابه محذوف دل عليه ما قبله أي اخترتموه. وقيل: معناه إن كنتم من أهل العلم والتدبر، علمتم أن الصوم خير لكم من ذلك»[4].

وفي التحرير والتنوير: «إن كنتم تعلمون فوائد الصوم دنيا وثوابَه أُخرى، أو إن

(١) تفسير الطبري (١/ ٥٢٧).

(٢) تفسير الزمخشري (١/ ١٧٣).

(٣) الوجيز للواحدي (ص: ١٢١).

(٤) تفسير البيضاوي (١/ ١٢٤).

كنتم تعلمون ثوابه على الاحتمالات الأخر. وجيء في الشرط بكلمة (إنْ) لأن علمهم بالأمرين من شأنه ألّا يكون محققاً؛ لخفاء الفائدتين»[1].

وقال الماوردي: «(إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) يحتمل وجهين:

أحدهما: إن كنتم تعلمون ما شَرَّعْتُه فيكم وَبَيَّنْتُه من دينكم.

والثاني: إن كنتم تعلمون فضل أعمالكم وثواب أفعالكم»[2].

علم بحدود الله

٥ -البقرة(٢٣٠)- ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٢٣٠﴾.

قال الطبري: «قال أبو جعفر: يبينها يفصلها، فيميز بينها، ويعرفهم أحكامها لقوم يعلمونها إذا بينها الله لهم، فيعرفون أنها من عند الله، فيصدقون بها، ويعملون بما أودعهم الله من علمه، دون الذين قد طبع الله على قلوبهم، وقضى عليهم أنهم لا يؤمنون بها، ولا يصدقون بأنها من عند الله، فهم يجهلون أنها من الله، وأنها تنزيل من حكيم حميد، ولذلك خص القوم الذي يعلمون بالبيان دون الذين يجهلون، إذ كان الذين يجهلون أنها من عنده قد آيس نبيه محمداً ﷺ من تصديق كثير منهم بها، وإن كان بينها لهم من وجه الحجة عليهم، ولزوم العمل لهم بها، وإنما أخرجها من أن تكون بياناً لهم من وجه تركهم الإقرار والتصديق به»[3].

وقال البغوي: «يعني يعلمون ما أمرهم الله تعالى به»[4].

وفي التفسير الميسر: «أحكامه وحدوده؛ لأنهم المنتفعون بها»[5].

وفي مفاتيح الغيب: «لمن يعلم أن الله أنزل الكتاب وبعث الرسول ليعلموا

---

(١) التحرير والتنوير (٢/ ١٦٨).

(٢) تفسير الماوردي (١/ ٢٣٩).

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٥٩٩).

(٤) تفسير البغوي (١/ ٢٧٤).

(٥) التفسير الميسر (١/ ٣٦).

بأمره وينتهوا عما نهوا عنه»[1].

يعلمون أهمية الحدود ومعناها والوقوف عندها وعدم تعديها.

لقوم يعلمون أي: يتعلمون حدود الله.

لقوم يعلمون: لأن كلمة يعلمون هو فعل مستمر كلما أمروا بالعلم.

أمر الله بالعلم في كتابه نحواً من ثلاثين مرة، وعلم سبحانه أن هناك أناساً يعلمون أن الله يريد منهم العلم، فبدؤوا به واستمروا، ولم يتوقفوا فهو سبحانه يبين لهم حدوده.

علم بالله وغيره

٦- البقرة(٢٣٩)-﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾.

قال في البحر المحيط: «(فَاذْكُرُوا اللَّهَ) أي صلوا الصلاة التي قد علمتموها، أي: صلاة تامة بجميع شروطها وأركانها، وتكون: ما، في: (كَمَا عَلَّمَكُم) موصولة أي: فصلوا الصلاة كالصلاة التي علمكم، وعبر بالذكر عن الصلاة والكاف إذ ذاك للتشبيه بين هيئتي الصلاتين: الصلاة التي كانت أولاً قبل الخوف، والصلاة التي كانت بعد الخوف في حالة الأمن. قال ابن عطية: وعلى هذا التأويل: (مَّا لَمْ تَكُونُواْ) بدل من: ما، التي في قوله: (كما)،وإلَّا لم يتسق لفظ الآية»[2].

وفي مفاتيح الغيب: «(كما علمكم) فبيان إنعامه علينا بالتعليم والتعريف، وأن ذلك من نعمه تعالى، ولولا هدايته لم نصل إلى ذلك، وقوله تعالى: (ما لم تكونوا تعلمون) إشارة إلى ما قبل بعثة محمد ﷺ من زمان الجهالة والضلالة»[3].

كل أنواع العلوم: ما تحتاجونه في حياتكم من العلم بالله وغيره من العلوم.

---

(١) تفسير الرازي (٦/ ٤٥١).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٢/ ٥٥١).

(٣) تفسير الرازي (٦/ ٤٩١).

٧-البقرة(٢٤٧)- ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾.

من أعلى أنواعه العلم باللَّه وغيره من العلوم إلى قيادة الناس والحرب.

قال الطبري: «قال مجاهد قوله: (إن اللَّه قد بعث لكم طالوت ملكاً)، قال: كان أمير الجيش.

وأما قوله: (وزاده بسطة في العلم والجسم)، فإنه يعني بذلك أن اللَّه بسط له فى العلم والجسم، وآتاه من العلم فضلاً على ما أتى غيره من الذين خوطبوا بهذا الخطاب، وذلك أنه ذكر أنه أتاه وحي من اللَّه، وأما (في الجسم)، فإنه أوتي من الزيادة في طوله عليهم ما لم يؤته غيره منهم»[(١)].

وفى مفاتيح الغيب: «واللَّه تعالى بين أنه أهل للملك وقرر ذلك بأنه حصل له وصفان أحدهما: العلم والثاني: القدرة، وهذان الوصفان أشد مناسبة لاستحقاقه الملك من الوصفين الأولين، وبيانه من وجوه أحدها: أن العلم والقدرة من باب الكمالات الحقيقية، والمال والجاه ليسا كذلك، والثانى: أن العلم والقدرة من الكمالات الحاصلة لجوهر نفس الإنسان، والمال والجاه أمران منفصلان عن ذات الإنسان، الثالث: أن العلم والقدرة لا يمكن سلبهما عن الإنسان، والمال والجاه يمكن سلبهما عن الإنسان، والرابع: أن العلم بأمر الحروب، والقوي الشديد على المحاربة يكون الانتفاع به في حفظ مصلحة البلد، وفي دفع شر الأعداء أتم من الانتفاع بالرجل النسيب الغني إذا لم يكن له علم بضبط المصالح، وقدرة على دفع الأعداء، فثبت بما ذكرنا أن إسناد الملك إلى العالم القادر، أولى من إسناده إلى النسيب الغني»[(٢)].

وفي البحر المحيط: «قيل: في العلم بالحروب، والظاهر علم الديانات

(١) تفسير الطبري (٤/ ٤٥٤).

(٢) تفسير الرازي (٦/ ٥٠٤).

والشرائع، وقيل: قد أوحى إليه ونبئ قال ابن عباس: كان طالوت يومئذ أعلم رجل في بني إسرائيل،وأجمله وأتمه»[1].

٢- العلم النافع وأهمه العلم باللَّه: من آل عمران - إلى الأعراف

١ -آل عمران(١٨)-﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾.

٣٣٥٣- قال ابن أبي حاتم: «حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، ثنا الْحَكِيمُ يَعْنِي ابْنَ هِشَامٍ، حَدَّثَنِي أَبُو طَالِب، قَالَ: (مَنْ عَرَفَ اللَّه وَشَهِدَ بِمَا شَهِدَ بِهِ اللَّه فَهُوَ الْعَالِمُ ثُمَّ تَلا: ﴿شَهِدَ اللَّه أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا﴾»...

٣٣٥٦- أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ الشَّافِعِيّ، فِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ، عَنْ أَبِيهِ أَوْ عَمِّهِ، عَنْ سُفْيَانَ بْن عُيَيْنَةَ،(قَوْلُهُ: ﴿شَهِدَ اللَّه أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾: فَكُلُّ مَنْ عَلِمَهَا فَهُوَ مِنْ أُولِي الْعِلْمِ)»[2].

وفي البحر المحيط: «و (أولو العلم) قيل: هم الأنبياء. وقيل: مؤمنو أهل الكتاب. وقيل: المهاجرون والأنصار. وقيل: علماء المؤمنين. وقال الحسن: المؤمنون.

والمراد بأولي العلم: من كان من البشر عالماً، لأنهم ينقسمون إلى: عالم وجاهل، بخلاف الملائكة. فإنهم في العلم سواء»[3].

علم ظواهر الحياة وبواطنها ودلالاتها على الرب (المعين).

٢- آل عمران (١٣٥)- ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾.

قال البغوي: «(وهم يعلمون) قال ابن عباس والحسن ومقاتل والكلبي: وهم

---

(١) البحر المحيط في التفسير (٢/ ٥٧٥).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦١٦).

(٣) البحر المحيط في التفسير (٣/ ٦٠).

يعلمون أنها معصية، وقيل: وهم يعلمون أن الإصرار ضار، وقال الضحاك: وهم يعلمون أن الله يملك مغفرة الذنوب، وقال الحسين بن الفضل: وهم يعلمون أن لهم رباً يغفر الذنوب، وقيل: وهم يعلمون أن الله لا يتعاظمه العفو عن الذنوب وإن كثرت، وقيل: وهم يعلمون أنهم إن استغفروا غفر لهم»[1].

علم بالله وما والاه

١- النساء(١٦٢)- ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٦٢﴾.

قال ابن أبي حاتم: «حَدَّثَنَا أَبُو الدَّرْدَاءِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ سُئِلَ عَن الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، فَقَالَ:(مَنْ بَرَّتْ يَمِينُهُ، وَصَدَقَ لِسَانُهُ، وَاسْتَقَامَ قَلْبُهُ، وَمَنْ عَفَّ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ، فَهُوَ مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ»[2].

وقال البغوي: «(لكن الراسخون في العلم منهم)، يعني: ليس كل أهل الكتاب بهذه الصفة، لكن الراسخون البالغون في العلم أولو البصائر منهم، وأراد به الذين أسلموا من علماء اليهود مثل عبد الله بن سلام وأصحابه»[3].

وفي التحرير والتنوير: «والراسخ حقيقته الثابت القدم في المشي، لا يتزلزل؛ واستعير للتمكّن من الوصف مثل العلم بحيث لا تغرّه الشبه »[4].

علم بعذاب الله

١-الأنعام(٦٧)-﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٦٧﴾.

قال ابن أبي حاتم: «عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلَهُ: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٦٧﴾ مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا فَسَوْفَ تَرَوْنَهُ، وَمَا كَانَ فِي الآخِرَةِ فَسَوْفَ يَبْدُو لَكُمْ»[5].

---

(١) تفسير البغوي (٢/ ١٠٧).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٩٩).

(٣) تفسير البغوي (٢/ ٣٠٩).

(٤) التحرير والتنوير (٦/ ٢٨).

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣١٤).

وفي البحر المحيط: «(وسوف تعلمون) مبالغة في التهديد والوعيد فيجوز أن يكون تهديد بعذاب الآخرة، ويجوز أن يكون تهديداً بالحرب وأخذهم بالإيمان على سبيل القهر والاستيلاء»[1].

(وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) ما توعدون به من عذاب الله.

٢-الأنعام(٨١)-﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾.

من الأحق بالأمن من عذاب الله.

قال الطبري: «ويصرِّف لهم العبر، ليعلموا أنَّ الله هو أحق أن يخاف ويعبد مما يعبُدون من دونه»[2].

عاقبة وجزاء كل من الفريقين والله أعلم.

٣-الأنعام(٩٧)-﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

قال صاحب الظلال: «يعلمون دلالة هذا كله على الصانع العزيز الحكيم»[3].

وفي التفسير الميسر: «ليتدبرها منكم أولو العلم بالله وشرعه»[4].

وقال الطبري: «ليتدبّرها أولو العلم بالله منكم»[5].

وقال مقاتل: «لقوم يعلمون بأن الله واحد لا شريك له»[6].

٤-الأنعام(١٠٥)-﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

(١) البحر المحيط في التفسير (٤/ ٥٤٥).
(٢) تفسير الطبري (٩/ ٣٦٦).
(٣) في ظلال القرآن (٢/ ١١٥٩).
(٤) التفسير الميسر (١/ ١٤٠).
(٥) تفسير الطبري (٩/ ٤٣٢).
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٠).

﴿١٠٥﴾.

قال البغوي: «(ولنبينه لقوم يعلمون)، قال ابن عباس: يريد أولياءه الذين هداهم إلى سبيل الرشاد»[١].

وفي روح المعاني للألوسي: «(لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) فإنهم المنتفعون به وهو الوجه في تخصيصهم بالذكر. وهم على ما روي عن ابن عباس أولياؤه الذين هداهم إلى سبيل الرشاد، ووصفهم بالعلم للإيذان بغاية جهل غيرهم وخلوهم عن العلم بالمرة»[٢].

(لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) أن الله هو الذي أنزل الكتاب وبينه وصرف الآيات، ويعلمون من صفاته وأفعاله مثل التي ذكرت آنفاً، فهم يعلمون كذلك أنهم على بينة من ربهم.

١-الأعراف(٣٢)-﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

في التفسير الميسر، «لقوم يعلمون ما يبيّن لهم، ويفقهون ما يميز لهم»[٣].

وفي ظلال القرآن: «والذين (يعلمون) حقيقة هذا الدين هم الذين ينتفعون بهذا البيان»[٤].

وقال السعدي: «ويعلمون أنها من عند الله، فيعقلونها ويفهمونها»[٥].

٣- العلم النافع وأهمه العلم باللَّه: من الأنفال - إلى يونس

١-الأنفال(٢٧)-﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

---

(١) تفسير البغوي (٣/ ١٧٥).

(٢) تفسير الألوسي (٤/ ٢٣٥).

(٣) التفسير الميسر (١/ ١٥٤).

(٤) في ظلال القرآن (٣/ ١٢٨٣).

(٥) تفسير السعدي (ص: ٢٨٧).

الخطاب للمؤمنين الذين علموا عن الله، وعن كتابه، وعن لقائه في الآخرة وعن رسله.. فآمنوا بذلك ونودوا بصفة الإيمان.

(وَأَنتُم تَعْلَمُونَ) لم يحدد في الآية نوع معين لذلك ممكن يدخل في علمهم الكثير من الأنواع.

منه علمهم بما عند من الجزاء والعقوبة على الخيانة بأنواعها.

ومنه علمهم أن فعلهم هذا، أو قولهم يدخل في مسمى الخيانة.

(لاَ تَخُونُواْ اللَّه) بسبب ما، أموالكم أو أولادكم.

مع علمكم بعظمته وشديد عقابه وجزاءاته على كل عمل.

قال الماوردي: «(وَأَنتُم تَعْلَمُونَ) فيه قولان:

أحدهما: وأنتم تعلمون أنها أمانة من غير شبهة.

والثاني: وأنتم تعلمون ما في الخيانة من المأثم بخلاف من جهل»[1].

وقال الشوكاني في فتح القدير: «وأنتم تعلمون أن ذلك الفعل خيانة فتفعلون الخيانة عن عمد، أو أنتم من أهل العلم لا من أهل الجهل»[2].

وفي الكشاف: «(وأنتم تعلمون) تبعة ذلك ووباله وقيل وأنتم تعلمون أنكم تخونون يعني أن الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو، وقيل: وأنتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن »[3].

١-التوبة(٦)-﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾.

«لا يعلمون الحقائق عن الله وما والاه، مما أنزل وشرع وأمر، وهو عند ابن عرفة، وفي مفاتيح الغيب هكذا: «اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ التَّقْلِيدَ غَيْرُ كَافٍ

(١) تفسير الماوردي (٢/ ٣١١).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣٤٤).

(٣) تفسير الزمخشري (٢/ ٢١٣).

فِي الدِّين وَأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ النَّظَر وَالِاسْتِدْلَالِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ التَّقْلِيدُ كَافِيًا، لَوَجَبَ أَنْ لَا يُمْهَلَ هَذَا الْكَافِرُ، بَلْ يُقَالُ لَهُ إِمَّا أَنْ تُؤْمِنَ، وَإِمَّا أَنْ نَقْتُلَكَ فَلَمَّا لَمْ يُقَلْ لَهُ ذَلِكَ، بَلْ أَمْهَلْنَاهُ وَأَزَلْنَا الْخَوْفَ عَنْهُ وَوَجَبَ عَلَيْنَا أَنْ نُبْلِغَهُ مَأْمَنَهُ عَلِمْنَا أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ لِأَجْل أَنَّ التَّقْلِيدَ فِي الدِّين غَيْرُ كَافٍ، بَلْ لَا بُدَّ مِنَ الْحُجَّةِ وَالدَّلِيل فَأَمْهَلْنَاهُ وَأَخَّرْنَاهُ لِيَحْصُلَ لَهُ مُهْلَةُ النَّظَر وَالِاسْتِدْلَالِ. إِذَا ثَبَتَ هَذَا فَنَقُولُ: لَيْسَ فِي الْآيَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مِقْدَارَ هَذِهِ الْمُهْلَةِ كَمْ يَكُونُ وَلَعَلَّهُ لَا يُعْرَفُ مِقْدَارُهُ إِلَّا بِالْعُرْفِ، فَمَتَى ظَهَرَ عَلَى الْمُشْرِكِ عَلَامَاتُ كَوْنِهِ طَالِبًا لِلْحَقِّ بَاحِثًا عَنْ وَجْهِ الِاسْتِدْلَالِ أُمْهِلَ وَتُرِكَ وَمَتَّى ظَهَرَ عَلَيْهِ كَوْنُهُ مُعْرِضًا عَنِ الْحَقِّ دَافِعًا لِلزَّمَانِ بِالْأَكَاذِيبِ لَمْ يُلْتَفَتْ إِلَيْهِ والله أَعْلَمُ اهـ »[1].

وقال في التحرير والتنوير: «قوم لا يعلمون ما يحتوي عليه القرآن من الإرشاد والهدى، ولذلك جُعلوا قوماً لا يعلمون دون أن يقال بأنّهم لا يعلمون: للإشارة إلى أنّ نفي العلم مطّرد فيهم، فيشير إلى أنّ سبب اطّراده فيهم هو نشأته عن الفكرة الجامعة لأشتاتهم، وهي عقيدة الإشراك.

والعلم، في كلام العرب، بمعنى العقل وأصالة الرأي، وأنّ عقيدة الشرك مضادة لذلك، أي كيف يعبد ذو الرأي حجراً صَنعه وهو يعلم أنّه لا يُغني عنه»[2].

وقال البغوي: «(ذلك بأنهم قوم لا يعلمون)، أي: لا يعلمون دين الله تعالى وتوحيده فهم محتاجون إلى سماع كلام الله. قال الحسن: وهذه الآية محكمة إلى يوم القيامة»[3].

وقال البيضاوي: «لا يعلمون ما الإيمان وما حقيقة ما تدعوهم إليه فلا بد من أمانهم ريثما يسمعون ويتدبرون»[4].

---

(١) مفاتيح الغيب ١٥/ ٥٣٠ – ٥٣١.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ١٢٠).

(٣) تفسير البغوي (٤/ ١٤).

(٤) تفسير البيضاوي (٣/ ٧٢).

وقال الشعراوي: «إذن فالإيمان ليس بالفطرة فقط؛ لأن العلم له وسائل كثيرة؛ علم بالفطرة، وعلم بالاكتساب، إذن فالمستجير جاء ليطلب وسائل العلم وأدلة الإيمان؛ وعذره أنه لا يعلم، وعلينا أن نحسن الظن وأن نعتبر المستجير طالب علم بالحقيقة، ويريد أن يأخذ أدلة الإيمان»[1].

٢-التوبة(١١)- ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾.

في الوجيز: «أنها من عند الله »[2].

وفي البحر المحيط: «لأنه لا يتأمل تفصيلها إلا من كان من أهل العلم والفهم»[3].

وفي الكشاف: «(ونفصل الآيات) ونبينها. وهذا اعتراض كأنه قيل: وإن من تأمل تفصيلها، فهو العالم بعثاً وتحريضاً على تأمل ما فصل من أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها»[4].

وقال الطبري: «يَعْلَمُونَ ما بُيِّن لهم، فنشرحها لهم مفصلة، دون الجهال الذين لا يعقلون عن الله بيانه ومحكم آياته»[5].

وفي روح المعاني: «(لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) ما فصلنا أو من ذوي العلم على أن الفعل متعد ومفعوله مقدر أو منزل منزلة اللازم، والعلم كما قيل كناية عن التأمل والتفكر أو مجاز مرسل عن ذلك بعلاقة السببية، والجملة معترضة للحث على التأمل في الآيات وتدبرها»[6].

---

(١) تفسير الشعراوي (٨/ ٤٨٩٧).

(٢) الوجيز للواحدي (ص: ٤٥٥).

(٣) البحر المحيط في التفسير (٥/ ٣٧٩).

(٤) تفسير الطبري (١١/ ٣٦١).

(٥) تفسير الزمخشري (٢/ ٢٥١).

(٦) تفسير الألوسي (٥/ ٢٥٢).

٣-التوبة(٤١)-﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤١﴾

(إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) فيه وجهان:

ويرى الماوردي: أحدهما: إن كنتم تعلمون صدق الله تعالى فيما وعد به من ثوابه وجنته.

والثاني: إن كنتم تعلمون أن الخير في الجهاد.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: إن كنتم تعلمون أن الله تعالى يريد لكم الخير[١]

وقال العز بن عبد السلام: «(تَعْلَمُونَ) صدق وعد الله تعالى بثواب الجهاد»[٢].

وقال البيضاوي: «إن كنتم تعلمون أن الخير في أوامر الله، إن كنتم تعلمون أنه خير إذ إخبار الله تعالى به صدق فبادروا إليه»[٣].

وفي التحرير والتنوير: «والإشارة بـ(ذلكم) إلى الجهاد المستفاد من (وجاهدوا).

وإبهام (خير) لقصد توقّع خير الدنيا والآخرة من شعب كثيرة أهمها الاطمئنان من أن يغزوهم الروم ولذلك عُقب بقوله: (إن كنتم تعلمون) أي إن كنتم تعلمون ذلك الخير وشعبه. وفي اختيار فعل العلم دون الإيمان مثلاً للإشارة إلى أنّ من هذا الخير ما يخفى فيحتاج متطلّب تعيين شعبه إلى إعمال النظر والعلم»[٤].

٤-التوبة(٩٣)-﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٩٣﴾.

---

(١) تفسير الماوردي (٢/ ٣٦٦).

(٢) تفسير العز بن عبد السلام (٢/ ٢٣).

(٣) تفسير البيضاوي (٣/ ٨٢).

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٠٧).

لا يعلمون ما أراد الله لهم أن يعلموا عن الله وجزائه على الأعمال مثل الرضى أن: يكونوا مع الخوالف.

قال الطبري: «فهم لا يعلمون سوء عاقبتهم، بتخلفهم عنك، وتركهم الجهاد معك، وما عليهم من قبيح الثناء في الدنيا، وعظيم البلاء في الآخرة»[1].

وقال الشعراوي: «لأنهم رفضوا العلم من ذواتهم ورفضوه من غيرهم»[2].

وفي الوسيط: «وبسبب هذا الإصرار على النفاق، والتمادي في الفسوق والعصيان، ختم الله - تعالى - على قلوبهم، فصارت لا تعلم ما يترتب على ذلك من مصائب دينية ودنيوية وأخروية»[3].

وفي تفسير المنار: «أَمْثَالِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ كُنْهَ حَالِهِمْ، وَلَا سُوءَ مَآلِهِمْ، وَمَا هُوَ سَبَبُهُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، فَأَمَّا حَالُهُمْ فِي التَّخَلُّفِ وَطَلَبِ الْقُعُودِ مَعَ الْخَوَالِفِ بِغَيْرِ أَدْنَى عُذْرٍ، فَهُوَ رِضًا بِالذُّلِّ وَالْمَهَانَةِ فِي الدُّنْيَا ؛ لِأَنَّ تَخَلُّفَ الْأَفْرَادِ عَنِ الْقِتَالِ الَّذِي تَقُومُ بِهِ الشُّعُوبُ وَالْأَقْوَامُ، وَرِضَاءَ الرِّجَالِ بِالِانْتِظَامِ فِي سِلْكِ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ، يُعَدُّ فِي عُرْفِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ مِنْ أَعْظَمِ مَظَاهِرِ الْخِزْيِ وَالْعَارِ، وَهُوَ فِي حُكْمِ الْإِسْلَامِ أَقْوَى آيَاتِ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ، وَأَمَّا مَآلُهُمْ وَسُوءُ عَاقِبَتِهِمْ فَهُوَ مَا فَضَحَهُمُ اللهُ بِهِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَمَا شَرَعَهُ لِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ جِهَادِهِمْ وَإِهَانَتِهِمْ، وَعَدَمِ الْعَوْدِ إِلَى مُعَامَلَتِهِمْ بِظَاهِرِ إِسْلَامِهِمْ، وَمَا أَعَدَّهُ لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَالْخِزْيِ الدَّائِمِ فِي نَارِ الْجَحِيمِ. وَهَاتَانِ الْآيَتَانِ بِمَعْنَى الْآيَاتِ (٨٦، ٨٧، ٨٨) وَلَكِنْ أَسْنَدَ فِعْلَ الطَّبْعِ عَلَى الْقُلُوبِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِلَى اسْمِهِ ﷻ، وَهُنَالِكَ أَسْنَدَ إِلَى الْمَفْعُولِ، وَالْمُرَادُ مِنْ كُلٍّ مِنْهُمَا وَاحِدٌ، وَهُوَ بَيَانُ سُنَّةِ اللهِ تَعَالَى وَقَدَرِهِ فِي عَلَاقَةِ الْأَعْمَالِ، بِالْعَقَائِدِ وَالسَّجَايَا وَالْأَخْلَاقِ، إِلَّا أَنَّ التَّصْرِيحَ بِاسْمِ اللهِ تَعَالَى فِيهِ مَزِيدُ إِهَانَةٍ لَهُمْ. وَعَبَّرَ هُنَا بِالْعِلْمِ وَهُنَاكَ بِالْفِقْهِ، وَالْمُرَادُ وَاحِدٌ وَهُوَ الْإِدْرَاكُ

(١) تفسير الطبري (١٤/ ٤٢٤).

(٢) تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٤٠٦).

(٣) التفسير الوسيط لطنطاوي (٦/ ٣٨٣).

وَالْعِرْفَانُ الصَّحِيحُ الَّذِي يَبْعَثُ عَلَى الْعَمَل بِمُقْتَضَاهُ، وَلَكِنَّ الْمُتَبَادِرَ مِنَ الْعِلْمِ تَيَقُّنُ الْمَعْلُومِ، وَمِنَ الْفِقْهِ تَأْثِيرُ الْعِلْمِ فِي النَّفْسِ. نَسْأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُوقِنِينَ، الْفُقَهَاءِ الْمُعْتَبِرِينَ، الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، الْعَامِلِينَ الْمُخْلِصِينَ»[1].

علم بسنن الله

١ - يونس (٥) - ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝﴾.

في التحرير والتنوير: «يعلمون أن اللَّه هو الَّذِي جَعَلَ، وَقَدّرَ، ومَا خَلَقَ ذَلِكَ إِلّا بِالْحَقّ، وأنه يفصل إعراب يعلمون: فعل مضارع مستمر أي يقومون بفعل العلم الذي أمر اللَّه به فيما أنزل وفيما أوحى لرسوله والناس في ذلك صنفان:

قوم يستمرون بفعل العلم .

وقوم يمتنعون عن العلم الذي أمر اللَّه به فلا ينتفعون بكثير مما أنزل.

وفي التحرير والتنوير: «والإتيان بالفعل المضارع لإفادة التكرار.

وجعل التفصيل لأجل قوم يعلمون، أي الذين من شأنهم العلم لما يؤذن به المضارع من تجدد العِلم، وإنما يتجدد لمن هو ديدنه ودَأبه، فإن العلماء أهل العقول الراجحة هم أهل الانتفاع بالأدلة والبراهين.

وذكر لفظ (قوم) إيماء إلى أنهم رسخ فيهم وصف العلم، فكان من مقومات قوميتهم كما تقدم فى قوله: (لآيات لقوم يعقلون) فى سورة [البقرة: ١٦٤]. وفى هذا تعريض بأن الذين لم ينتفعوا بتفصيل الآيات ليسوا من الذين يعلمون ولا ممن رسخ فيهم العلم»[2].

---

(١) تفسير المنار (١٠/ ٥١٠).

(٢) التحرير والتنوير (١١/ ٩٧).

وفي التفسير الميسر: «(لقوم يعلمون* الحكمة في إبداع الخلق»[1].

وقال القرطبي: «أي ما أراد الله ﷻ بخلق ذلك إلا الحكمة والصواب، وإظهارا لصنعته وحكمته، ودلالة على قدرته وعلمه، ولتجزى كل نفس بما كسبت ؛ فهذا هو الحق.

(يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) تفصيل الآيات تبيينها ليستدل بها على قدرته تعالى، لاختصاص الليل بظلامه والنهار بضيائه من غير استحقاق لهما ولا إيجاب ؛ فيكون هذا لهم دليلا على أن ذلك بإرادة مريد»[2].

وفي الوجيز للواحدي: «(لقوم يعلمون) يستدلون بها على قدرة الله»[3].

وفى تفسير المنار: « (يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) اسْتِئْنَافٌ لِبَيَانِ الْمُنْتَفِعِينَ بِهَذِهِ الْحُجَج أَيْ نُبَيِّنُ الدَّلَائِلَ مِنْ حِكَمِ خَلْقِنَا، عَلَى مَا أَوْحَيْنَاهُ إِلَى رَسُولِنَا مِنْ أُصُولِ الْعَقَائِدِ وَأَحْكَامِ الشَّرَائِعِ، مُفَصَّلَةً مُنَوَّعَةً مِنْ كَوْنِيَّةٍ وَعَقْلِيَّةٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وُجُوهَ دَلَالَةِ الدَّلَائِلِ، وَالْفَرْقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، باسْتِعْمَالِ عُقُولِهِمْ فِى فَهْمِ هَذِهِ الْآيَاتِ، فَيَجْزِمُونَ بِأَنَّ مَنْ خَلَقَ هَذَيْنِ النَّيِّرَيْنِ وَمَا فِيهِمَا مِنَ النِّظَامِ بِالْحَقِّ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ خَلَقَهُ لِهَذَا الْإِنْسَانِ الْعَجِيبِ عَبَثًا، وَلَا أَنْ يَتْرُكَهُ سُدًى»[4].

٤- العلم النافع وأهمه العلم باللَّه: من هود - إلى النحل

علم بالجزاء

١-هود(٣٩)-﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾.

وفى قوله: (فسوف تعلمون)، تهديد بالغ، والعذاب المخزي الغرق، والعذاب المقيم عذاب الآخرة، لأنه دائم عليهم سرمد، ومن يأتيه مفعول بتعلمون، وما موصولة، وتعدى تعلمون إلى واحد استعمالاً لها استعمال عرف في التعدية إلى

(١) التفسير الميسر (١/ ٢٠٨).

(٢) تفسير القرطبي (٨/ ٣١٠).

(٣) الوجيز للواحدي (ص: ٤٩٠).

(٤) تفسير المنار (١١/ ٢٤٩).

واحد.

في البحر المحيط: «قال ابن عطية: وجائز أن تكون التعدية إلى مفعولين، واقتصر على الواحد انتهى. ولا يجوز حذف الثانى اقتصاراً، لأنّ أصله خبر مبتدأ، ولا اختصاراً هنا، لأنه لا دليل على حذفه وتعنتهم بقوله: (من يأتيه). وقيل: مَن استفهام في موضع رفع على الابتداء، ويأتيه الخبر، والجملة في موضع نصب، وتعلمون معلق سدت الجملة مسد المفعولين»[1].

وفي التحرير والتنوير: «وفي إسناد (العلم) إلى ضمير المخاطبين دون الضمير المشارك بأن يقال: فسوف نعلم، إيماء إلى أن المخاطبين هم الأحق بعلم ذلك. وهذا يفيد أدباً شريفاً بأن الواثق بأنه على الحق لا يزعزع ثقته مقابلة السفهاء أعماله النافعة بالسخرية، وأن عليه وعلى أتباعه أن يسخروا من الساخرين.

و (مَن) استفهامية معلّقة لفعل العِلم عن العمل، وحلول العذاب: حصوله؛ شبه الحصول بحلول القادم إلى المكان وهو إطلاق شائع حتى ساوى الحقيقة»[2].

وقال السعدي: «وقد علموا ذلك، حين حل بهم العقاب»[3].

وقبله قال القرطبى: «تهديد، و(من) متصلة بـ(سوف تعلمون)، و(تعلمون) هنا من باب التعدية إلى مفعول؛ أي فسوف تعلمون الذي يأتيه العذاب. ويجوز أن تكون (من) استفهامية ؛ أي أينا يأتيه العذاب؟»[4].

٢-هود(٤٦)- ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

---

(١) البحر المحيط في التفسير (٦/ ١٥١).

(٢) التحرير والتنوير (١٢/ ٦٩).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٣٨٢).

(٤) تفسير القرطبي (٩/ ٣٣).

قال ابن عرفة: «كان بعضهم يقول: معناه أن أسألك ما ليس لي به علم بإباحة السؤال عنه، ولا يسأل الإنسان إلا عن ما ليس له به علم»[1].

وفي البحر المحيط: «وقال ابن عطية: معنى قوله: (فلا تسألن ما ليس لك به علم*، أي إذ وعدتك فاعلم يقيناً أنه لا خلف في الوعد، فإذا رأيت ولدك لم يحمل فكان الواجب عليك أن تقف وتعلم أنّ ذلك لحق واجب عند الله، ولكنّ نوحاً عليه السلام حملته شفقة البنوة، وسجية البشر على التعرض لنفحات الرحمة والتذكير، وعلى هذا القدر وقع عقابه، ولذلك جاء بتلطف وترج في قوله: (إني أعظك أن تكون من الجاهلين). ويحتمل قوله: (فلا تسألن ما ليس لك به علم)، أي: لا تطلب مني أمراً لا تعلم المصلحة فيه علم يقين»[2].

وفي التحرير والتنوير: «ومعنى العمل غير الصالح الكفر، وأطلق على الكفر (عمل) لأنه عمل القلب، ولأنّه يظهر أثره في عمل صاحبه كامتناع ابن نوح من الركوب الدال على تكذيبه بوعيد الطوفان.

وتفرع على ذلك نهيه أن يَسأل ما ليس له به علم نهيَ عتاب .

ثم إن كان نوح عليه السلام لم يسبق له وحي من الله بأن الله لا يغفر للمشركين في الآخرة كان نهيه عن أن يسأل ما ليس له به علم، نهيَ تنزيه لأمثاله لأن درجة النبوءة تقتضي أن لا يقدم على سؤال ربه سؤْلاً لا يعلم إجابته»[3].

وقال السعدي: «ما لا تعلم عاقبته، ومآله، وهل يكون خيراً، أو غير خير»[4].

وفي أيسر التفاسير: «(من الجاهلين): أي من الذين لا يعرفون جلالي وصدق وعدي ووفائي، فتسألني ما ليس لك به علم»[5].

---

(١) تفسير ابن عرفة (٢/ ٣٥٩).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٦/ ١٦٣)، وهو عند ابن عطية (٣/ ١٧٧).

(٣) التحرير والتنوير (١٢/ ٨٦).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٣٨٢).

(٥) أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٥٤٨).

٣-هود(٤٧)-﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧﴾.

قال الشوكاني في فتح القدير: «أعوذ بك أن أطلب منك ما لا علم لي بصحته وجوازه»[١].

وقال الطبري: «أستجير بك أن أتكلف مسألتك ما ليس لي به علم، مما قد استأثرت بعلمه، وطويت علمه عن خلقك، فاغفر لي زلتي في مسألتي إياك ما سألتك في ابني، وإن أنت لم تغفرها لي وترحمني فتنقذني من غضبك، (أكن من الخاسرين)، يقول: من الذين غبنوا أنفسهم حظوظَها وهلكوا»[٢].

وقال ابن عرفة: «كان بعضهم يقول: معناه أن أسألك ما ليس لي به علم بإباحة السؤال عنه، ولا يسأل الإنسان إلا عما ليس له به علم.

فكان بعضهم يقول: حكمة ذلك أنه إن كان المستعيذ تقدمت منه حالة منافية لحالة الاستعاذة؛ فيؤتى بفعل الاستبعاد مستقبلاً»[٣].

وفي البحر المحيط: «أنْ أسألك من أن أطلب في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأديباً بأدبك، واتعاظاً بموعظتك، وهذه إنابة من نوح عليه السلام وتسليم لأمر الله . قال ابن عطية: والسؤال الذي وقع النهي عنه والاستعاذة والاستغفار منه هو سؤال العزم الذي معه محاجة، وطلبه ملحة فيما قد حجب وجه الحكمة فيه. وأما السؤال فى الأمور على جهة التعلم والاسترشاد فغير داخل فى هذا، وظاهر قوله: (فلا تسألن ما ليس لك به علم)، يعم النحوين من السؤال، ولذلك نبهت على أنّ المراد أحدهما دون الآخر»[٤].

وفي مفاتيح الغيب: «واعلم أن قوله: (إنى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٧١).
(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٤٣٧).
(٣) تفسير ابن عرفة (٢/ ٣٥٩).
(٤) البحر المحيط في التفسير (٦/ ١٦٣).

علم) إخبار عما في المستقبل، أي لا أعود إلى هذا العمل، ثم أشتغل بالاعتذار عما مضى، فقال: (وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين) وحقيقة التوبة تقتضى أمرين: أحدهما: فى المستقبل، وهو العزم على الترك وإليه الإشارة بقوله: (إنى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم) والثاني: في الماضي وهو الندم على ما مضى وإليه الإشارة بقوله: (وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين) »[1].

٤-هود(٩٣)- ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ٩٣﴾.

قال البيضاوي: «قال: سوف تعلمون من المعذب والكاذب منى ومنكم.وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الأول إليهم، والثاني إليه، لكنهم لما كانوا يدعونه كاذباً قال:ومن هو كاذب على زعمهم»[2].

علم بالله وما والاه

١-يوسف(٢٢)-﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢﴾.

مطلق العلم هنا هو العلم النافع ويبدأ بالعلم بالله وبسننه في خلقه وماوالاه، وآتاه الله علماً.

قال ابن ابى حاتم: «عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾، هُوَ: الْفِقْهُ، وَالْعِلْمُ، وَالْعَقْلُ، قَبْلَ النُّبُوَّةِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: (﴿الْحُكْمُ﴾: الْعِلْمُ). عَنِ السُّدِّيِّ، قَوْلُهُ: (﴿حُكْمًا﴾، قَالَ: النُّبُوَّةُ).

عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: (﴿الْحُكْمُ﴾، هُوَ: الْقُرْآنُ)»[3].

وفي التحرير والتنوير: «والحكم والحكمة مترادفان، وهو: علم حقائق الأشياء

---

(١) تفسير الرازي (١٨/ ٣٥٩).

(٢) تفسير البيضاوي (٣/ ١٤٦).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١١٩).

والعمل بالصالح واجتناب ضده. وأريد به هنا النبوءة والمراد بالعلم علم زائد على النبوءة وتنكير علماً للنوعية، أو للتعظيم. والمراد: علم تعبير الرؤيا، وقال فخر الدين: الحكم: الحكمةُ العملية لأنها حكمٌ على هدى النفس. والعلمُ: الحكمةُ النظرية.

آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا: أي حكمة وهي في لسان العرب العلم النافع المؤيد بالعمل لأنه بدونه لا يعتدّ به، والعمل بخلاف العلم سفه، أو حكماً بين الناس (وَعِلْماً) يعني علم تأويل الرؤيا، وخص بالذكر لأنه غير داخل فيما قبله، أو أفراد بالذكر لأنه مما له شأن وليوسف عن هواها وصونها عما لا ينبغي. والعلم هو العلم النظري، وقيل: أراد بالحكمة الحكم بين الناس. وبالعلم العلم بوجوه المصالح فإن الناس كانوا إذا تحاكموا إلى العزيز أمره بأن يحكم بينهم لما رأى من عقله وإصابته في الرأي»[1].

وفي روح المعاني: «وعن ابن عباس أن الحكم: النبوة، والعلم: الشريعة وتنكيرهما للتفخيم أي حكماً وعلماً لا يكتنه كنههما، ولا يقادر قدرهما، وتعقب كون المراد بالعلم العلم بتأويل الأحاديث»[2].

علم بالله علم بجزاء الله

١-الحجر(٣)-﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾.

قال في البحر المحيط: «فسوف يعلمون عاقبة أمرهم، وما يؤولون إليه في الدنيا من الذل والقتل والسبي، وفي الآخرة من العذاب السرمدي»[3].

وفي التحرير والتنوير: «(فسوف يعلمون) بأنه مما يستعمل في الوعيد كثيراً

(١) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٤٨).

(٢) تفسير الألوسي (٦/ ٤٠٠).

(٣) البحر المحيط في التفسير (٦/ ٤٦٥).

حتى صار كالحقيقة»[1].

وفي تفسير الجلالين: « (فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم، وهذا قبل الأمر بالقتال»[2].

وقال الشعراوي: «وكلمة «سوف» تدل على أن الزمن مُتراخ قليلاً؛ فالأفعال مثل «يعلم» تعني أن الإنسان قد يعلم الآن؛ ويعلم من بَعْد الآن بوقت قصير، أما حين نقول «سوف يعلم» فتشمل كل الأزمنة»[3].

وفي الظلال: «حيث لا ينفع العلم بعد فوات الأوان.. وهو أمر فيه تهديد لهم، وفيه كذلك لمسة عنيفة لعلهم يصحون من الأمل الخادع الذي يلهيهم عن المصير المحتوم»[4].

١-النحل(٢٥)- ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

قال السعدي: «أي: من أوزار المقلدين الذين لا علم عندهم إلا ما دعوهم إليه، فيحملون إثم ما دعوهم إليه، وأما الذين يعلمون فكلٌّ مستقلٌّ بجرمه، لأنه عرف ما عرفوا»[5].

وفي فتح القدير: «يضلون الناس جاهلين غير عالمين بما يدعونهم إليه، ولا عارفين بما يلزمهم من الآثام، وقيل إنه حال من المفعول: أي يضلون من لا علم له»[6].

وقال ابن عرفة: «(بِغَيْرِ علم) إنه حال من الفاعل لأن العلم إنما بطلب ممن

---

(١) التحرير والتنوير (١٤/ ١٤).
(٢) تفسير الجلالين (ص: ٣٣٨).
(٣) تفسير الشعراوي (١٢/ ٧٦٤١).
(٤) في ظلال القرآن (٤/ ٢١٢٦).
(٥) تفسير السعدي (ص: ٤٣٨).
(٦) تفسير فتح القدير (٣/ ١٥٧).

ينصب نفسه منصب المفيد لَا ممن نصبها منصب المستفيد»[1].

وفي البحر المحيط: « و(بغير علم) قال الزمخشري: حال من المفعول أي: يضلون من لا يعلم أنهم ضلال. وقال غيره: حال من الفاعل وهو أولى، إذ هو المحدث عنه المسند إليه الإضلال على جهة الفاعلية، والمعنى: أنهم يقدمون على هذا الإضلال جهلاً منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد على ذلك الإضلال. ثم أخبر تعالى عن سوء ما يتحملونه للآخرة»[2].

وقال البيضاوي: «(بغير علم)حال من المفعول أي يضلون من لا يعلم أنهم ضلال، وفائدتها الدلالة على أن جهلهم لا يعذرهم إذ كان عليهم أن يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل»[3].

وقال الماوردي: «(بغير علمٍ) وجهين:

أحدهما: بغير علم المضلّ بما دعا إليه.

الثاني: بغير علم الضال بما أجاب إليه»[4].

وفى مراح لبيد: «(بغَيْر عِلْمٍ) أي إن هؤلاء الرؤساء يقدمون على الإضلال جهلاً منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد في مقابلته»[5].

٢-النحل(٢٧)-﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

قال في الوسيط: «والمراد بالذين أوتوا العلم، كل من اهتدى إلى الحق في الدنيا؛ وأخلص لله - تعالى - العبادة والطاعة»[6].

---

(١) تفسير ابن عرفة (٣/ ١٦).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٦/ ٥٢٠).

(٣) تفسير البيضاوي (٣/ ٢٢٤).

(٤) تفسير الماوردي (٣/ ١٨٤).

(٥) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (١/ ٥٩٠) .

(٦) التفسير الوسيط لطنطاوي (٨/ ١٣٦).

قال القطان: «الذين يعلمون الحقّ من الأنبياء والمؤمنين والملائكة»[1].

وفي روح المعاني: «من أهل الموقف وهم الأنبياء عليهم السلام والمؤمنون الذين أوتوا علماً بدلائل التوحيد وكانوا يدعونهم في الدنيا إلى التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم»[2].

وقال البيضاوي: «الأنبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم إلى التوحيد»[3].

وفي مراح لبيد: «يقول المؤمنون الذين أوتوا علماً بدلائل التوحيد»[4].

وفي التحرير والتنوير: «هم الذين آتاهم الله علم الحقائق من الرّسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنون»[5].

٣-النحل(٣٩)- ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ٣٩﴾.

قال ابن عاشور فى التحرير والتنوير: «(ليبين) تعليل لقوله تعالى: (وعداً عليه حقاً) [سورة النحل: ٣٨] لقصد بيان حكمة جعله وعداً لازماً لا يتخلّف، لأنه منوط بحكمة، والله تعالى حكيم لا تجري أفعاله على خلاف الحكمة التامّة، أي جعل البعث ليبيّن للناس الشيء الذي يختلفون فيه من الحقّ والباطل فيظهر حقّ المحقّ ويظهر باطل المبطل في العقائد ونحوها من أصول الدّين وما ألحق بها.

وشمل قوله: (يختلفون) كل معانى المحاسبة على الحقوق لأن تمييز الحقوق من المظالم كلّه محل اختلاف الناس وتنازعهم.

وعطف على هذه الحكمة العامّة حكمةٌ فرعيّة خاصّة بالمردود عليهم هنا، وهي حصول العلم للّذين كفروا بأنهم كانوا كاذبين فيما اخترعوه من الشرك

---

(١) تيسير التفسير للقطان (٢/ ٣١٢).

(٢) تفسير الألوسي (٧/ ٣٦٨).

(٣) تفسير البيضاوي (٣/ ٢٢٤).

(٤) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (١/ ٥٩١).

(٥) التحرير والتنوير (١٤/ ١٣٧).

وتحريم الأشياء وإنكار البعث.

وفي حصول علمهم بذلك يوم البعث مثارٌ للندامة والتحسّر على ما فرط منهم من إنكاره. وقد تقدّم بيان حكمة الجزاء فى يوم البعث فى أول سورة يونس. و (كانوا كاذبين) أقوى في الوصف بالكذب من (كذَبوا أو كاذبون)، لما تدلّ عليه (كان) من الوجود زيادة على ما يقتضيه اسم الفاعل من الاتّصاف، فكأنه قيل: وُجد كذبهم ووصفوا به. وكذبهم يستلزم أنهم معذّبون عقوبة على كذبهم. ففيه شتم صريح تعريض بالعقاب»[1].

وفى التفسير الميسر: «يبعث الله جميع العباد؛ ليبين لهم حقيقة البعث الذي اختلفوا فيه، ويعلم الكفار المنكرون له أنهم على باطل، وأنهم كاذبون حين حلفوا أنْ لا بعث»[2].

وقال الشعراوي: «وذلك علم يقين ومعاينة، ولكن بعد فوات الأوان، فالوقت وقت حساب وجزاء لا ينفع فيه الاعتراف ولا يُجدي التصديق، فالآن يعترفون بأنهم كانوا كاذبين في قَسَمهم: لا يبعث الله مَنْ يموت»[3].

وفي روح المعاني: «قيل: ولكون العلم بما ذكر من روادف ذلك التبيين قيل: (وَلِيَعْلَمَ الذين كَفَرُواْ) دون وليجعل الذين كفروا عالمين، وخص الإسناد بهم حيث لم يقل وليعلموا أن الذين كفروا كانوا كاذبين تنبيهاً على أن الأهم علمهم، وقيل: لم يقل ذلك لأن علم المؤمنين بما ذكر حاصل قبل ذلك أيضاً. وتعقب بأن حصول مرتبة من مراتب العلم لا يأبى حصول مرتبة أعلى منها، فلم لم يقل ذلك إيذاناً بحصول هذه المرتبة من العلم لهم حينئذ، ولعل فيه غفلة عن مراد القائل. وجوز أن يراد من علم الكفرة بأنهم كانوا كاذبين تعذيبهم على كذبهم فكأنه قيل: ليظهر للمؤمنين والكافرين الحق وليعذب الكافرون على كذبهم فيما

---

(١) المرجع السابق (١٤/ ١٥٥).

(٢) التفسير الميسر (١/ ٢٧١).

(٣) تفسير الشعراوي (١٣/ ٧٩٣٣).

كانوا يقولونه من أنه تعالى لا يبعث من يموت ونحوه، وهذا كما يقال للجاني: غداً تعلم جنايتك، وحينئذ وجه تخصيص الإسناد بهم ظاهر»[1].

في قولهم على الله بغير علم أنه لا يبعث وأنى لهم القول.

٤-النحل(٥٥)-﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٥٥﴾.

قال في الميسر: «ليجحدوا نعمنا عليهم، ومنها كَشْفُ البلاء عنهم، فاستمتعوا بدنياكم، ومصيرها إلى الزوال، فسوف تعلمون عاقبة كفركم وعصيانكم»[2].

٥- العلم النافع وأهمه العلم باللَّه: من الإسراء-إلى الأنبياء

علم بالله وبأمره

١-الإسراء(٨٥)-﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾

قال البيضاوي: «(وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) تستفيدونه بتوسط حواسكم، فإن اكتساب العقل للمعارف النظرية.

إنما هو من الضروريات المستفادة من إحساس الجزئيات، ولذلك قيل من فقد حساً فقد فقد علماً. ولعل أكثر الأشياء لا يدركه الحس ولا شيئاً من أحواله المعروفة لذاته، وهو إشارة إلى أن الروح مما لا يمكن معرفة ذاته إلا بعوارض تميزه عما يلتبس به،فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب: (وما رب العالمين) بذكر بعض صفاته. روي: أنه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم ذلك قالوا: أنحن مختصون بهذا الخطاب؟فقال:بل نحن وأنتم، فقالوا:ما أعجب شأنك ساعة تقول: (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً). وساعة تقول هذا فنزلت (ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام) وما قالوه لسوء فهمهم لأن الحكمة الإنسانية أن يعلم من الخير والحق ما تسعه القوة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده، وهو والإضافة إلى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل

(١) تفسير الألوسي (٧/ ٣٨١).

(٢) التفسير الميسر (١/ ٢٧٣).

ينال به خير الدارين وهو بالإضافة إليه كثيراً»[1].

وقال ابن عاشور: «وروى ابن العربي في الأحكام «عن ابن وهب عن مالك أنه قال: لم يأته في ذلك جواب ا. هـ. أي أن قوله: (قل الروح من أمر ربي) ليس جواباً ببيان ما سألوا عنه ولكنه صرف عن استعلامه وإعلام لهم بأن هذا من العلم الذي لم يؤتوه. والاحتمالات كلها مرادة، وهي كلمة جامعة. وفيها رمز إلى تعريف الروح تعريفاً بالجنس وهو رسم.

وجملة (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) يجوز أن تكون مما أمَر الله رسولَه أن يقوله للسائلين فيكون الخطاب لقريش أو لليهود الذين لقنوهم، ويجوز أن يكون تذييلاً أو اعتراضاً فيكون الخطاب لكل من يصلح للخطاب، والمخاطبون متفاوتون في القليل المستثنى من المؤْتَى من العلم. وأن يكون خطاباً للمسلمين.

والمراد بالعلم هنا المعلوم، أي ما شأنه أن يعلم أو من معلومات الله . ووصفه بالقليل بالنسبة إلى ما من شأنه أن يعلم من الموجودات والحقائق»[2].

وقال الماوردي: «(وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) فيه وجهان:

أحدهما: إلا قليلاً من معلومات الله .

الثاني: إلا قليلاً بحسب ما تدعو الحاجة إليه حالاً فحالاً.

وفيمن أريد بقوله تعالى: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) قولان:

أحدهما: أنهم اليهود خاصة، قاله قتادة.

الثاني: النبي ﷺ وسائر الخلق»[3].

وفي مراح لبيد: «وما أعطيتم من العلم فيما عند الله إلا علماً قليلاً تستفيدونه

---

(١) تفسير البيضاوي (٣/ ٢٦٥).

(٢) التحرير والتنوير (١٥/ ١٩٨).

(٣) تفسير الماوردي (٣/ ٢٧١).

من طرق الحواس»[1].

١-الكهف(٦٥)-﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾.

قال الشوكاني في فتح القدير: «وهو ما علمه الله سبحانه من علم الغيب الذي استأثر به، وفي قوله من لدنا تفخيم لشأن ذلك العلم، والرحلة في ذلك ما يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته، وأن يتواضع لمن هو أعلم منه»[2].

وقال السعدي: «وكان قد أعطي من العلم ما لم يعط موسى، وإن كان موسى عليه السلام أعلم منه بأكثر الأشياء، وخصوصا في العلوم الإيمانية، والأصولية، لأنه من أولي العزم من المرسلين، الذين فضلهم الله على سائر الخلق، بالعلم، والعمل، وغير ذلك، فلما اجتمع به موسى قال له على وجه الأدب والمشاورة، والإخبار عن مطلبه»[3].

وقال القرطبي: «والخضر نبي عند الجمهور...أي علم الغيب، قال ابن عطية: كان علم الخضر علم معرفة بواطن قد أوحيت إليه، لا تعطي ظواهر الأحكام أفعاله بحسبها ؛ وكان علم موسى علم الأحكام والفتيا بظاهر أقوال الناس وأفعالهم»[4].

وفي البحر المحيط: «(من عندنا) أي مما يختص بنا من العلم وهو الإخبار عن الغيوب»[5].

علم بالله وما والاه

٢-الكهف(٦٦)-﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾.

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (١/ ٦٣٦).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٥٤).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٤٨٢).

(٤) تفسير القرطبي (١١/ ١٦).

(٥) البحر المحيط في التفسير (٧/ ٢٠٤).

قال في التفسير الميسر: «لتعلمني من العلم الذي علمك الله إياه ما أسترشد به وأنتفع»[1].

وقال البيضاوي: «(قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن) على شرط أن تعلمني، (مما علمت رشداً) علماً ذا رشد وهو إصابة الخير، ويجوز أن يكون رشداً علة لأتبعك، ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة أن يتعلم من غيره ما لم يكن شرطاً في أبواب الدين، فإن الرسول ينبغي أن يكون أعلم ممن أرسل إليه فيما بعث به من أصول الدين وفروعه لا مطلقاً، وقد راعى في ذلك غاية التواضع والأدب، فاستجهل نفسه واستأذن أن يكون تابعاً له، وسأل منه أن يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما أنعم الله عليه»[2].

وقال السعدي: «تعلمني مما علمك الله، ما به أسترشد وأهتدي، وأعرف به الحق في تلك القضايا؟ وكان الخضر، قد أعطاه الله من الإلهام والكرامة، ما به يحصل له الاطلاع على بواطن كثير من الأشياء التي خفيت، حتى على موسى عليه السلام»[3].

وفي الوسيط: «وكان علم الخضر يتعلق ببعض الغيب ومعرفة البواطن، اختص الله - تعالى - أحدهما بعلم لا يعلمه الآخر»[4].

علم بالله وماوالاه

١-مريم(٤٣)-﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣﴾.

قال القرطبي: «أي من اليقين والمعرفة بالله وما يكون بعد الموت، وأن من

(١) التفسير الميسر (١/ ٣٠١).

(٢) تفسير البيضاوي (٣/ ٢٨٧).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٤٨٢).

(٤) التفسير الوسيط لطنطاوي (٨/ ٥٥٣).

عبد غير الله عذب»[1].

وفي البحر المحيط: «إذ في لفظ (جاءني) تجدد العلم، والذي جاءه الوحي الذي أتى به الملك أو العلم بأمور الآخرة وثوابها وعقابها أو توحيد الله وإفراده بالالوهية والعبادة أقوال ثلاثة (فاتبعني) على توحيد الله بالعبادة وارفض الأصنام (أهدك صراطاً سوياً) وهو الإيمان بالله وإفراده بالعبادة»[2].

٢-مريم(٧٥)-﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾.

قال في الوسيط: «علموا وأيقنوا أن الأمر بخلاف ما كانوا يظنون وما كانوا يقولون لأنهم سينزل الله - تعالى - بهم (إِمَّا العذاب) الدنيوى على أيدى المؤمنين (وَإِمَّا الساعة) أي: وإما عذاب الآخرة وهو أشد وأبقى.

وحينئذ يعلمون ويوقنون (مَنْ هُوَ) من الفريقين (شَرٌّ مَّكَاناً) أي: أسوأ منزلاً ومسكناً (وَأَضْعَفُ جُنداً) وأضعف أعواناً وأنصاراً.

وهذه الجملة الكريمة رد على قول المشركين قبل ذلك: (أَيُّ الفريقين خَيْرٌ مَّقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً) »[3].

علم بالقران المتضمن العلم بالله وما والاه

١-طه(١١٤)-﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾.

قال في البحر المحيط: «قال مقاتل «أي قرآناً. وقيل: فهماً. وقيل: حفظاً وهذا القول متضمن للتواضع لله والشكر له عند ما علم من ترتيب التعلم أي علمتني مآرب لطيفة في باب التعلم وأدباً جميلاً ما كان عندي، فزدني علماً. وقيل: ما أمر

---

(١) تفسير القرطبي (١١/ ١١١).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٧/ ٢٦٩).

(٣) التفسير الوسيط لطنطاوي (٩/ ٦٥).

الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلّا في طلب العلم»[1].

وقال البغوي: «يعني بالقرآن ومعانيه. وقيل: علماً إلى ما علمت. وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: اللّهم رب زدني علماً وإيماناً ويقيناً»[2].

وقال البيضاوي: «أي سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فإن ما أوحي إليك تناله لا محالة»[3].

وفي التحرير والتنوير: «والجمع بين اسم الجلالة واسمه (المَلِك) إشارة إلى أن إعظامه وإجلاله مستحَقّان لذاته بالاسم الجامع لصفات الكمال، وهو الدال على انحصار الإلهيّة وكمالها. ثمّ أتبع بـ(الحق) للإشارة إلى أن تصرفاته واضحة الدلالة على أن ملكه ملك حق لا تصرف فيه إلاّ بما هو مقتضَى الحكمة. والحق: الذي ليس فى ملكه شائبة عجز ولا خضوع لغيره، وفيه تعريض بأن ملك غيره زائف. وفى تفريع ذلك على إنزال القرآن إشارة أيضاً إلى أن القرآن قانون ذلك الملك، وأن ما جاء به هو السياسة الكاملة الضامنة صلاح أحوال متبعيه في الدنيا والآخرة.

وفيه تلطف مع النبى ﷺ إذ أتبع نهيه عن التعجل الذي يرغبه بالإذن له بسؤال الزيادة من العلم، فإن ذلك مجمع كل زيادة سواء كانت بإنزال القرآن أم بغيره من الوحي والإلهام إلى الاجتهاد تشريعاً وفهماً»[4].

وفي الوسيط: «يا رب زدني من علمك النافع»[5].

زدني علماً إلى ما علمتني بك وبكتابك وبشرعك.

١-الأنبيـــــاء(٧)-﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا

(١) البحر المحيط في التفسير (٧/ ٣٨٨).

(٢) تفسير البغوي (٥/ ٢٩٧).

(٣) تفسير البيضاوي (٤/ ٤٠).

(٤) التحرير والتنوير (١٦/ ٣١٦).

(٥) التفسير الوسيط لطنطاوي (٩/ ١٥٧).

تَعۡلَمُونَ ۝٧﴾.

قال الإمام ابن كثير: «أي اسألوا أهل العلم من الأمم كاليهود والنصارى وسائر الطوائف هل كان الرسل الذين أتوهم بشراً أو ملائكة، وإنما كانوا بشراً وذلك من تمام نعمة الله على خلقه إذ بعث فيهم رسلاً منهم يتمكنون من تناول البلاغ منهم والأخذ عنهم»[1].

«وقوله (إن كنتم لا تعلمون) من حيث إنّ قريشاً لم يكن لها كتاب سابق ولا إثارة من علم. والظاهر أن (أهل الذكر) هم أحبار أهل الكتابين وشهادتهم تقوم بها الحجة في إرسال الله البشر هذا مع موافقة قريش في ترك الإيمان بالرسول ﷺ، فشهادتهم لا مطعن فيها. وقال عبد الله بن سلام: أنا من أهل الذكر، وقيل: أهل العلم بالسير وقصص الأمم البائدة والقرون السالفة، فإنهم كانوا يفحصون عن هذه الأشياء وإذا كان (أهل الذكر) أريد بهم اليهود والنصارى فإنهم لما بلغ خبرهم حد التواتر جاز أن يسألوا ولا يقدح في ذلك كونهم كفاراً»[2].

وقال البغوي: «(فاسألوا أهل الذكر)، يعني: أهل التوراة والإنجيل، يريد علماء أهل الكتاب، فإنهم لا ينكرون أن الرسل كانوا بشراً، وإن أنكروا نبوة محمد ﷺ، وأمر المشركين بمسألتهم لأنهم إلى تصديق من لم يؤمن بالنبي ﷺ أقرب منهم إلى تصديق من آمن به»[3].

ويرى البيضاوي: «فأمرهم أن يسألوا أهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والإحالة عليهم إما للإلزام فإن المشركين كانوا يشاورونهم في أمر النبي عليه الصلاة والسلام ويثقون بقولهم»[4].

وفي التفسير الميسر: «(وما أرسلنا قبلك) - أيها الرسول – (إلا رجالاً) من

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٥/ ٣٣٤).
(٢) البحر المحيط في التفسير (٧/ ٤١٠).
(٣) تفسير البغوي (٥/ ٣١١).
(٤) تفسير البيضاوي (٤/ ٤٦).

البشر نوحي إليهم، ولم نرسل ملائكة، (فاسألوا) - يا كفار مكة - أهل العلم بالكتب المنزلة السابقة، إن كنتم تجهلون»[1].

فاسألوا أهل العلم: ليس على وجه العموم، وإنما في إرسالنا ووحينا ماذا أرسلنا ولمن أوحينا.

٢-الأنبيـــــاء(٧٤)-﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

قال الشنقيطي: «قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: «الْحُكْمُ: النُّبُوَّةُ. وَالْعِلْمُ: الْمَعْرِفَةُ بِأَمْرِ الدِّينِ، وَمَا يَقَعُ بِهِ الْحُكْمُ بَيْنَ الْخُصُومِ. وَقِيلَ: عِلْمًا: فَهْمًا. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: (حُكْمًا): حِكْمَةً، وَهُوَ مَا يَجِبُ فِعْلُهُ، أَوْ فَصْلًا بَيْنَ الْخُصُومِ، وَقِيلَ: هُوَ النُّبُوَّةُ. قَالَ مُقَيِّدُهُ - عَفَا اللَّهُ عَنْهُ -: أَصْلُ الْحُكْمِ فِي اللُّغَةِ: الْمَنْعُ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ. فَمَعْنَى الْآيَاتِ أَنَّ اللَّهَ آتَاهُ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْعِلْمِ مَا يَمْنَعُ أَقْوَالَهُ وَأَفْعَالَهُ مِنْ أَنْ يَعْتَرِيَهَا الْخَلَلُ»[2].

وفي التفسير الميسر: «وآتينا لوطًا النبوة وفصل القضاء بين الخصوم وعلمًا بأمر الله ودينه»[3].

وقال البيضاوي: «(وعلماً) بما ينبغي علمه للأنبياء»[4].

وقال الشعراوي: «وفرْقٌ بين العلْم والحكم: العلم أن تُحقِّق وتعرف، أمَّا الحكم فسلوك وتطبيق لما تعلم، فالعلم تحقيق والحكم تطبيق»[5].

أوضح صفة للأنبياء والرسل العلم بالله أولا وقد يفضل كل واحد منهم بعلوم أخرى مناسبة لأحوالهم على غيرهم.

---

(١) التفسير الميسر (١/ ٣٢٢).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/ ١٦٨).

(٣) التفسير الميسر (١/ ٣٢٨).

(٤) تفسير البيضاوي (٤/ ٥٦).

(٥) تفسير الشعراوي (١٥/ ٩٥٩٤).

٣-الأنبيـــاء(٧٩)-﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾.

قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: «إذ أن الحُكمين لم يكونا عن وحي من الله وأنهما إنما كانا عن علم أُوتيه داوود وسليمان، فذلك من القضاء بالاجتهاد. وهو جار على القول الصحيح من جواز الاجتهاد للأنبياء ولنبينا عليهم الصلاة والسلام ووقوعِه في مختلف المسائل. وقد كان قضاء داوود حقاً لأنه مستند إلى غرْم الأضرار على المتسببين في إهمال الغنم، وأصل الغرْم أن يكون تعويضاً ناجزاً فكان ذلك القضاء حقاً»[١].

وقال الطبري: «(وَكُلا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا) يقول: وكلهم من داود وسليمان والرسل الذين ذكرهم في أوّل هذه السورة (آتينا حكما) وهو النبوة، (وعلما): يعني وعلما بأحكام الله»[٢].

وفي أيسر التفاسير: «أي كلاً من داود وولده سليمان أعطيناه حكماً أي النبوة وعلماً بأحكام الله وفقهها»[٣].

٦- العلم النافع وأهمه العلم باللَّه: من الحج-إلى الشعراء

١-الحج(٥٤)-﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾.

قال الجزائري في أيسر التفاسير: «(وليعلم الذين أوتوا العلم) باللَّه وآياته وتدبيره (أنه الحق من ربك) أي ذلك الإلقاء والنسخ وإحكام الآيات بعده (فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم) أي تطمئن وتسكن عنده وتخشع فيزدادون هدى»[٤].

---

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ١١٧).

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٣٢١).

(٣) أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٤٣١).

(٤) المرجع السابق (٣/ ٤٨٨).

وقال ابن عرفة: «(وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) مع أن العلم بوحدانية الله تعالى مرادف للإيمان، فالجواب: إما أن يراد بالعلم العلم التصويري، وبالثاني الذي هو الإيمان العلم التصديقي»[1].

وقال ابن كثير: «أي وليعلم الذين أوتوا العلم النافع الذي يفرقون به بين الحق والباطل والمؤمنون بالله ورسوله أن ما أوحيناه إليك هو الحق من ربك الذي أنزله بعلمه وحفظه وحرسه أن يختلط به غيره بل هو كتاب عزيز، وقوله: (فيؤمنوا به) أي يصدقوه وينقادوا له (فتخبت له قلوبهم) أي تخضع وتذل له قلوبهم»[2].

وفي التحرير والتنوير: «ومعنى هذه الآية: أن الأنبياء والرسل يرجون اهتداء قومهم ما استطاعوا فيبلغونهم ما ينزل إليهم من الله ويعظونهم ويدعونهم بالحجة والمجادلة الحسنة حتى يظنوا أن أمنيتهم قد نجحت ويقترب القوم من الإيمان، فيأتي الشيطان فلا يزال يوسوس في نفوس الكفار فينكصون على أعقابهم، وتلك الوساوس ضروب شتى من تذكيرهم بحب آلهتهم، ومن تخويفهم بسوء عاقبة نبذ دينهم، ونحو ذلك من ضروب الضلالات التي حُكيت عنهم في تفاصيل القرآن، فيتمسك أهل الضلالة بدينهم ويصدّون عن دعوة رسلهم، وكلما أفسد الشيطان دعوة الرّسل أمرَ الله رسلَه فعاودوا الإرشاد وكرروه وهو سبب تكرر مواعظ متماثلة في القرآن، فبتلك المعاودة يُنسخ ما ألقاه الشيطان وتُثبت الآيات السالفة. فالنسخ: الإزالة، والإحكام: التثبيت. وفي كلتا الجملتين حذف مضاف، أي ينسخ آثارَ ما يُلقي الشيطان، ويُحكم آثارَ آياته. واللامان في قوله (ليجعل) وفي قوله (وليعْلَمَ) متعلقان بفعل (ينسخ الله) فإن النسخ يقتضي منسوخاً، وفي (يجعل) ضميرٌ عائد إلى الله في قوله: (فينسخ الله). والجعل هنا: جَعل نظام ترتب المسببات على أسبابها.

---

(١) تفسير ابن عرفة (٣/ ١٩٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٤٦).

فالمعنى: أنّ الله مكّن الشيطان من ذلك الفعل، ونسخ ما يلقيه الشيطان بواسطة رسُله وآياته ليكون من ذلك فتنة، ضلال، كفر، وهدي، إيمان بحسب اختلاف القابليات»[1].

وفي التفسير الميسر: «وليعلم أهل العلم الذين يفرقون بعلمهم بين الحق والباطل أن القرآن الكريم هو الحق النازل من عند الله عليك أيها الرسول، لا شبهة فيه، ولا سبيل للشيطان إليه، فيزداد به إيمانهم، وتخضع له قلوبهم»[2].

وفي تفسير الجلالين «(وليعلم الذين أوتوا العلم) التوحيد والقرآن (أنه) أي القرآن»[3].

وقال الطبري: «يقول تعالى ذكره: وكي يعلم أهل العلم بالله أن الذي أنزله الله من آياته التي أحكمها لرسوله، ونسخ ما ألقى الشيطان فيه، أنه الحق من عند ربك يا محمد. يقول: فيصدّقوا به.يقول: فتخضع للقرآن قلوبهم، وتذعن بالتصديق به والإقرار بما فيه»[4].

وقال النسفي: «وليعلم الذين أوتوا العلم بالله وبدينه وبالآيات»[5].

وفي وجيز الواحدي: «(وليعلم الذين أوتوا العلم) التوحيد والقرآن (أنه الحق) أي: الذي أحكم الله سبحانه من آيات القرآن »[6].

٢-الحج(٧١)-﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ٧١﴾.

قال ابن كثير: «(ما لم ينزل به سلطاناً وما ليس لهم به علم) أي ولا علم لهم

---

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ٣٠٠).
(٢) التفسير الميسر (١/ ٣٣٨).
(٣) تفسير الجلالين (ص: ٤٤١).
(٤) تفسير الطبري (١٦/ ٦١٣)
(٥) تفسير النسفي (٢/ ٤٤٩).
(٦) الوجيز للواحدي (ص: ٧٣٨).

فيما اختلقوه وائتفكوه وإنما هو أمر تلقوه عن آبائهم وأسلافهم بلا دليل ولا حجة وأصله مما سول لهم الشيطان زينه لهم»[1]

وفي التفسير الميسر: «فهم يعبدون آلهة، لم يَنْزِل في كتاب مِن كتب الله برهان بأنها تصلح للعبادة، ولا علم لهم فيما اختلقوه، وافتروه على الله، وإنما هو أمر اتبعوا فيه آباءَهم بلا دليل»[2].

وفي التحرير والتنوير: «والسلطان: الحجة. والحجة المنزّلة: هي الأمر الإلهي الوارد على ألْسنة رسله وفي شرائعه، أي يعبدون ما لا يجدون عذراً لعبادته من الشرائع السالفة: وقصارى أمرهم أنهم اعتذروا بتقدم آبائهم بعبادة أصنامهم، ولم يدّعوا أن نبيئاً أمر قومه بعبادة صنم ولا أن ديناً إلهياً رخص في عبادة الأصنام. و (ما ليس لهم به علم)، أي ليس لهم به اعتقاد جازم لأنّ الاعتقاد الجازم لا يكون إلاّ عن دليل، والباطل لا يمكن حصول دليل عليه»[3].

ويقول الشعراوي: «كأن العبادة - وهي: طاعة أمر واجتناب نهي - يجب أن تكون صادرة من أعلى منا جميعاً، فليس لأحد منا أن يُشرّع للآخر، فيأمره أو ينهاه؛ لأن الأمر من المساوي لك لا مُرجح له، وله أنْ يقول لك: لماذا أنت تأمر وأنا أطيع؟ أما إنْ جاء الأمر من أعلى منك فأنت تطيع بلا اعتراض، ومعك الحجة أن الأمر من أعلى منك

تقول: أبي أمرني بكذا وكذا، أو ربي أمرني بكذا وكذا، أو نهاني عن كذا وكذا إذن: كل دليل على حكم الفعل أو الترك لا بُدَّ أنْ يكون مصدره من الحق سبحانه وتعالى، فهو الأعلى مني ومنك، وإذا انصعْتَ لأمره ونهيه فلا حرجَ عليَّ ولا ضرر؛ لأنني ما انصعت لمساوٍ إنما انصعت لله الذي أنا وأنت عبيد له، ولا غضاضةَ في أن نتبع حكمه. فليس الأمر تسلط أو جبروت من أحد، وليس فيه

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٥٣).

(٢) التفسير الميسر (١/ ٣٤٠).

(٣) التحرير والتنوير (١٧/ ٣٣٣).

مذلّة ولا استكانة لأحد (وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ..) يعني: علم الاجتهاد الذي يستنبط الأحكام من الحكم المُجْمل الذي يُنزله الحق تبارك وتعالى، وهذه هي حجة العلم»[1].

وفي الوجيز للواحدي: «(وما ليس لهم به علم) لم يأتهم به كتاب ولا نبي»[2].

علم بسبيل الله علم بالجزاء

١-الفرقان(٤٢)-﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾.

علم بسبيل الله سبيل الرشاد (تمييز سبيل الذين لا يعلمون سبيل المفسدين (وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ) سبيل الطاغوت.

قال الجزائري في أيسر التفاسير: «(وسوف يعلمون حين يرون العذاب) في الدنيا أو في الآخرة أي عندما يعاينون العذاب يعرفون من كان أضل سبيلاً هم أم الرسول والمؤمنون»[3].

وقال ابن أبي حاتم: «عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنِ الْحَسَنِ، ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، قَالَ: وَعِيدٌ»[4].

وفي التفسير الميسر: «وسوف يعلمون حين يرون ما يستحقون من العذاب: مَن أضل دينًا أهم أم محمد؟»[5].

وقال النسفي: «وسوف يعلمون حين يرون العذاب هو وعيد ودلالة على أنهم لا يفوتونه وإن طالت مدة الإمهال من أضل سبيلاً»[6].

---

(١) تفسير الشعراوي (١٦/ ٩٩٢٦).
(٢) الوجيز للواحدي (ص: ٧٤٠).
(٣) أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦١٧).
(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٨٢).
(٥) التفسير الميسر (١/ ٣٦٣).
(٦) تفسير النسفي (٢/ ٥٣٩).

وفي الوسيط: «(وسوف يعلمون حين يرون العذاب) تهديد لهم على سوء أدبهم، وعلى جحودهم للحق بعد أن تبين لهم.

أي: وسوف يعلم هؤلاء الكافرون حين يرون العذاب مائلا أمام أعينهم، من أبعد طريقا عن الحق، أهم أم المؤمنون.

فالجملة الكريمة وعيد شديد لهم على استهزائهم بالرسول الكريم الذي جاءهم ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان»[1].

وفي مفاتيح الغيب: «(وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا) لأنهم لما وصفوه بالإضلال في قولهم: (إن كاد) بين تعالى أنه سيظهر لهم من المضل ومن الضال عند مشاهدة العذاب الذي لا مخلص لهم منه فهو وعيد شديد لهم على التعامي والإعراض عن الاستدلال والنظر»[2].

علم بنعم الله

١-الشعراء(١٣٢)-﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ١٣٣﴾.

قال البغوي: «أي: أعطاكم من الخير ما تعلمون»[3].

وفي المنتخب لعلماء الأزهر: «واحذروا غضب الله الذي بسط إليكم يد إنعامه بالذي تعلمونه بين أيديكم من ألوان عطائه»[4].

وفي ظلال القرآن «وهكذا يذكرهم بالمنعم والنعمة على وجه الإجمال أولا: (أمدكم بما تعلمون). وهو حاضر بين أيديهم، يعلمونه ويعرفونه ويعيشون فيه، ثم يفصل بعض التفصيل»[5].

وفي التفسير الميسر: «واخشوا الله الذي أعطاكم من أنواع النعم ما لا خفاء

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٠/ ٢٠٠).

(٢) تفسير الرازي (٢٤/ ٤٦٢).

(٣) تفسير البغوي (٦/ ١٢٣).

(٤) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٥٥٣).

(٥) في ظلال القرآن (٥/ ٢٦١٠).

فيه عليكم»[1].

٢-الشـــــعراء(٢٢٧)-﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧﴾.

قال الشنقيطي في أضواء البيان: «وَالْمَعْنَى: وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مَرْجِعٍ يَرْجِعُونَ، وَأَيَّ مَصِيرٍ يَصِيرُونَ، وَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ، مِنْ أَنَّ الظَّالِمِينَ سَيَعْلَمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَرْجِعَ الَّذِي يَرْجِعُونَ، أَيْ: يَعْلَمُونَ الْعَاقِبَةَ السَّيِّئَةَ الَّتِي هِيَ مَآلُهُمْ وَمَصِيرُهُمْ وَمَرْجِعُهُمْ، جَاءَ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ)»[2].

وقال البيضاوي: «تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الإطلاق والتعميم، وفي أي منقلب ينقلبون أي بعد الموت من الإيهام والتهويل، وقد تلاها أبو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد إليه، وقرئ ((أي منفلت ينفلتون)) من الانفلات وهو النجاة والمعنى: أن الظالمين يطمعون أن ينفلتوا عن عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات»[3].

وقال في تفسير الجلالين: «(وسيعلم الذين ظلموا) من الشعراء وغيرهم (أي منقلب) مرجع (ينقلبون) يرجعون بعد الموت»[4].

وقال القرطبي: «في هذا تهديد لمن انتصر بظلم، قال شريح: سيعلم الظالمون كيف يخلصون من بين يدي الله عز وجل ؛ فالظالم ينتظر العقاب، والمظلوم ينتظرالنصرة أي مصير يصيرون»[5].

---

(١) التفسير الميسر (١/ ٣٧٢).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/ ١٠٨).

(٣) تفسير البيضاوي (٤/ ١٥٢).

(٤) تفسير الجلالين (ص: ٤٩٤).

(٥) تفسير القرطبي (١٣/ ١٥٣).

٧- العلم النافع وأهمه العلم باللَّه: من النمل - إلى القصص

١-النمل(١٥)- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾.

قال صاحب الظلال: «ولا يذكر هنا نوع العلم وموضوعه لأن جنس العلم هو المقصود بالإبراز والإظهار. وللإيحاء بأن العلم كله هبة من اللَّه، وبأن اللائق بكل ذي علم أن يعرف مصدره، وأن يتوجه إلى اللَّه بالحمد عليه، وأن ينفقه فيما يرضي اللَّه الذي أنعم به وأعطاه. فلا يكون العلم مبعدا لصاحبه عن اللَّه، ولا منسياً له إياه. وهو بعض مننه وعطاياه

والعلم الذي يبعد القلب عن ربه علم فاسد، زائغ عن مصدره وعن هدفه. لا يثمر سعادة لصاحبه ولا للناس، إنما يثمر الشقاء والخوف والقلق والدمار، لأنه انقطع عن مصدره، وانحرف عن وجهته، وضل طريقه إلى اللَّه ..

ولقد انتهت البشرية اليوم إلى مرحلة جيدة من مراحل العلم، بتحطيم الذرة واستخدامها. ولكن ماذا جنت البشرية حتى اليوم من مثل هذا العلم الذي لا يذكر أصحابه اللَّه، ولا يخشونه، ولا يحمدون له، ولا يتوجهون بعلمهم إليه؟»[(١)].

وقال ابن كثير: «قال ابن أبي حاتم ذكر عن إبراهيم بن يحيى بن هشام أخبرني أبي عن جدي قال: كتب عمر بن عبد العزيز إن اللَّه لم ينعم على عبده نعمة فيحمد اللَّه عليها إلا كان حمده أفضل من نعمه لو كنت لا تعرف ذلك إلا في كتاب اللَّه المنزل قال اللَّه تعالى: (ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد للَّه الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) فأي نعمة أفضل مما أوتي داود وسليمان عليهما السلام»[(٢)].

لقد ذكر ربنا الإيتاء هنا بأنه العلم ولم يذكر معه شيء آخر من النعم والآلاء

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٢٦٣٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ١٦٤).

الكثيرة، فهذا يدل على أهمية العلم وعظيم شأنه وعلى الفضل بالعلم على كثير من العباد.

ولاشك أنه أساس لكل الخير وأن أهم العلم وأعظمه هو العلم بالله وما والاه وكل نبي تميز بعلم اضافة على العلم بالله علم يناسب حياته وعصره فالذي أضيف هنا كما يقول البغوي في تفسيره[1].

«قوله ﷻ: (ولقد آتينا داود وسليمان علماً)، أي: علم القضاء ومنطق الطير والدواب وتسخير الشياطين وتسبيح الجبال»[2].

وقال البيضاوي: «(وقالا الحمد لله) عطفه بالواو إشعاراً بأن ما قالاه بعض ما أتيا به في مقابلة هذه النعمة كأنه قال: ففعلا شكراً له ما فعلا (وقالا الحمد لله).

وفيه دليل على فضل العلم وشرف أهله حيث شكرا على العلم وجعلاه أساس الفضل، ولم يعتبرا دونه ما أوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما، وتحريض للعالم على أن يحمد الله تعالى على ما آتاه من فضله وأن يتواضع ويعتقد أنه وإن فضل على كثير فقد فضل عليه كثير»[3].

وفي التحرير والتنوير: «وتنكير (علماً) للتعظيم لأنه علم بنبوءة وحكمة كقوله في صاحب موسى (وعلّمناه من لدُنَّا عِلْماً)، وفي فعل (آتينا) ما يؤذن بأنه علم مفاض من عند الله، لأن الإيتاءَ أخصّ من (علّمناه) فلذلك استغني هنا عن كلمة (من لدنّا).

وحكاية قولهما (الحمد لله الذي فضلنا) كناية عن تفضيلهما بفضائل غير العلم فعبَّرا بـ(كثير من عباده) تواضعاً لله . ثم إن كان قولهما هذا جهراً وهو الظاهر كان حجة عَلى أنه يجوز للعالم أن يذكر مرتبته في العلم لفوائد شرعية ترجع إلى أن يَحْذر الناس من الاغترار بمن ليست له أهلية من أهل الدعوى

(١) انظر: تفسير البغوي (٦/ ١٤٨).

(٢) تفسير البغوي (٦/ ١٤٦).

(٣) تفسير البيضاوي (٤/ ١٥٦).

الكاذبة والجعجعة الجالبة، وهذا حكم يستنبط من الآية لأن شرع من قبلنا شرع لنا، وإن قالاه في سرهما لم يكن فيه هذه الحجة»[1].

وقال الطبري: «وقال داود وسليمان: الحمد لله الذي فضلنا بما خصنا به من العلم الذي آتاناه، دون سائر خلقه من بني آدم في زماننا هذا على كثير من عباده المؤمنين به في دهرنا هذا»[2].

وقال الألوسي: «(وَقَالَا) أي قال كل منهما شكراً لما أوتيه من العلم (الحمد لله الذي فَضَّلَنَا) بما آتانا من العلم.

وقال العلامة الزمخشري: «عطف بالواو دون الفاء مع أن الظاهر العكس كما في قولك: أعطيته فشكر إشعاراً بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم وشيء من مواجبه فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قال سبحانه: ولقد آتيناهما علماً فعملا فيه وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة، (وقالا: الحمد لله الذي فضلنا)، وحاصله أن إيتاء العلم من جلائل النعم وفواضل المنح يستدعي إحداث الشكر أكثر مما ذكر فجيء بالواو لأنها تستدعي إضماراً فيضمر ما يقتضيه موجب الشكر من قوله: فعملا به وعلماه فإنه شكر فعلي، وقوله: وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة فإنه شكر قلبي»[3].

٢-النمل(٤٠)- ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ ٤٠﴾.

قال ابن أبي حاتم: «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، يَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، قَالَ: آصِفُ كَاتِبُ سُلَيْمَانَ».

وَكَانَ صِدِّيقًا يَعْلَمُ الاسْمَ الأَعْظَمَ الَّذِي إِذَا دُعِيَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا

(١) التحرير والتنوير (١٩/ ٢٣٤).
(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٢٤).
(٣) تفسير الألوسي (١٠/ ١٦٥).

سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّه، أَنَا آتِيَكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ، فَمُدَّ عَيْنَيْكَ فَلا يَنْتَهِي طَرْفُكَ إِلَى مَدَاهُ حَتَّى أُمْثِلُهُ بَيْنَ يَدَيْكَ، قَالَ ذَلِكَ أُرِيدُ، فَذَكَرُوا أَنَّ آصِفًا تَوَضَّأَ، ثُمَّ رَكَعَ رَكْعَتَيْن، ثُمَّ قَالَ: انْظُرْ يَا نَبِيَّ اللَّه، امْدُدْ عَيْنَيْكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ طَرْفُكَ، فَمَدَّ سُلَيْمَانُ عَيْنَيْهِ نَحْوَ الْيَمَنِ، وَدَعَا آصْفُ فَانْخَرَقَ بِالْعَرْشِ مَكَانُهُ الَّذِي هُوَ فِيهِ، ثُمَّ نَبَعَ بَيْنَ يَدَيْ سُلَيْمَانَ»[1].

وفى تفسير الجلالين: «قال الذي عنده علم من الكتاب المنزل وهو آصف بن برخيا كان صديقا يعلم اسم اللَّه الأعظم»[2].

قال الشعراوي: «تكلم العلماء فى هذه الآية: أولاً: قالوا (الكتاب) يُراد به اللوح المحفوظ، يُعلم اللَّه تعالى بعض خَلْقه أسراراً من اللوح المحفوظ، كذلك مسألة نَقْل العرش فى طرْفة عين لا بُدَّ أن مَنْ فعلها فعلها بعون من اللَّه وبعلم أطلعه اللَّه عليه، فنقله بكُنْ التي لا تحتاج وقتاً ولا قوة»[3].

وقال الطبري: «وقال مجاهد: الذي عنده علم من الكتاب: علم اسم اللَّه»[4].

وفى التفسير الوسيط: «وفى ذلك ما فيه من الدلالة على شرف العلم وفضله وشرف حامليه وفضلهم وأن هذه الكرامة التي وهبها اللَّه - تعالى - لهذا الرجل، كانت بسبب ما آتاه - سبحانه - من علم»[5].

وفي روح المعاني للألوسي: «والمراد بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب المنزلة؛ وقيل: اللوح المحفوظ، وكون المراد به ذلك على جميع الأقوال السابقة في الموصول بعيد جداً، وقيل: المراد به الذي أرسل إلى بلقيس، و(من) ابتدائية وتنكير (عِلْمٍ) للتفخيم والرمز إلى أنه علم غير معهود، قيل: كان ذلك العلم باسم

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٨٧).

(٢) تفسير الجلالين (ص: ٤٩٩).

(٣) تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٧٨٤).

(٤) تفسير الطبري (١٨/ ٧١).

(٥) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٠/ ٣٢٦).

الله تعالى الأعظم الذي إذا سئل به أجاب، وقد دعا ذلك العالم به فحصل غرضه»[1].

وفي ظلال القرآن: «ولقد جرى بعض المفسرين وراء قوله: (عنده علم من الكتاب) فقال بعضهم:إنه التوراة. وقال بعضهم:إنه كان يعرف اسم الله الأعظم. وقال بعضهم غير هذا وذاك. وليس فيما قيل تفسير ولا تعليل مستيقن. والأمر أيسر من هذا كله حين ننظر إليه بمنظار الواقع، فكم في هذا الكون من أسرار لا نعلمها، وكم فيه من قوى لا نستخدمها. وكم في النفس البشرية من أسرار كذلك وقوى لا نهتدي إليها. فحيثما أراد الله هدى من يريد إلى أحد هذه الأسرار وإلى واحدة من هذه القوى، فجاءت الخارقة التي لا تقع في مألوف الحياة، وجرت بإذن الله وتدبيره وتسخيره، حيث لا يملك من لم يرد الله أن يجريها على يديه أن يجريها.

وهذا الذي عنده علم من الكتاب، كانت نفسه مهيأة بسبب ما عنده من العلم، أن تتصل ببعض الأسرار والقوى الكونية التي تتم بها تلك الخارقة التي تمت على يده، لأن ما عنده من علم الكتاب وصل قلبه بربه على نحو يهيئه للتلقي، ولاستخدام ما وهبه الله من قوى وأسرار»[2].

وفي التحرير والتنوير: «و (مِن) في قوله: (من الكتاب) ابتدائية، أي عنده علم مكتسب من الكتب، أي من الحكمة، وأن قوة العناصر طبيعة فيها، وأن الاكتساب بالعلم طريق لاستخدام القوى التي لا تستطيع استخدام بعضها بعضاً. فذكر في هذه القصة مثلاً لتغلب العلم على القوة.

ولما ذَكر الفضل أضافه إلى الله بعنوان كونه ربّه لإظهار أن فضله عليه عظيم إذ هو عبد ربه. فليس إحسان الله إليه إلا فضلاً محضاً، ولم يشتغل سليمان حين أحضر له العرش بأن يبتهج بسلطانه ولا بمقدرة رجاله ولكنه انصرف إلى شكر

---

(١) تفسير الألوسي (١٠/ ١٩٩).

(٢) في ظلال القرآن (٥/ ٢٦٤١).

الله تعالى على ما منحه من فضل وأعطاه من جند مسخرين بالعلم والقوة، فمزايا جميعهم وفضلهم راجع إلى تفضيله»[1].

٢-النمل(٤٢)-﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

قال ابن أبي حاتم: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا﴾:«سُلَيْمَانُ يَقُولُهُ: أُوتِيَ مَعْرِفَةَ اللَّهِ وَتَوْحِيدَهُ»[2].

وقال البغوي: «(وأوتينا العلم من قبلها) قاله سليمان، يقول: وأوتينا العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة»[3].

وقال البيضاوي: «أي أوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء به عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه ولم نزل على دينه»[4].

وقال الطبري: «(وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا) أي: هذه المرأة، بالله وبقدرته على ما يشاء،(وَكُنَّا مُسْلِمِينَ) لله من قبلها»[5].

وقال العز بن عبد السلام: «(وَأُوتِينَا) قاله سليمان عليه الصلاة والسلام، أو بعض قومه. (الْعِلْمَ) بمعرفة الله تعالى وتوحيده، أو النبوة»[6]

وفي التفسير الميسر: «فلما جاءت ملكة (سبأ) إلى سليمان في مجلسه قيل لها: أهكذا عرشك؟ قالت: إنه يشبهه. فظهر لسليمان أنها أصابت في جوابها، وقد علمت قدرة الله وصحة نبوة سليمان عليه السلام، فقال: وأوتينا العلم بالله وبقدرته مِن قبلها، وكنا منقادين لأمر الله متبعين لدين الاسلام»[7].

---

(١) التحرير والتنوير (١٩/ ٢٧١).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٩٢).

(٣) تفسير البغوي (٦/ ١٦٦).

(٤) تفسير البيضاوي (٤/ ١٦١).

(٥) تفسير الطبري (١٨/ ٧٩).

(٦) تفسير العز بن عبد السلام (٢/ ٤٦٨).

(٧) التفسير الميسر (١/ ٣٨٠).

وفي كشاف الزمخشري «لما كان المقام - الذي سئلت فيه عن عرشها وأجابت بما أجابت به - مقاماً أجرى فيه سليمان وملؤه ما يناسب قولهم (وأوتينا العلم) نحو أن يقولوا عند قولها كأنه هو: قد أصابت فى جوابها وطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الإسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات التي تقدمت عند وفدة المنذر وبهذه الآية العجيبة من أمر عرشها - عطفوا على ذلك قولهم: وأوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الإسلام شكراً لله على فضلهم عليها وسبقهم إلى العلم بالله والإسلام قبلها (وصدها) عن التقدم للإسلام عبادة الشمس ونشؤها بين ظهرانى الكفرة ويجوز أن يكون من كلام بلقيس موصولاً بقولها: (كأنه هو) والمعنى: وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان عليه السلام قبل هذه المعجزة أو قبل هذه الحالة تعني: ما تبينت من الآيات عند وفدة المنذر ودخلنا في الإسلام»[1].

وقال النسفى: «(وأوتينا العلم من قبلها) من كلام بلقيس أي أوتينا العلم بقدرة الله تعالى وبصحة نبوتك بالآيات المتقدمة من أمر الهدهد والرسل من قبل هذه المعجزة أي احضار العرش أو من قبل هذه الحالة وكنا مسلمين منقادين لك مطيعين لأمرك ومن كلام سليمان وملئه عطفوا على كلامها قولهم وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها وأوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائفة من قبل مجيئها وكنا مسلمين موحدين خاضعين و(صدها ما كانت تعبد من دون الله) متصل بكلام سليمان»[2].

وفي الوسيط: «والمعنى: وأوتينا العلم بكمال قدرة الله، وصحة نبوتك من قبل هذه المعجزة أو من قبل هذه الحالة، بما شاهدناه من أمر الهدهد. وما سمعناه من رسلنا إليك، وكنا مؤمنين من ذلك الوقت، فلا حاجة إلى إظهار هذه

(١) تفسير الزمخشري (٣/ ٣٦٩).

(٢) تفسير النسفي (٢/ ٦٠٨).

المعجزة»[1].

وفي مفاتيح الغيب: «أما قوله: (وأوتينا العلم من قبلها) ففيه سؤالان، وهو أن هذا الكلام كلام من؟ وأيضا فعلى أي شيء عطف هذا الكلام؟ وعنه جوابان: الأول: أنه كلام سليمان وقومه، وذلك لأن بلقيس لما سئلت عن عرشها، ثم إنها أجابت بقولها: (كأنه هو) فالظاهر أن سليمان وقومه قالوا إنها قد أصابت في جوابها وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الإسلام، ثم عطفوا على ذلك قولهم وأوتينا نحن العلم بالله وبقدرته قبل علمها ويكون غرضهم من ذلك شكر الله تعالى في أن خصهم بمزية التقدم في الإسلام، الثاني: أنه من كلام بلقيس موصولا بقولها: (كأنه هو) والمعنى: وأوتينا العلم بالله وبصحة نبوة سليمان قبل هذه المعجزة أو قبل هذه الحالة»[2].

٣-النمل(٥٢)-﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

(فتلك بيوتهم خاوية) خالية ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الإشارة (بما ظلموا) بظلمهم أي كفرهم (إن في ذلك لآية) لعبرة (لقوم يعلمون) قدرتنا فيتعظون»[3].

وفي التفسير الميسر: «(لقوم يعلمون)، قدرتنا لقوم يعلمون ما فعلناه بهم، وهذه سنتنا فيمن يكذب المرسلين»[4].

وقال الطبري: «لعظة لمن يعلم، فعلنا بهم ما فعلنا»[5].

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٠/ ٣٢٩).

(٢) تفسير الرازي (٢٤/ ٥٥٨).

(٣) انظر: تفسير النسفي (٢/ ٦١٢)، تفسير الجلالين (ص: ٥٠١)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (٣/ ٦٦)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٤/ ٢٠٣)، المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٥٦٩).

(٤) التفسير الميسر (١/ ٣٨١).

(٥) تفسير الطبري (١٨/ ٩٥).

وفي الوسيط: «(لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) أي: يتصفون بالعلم النافع الذي يتبعه العمل الصالح»[1].

علم نافع وأعظمه علم بالله

١-القصص(١٤)-﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾

قال في التحرير والتنوير: «والحكم: الحكمة، والعلم: المعرفة بالله»[2].

وفي النسفي: «علماً بمصالح الدارين»[3].

وفي الوسيط: «(حُكْماً) أي: حكمة وهي الإصابة في القول والفعل، وقيل: النبوة.

(وَعِلْماً) أي: فقها في الدين، وفهما سليما للأمور، وإدراكا قويما لشئون الحياة»[4].

وفي فتح القدير: «وقال ابن إسحاق: العلم بدينه ودين آبائه، وقيل كان هذا قبل النبوة»[5].

٢-القصص(٨٠)-﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

قال الجزائري في أيسر التفاسير: «(وقال الذين أوتوا العلم): أي اعطوا العلم الديني بمعرفة الله والدار الآخرة وموجبات السعادة والشقاء»[6].

وقال البغوي: «(وقال الذين أوتوا العلم)، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني الأحبار من بني إسرائيل، وقال مقاتل: أوتوا العلم بما وعد الله في

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٠/ ٣٤٠).

(٢) التحرير والتنوير (٢٠/ ٨٧).

(٣) تفسير النسفي (٢/ ٦٣٢).

(٤) التفسير الوسيط لطنطاوي (٧/ ٣٣٦).

(٥) فتح القدير للشوكاني (٤/ ١٨٨).

(٦) أيسر التفاسير للجزائري (٤/ ١٠١).

الآخرة»[1].

وفي التحرير والتنوير: «و(ويل) اسم لله للهلاك وسوء الحال، ويستعمل لفظ (ويل) في التعجب المشوب بالزجر، فليس (الذين أوتوا العلم) داعين بالويل على الذين يريدون الحياة الدنيا لأن المناسب لمقام الموعظة لين الخطاب ليكون أعون على الاتعاظ، ولكنهم يتعجبون من تعلق نفوس أولئك بزينة الحياة الدنيا واغتباطهم بحال قارون دون اهتمام بثواب الله الذي يستطيعون تحصيله بالإقبال على العمل بالدين والعمل النافع وهم يعلمون أن قارون غير متخلق بالفضائل الدينية»[2].

وفي التفسير الميسر: «وقال الذين أوتوا العلم بالله وشرعه وعرفوا حقائق الأمور للذين قالوا: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون: ويلكم اتقوا الله وأطيعوه، ثوابُ الله لمن آمن به وبرسله، وعمل الأعمال الصالحة، خيرٌ مما أوتي قارون، ولا يَتَقَبَّل هذه النصيحة ويوفَّق إليها ويعمل بها إلا مَن يجاهد نفسه، ويصبر على طاعة ربه، ويجتنب معاصيه»[3].

وقال الطبري: «وقال الذين أوتوا العلم بالله »[4].

٨- العلم النافع وأهمه العلم باللَّه: من العنكبوت-إلى الروم

علم بالله وماوالاه

١-العنكبوت(١٦)-﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾.

قال صاحب التحرير والتنوير: «ومعنى (إن كنتم تعلمون) إن كنتم تعلمون أدلة

(١) تفسير البغوي (٦/ ٢٢٣).

(٢) التحرير والتنوير (٢٠/ ١٨٤).

(٣) التفسير الميسر (١/ ٣٩٥).

(٤) تفسير الطبري (١٨/ ٣٣١).

اختصاص الله بالإلهية فمفعول العلم محذوف لدلالة ما قبله عليه. ويجوز جعل فعل (تعلمون) منزلاً منزلة اللازم، أي إن كنتم أهل علم ونظر»[1].

وفي التفسير الميسر: «إن كنتم تعلمون ما هو خير لكم مما هو شر لكم»[2].

وفي كشاف الزمخشري: «(إن كنتم تعلمون) يعني: إن كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم. أو إن نظرتم بعين الدراية المبصرة دون عين الجهل العمياء: علمتم أنه خير لكم»[3].

إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ عاقبة العبادة والتقوى والجزاء الذي أعده الله لذلك.

علم بالله علم بالعلاقة مع الله وبالعمل معه

٢-العنكبوت(٤١)-﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۘ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾.

لو كانوا يعلمون من هو الله ويعلمون حقيقة المتخذين أولياء ما اتخذوهم إن أضعف البيوت لَبيت العنكبوت، لو كانوا يعلمون ذلك ما اتخذوهم أولياء، فهم لا ينفعونهم ولا يضرونهم.

قال ابن كثير: «هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين فى اتخاذهم آلهة من دون الله يرجون نصرهم ورزقهم ويتمسكون بهم في الشدائد فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه فليس فى أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت فإنه لا يجدي عنه شيئا فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء»[4].

وقال البيضاوي: « (لو كانوا يعلمون) يرجعون إلى علم لعلموا أن هذا مثلهم وأن دينهم أوهن من ذلك، ويجوز أن يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به

(١) التحرير والتنوير (٢٠/ ٢٢٤).
(٢) التفسير الميسر (١/ ٣٩٨).
(٣) تفسير الزمخشري (٣/ ٤٤٧).
(٤) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٧٩).

تحقيقاً للتمثيل فيكون المعنى: وإن أوهن ما يعتمد به في الدين دينهم»[1].

وفي التحرير والتنوير: «وجملة (لو كانوا يعلمون) متصلة بجملة (كمثل العنكبوت) لا بجملة (وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت). فتقدير جواب (لو) هكذا: لو كانوا يعلمون أن ذلك مثَلُهم، أي ولكنهم لا يعلمون انعدام غناء ما اتخذوه عنهم. وأما أوهنية بيت العنكبوت فلا يجهلها أحد»[2].

وقال السعدي: «فلو كانوا يعلمون حقيقة العلم، حالهم وحال من اتخذوهم، لم يتخذوهم، ولتبرأوا منهم، ولتولوا الرب القادر الرحيم، الذي إذا تولاه عبده وتوكل عليه، كفاه مئونة دينه ودنياه، وازداد قوة إلى قوته، في قلبه وفي بدنه وحاله وأعماله»[3].

وقال القرطبى: «(لو) متعلقة ببيت العنكبوت أي لو علموا أن عبادة الأوثان كاتخاذ بيت العنكبوت التى لا تغنى عنهم شيئا وأن هذا مثلهم لما عبدوها ؛ لا أنهم يعلمون أن بيت العنكبوت ضعيف»[4].

وقال النسفي: «وقال الزجاج في جماعة: تقدير الآية مثل الذين اتخذوا من دون اللَّه أولياء لو كانوا يعلمون كمثل العنكبوت»[5].

وقال الواحدي: «(لو كانوا يعلمون) موضعه عند قوله: مثل الذين اتخذوا من دونه أولياء لو كانوا يعلمون كمثل العنكبوت فهو مؤخر معناه التقديم»[6].

وفى الوسيط: «(لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ) وكل أحد يعلم وهن بيت العنكبوت؟ قلت: معناه، لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم، وأن أمر دينهم بالغ هذه الغاية من

---

(١) تفسير البيضاوي (٤/ ١٩٥).
(٢) التحرير والتنوير (٢٠/ ٢٥٣).
(٣) تفسير السعدي (ص: ٦٣١).
(٤) تفسير القرطبي (١٣/ ٣٤٥).
(٥) تفسير النسفي (٢/ ٦٧٧).
(٦) الوجيز للواحدي (ص: ٨٣٣).

الوهن»[1].

وقال الآلوسي: قوله: (لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ) أي: لو كانوا يعلمون شيئاً من الأشياء، لعلموا أن هذا مثلهم، أو أن أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن»[2].

علم بالله جزاء الله

٣-العنكبوت(٦٦)-﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٦٦﴾.

قال الجزائري: «(فسوف يعلمون): أي سوف يعلمون عاقبة كفرهم إذا أُلقوا في جهنم»[3].

وقال ابن أبي حاتم: «عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا فَسَوْفَ.. وَمَا كَانَ فِي الآخِرَةِ فَسَوْفَ يَبْدُو لَكُمْ»[4].

وفي التحرير والتنوير: «وجملة (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) تفريع على التهديد بالوعيد»[5].

وفي التفسير الميسر: «فسوف يعلمون فساد عملهم، وما أعدَّه الله لهم من عذاب أليم يوم القيامة. وفي ذلك تهديد ووعيد لهم»[6].

وقال الشعراوي: «فرْق فى الاستقبال بين السين وسوف، فلو قال: فسيعلمون لَدلَّتْ على التهديد فى المستقبل القريب، وأنه سيحل بهم العذاب فى الدنيا، أمّا «سوف» فتدلّ على المستقبل البعيد، فتشمل التهديد فى الدنيا وفى الآخرة فهى تستغرق الزمن كله؛ لأن المسلمين فى باديء الأمر كانوا مستضعفين، لا يستطيعون حماية أنفسهم، وذهبوا إلى النبي ﷺ يطلبون منه أن يستنصر الله لهم

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (١١/ ٤٠).
(٢) تفسير الألوسي (١٠/ ٣٦٦).
(٣) أيسر التفاسير للجزائري (٤/ ١٥٣).
(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣١٤).
(٥) التحرير والتنوير (٢١/ ٣٣).
(٦) التفسير الميسر (١/ ٤٠٤).

فلو قال حينئذ في تهديد الكفار «فسيعلمون» لم تكن مناسبة، إنما أعطى الأمد الأوسع للتهديد، فقال: (فَسَوْفَ يَعلَمُونَ) »[1].

وفي الوسيط: «(وَلِيَتَمَتَّعُواْ) بمتع هذه الحياة وزينتها إلى حين (فَسَوْفَ يَعلَمُونَ) عما قريب عاقبة هذا الكفران لنعم الله، وهذا التمتع بزينة الحياة الدنيا دون أن يعلموا شيئاً ينفعهم في أخراهم»[2].

علم بالجزاء

١-الروم(٣٤)-﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣٤﴾.

قال ابن كثير: «(فسوف تعلمون) قال بعضهم والله لو توعدني حارس درب لخفت منه فكيف والمتوعد ههنا هو الذي يقول للشيء كن فيكون ثم قال تعالى منكرا على المشركين فيما اختلفوا فيه من عبادة غيره بلا دليل ولا حجة ولا برهان»[3].

وفي التحرير والتنوير: «والفاء في (فسوف تعلمون) تقريع للإنذار على التوبيخ، وهو رشيق. و(سوف تعلمون) إنذار بأنهم يعلمون في المستقبل شيئاً عظيماً، والعلم كناية عن حصول الأمر الذي يُعلم، أي عن حلول مصائب بهم لا يعلمون كنهها الآن، وهو إيماء إلى عظمتها وأنها غير مترقبة لهم. وهذا إشارة إلى ما سيصابون به يوم بدر من الاستئصال والخزي وهم كانوا يستعجلون بعذاب من جنس ما عذب به الأمم الماضية مثل عاد وثمود، وكانت الغاية واحدة»[4].

وقال الطبري: «(فَسَوْف تَعْلَمُونَ) إذا وردتم على ربكم ما تلقون من عذابه، وعظيم عقابه على كفركم به في الدنيا»[5].

---

(١) تفسير الشعراوي (١٨/ ١١٢٦٨).

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي (١١/ ٥٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٣١٧).

(٤) التحرير والتنوير (٢١/ ٩٨).

(٥) تفسير الطبري (١٨/ ٥٠٠).

وفي فتح القدير: «(فتمتعوا فسوف تعلمون) ما يتعقب هذا التمتع الزائل من العذاب الأليم»[1].

٩- العلم النافع وأهمه العلم باللَّه: من لقمان - إلى فاطر

علم باللَّه، علم بسبيل اللَّه، علم بالجزاء والعاقبة

١-لقمان(٦)-﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦﴾ .

والاشتراء كناية عن العناية بالشيء، والاغتباط به.

قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: «فالاشتراء هنا مستعمل في صريحه وكنايته: فالصريح تشويه لاقتناء النضر بن الحارث قِصص رستم وإسفنديار وبهرام، والكناية تقبيح للذين التّفوا حوله وتلقّوا أخباره، أي من الناس من يشغله لهو الحديث والولع به عن الاهتداء بآيات الكتاب الحكيم: ما يُقصد منه تشغيل البال وتقصير طول وقت البطالة دون نفع، لأنه إذا كانت في ذلك منفعة لم يكن المقصود منه اللَّه و بل تلك المنفعة. و(لهو الحديث) ما كان من الحديث مراداً للَّه، فإضافة (لهو) إلى (الحديث) على معنى (مِن) التبعيضية على رأي بعض النحاة، وبعضهم لا يثبت الإضافة على معنى (من) التبعيضية فيردها إلى معنى اللام.

والأصح في المراد بقوله (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) أنه النضر بن الحارث فإنه كان يسافر في تجارة إلى بلاد فارس فيتلقى أكاذيب الأخبار عن أبطالهم في الحروب المملوءة أكذوبات فيقصّها على قريش في أسمارهم ويقول: إن كان محمد يحدثكم بأحاديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بأحاديث رستم وإسفنديار وبهرام. ومن المفرسين من قال: إن النضر كان يشتري من بلاد فارس كُتب أخبار ملوكهم فيحدث بها قريشاً، أي بواسطة من يترجمها لهم. ويشمل

(١) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٢٦٠).

لفظ (النَّاس) أهل سامره الذين ينصتون لما يقصه عليهم، ومعنى (ليضل عن سبيل الله) أنه يفعل ذلك ليلهي قريشاً عن سماع القرآن فإن القرآن سبيل موصل إلى الله تعالى، أي إلى الدين الذي أراده، فلم يكن قصده مجرد الله و بل تجاوزه إلى الصد عن سبيل الله، وهذا زيادة في تفظيع عمله.

قوله (بغير علم) لأن أصل تعلق المجرورات أن يرجع إلى المتعلَّق المبنى عليه الكلام، فالمعنى: يشتري لهو الحديث بغير علم، أي عن غير بصيرة فى صالح نفسه حيث يستبدل الباطل بالحق. والضمير المنصوب في (يتخذها) عائد إلى (سبيل الله) فإن السبيل تؤنث»[1].

وقال الطبري: «(بغَيرِ عِلْم) يقول: فعل ما فعل من اشترائه لهو الحديث جهلا منه بما له في العاقبة عند الله من وزر ذلك وإثمه»[2].

وفي مفاتيح الغيب: «(بغير علم) عائد إلى الشراء أي يشتري بغير علم ويتخذها أي يتخذ السبيل»[3].

علم بالله وما والاه أول وأهم العلوم

١-سبأ(٦)-﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦﴾.

قال البيضاوي: «(ويرى الذين أوتوا العلم) ويعلم أولو العلم من الصحابة ومن شايعهم من الأمة، أو من مسلمى أهل الكتاب. (الذي أنزل إليك من ربك) القرآن. (هو الحق)، وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق عياناً كما علموه الآن برهاناً»[4].

وفي التحرير والتنوير: «واختير فعل الرؤية هنا دون «ويعلم» للتنبيه على أنه

(١) التحرير والتنوير (٢١/ ١٤٢).
(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٥٤٠).
(٣) تفسير الرازي (٢٥/ ١١٥).
(٤) تفسير البيضاوي (٤/ ٢٤٢).

علم يقيني بمنزلة العِلم بالمرئيات التي علمها ضروري»[1].

وفي التفسير الميسر: «ويعلم الذين أُعطوا العلم أن القرآن الذي أُنزل إليك من ربك هو الحق، ويرشد إلى طريق الله»[2].

١٠- العلم النافع وأهمه العلم باللَّه: من يس - إلى غافر

علم بجزاء الله

١-الصافات(١٧٠)-﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾.

قال ابن كثير: «وعيد أكيد وتهديد شديد على كفرهم بربهم عز وجل وتكذيبهم رسوله ﷺ»[3].

وفي التحرير والتنوير: «والتقدير: فكان عندهم ذكر فكفروا به، فالضمير عائد إلى الذكر وهو القرآن، وهوْلُه بما ضمنه من الإبهام. و«سوف» أخت السين في إفادة مطلق الاستقبال»[4].

وفي التفسير الميسر: «فلما جاءهم ذكر الأولين، وعلم الآخرين، وأكمل الكتب، وأفضل الرسل، وهو محمد ﷺ، كفروا به، فسوف يعلمون ما لهم من العذاب في الآخرة»[5].

علم بالله

١-الزمر(٩)-﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ .

قال ابن أبي حاتم: «قَالَ ابْنُ عُمَرَ: ذَاكَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ﷺ وَإِنَّمَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ

---

(١) التحرير والتنوير (٢٢/ ١٤٥).

(٢) التفسير الميسر (١/ ٤٢٨).

(٣) تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ٤٤).

(٤) التحرير والتنوير (٢٣/ ١٩٤).

(٥) تفسير الطبري (١٩/ ٦٥٦).

ذَلِكَ، لِكَثْرَةِ صَلاةِ أَمِير الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بِاللَّيْلِ وَقِرَاءَتِهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾، يَقُولُ: يَحْذَرُ عَذَابَ الْآخِرَةِ»[1].

وقال ابن كثير: «يقول ﷻ أمن هذه صفته كمن أشرك بالله وجعل له أندادا؟ لا يستوون عند الله، عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: القانت المطيع لله ﷻ ولرسوله ﷺ، وقال الحسن وقتادة آناء الليل أوله وأوسطه وآخره وقوله تعالى (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) أي في حال عبادته خائف راج»[2]

وفى البحر المحيط: والتقدير: أهذا القانت خير أم الكافر المخاطب بقوله (قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ)؟

تقديره: أهذا الكافر خير أم من هو قانت؟

والتقدير: بل أمّن هو قانت صفته كذا، كمن ليس كذلك.

وقال النحاس: أم بمعنى بل،ومن بمعنى الذي، والتقدير: بل الذي هو قانت أفضل ممن ذكر قبله.

ولما ذكر العمل ذكر العلم فقال: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ)، فدل أن كمال الإنسان محصور في هذين المقصودين، فكما لا يستوي هذان، كذلك لا يستوي المطيع والعاصي. والمراد بالعلم هنا:ما أدى إلى معرفة الله ونجاة العبد من سخطه»[3].

وقال البغوي: «مجازه: أمن هو قانت كمن هو غير قانت؟

والوجه الآخر: أنه عطف على الاستفهام، مجازه: الذي جعل لله أنداداً خير أمن هو قانت؟

ومن قرأ بالتخفيف فهو ألف استفهام دخلت على من، معناه: أهذا كالذي

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٨٨).

(٣) البحر المحيط في التفسير (٩/ ١٨٨).

جعل لله أنداداً؟. وقيل: الألف في (أمن) بمعنى حرف النداء، تقديره: يامن هو قانت، والعرب تنادي بالألف كما تنادي بالياء، فتقول: أبني فلان ويا بني فلان، فيكون معنى الآية: قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار، ويا من هو قانت (آناء الليل)، إنك من أهل الجنة، قاله ابن عباس. وفي رواية عطاء: نزلت في أبي بكر الصديق.

والقانت: المقيم على الطاعة. قال ابن عمر: ((القنوت)): قراءة القرآن وطول القيام»[1].

وقال البيضاوي: «(قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) نفى لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية على وجه أبلغ لمزيد فضل العلم. وقيل تقرير للأول على سبيل التشبيه أي كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون (إنما يتذكر أولو الألباب) بأمثال هذه البيانات»[2].

وفي التفسير الميسر: «أهذا الكافر المتمتع بكفره خير، أم من هو عابد لربه طائع له، يقضي ساعات الليل في القيام والسجود لله، يخاف عذاب الآخرة، ويأمُل رحمة ربه؟ قل -أيها الرسول-: هل يستوي الذين يعلمون ربهم ودينهم الحق والذين لا يعلمون شيئًا من ذلك؟ لا يستوون. إنما يتذكر ويعرف الفرق أصحاب العقول السليمة»[3].

وقال السعدي: «(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ) ربهم ويعلمون دينه الشرعي ودينه الجزائي، وما له في ذلك من الأسرار والحكم (وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) شيئا من ذلك؟»[4].

---

(١) تفسير البغوي (٧/ ١١٠).

(٢) تفسير البيضاوي (٥/ ٣٨).

(٣) التفسير الميسر (١/ ٤٥٩).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٧٢٠).

وقال القرطبي: «الذين يعلمون هم الذين ينتفعون بعلمهم ويعملون به، فأما من لم ينتفع بعلمه ولم يعمل به فهو بمنزلة من لم يعلم»[1].

وعند الزمخشري: «وأراد بالذين يعلمون: العاملين من علماء الديانة كأنه جعل من لا يعمل غير عالم»[2].

وفي المنتخب لعلماء الأزهر: «هل يستوى الذين يعلمون حقوق الله فيوحدونه، والذين لا يعلمون»[3].

وفي مراح لبيد: «(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ) توحيد الله وأمره ونهيه»[4].

يعلمون عذاب الله في الآخرة.

علم بالله وما والاه

٢-الزمر(٢٦)-﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

قال البيضاوي: «لو كانوا من أهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به»[5].

وفي التفسير الميسر: «لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن ما حلَّ بهم؛ بسب كفرهم وتكذيبهم لاتَّعظوا»[6].

وفي روح المعاني للألوسي: «لو كانوا من شأنهم أن يعلموا شيئاً لعلموا ذلك واعتبروا به»[7].

وفي فتح القدير: «(لو كانوا يعلمون) أي لو كانوا ممن يعلم الأشياء ويتفكر

---

(١) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٤٠).

(٢) تفسير الزمخشري (٤/ ١١٧).

(٣) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٦٨٥).

(٤) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (٢/ ٣٢٦).

(٥) تفسير البيضاوي (٥/ ٤١).

(٦) التفسير الميسر (١/ ٤٦١).

(٧) تفسير الألوسي (١٢/ ٢٥٠).

فيها ويعمل بمقتضى علمه»[1].

وفي مراح لبيد: «فالعذاب المدخر لهم في يوم القيامة أعظم من ذلك الذي وقع، (لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ) عذاب الآخرة ما كذبوا رسلهم، ولكن لا علم لهم أصلاً»[2].

٣-الزمر(٢٩)-﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

ضرب هنا مثلاً لعابد آلهة كثيرة، ومن يعبد الله وحده،

قال في البحر المحيط: «ومثل برجل مملوك اشترك فيه ملاك سيئي الأخلاق، فهو لايقدر أن يوفي كل واحد منهم مقصوده، إذ لا يتغاضى بعضهم لبعض لمشاحتهم، وطلب كل منهم أن يقضي حاجته على التمام، فلا يزال في عناء وتعب ولوم من كل منهم.

ورجل آخر مملوك جميعه لرجل واحد، فهو معني بشغله لايشغله عنه شيء، ومالكه راض عنه إن قد خلص لخدمته وبذل جهده في قضاء حوائجه، فلا يلقى من سيده إلا إحساناً»[3].

وقال البغوي: «(بل أكثرهم لا يعلمون)، ما يصيرون إليه»[4].

وقال البيضاوي: «(بل أكثرهم لا يعلمون) فيشركون به غيره من فرط جهلهم»[5].

وفى التحرير والتنوير: «(بل أكثرهم لا يعلمون) أي لا يعلمون عدم استواء الحالتين ولو علموا لاختاروا لأنفسهم الحسنى منهما، ولَمَا أصرُّوا على الإشراك.

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٥٢٨).

(٢) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (٢/ ٣٣٠).

(٣) البحر المحيط في التفسير (٩/ ١٩٧).

(٤) تفسير البغوي (٧/ ١١٨).

(٥) تفسير البيضاوي (٥/ ٤٢).

وأفاد هذا أن ما انتحلوه من الشرك وتكاذيبه لا يمتّ إلى العلم بصلة فهو جهالة واختلاق. و (بل) للإضراب الانتقالي. وأسند عدم العلم لأكثرهم لأن أكثرهم عامة أتباعٌ لزعمائهم الذين سنُّوا لهم الإشراك وشرائعَه انتفاعاً بالجاه والثناء الكاذب بحيث غَشَّى ذلك على عملهم»[1].

وفي التفسير الميسر: «ضرب الله مثلا عبدًا مملوكًا لشركاء متنازعين، فهو حيران في إرضائهم، وعبدًا خالصًا لمالك واحد يعرف مراده وما يرضيه، هل يستويان مثلا؟ لا يستويان، كذلك المشرك هو في حَيْرة وشك، والمؤمن في راحة واطمئنان. فالثناء الكامل التام لله وحده، بل المشركون لا يعلمون الحق فيتبعونه»[2].

وفي تفسير الجلالين: «(لا يعلمون) ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون»[3].

«وقيل: (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً) ولم يقل: مثلين لأنهما كلاهما ضربا مثلاً واحداً، فجرى المثل بالتوحيد»[4].

وفي كشاف الزمخشري: «فقد ثبت أنه لا إله إلا هو (بَل أكثرهم لا يعلَمُونَ)»[5].

وعند الماوردي «(بل أكثرهم لا يعلمون) يحتمل وجهين:

أحدهما: لا يعلمون المثل المضروب.

الثاني: لا يعلمون بأن الله هو الإله المعبود»[6].

وقال الشوكاني: «فإن المؤمنين بالله يعلمون ما في التوحيد من رفعة شأنه

---

(١) التحرير والتنوير (٢٣/ ٤٠٣).

(٢) التفسير الميسر (١/ ٤٦١).

(٣) تفسير الجلالين (ص: ٣٠٩).

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٠٠).

(٥) تفسير الزمخشري (٤/ ١٢٦).

(٦) تفسير الماوردي (٥/ ١٢٥).

وعلو مكانه، وإن الشرك لا يماثله بوجه من الوجوه، ولا يساويه في وصف من الأوصاف، ويعلمون أن الله سبحانه يستحق الحمد على هذه النعمة، وأن الحمد مختص به»[1].

وفي مراح لبيد: «(بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) أن الحمد له تعالى لا لغيره وأن المستحق للعبادة هو الله لا غيره، ويقال: لا يعلمون أمثال القرآن»[2].

وفي مفاتيح الغيب: «والمعنى أنه لما بطل القول بإثبات الشركاء والأنداد، وثبت أنه لا إله إلا هو الواحد الأحد الحق، ثبت أن الحمد له لا لغيره، ثم قال بعده: (بل أكثرهم لا يعلمون) أي لا يعلمون أن الحمد له لا لغيره، وأن المستحق للعبادة هو الله لا غيره»[3].

٤-الزمر(٣٩)-﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

قال ابن كثير: «(فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) ما يلزم أن تعلموا وثمرة جهلكم، وقوله تعالى (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) أي على طريقتكم وهذا تهديد ووعيد (إني عامل) أي على طريقتي ومنهجي (فسوف تعلمون) أي ستعلمون غب ذلك ووباله»[4].

جزاء الله على أفعالهم

١-غافر(٧٠)-﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾﴾

قال ابن عرفة: «(فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) وفيه الفاء للتعقيب وسوف للتنفيس، فكيف صح الجمع بينهما؟ فالجواب: إن التعقيب لذات الشيء، والتنفيس للعليم بذلك، وفرق بين كون الأغلال في أعناقهم وعلمهم قبل نزوله بهم ليس كعلمه بعد

(١) تفسير فتح القدير (٤/ ٤٦٢).
(٢) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (٢/ ٣٣١).
(٣) تفسير الرازي (٢٦/ ٤٥١).
(٤) تفسير ابن كثير (٧/ ١٠١).

حلوله بهم»[1].

قال ابن كثير: «(فسوف يعلمون) هذا تهديد شديد ووعيد أكيد من الرب جل جلاله»[2].

وفي التحرير والتنوير «وتفرع على تكذيبهم وعيدهم بما سيلقونه يوم القيامة فقيل فسوف يعلمون، أي سوف يجدون العذاب الذي كانوا يجادلون فيه فيعلمونه. وعبر عن وجدانهم العذاب بالعلم به بمناسبة استمرارهم على جهلهم بالبعث وتظاهرهم بعدم فهم ما يقوله الرسول فأنذروا بأن ما جهلوه سيتحققونه يومئذٍ، وحذف مفعول (يعلمون) لدلالة (كَذَّبُوا بالكتاب) عليه، أي يتحققون ما كذبوا به. والظرف الذي في قوله: (إذِ الأغلال في أعناقهم) متعلق بـ(يعلمون) أي يعلمون في ذلك الزمن. وشأن (إذْ) أن تكون اسماً للزمن الماضي واستعملت هنا للزمن المستقبل بقرينة (سوف) فهو إما استعمالُ المجاز بعلاقة الإطلاق، وإما استعارة تبعية للزمن المستقبل المحقق الوقوع تشبيهاً بالزمن الماضي وقد تكرر ذلك.

وأول ما يعلمونه حين تكون الأغلال في أعناقهم أنهم يتحققون وقوع البعث»[3].

وفي كشاف الزمخشري: «الأمور المستقبلة لما كانت في أخبار الله تعالى متيقنة مقطوعاً بها: عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال»[4].

١١- العلم النافع وأهمه العلم باللَّه: فصلت- إلى الأحقاف

علم بالله

١-فصلت(٣)-﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾.

---

(١) تفسير ابن عرفة (٣/ ٤٠١).

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ١٥٧).

(٣) التحرير والتنوير (٢٤/ ٢٠١).

(٤) تفسير الزمخشري (٤/ ١٧٨).

قال الشنقيطي في أضواء البيان: «(لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) أَيْ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ فِي حَالِ كَوْنِهِ (قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ). وَإِنَّمَا خَصَّهُمْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ هُمُ الْمُنْتَفِعُونَ بِتَفْصِيلِهِ»[1].

وقال ابن كثير: «أي إنما يعرف هذا البيان والوضوح العلماء الراسخون»[2].

وفي البحر المحيط: «و (لقوم) متعلق بفصلت، أي يعلمون الأشياء، ويعقلون الدلائل، فكأنه فصل لهؤلاء، إذ هم ينتفعون به فخصوا بالذكر تشريفاً، ومن لم ينتفع بالتفصيل فكأنه لم يفصل له»[3].

وقال البيضاوي: «(لقوم يعلمون) أي لقوم يعلمون العربية أو لأهل العلم والنظر»[4].

وفي التحرير والتنوير: « (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) صفة لـ (قرآناً) ظرفٌ مستقر، أي كائناً لقوم يعلمون باعتبار ما أفاده قوله: (قُرءَاناً عَرَبِيًّا) من معنى وضوح الدلالة وسطوع الحجة، أو يتعلق (لِقَوْمٍ يَعْلَمُون) بقوله: (تنزيل) أو بقوله: (فُصِّلَتْ ءاياته) على معنى أن فوائد تنزيله وتفصيله لقوم يعلمون دون غيرهم فكأنه لم يُنزل إلا لهم، أي فلا بدع إذا أعرض عن فهمه المعاندون فإنهم قوم لا يعلمون، قوله: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ العنكبوت: ٤٣، وقوله: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]»[5].

وقال السعدي: «(لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) أي: لأجل أن يتبين لهم معناه، كما تبين لفظه، ويتضح لهم الهدى من الضلال، والْغَيِّ من الرشاد.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ١٦١).

(٣) البحر المحيط في التفسير (٩/ ٢٨٤).

(٤) تفسير البيضاوي (٥/ ٦٦).

(٥) التحرير والتنوير (٢٤/ ٢٣١).

وأما الجاهلون، الذين لا يزيدهم الهدى إلا ضلالاً، ولا البيان إلا عَمًى فهؤلاء لم يُسَقِ الكلام لأجلهم»[1].

وقال العز بن عبد السلام: «(لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) أنه إله واحد في التوراة والإنجيل، أو يعلمون أن القرآن نزل من عند الله أو يعلمون العربية فيعجزون عن مثله»[2].

وقال القرطبي: «قال الضحاك: أي إن القرآن منزل من عند الله . وقال مجاهد: أي يعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل. وقيل: يعلمون العربية فيعجزون عن مثله ولو كان غير عربي لما علموه»[3].

وفي كشاف الزمخشري: «(لقوم يعلمون) أي: لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء منه.

فإن قلت: بم يتعلق قوله: (لقوم يعلمون) قلت: يجوز أن يتعلق (بتنزيل) أو (بفصلت) أي: تنزيل من الله لأجلهم أو فصلت آياته لهم»[4].

وقال الماوردي: «(قرآناً عربياً لقوم يعلمون) فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل، قاله مجاهد.

الثاني: أن القرآن من عند الله نزل، قاله الضحاك.

الثالث: يعلمون العربية فيعجزون عن مثله»[5].

علم بالله، علم بعذاب الله، قد يحصل بعد فوات الأوان

١-الزخرف(٨٦)-﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٤٤).

(٢) تفسير العز بن عبد السلام (٣/ ١٢٤).

(٣) تفسير القرطبي (١٥/ ٣٣٨).

(٤) تفسير الزمخشري (٤/ ١٨٤).

(٥) تفسير الماوردي (٥/ ١٦٨).

في التفسير الميسر: «وهم يعلمون حقيقة ما أقروا وشهدوا به»[1].

وقال الماوردي: «(إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) فيه وجهان:

أحدهما: يعني أن الشهادة بالحق إنما هي لمن شهد في الدنيا بالحق وهم يعلمون أنه الحق فتشفع لهم الملائكة، قاله الحسن.

الثاني: أن الملائكة لا تشفع إلا لمن شهد أن لا إله إلا الله وهم يعلمون أن الله ربهم»[2].

«(ولا يملك الذين يدعون) يعبدون أي الكفار (من دونه) أي من دون الله (الشفاعة) لأحد (إلا من شهد بالحق) قال لا إله إلا الله (وهم يعلمون) بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم وهم عيسى وعزير والملائكة فإنهم يشفعون «للمؤمنين»[3].

٢-الزخرف(٨٩)-﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٨٩﴾.

حين أمروا بالعلم بالله وبكتاب الله وبلقائه ثم واجهوا بالتكذيب والأذى ولم ينتفعوا بالعلم فسوف يعلمون حين لا ينفعهم العلم ماذا سيفعل الله بهم من النكال والعذاب، فسوف يعلمون ما يلقَوْنه من البلاء والنكال. وفي هذا تهديد ووعيد شديد لهؤلاء الكافرين المعاندين وأمثالهم.

قال الماوردي: «(فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) يحتمل أمرين:

أحدهما: فسوف يعلمون حلول العذاب بهم.

الثاني: فسوف يعلمون صدقك في إنذارهم، والله أعلم»[4].

العلم هنا وجهان: علم عام، وعلم الله

١-الجاثية(٢٣)-﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ

(١) التفسير الميسر (١/ ٤٩٥).

(٢) تفسير الماوردي (٥/ ٢٤٢).

(٣) تفسير الجلالين (ص: ٦٥٦).

(٤) تفسير الماوردي (٥/ ٢٤٣).

غِشَٰوَةٗۚ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٣﴾.

قال الماوردي: «على علم منه أنه ضال، قاله مقاتل»[1].

وفي المنتخب: «وضل عن سبيل الحق على علم منه بهذا السبيل»[2].

وفي التفسير الميسر: «ابتدأ هو أولا باتخاذ إلهه هواه فجاءت العقوبة بالإضلال بعد علم منه بأحقية الله بالألوهية والعبودية من اتخذ هواه إلهًا له، فلا يهوى شيئًا إلا فَعَله، وأضلَّه الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه، فلا يسمع مواعظ الله، ولا يعتبر بها، وطبع على قلبه، فلا يعقل به شيئًا، وجعل على بصره غطاء، فلا يبصر به حجج الله ؟ فمن يوفقه لإصابة الحق»[3].

وفي مراح لبيد: «وهذا إما حال من الفاعل أي عالماً بأن جوهر روحه لا يقبل الصلاح أو من المفعول والمعنى وأضله وهو عالم بالحق»[4].

وفي التفسير الوسيط: «فيكون قوله (على عِلْمٍ) حال من الفاعل، أي أضله - سبحانه - حالة كونه عالما بأنه من أهل الضلال.

ويصح أن يكون حالا من المفعول، أي: وأضل الله - تعالى - هذا الشقى، والحال أن هذا الشقي عالم بطريق الإيمان، ولكنه استحب الغي على الرشد»[5].

التحرير والتنوير: «ومعنى (على علم) أنهم أحاطت بهم أسباب الضلالة مع أنهم أهل علم، أي عقول سليمةٍ أوْ مع أنهم بلغهم العِلم بما يهديهم وذلك بالقرآن ودعوة النبي ﷺ إلى الإسلام. فحرف (على) هنا معناه المصاحبة بمعنى (مع) وأصل هذا المعنى استعارة معنى الاستعلاء للاستعلاء المجازي وهو التمكن بين الوصف والموصوف. وشاع ذلك حتى صار معنى من معاني (على)

(١) المرجع السابق (٥/ ٢٦٥).

(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٧٤١).

(٣) التفسير الميسر (١/ ٥٠١).

(٤) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (٢/ ٤٠١).

(٥) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٣/ ١٦١).

كما في قول الحارث بن حلزة: فيَقيناً على الشَّنَاءة تَنْمينا... حُصون وعِزّة قعساء والمعنى: أنه ضال مع مَا له من صفة العلم، فالعلم هنا من وصف من اتخذ إلهه هواه وهو متمكن من العلم لو خلع عن نفسه المكابرة والميل إلى الهوى»[1].

وفى المنتخب - أنظرت فرأيت - أيها الرسول - مَنْ اتخذ هواه معبوداً له فخضع له وأطاعه، وضل عن سبيل الحق على علم منه بهذا السبيل، وأغلق سمعه فلا يقبل وعظاً، وقلبه فلا يعتقد حقاً، وجعل على بصره غطاء فلا يبصر عبرة، فمن يستطيع هدايته بعد الله ؟ أفلا تتعظون بمثل هذه الحالات؟»[2].

٤٠٥-الأحقاف(٤)- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾ .

قال ابن أبي حاتم: «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾، يَقُولُ: بَيِّنَةٌ مِنَ الْأَمْرِ»[3].

وقال البغوي: «(أو أثارة من علم)، قال الكلبى: أي بقية من علم يؤثر عن الأولين، أي يسند إليهم. قال مجاهد و عكرمة و مقاتل: رواية عن الأنبياء. وقال قتادة: خاصة من علم. وأصل الكلمة من الأثر وهو الرواية، يقال: أثرت الحديث أثراً وأثارة، ومنه قيل للخبر: أثر. (إن كنتم صادقين)»[4].

وفى التحرير والتنوير: «أو بقية بقيت عندكم تروونها عن أهل العلم السابقين غير مسطورة فى الكتب. وهذا توسيع عليهم فى أنواع الحجة ليكون عجزهم عن الإتيان بشىء من ذلك أقطع لدعواهم. وفى قوله: (إن كنتم صادقين) إلهاب وإفحام لهم بأنهم غير آتين بحجة لا من جانب العقل ولا من جانب النقل

(١) التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٥٨).
(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٧٤١) .
(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٩٣).
(٤) تفسير البغوي (٧/ ٢٤٩).

المسطور أو المأثور»[1].

وقال السعدي: «(ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا) الكتاب يدعو إلى الشرك (أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ) موروث عن الرسل يأمر بذلك. من المعلوم أنهم عاجزون أن يأتوا عن أحد من الرسل بدليل يدل على ذلك، بل نجزم ونتيقن أن جميع الرسل دعوا إلى توحيد ربهم ونهوا عن الشرك به، وهي أعظم ما يؤثر عنهم من العلم قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) »[2].

وقال الطبري: «فتأويل الكلام إذن: ائتوني أيها القوم بكتاب من قبل هذا الكتاب، بتحقيق ما سألتكم تحقيقه من الحجة على دعواكم ما تدّعون لآلهتكم، أو ببقية من علم يوصل بها إلى علم صحة ما تقولون من ذلك»[3].

وفي فتح القدير: «(أو أثارة من علم). قال في الصحاح: أو أثارة من علم بقية منه، وكذا الأثرة بالتحريك. قال ابن قتيبة: أي بقية من علم الأولين.

وقال الفراء والمبرد: يعني ما يؤثر عن كتب الأولين. قال الواحدي: وهو معنى قول المفسرين. قال عطاء: أو شيء تأثرونه عن نبي كان قبل محمد ﷺ.قال مقاتل: أو رواية من علم عن الأنبياء.وقال الزجاج أو (أثارة): يقال أثرت الحديث آثره أثرة وأثارة وأثراً: إذا ذكرته عن غيرك.

(إن كنتم صادقين) في دعواكم التي تدعونها، وهي قولكم إن لله شريكاً ولم تأتوا بشيء من ذلك فتبين بطلان قولهم لقيام البرهان العقلي والنقلي على خلافه»[4].

وفي المنتخب: «لا علم ولا سند ولا حقيقة بما تدعون من دون الله بل الافتراء والظن قل للذين يدعون غير الله: أخبروني عن حال ما تدعون من دون

(١) التحرير والتنوير (٢٦/ ١١).
(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٧٩).
(٣) تفسير الطبري (٢١/ ١١٦).
(٤) تفسير فتح القدير (٥/ ١٤).

الله ؟ هل خلقوا شيئا من الأرض أم كانوا شركاء لله في خلق السموات؟ ائتوني بكتاب من عند الله أو أثر من علم الأولين تستندون إليه في دعواكم إن كنتم صادقين»[1].

١٢- العلم النافع وأهمه العلم باللَّه: من محمد - إلى النجم

علم بالله وما والاه

١-محمد(١٦)-﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾.

قال ابن كثير: «قالوا للذين أوتوا العلم من الصحابةﷺ»[2].

الناس هنا فريقان: فريق استقبل العلم فأوتيه وفريق مغطى على قلبه لم يستقبل العلم من أهل العلم بكتاب الله.

قال الطبري: «عن قتادة، قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ) هؤلاء المنافقون، دخل رجلان: رجل ممن عقل عن الله وانتفع بما سمع ورجل لم يعقل عن الله، فلم ينتفع بما سمع، كان يقال: الناس ثلاثة: فسامع عامل، وسامع غافل، وسامع تارك»[3].

وفي المنتخب لعلماء الأزهر: «ومن الكفار فريق يستمعون إليك - يا محمد - غير مؤمنين بك، ولا منتفعين بقولك، حتى إذا انصرفوا من مجلسك، قالوا استهزاء للذين أوتوا العلم: أي قول قال محمد الآن؟ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم بالكفر، فانصرفوا عن الخير منقادين لشهواتهم»[4].

٢-النجم(٣٠)-﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾.

---

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٧٤٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٣١٥).

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٢٠٣).

(٤) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٧٥٢).

قال الجزائري: «وقوله تعالى (ذلك مبلغهم من العلم) أي هذا الطلب للدنيا هوما انتهى إليه علمهم فلذا هم آثروها عن الآخرة التي لم يعلموا عنها شيئاً»[1].

وقال ابن كثير: «وقد روى الإمام أحمد عن أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ «الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له» وفي الدعاء المأثور «اللَّهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا»[2].

وقال البغوي: «ثم صغر رأيهم فقال: (ذلك مبلغهم من العلم)، أي: ذلك نهاية علمهم وقدر عقولهم أن آثروا الدنيا على الآخرة. وقيل: لم يبلغوا من العلم إلا ظنهم أن الملائكة بنات الله، وأنها تشفع لهم، فاعتمدوا على ذلك وأعرضوا عن القرآن»[3].

وقال السعدي: «فسعيهم مقصور على الدنيا ولذاتها وشهواتها، كيف حصلت حصلوها، وبأي: طريق سنحت ابتدروها، (ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ) أي: هذا منتهى علمهم وغايته، وأما المؤمنون بالآخرة، المصدقون بها، أولو الألباب والعقول، فهمتهم وإرادتهم للدار الآخرة، وعلومهم أفضل العلوم وأجلها، وهو العلم المأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ»[4].

وفي فتح القدير: «والمراد بالعلم هنا مطلق الإدراك الذي يندرج تحته الظن الفاسد، والجملة مستأنفة لتقرير جهلهم واتباعهم مجرد الظن»[5].

وفي مفاتيح الغيب: «ثم قال تعالى: (ذلك) مبلغهم من العلم) (ذلك) فيه وجوه الأول: أظهرها أنه عائد إلى الظن، أي غاية ما يبلغون به أنهم يأخذون بالظن وثانيها: إيثار الحياة الدنيا مبلغهم من العلم، أي ذلك الإيثار غاية ما بلغوه

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري (٥/ ١٩٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٥٩).

(٣) تفسير البغوي (٧/ ٤١٠).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٨٢٠).

(٥) فتح القدير للشوكاني (٥/ ١٣٥).

من العلم ثالثها: (فأعرض عمن تولى) [النجم: ٢٩] وذلك الإعراض غاية ما بلغوه من العلم، والعلم على هذا يكون المراد منه العلم بالمعلوم، وتكون الألف واللام للتعريف، والعلم بالمعلوم هو ما فى القرآن، وتقرير هذا أن القرآن لما ورد بعضهم تلقاه بالقبول وانشرح صدره فبلغ الغاية القصوى، وبعضهم قبله من حيث إنه معجزة، واتبع الرسول فبلغ الدرجة الوسطى، وبعضهم توقف فيه كأبى طالب، وذلك أدنى المراتب، وبعضهم رده وعابه، فالأولون لم يجز الإعراض عنهم، والآخرون وجب الإعراض عنهم، وكان موضع بلوغه من العلم أنه قطع الكلام معه الإعراض عنه»[(١)].

١٣- العلم النافع وأهمه العلم باللَّه: من المجادلة-إلى الناس

علم باللَّه وما والاه

١-المجادلة(١١)-﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾.

قال الطبري: «عن قتادة، قوله: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) إن بالعلم لأهله فضلا وإن له على أهله حقًا، ولعمري للحقّ عليك أيها العالم فضل، واللَّه معطي كل ذي فضل فضله.

وكان مطرف بن عبد اللَّه بن الشِّخِّير يقول: فضل العلم أحبّ إليّ من فضل العبادة، وخير دينكم الورع.

وكان عبد اللَّه بن مطرف يقول: إنك لتلقى الرجلين أحدهما أكثر صومًا وصلاة وصدقة، والآخر أفضل منه بونًا بعيدًا، قيل له: وكيف ذاك؟ فقال: هو أشدّهما ورعًا للَّه عن محارمه»[(٢)].

وقال ابن أبي حاتم: «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: تَفْسِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ: يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ

(١) تفسير الرازي (٢٩/ ٢٦٥).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٨٠).

آمَنُوا مِنْكُمْ وَأُوتُوا الْعِلْمَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُؤْتَوُا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ»[1].

وقال البغوي: «قال الحسن: قرأ ابن مسعود هذه الآية وقال: أيها الناس افهموا هذه الآية ولنرغبنكم في العلم، فإن الله تعالى يقول: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) المؤمن العالم فوق الذي لا يعلم درجات»[2].

وفي كشاف الزمخشري: «وعنه عليه السلام: (يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء) فأعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله»[3].

وعند القرطبي: «أي في الثواب في الآخرة وفي الكرامة في الدنيا، فيرفع المؤمن على من ليس بمؤمن والعالم على من ليس بعالم، فيرفع المؤمن بإيمانه أولاً ثم بعلمه ثانياً»[4].

وفي فتح القدير: «ومعنى الآية أنه يرفع الذين آمنوا على من لم يؤمن درجات ويرفع الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا درجات، فمن جمع بين الإيمان والعلم رفعه الله بإيمانه درجات ثم رفعه بعلمه درجات»[5].

وفي روح المعاني للألوسي: «عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: « من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام فبينه وبين النبيين درجة»[6].

وفي ظلال القرآن: «وذلك جزاء تواضعهم وقيامهم عند تلقي الأمر بالقيام، وقد كانت المناسبة مناسبة قرب من الرسول ﷺ لتلقي العلم في مجلسه. فالآية تعلمهم:أن الإيمان الذي يدفع إلى فسحة الصدر وطاعة الأمر، والعلم الذي

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٤).
(٢) تفسير البغوي (٨/ ٥٨).
(٣) تفسير الزمخشري (٤/ ٤٩٣).
(٤) تفسير القرطبي (١٧/ ٢٩٩).
(٥) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٢٢٦).
(٦) تفسير الألوسي (١٤/ ٢٢٣).

يهذب القلب فيتسع ويطيع ؛ يؤديان إلى الرفعة عند الله درجات. وفي هذا مقابل لرفعة المكان الذي تطوعوا بتركه ورفعوا عنه لاعتبار رآه الرسول ﷺ (والله بما تعملون خبير).. فهو يجزي به عن علم ومعرفة بحقيقة ما تعملون، وبما وراءه من شعور مكنون.

وهكذا يتولى القرآن تربية النفوس وتهذيبها، وتعليمها الفسحة والسماحة والطاعة بأسلوب التشويق والاستجاشة. فالدين ليس بالتكاليف الحرفية، ولكنه تحول في الشعور، وحساسية في الضمير»[1].

وفي التحرير والتنوير: «جواب الأمر في قوله: (فانشزوا) فقد أجمع القراء على جزم فعل (يرفعْ) فهو جواب الأمر بهذا. وعد بالجزاء على الامتثال للأمر الشرعي فيما فيه أمر أو لما يقتضى الأمر من علّة يقاس بها على المأمور به أمثالُه مما فيه علة الحكم كما تقدم في قوله تعالى: (فافسحوا). ولما كان النشوز ارتفاعاً عن المكان الذي كان به كان جزاؤه من جنسه. وتنكير (درجات) للإشارة إلى أنواعها من درجات الدنيا ودرجات الآخرة. وضمير (منكم) خطاب للذين نودوا بـ (يأيها الذين آمنوا). و (من) تبعيضية، أي يرفع الله درجات الذين امتثلوا. وقرينة هذا التقدير هي جعل الفعل جزاء للأمر فإن الجزاء مسبب عما رتب عليه بقوله: (منكم) صفة للذين آمنوا. أي الذين آمنوا من المؤمنين والتغايُر بين معنى الوصف ومعنى الموصوف بتغاير المقدَّر وإن كان لفظ الوصف ولفظ الموصوف مترادفين في الظاهر. فآل الكلام إلى تقدير: يرفع الله الذين استجابوا للأمر بالنشوز إذا كانوا من المؤمنين، أي دون من يضمه المجلس من المنافقين. فكان مقتضى الظاهر أن يقال: يرفع الله الناشزين منكم فاستحضروا بالموصول بصلة الإيمان لما تؤذن به الصلة من الإيماء إلى علة رفع الدرجات لأجل امتثالهم أمرَ القائل (انشزوا) وهو الرسول ﷺ إن كان لإيمانهم وأن ذلك الامتثال من إيمانهم ليس لنفاق أو لصاحبه امتعاض. وعطف «الذين أوتوا العلم منهم» عطف الخاص

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥١٢).

على العام لأن غشيان مجلس الرسول ﷺ إنما هو لطلب العلم من مواعظه وتعليمه، أي والذين أوتوا العلم منكم أيها المؤمنون، لأن الذين أوتوا العلم قد يكون الأمر لأحد بالقيام من المجلس لأجلهم، أي لأجل إجلاسهم، وذلك رفع لدرجاتهم في الدنيا، ولأنهم إذا تمكنوا من مجلس الرسول ﷺ كان تمكنهم أجمع للفهم وأنفى للملل، وذلك أدعى لإطالتهم الجلوس وازديادهم التلقى وتوفير مستنبطات أفهامهم فيما يلقى إليهم من العلم، فإقامة الجالسين في المجلس لأجل إجلاس الذين أوتوا العلم من رفع درجاتهم فى الدنيا. ولعل البدريين الذين نزلت الآية بسبب قصتهم كانوا من الصحابة الذين أوتوا العلم. ويجوز أن بعضاً من الذين أمروا بالقيام كان من أهل العلم فأقيم لأجل رجحان فضيلة البدريين عليه، فيكون فى الوعد للذي أقيم من مكانه برفع الدرجات استئناس له بأن الله رافع درجته. هذا تأويل نظم الآية الذي اقتضاه قوة إيجازه»[1].

وفى الوسيط: «وعن بعض الحكماء أنه قال: ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم، وأي شيء فات من أدرك العلم»[2].

١-الصف(١١)-﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾.

قال الطبري: «(إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) مضارّ الأشياء ومنافعها»[3].

وفى كشاف الزمخشري «وعن ابن عباس أنهم قالوا: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناه فنزلت هذه الآية فمكثوا ما شاء الله يقولون: ليتنا نعلم ما هى فدلهم الله عليها بقوله: (تؤمنون) وهذا دليل على أن (تؤمنون) كلام مستأنف وعلى أنّ الأمر الوارد على النفوس بعد تشوّف وتطلع منها إليه: أوقع فيها وأقرب من قبولها له مما فوجئت به (ذلكم) يعني ما ذكر من الإيمان والجهاد (خيرٌ

(١) التحرير والتنوير (٢٨/ ٤٠).

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٤/ ٢٦٣).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٦١٧).

لَّكم) من أموالكم وأنفسكم.

(إن كنتم تعلمون) قلت: معناه إن كنتم تعلمون أنه خير لكم كان خيراً لكم حينئذٍ لأنكم إذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الإيمان والجهاد فوق ما تحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتفلحون»[1].

وفي فتح القدير: «(إن كنتم تعلمون) أي إن كنتم ممن يعلم فإنكم تعلمون أنه خير لكم، لا إذا كنتم من أهل الجهل فإنكم لا تعلمون ذلك»[2].

إن كنتم ممن يعلم ما أمر الله أن تعلموا، إن كنتم تعلمون الخير الذي عند الله أعده لكم فإنكم تعلمون أنه خير لكم عند الله.

وفي ظلال القرآن: «فعلم الحقيقة يقود من يعلم إلى ذلك الخير الأكيد...»[3].

وفي التحرير والتنوير: «وفي التعبير بالمضارع إفادة الأمر بالدوام على الإيمان وتجديده في كل آن»[4].

وفي الوسيط: «واسم الإشارة في قوله: (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) يعود إلى ما سبق ذكره من الإيمان والجهاد. أي: ذلكم الذى أرشدناكم إلى التمسك به من الإيمان والجهاد في سبيل الله، هو خير لكم من كل شيء إن كنتم من أهل العلم والفهم.

فقوله (تَعْلَمُونَ) منزلة منزلة الفعل اللازم، للإشعار بأن من يخالف ذلك لا يكون لا من أهل العلم، ولا من أهل الإدراك.

وجعله بعضهم فعلاً متعدياً، ومفعوله محذوف، والتقدير: إن كنتم تعلمون أنه خير لكم فافعلوه، ولا تتقاعسوا عن ذلك»[5].

---

(١) تفسير الزمخشري (٤/ ٥٢٧).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٢٦٥).

(٣) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٥٩).

(٤) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٩٤).

(٥) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٤/ ٣٦٥).

علم بالله، وبما عند الله

١-الجمعة(٩)-﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾.

قال البيضاوي: «(إن كنتم تعلمون) الخير والشر الحقيقيين، أو إن كنتم من أهل العلم»[١].

وفي فتح القدير: «(إن كنتم تعلمون) أي إن كنتم من أهل العلم، فإنه لا يخفى عليكم أن ذلكم خير لكم»[٢].

وفي روح المعاني للألوسي: «(إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) الخير والشر الحقيقيين، أو إن كنتم من أهل العلم على تنزيل الفعل منزلة اللام»[٣].

مراح لبيد: «(إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) أي إن كنتم أهل العلم فأنتم ترون ذلك خيراً»[٤].

وقال السعدي: «(إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أن ما عند الله خير وأبقى، وأن من آثر الدنيا على الدين، فقد خسر الخسارة الحقيقية، من حيث ظن أنه يربح، وهذا الأمر بترك البيع مؤقت مدة الصلاة»[٥].

وفي الوسيط: «وجواب الشرط في قوله (إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) محذوف: أي: إن كنتم تعلمون ما هو خير لكم، فاسعوا إلى ذكر الله عند النداء للصلاة، واتركوا البيع والشراء.

أو إن كنتم من أهل العلم والفقه السليم للأمور، عرفتم أن امتثال أمر الله - تعالى - بأن تسعوا، إلى ذكره عند النداء لصلاة الجمعة، خير لكم من الاشتغال

---

(١) تفسير البيضاوي (٥/ ٢١٢).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٢٧١).

(٣) تفسير الألوسي (١٤/ ٢٩٨).

(٤) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (٢/ ٥٢٧).

(٥) تفسير السعدي (ص: ٨٦٣).

في هذا الوقت بالبيع والشراء.

إذ في هذا الامتثال سعادتكم ونجاتكم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة»[1].

٢-العلق(٥)-﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾.

قال الطبري: «علَّم الإنسان الخطّ بالقلم، ولم يكن يَعْلَمُهُ، مع أشياء غير ذلك، مما علمه ولم يكن يعلمه»[2].

وقال الماوردي: «علمه كل صنعة علمها فتعلم، قاله ابن شجرة»[3].

وقال البغوي: «(علم الإنسان ما لم يعلم)، من أنواع الهدى والبيان. وقيل: علم آدم الأسماء كلها. وقيل: الإنسان ها هنا محمد ﷺ، بيانه: (وعلمك ما لم تكن تعلم) [النساء: ١١٣]»[4].

وفي كشاف الزمخشري «حيث قال: الأكرم (ٱلأَكۡرَمُ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ (٤) عَلَّمَ ٱلإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ(٥)) فدلّ على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلاّ هو، وما دوّنت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم، ولا كتب الله المنزلة إلاّ بالكتابة؛ ولولا هى لما استقامت أمور الدين والدنيا؛ ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره ودليل إلاّ أمر القلم والخط، لكفى به، وقرأ ابن الزبير: «علم الخط بالقلم»[5].

وفي مفاتيح الغيب: «أما قوله تعالى: (علم الإنسان لم يعلم) فيحتمل أن يكون المراد علمه بالقلم وعلمه أيضًا غير ذلك ولم يذكر واو النسق، وقد يجري مثل هذا في الكلام تقول: أكرمتك أحسنت إليك ملكتك الأموال، وليتك الولايات،

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٤/ ٣٨٨).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٣٢).

(٣) تفسير الماوردي (٦/ ٣٠٥).

(٤) تفسير البغوي (٨/ ٤٧٩).

(٥) تفسير الزمخشري (٤/ ٧٧٦).

ويحتمل أن يكون المراد من اللفظين واحدا ويكون المعنى: علم الإنسان بالقلم مالم يعلمه، فيكون قوله: (علم الإنسان ما لم يعلم) بيانا لقوله: (علم بالقلم) »[1].

وقال القرطبي: «وقيل: هو عام لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل: ٧٨]»[2].

وفى تفسير الجلالين: «(علم الإنسان) الجنس (ما لم يعلم) قبل تعليمه من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها»[3].

وفي فتح القدير: «(علم الإنسان ما لم يعلم) هذه الجملة بدل اشتمال من التي قبلها: أي علمه بالقلم من الأمور الكلية والجزئية ما لم يعلم به منها.

والمعنى: أن من علمه الله سبحانه من هذا الجنس بواسطة القلم فقد علمه ما لم يعلم»[4].

وفي روح المعاني للألوسي: «علمه به وبدونه من الأمور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر بباله وفي حذف المفعول أولاً وإيراده بعنوان عدم المعلومية ثانياً من الدلالة على كمال قدرته تعالى»[5].

وقال السعدي: «فعلمه القرآن، وعلمه الحكمة، وعلمه بالقلم، الذي به تحفظ به العلوم، وتضبط الحقوق، وتكون رسلًا للناس»[6].

وفى ظلال القرآن: «ثم تبرز مصدر التعليم.. إن مصدره هو الله . منه يستمد الإنسان كل ما علم، وكل ما يعلم.

وهذه الحقيقة القرآنية الأولى، التي تلقاها قلب رسول الله ﷺ في اللحظة

---

(١) تفسير الرازي (٣٢/ ٢١٩).

(٢) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٢٢).

(٣) تفسير الجلالين (ص: ٨١٤).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٧١).

(٥) تفسير الألوسي (١٥/ ٤٠٢).

(٦) تفسير السعدي (ص: ٩٣٠).

الأولى هي التي ظلت تصرف شعوره، وتصرف لسانه، وتصرف عمله واتجاهه، بعد ذلك طوال حياته. بوصفها قاعدة الإيمان الأولى»[1].

وفي التحرير والتنوير: «وأشعر قوله: (ما لم يعلم) أن العلم مسبوق بالجهل فكل علم يحصل فهو علم ما لم يكن يُعلَم من قبل، أي فلا يُؤْيِسَنَّك من أن تصير عالماً بالقرآن والشريعة أنك لا تعرف قراءة ما يكتب بالقلم»[2].

وفي الوسيط: «والمتأمل في هذه الآيات الكريمة، يراها قد جمعت أصول الصفات الإلهية، كالوجود، والوحدانية، والقدرة والعلم، والكرم.

وأن من كرمه - تعالى - أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة»[3].

٣-العاديات(٩)-﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩﴾ .

قال الرازي: «واعلم أنه تعالى لما عد عليه قبائح أفعاله خوفه، فقال: (أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور) »[4].

وقال القرطبي: «قال أبو عبيدة: بعثرت المتاع: جعلت أسفله أعلاه. وعن محمد بن كعب قال: ذلك حين يبعثون»[5].

وفي فتح القدير: «(أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور) الاستفهام للإنكار، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام: أي يفعل ما يفعل من القبائح فلا يعلم»[6].

وفي روح المعاني للألوسي: «(أَفَلاَ يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا في) إلخ تهديد ووعيد والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ومفعول يعلم محذوف

---

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٩٣٩).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٤١).

(٣) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٥/ ٤٥٥).

(٤) تفسير الرازي (٣٢/ ٢٦٢).

(٥) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٦٣).

(٦) فتح القدير للشوكاني (٤/ ١٣٧).

وهو العامل في (إذا) وهي ظرفية أي أيفعل ما يفعل من القبائح أو ألا يلاحظ فلا يعلم الآن مآله إذا بعثر من في القبور من الموتى وإيراد ما لكونهم إذ ذاك بمعزل من رتبة العقلاء وقال الحوفي العامل في (إذا) الظرفية (يعلم) وأورد عليه أنه لا يراد منه العلم في ذلك الوقت بل العلم في الدنيا وأجيب بأن هذا إنما يرد إذا كان ضمير (يعلم) راجعاً إلى الإنسان وذلك غير لازم على هذا القول لجواز أن يرجع إليه عز وجل ويكون مفعولا يعلم محذوفين والتقدير أفلا يعلمهم الله تعالى عاملين بما عملوا إذا بعثر على أن يكون العلم كناية عن المجازاة والمعنى أفلا يجازيهم إذا بعثر، وتكون الجملة المؤكدة بعد تحقيقاً وتقرير لهذا المعنى وهو كما ترى وقيل إن إذا مفعول به ليعلم على معنى أفلا يعلم ذلك الوقت ويعرف تحققه»[1].

وقال السعدي: «(أَفَلَا يَعْلَمُ) أي: هلا يعلم هذا المغتر (إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ)»[2].

وفي ظلال القرآن: «ومن ثم تجيء اللفتة الأخيرة في السورة لعلاج الكنود والجحود والأثرة والشح، لتحطيم قيد النفس وإطلاقها منه. مع عرض مشهد البعث والحشر في صورة تنسي حب الخير، وتوقظ من غفلة البطر: (أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور، وحصل ما في الصدور ؟) »[3]

وفي التحرير والتنوير: «فُرع على الإخبار بكنود الإنسان وشحه استفهام إنكاري عن عدم علم الإنسان بوقت بعثرة ما في القبور وتحصيل ما في الصدور فإنه أمر عجيب كيف يغفل عنه الإنسان. وهمزة الاستفهام قدمت على فاء التفريع لأن الاستفهام صدر الكلام. وانتصب (إذا) على الظرفية لمفعول (يعلم) المحذوف اقتصاراً، لِيَذْهَبَ السامع في تقديره كلَّ مذهب ممكن قصداً للتهويل.

---

(١) تفسير الألوسي (١٥/ ٤٤٦).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٩٣٣).

(٣) في ظلال القرآن (٦/ ٣٩٥٨).

والمعنى: ألا يعلم العذابَ جزاءً له على ما في كنوده وبخله من جناية متفاوتة المقدار إلى حد إيجاب الخلود في النار. وحُذف مفعولا (يعلم) ولا دليل في اللفظ على تعيين تقديرهما فيوكل إلى السامع تقدير ما يقتضيه المقام من الوعيد والتهويل ويسمى هذا الحذف عند النحاة الحذف الاقتصاري»[1]

٤-التكاثر(٣)-﴿كَلَّاسَوْفَتَعْلَمُونَ ۝٣﴾.

كلا، ما هكذا ينبغي أن تفعلوا، أن يُلْهِيَكُم التكاثر.

قال الطبري: «سوف تعلمون إذا زرتم المقابر، أيها الذين ألهاهم التكاثر، غبّ فعلكم، واشتغالكم بالتكاثر في الدنيا عن طاعة الله ربكم»[2] .

وفي الوجيز للواحدي: «(كلا) ليس الأمر الذي ينبغي أن تكونوا عليه التكاثر (سوف تعلمون) عند النزع سوء عاقبة ما كنتم عليه»[3]

وفي كشاف الزمخشري: «(كَلا) ردع وتنبيه على أنه لا ينبغي للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه (سَوْفَ تَعْلَمُونَ) إنذار ليخافوا فيتنبهوا من غفلتهم. والتكرير: تأكيد للردع والإنذار عليهم»[4].

وفي مفاتيح الغيب: «فهو يتصل بما قبله وبما بعده أما الأول، فعلى وجه الرد والتكذيب أي ليس الأمر كما يتوهمه هؤلاء من أن السعادة الحقيقية بكثرة العدد والأولاد، وأما اتصاله بما بعده، فعلى معنى القسم أي حقاً سوف تعلمون لكن حين يصير الفاسق تائباً، والكافر مسلماً، والحريص زاهداً»[5] .

وقال القرطبي: «(كلا) قال الفراء: أي ليس الأمر على ما أنتم عليه من التفاخر والتكاثر والتمام على هذا (كلا سوف تعلمون) أي سوف تعلمون عاقبة

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٠٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٠١).

(٣) الوجيز للواحدي (ص: ١٢٢٩).

(٤) تفسير الزمخشري (٤/ ٧٩٢).

(٥) تفسير الرازي (٣٢/ ٢٧١).

هذا»[1] .

وفي التحرير والتنوير: «و (سوف) لتحقيق حصول العلم. وحذف مفعول (تعلمون) لظهور أن المراد: تعلمون سوء مَغَبَّة لهوكم بالتكاثر»[2]

٥-التكاثر(٤)-﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ .

قال الماوردي: «(كَلا سَوْفَ تَعْلَمونَ * ثم كلا سَوْفَ تَعلَمونَ) هذا وعيد وتهديد، ويحتمل أن يكون تكراره على وجه التأكيد والتغليظ.

ويحتمل أن يعدل به عن التأكيد فيكون فيه وجهان:

أحدهما: كلا سوف تعلمون عند المعاينة أن ما دعوتكم إليه حق، ثم كلا سوف تعلمون عند البعث أن ما وعدتكم صدق.

الثاني: كلا سوف تعلمون عند النشور أنكم مبعوثون، ثم كلا سوف تعلمون في القيامة أنكم معذَّبون»[3] .

وقال البغوي: «سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت»[4].

وفي كشاف الزمخشري: «و (ثم) دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأوّل وأشد، كما تقول للمنصوح: أقول لك ثم أقول لك: لا تفعل، والمعنى: سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما قدّامكم من هول لقاء الله، وإنّ هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم»[5]

وفى التحرير والتنوير: «فجملة: (ثم كلا سوف تعلمون) توكيد لفظى لجملة: (كلا سوف تعلمون) وعن ابن عباس: (كلا سوف تعلمون) ما ينزل بكم من

---

(١) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٧٢).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٢١).

(٣) تفسير الماوردي (٦/ ٣٣١).

(٤) تفسير البغوي (٨/ ٥١٨).

(٥) تفسير الزمخشري (٤/ ٦٨٤).

عذاب في القبر: (ثم كلا سوف تعلمون) عند البعث أن ما وعدتم به صِدق، أي تُجعل كلَّ جملة مراداً بها تهديد بشيء خاص»[1] .

٦-التكاثر(٥)-﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝٥﴾.

قال الطبري: «ما هكذا ينبغي أن تفعلوا، أن يلهيكم التكاثر أيها الناس، لو تعلمون أيها الناس علما يقينا، أن الله باعثكم يوم القيامة من بعد مماتكم من قبوركم ما ألهاكم التكاثر عن طاعة الله ربكم، ولسارعتم إلى عبادته، والانتهاء إلى أمره ونهيه، ورفض الدنيا إشفاقا على أنفسكم من عقوبته.

عن قتادة (كَلا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ) كنا نحدَّث أن علم اليقين: أن يعلم أنَّ الله باعثه بعد الموت»[2].

قال البغوي: «لو تعلمون علماً يقيناً لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر»[3].

وفي كشاف الزمخشري: «كعلمكم ما تستيقنونه من الأمور التي وكلتم بعملها هممكم: لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه؛ ولكنكم ضلال جهلة»[4].

وفي مفاتيح الغيب: «قال الأخفش: (لو تعلمون علم اليقين) ما ألهاكم التكاثر وثانيها: قال أبو مسلم لو علمتم ماذا يجب عليكم لتمسكتم به أو لو علمتم لأي أمر خلقتم لاشتغلتم به

في قوله: (علم اليقين) وجهان أحدهما: أن معناه علما يقينا فأضيف الموصوف إلى الصفة، كقوله تعالى: (ولدار الآخرة) وكما يقال: مسجد الجامع وعام الأول، والثاني: أن اليقين ههنا هو الموت والبعث والقيامة، فالمعنى لو تعلمون علم الموت وما يلقى الإنسان معه وبعده في القبر وفي الآخرة لم يلهكم

(١) التحرير والتنوير (١١/ ٢٢٥).
(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٠١).
(٣) تفسير البغوي (٨/ ٥١٨).
(٤) تفسير الزمخشري (٤/ ٧٩٢).

التكاثر والتفاخر عن ذكر الله، العلم من أشد البواعث على العمل، فإذا كان وقت العمل أمامه كان وعدا وعظة، وإن كان بعد وفاة وقت العمل فحينئذ يكون حسرة وندامة فى الآية تهديد عظيم للعلماء فإنها دلت على أنه لو حصل اليقين بما فى التكاثر والتفاخر من الآفة لتركوا التكاثر والتفاخر، وهذا يقتضي أن من لم يترك التكاثر والتفاخر لا يكون اليقين حاصلا له فالويل للعالم الذي لا يكون عاملا ثم الويل له.

أن يكون المراد (لترون الجحيم) غير مرة فيكون ذكر الرؤية مرتين عبارة عن تتابع الرؤية واتصالها لأنهم مخلدون في الجحيم فكأنه قيل لهم: على جهة الوعيد، لئن كنتم اليوم شاكين فيها غير مصدقين بها فسترونها رؤية دائمة متصلة فتزول عنكم الشكوك.

إن قيل: ما فائدة تخصيص الرؤية الثانية باليقين؟ قلنا: لأنهم فى المرة الأولى رأوا لهبا لا غير، وفي المرة الثانية رأوا نفس الحفرة وكيفية السقوط فيها وما فيها من الحيوانات المؤذية، ولا شك أن هذه الرؤية أجلى، والحكمة فى النقل من العلم الأخفى إلى الأجلى التفريع على ترك النظر لأنهم كانوا يقتصرون على الظن ولا يطلبون الزيادة»[1].

وقال العز ابن عبد السلام: «(لَوْ تَعْلَمُونَ) الآن من البعث والجزاء ما ستعلمونه بعد الموت (عِلْمَ الْيَقِين) علم الموت الذي هو يقين لا يعترضه شك أو ما تعلمونه يقيناً بعد الموت من البعث والجزاء قاله ابن جريج»[2].

وفي مراح لبيد: «حقاً لو علمتم لأي أمر خلقتم لاشتغلتم به وما تفاخرتم في الدنيا»[3].

وفي التحرير والتنوير: «لو علمتم الآن علم اليقين لعلمتم أمراً عظيماً، وإضافة

---

(١) تفسير الرازي (٣٢/ ٢٧٢).

(٢) تفسير العز بن عبد السلام (٣/ ٤٨٣).

(٣) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (٢/ ٦٦٠).

(علم) إلى (اليقين) إضافةٌ بيانية فإن اليقين علم، أي لو علمتم علماً مطابقاً للواقع لبان لكم شنيع ما أنتم فيه ولكن علمهم بأحوالهم جهل مركَّب من أوهام وتخيلات، وفي هذا نداء عليهم بالتقصير في اكتساب العلم الصحيح»[1].

وقال ابن عرفة: «لأن المعنى: لو تعلمون علم اليقين لانزجرتم، فيدل على أنهم [لا] يعلمون ذلك وغفلوا عنه فزجرهم على عدم العلم»[2].

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٢٢).

(٢) تفسير ابن عرفة (٤/ ٣٤٤).

المبحث الثالث (علم اللَّه وتعليمه) في القرآن

وهو من العلم بالله

إن موضوع علم اللَّه كموضوع رحمة اللَّه، أو كأي موضوع عن صفات اللَّه، وكذلك كل ما يتعلق باللَّه هو من موضوعات العلم باللَّه.

لكن هذا الكتاب أساسه كلمة العلم في القرآن، وعلم اللَّه هنا فيه يشكل باباً من هذه الأبواب؛ لذلك أفردت له هذا الباب.

نبدأ الأن بالنظر والتفكر في كلمة العلم المرتبطة بعلم اللَّه:

١-البقرة(٣٠)-﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠].

أعلم عن الإنسان عن هذا الخليفة، أعلم كل شيء عن أي شيء ما لاتعلمون.

٢-البقرة(٣٢)-﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة: ٣٢].

علم اللَّه بأعمال العباد مع الرسول [الاتباع].

٣-البقرة (١٤٣)-﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣].

أنواع علم اللَّه مفهوم العلم هنا: لا ولن يسبقه جهل، ولكن.

علم اللَّه في النفوس

٤-البقرة(١٨٧)-﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة: ١٨٧].

علم الله

٥-البقرة(١٩٧)-﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧].

٦-البقرة(٢١٦)-﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦].

وَالله يعلم ما هو خير لكم، وما هو شر لكم.

وعلمكم بالغيب صفر، وأنتم لا تعلمون الغيب.

أي لا تعلمون ما هو خير لكم، وما هو شر لكم .

علم اللَّه

٧-البقـــرة(٢٢٠)-﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾ [البقرة: ٢٢٠].

والله يعلم من المفسد منكم لأموال اليتامى، ومن هو المصلح.

٨-البقرة(٢٣٢)-﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾ [البقرة: ٢٣٢].

وَالله يَعْلَمُ الأصلح لشأنكم، وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَه علم ظواهر الحياة، وبواطنها ودلالاتها على الرب (المعين).

٩-البقرة(٢٣٥)-﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البقرة: ٢٣٥].

١٠-البقرة(٢٤٤)-﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤٤].

عليم بقتالكم في سبيل الله

١١-البقرة(٢٤٧)-﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ [البقرة: ٢٤٧].

عليم بما يصلح شأن العباد

علم الله

١٢-البقرة(٢٨٢)-﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة: ٢٨٢].

علمه الكتابة، ويعلمكم الله ما يكون إرشاداً في الدين والدنيا، والله عليم بجميع مصالح عباده.

١٣-آل عمران(٧)-﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۖ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧].

١٤-آل عمران(٢٩)-﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [آل عمران: ٢٩].

١٥-آل عمران(٣٦)-﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ

كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٦].

١٦-آل عمران(١٤٠)-﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران: ١٤٠].

١٧-آل عمران(١٤٢)-﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران: ١٤٢].

١٨-آل عمران(١٦٦)-﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ آل [عمران: ١٦٦].

١٩-آل عمران(١٦٧)-﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّا ٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۖ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران: ١٦٧].

٢٠-النساء(٢٥)-﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [النساء: ٢٥].

٢١-النساء(٤٥)-﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ النساء: ٤٥.

٢٢-النساء(٦٣)-﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ [النساء: ٦٣].

٢٣-النساء(١٦٦)-﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء: ١٦٦].

٢٤-المائدة(٦١)-﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المائدة: ٦١].

٢٥-المائدة(٩٤)-﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ

لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ ﴾ [المائدة: ٩٤].

٢٦-المائدة(٩٧)- ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ [المائدة: ٩٧].

٢٧-المائدة(٩٩)-﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [المائدة: ٩٩].

٢٨-المائدة(١١٦)- ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١١٦].

٢٩-الأنعام(٣)- ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٣].

٣٠-الأنعام(٣٣)- ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٣].

٣١-الأنعام(٥٣)-﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٣].

٣٢-الأنعام(٥٨)- ﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٨].

٣٣-الأنعام(٦٠)- ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٠].

٣٤-الأنعام(٨٠)- ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٠].

٣٥-الأنعام(١١٧)-﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٧].

٣٦-الأنعام(١١٩)- ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٩].

٣٧-الأنعام(١٢٤)-﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الأنعام: ١٢٤].

٣٨-الأعراف(٧)-﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأعراف: ٧].

٣٩-الأعراف(٥٢)-﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأعراف: ٥٢].

قال ابن كثير: «أي (على علم) منا بما فصلناه به»[١]

وقال القرطبي: « عَلَى عِلْمٍ منا به، لم يقع فيه سهو ولا غلط»[٢] .

٤٠-الأعراف(٨٩)-﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف: ٨٩].

٤١-الأنفال(٢٣)-﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٣].

علم الله بالغيب

٤٢-الأنفال(٦٠)-﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ ۖ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال: ٦٠].

قال في تفسير الجلالين: «(وآخرين من دونهم) أي غيرهم، وهم المنافقون، أو اليهود (لا تعلمونهم الله يعلمهم)»[٣].

علم الله في المؤمنين

٤٣-الأنفال(٦٦)-﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٥).

(٢) تفسير القرطبي (٧/ ٢١٧).

(٣) تفسير الجلالين (ص: ٢٣٧).

يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٦].

قال في التفسير الميسر: «الآن خفف الله عنكم أيها المؤمنون لما فيكم من الضعف، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين من الكافرين، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين منهم بإذن الله تعالى. والله مع الصابرين بتأييده ونصره»[1].

علم الله في قلوب المشركين

٤٤-الأنفال(٧٠)-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٧٠].

قال في تفسير الجلالين: «(إن يعلم الله في قلوبكم خيراً) إيماناً وإخلاصاً»[2].

وفي التفسير الميسر: «يا أيها النبي قل لمن أسرتموهم في (بدر): لا تأسوا على الفداء الذي أخذ منكم، إن يعلم الله تعالى في قلوبكم خيرًا يؤتكم خيرًا مما أُخذ منكم من المال بأن يُيَسِّر لكم من فضله خيرًا كثيرًا»[3].

علم الله بما تنطوي عليه النفوس.

٤٥-التوبة(١٦)-﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [التوبة: ١٦].

٤٦-التوبة(٤٢)-﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِم بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ التوبة: ٤٢.

علم الله العلام بالغيوب

٤٧-التوبة(٧٨)-﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [التوبة: ٧٨].

---

(١) التفسير الميسر (١/ ١٨٥).

(٢) تفسير الجلالين (ص: ٢٣٨).

(٣) التفسير الميسر (١/ ١٨٦).

٤٨-التوبة(٩٧)-﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٩٧﴾ [التوبة: ٩٧].

٤٩-يونس(١٨)-﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ [يونس: ١٨].

قال في التفسير الميسر: «أتخبرون الله تعالى بشيء لا يعلمه مِن أمر هؤلاء الشفعاء في السموات أو في الأرض؟ فإنه لو كان فيهما شفعاء يشفعون لكم عنده لكان أعلم بهم منكم، فالله تعالى منزَّه عما يفعله هؤلاء المشركون من إشراكهم في عبادته ما لا يضر ولا ينفع»[(١)].

٥٠-يونس(٤٠)-﴿وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤٠﴾ [يونس: ٤٠].

٥١-هود(٥)-﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٥﴾ [هود: ٥].

٥٢-هود(٦)-﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾ [هود: ٦].

٥٣-هود(١٤)-﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٤﴾ [هود: ١٤].

قال الشوكاني في فتح القدير: «ومعنى أمرهم بالعلم أمرهم بالثبات عليه لأنهم عالمون بذلك من قبل عجز الكفار عن الإتيان بعشر سور مثله، أو المراد بالأمر بالعلم الأمر بالازدياد، منه إلى حد لا يشوبه شك ولا تخالطه شبهة وهو علم اليقين، والأول أولى»[(٢)].

وفي التفسير الميسر: «فاعلموا أن هذا القرآن إنما أنزله الله على رسوله بعلمه

---

(١) التفسير الميسر (١/ ٢١٠).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٥٢).

وليس من قول البشر، واعلموا أن لا إله يُعبد بحق إلا الله»[1].

٥٤-هـود(٣١)-﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١﴾ [هود: ٣١].

علم الله فوق كل ذي علم

٥٥-يوسف(٧٦)-﴿فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ٧٦﴾ [يوسف: ٧٦].

قال ابن كثير: «قال الحسن البصري ليس عالم إلا فوقه عالم حتى ينتهي إلى الله ﷻ، عن ابن عباس (وفوق كل ذي علم عليم) قال: يكون هذا أعلم من هذا، وهذا أعلم من هذا، والله فوق كل عالم»[2].

٥٦-يوسف(٧٧)-﴿۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾ [يوسف: ٧٧].

في الوسيط: «والله أعلم منكم بالحق والحقيقة بحال وصفكم لمجريات ما حصل كذبا، والله تعالى (أَعْلَمْ) مني ومنكم (بِمَا تَصِفُونَ) به غيركم من الأوصاف التى يخالفها الحق، ولا يؤيدها الواقع»[3].

وفي روح المعاني: «أي عالم علماً بالغاً إلى أقصى المراتب بأن الأمر ليس كما تصفون من صدور السرقة منا، فصيغة أفعل لمجرد المبالغة لا لتفضيل علمه تعالى على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك من علم قاله غير واحد. وقال أبو حيان: إن المعنى أعلم بما تصفون به منكم لأنه سبحانه عالم بحقائق الأمور وكيف كانت سرقة أخيه الذي أحلتم سرقته عليه فأفعل حينئذ على ظاهره.

---

(١) التفسير الميسر (١/ ٢٢٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٠١).

(٣) التفسير الوسيط لطنطاوي (٧/ ٤٠١).

واعترض بأنه لم يكن فيهم علم والتفضيل يقتضي الشركة، وأجيب بأنه تكفي الشركة بحسب زعمهم فإنهم كانوا يدعون العلم لأنفسهم، ألا ترى قولهم: (فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ) جزماً»[1].

٥٧-الرعد(٤٢)-﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾ [الرعد: ٤٢].

قال في المنتخب: «وإذا كانوا يجهلون أن العاقبة الحسنة للمؤمنين، فسيعلمون يوم القيامة - بالرؤية - لمن تكون العاقبة الحسنة بالإقامة في دار النعيم»[2].

٥٨-إبراهيم(٩)-﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾ [إبراهيم: ٩].

قال الزمخشري: «أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله »[3].

٥٩-إبراهيم(٣٨)-﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [إبراهيم: ٣٨].

قال القرطبي: «وقال ابن عباس ومقاتل: تعلم جميع ما أخفيه وما أعلنه من الوجد بإسماعيل وأمه حيث أسكنا بواد غير ذي زرع»[4].

٦٠-الحجر(٢٤)-﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الحجر: ٢٤].

قال في التفسير الميسر: «ولقد علمنا مَن هلك منكم مِن لدن آدم، ومَن هو

---

(١) روح المعاني (٤/ ٣٠٢).
(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٣٦٢).
(٣) تفسير الزمخشري (٢/ ٥٤٢).
(٤) تفسير القرطبي (٩/ ٣٧٥).

حيٌّ، ومَن سيأتي إلى يوم القيامة»[1].

٦١-الحجر(٩٧)-﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الحجر: ٩٧].

قال في التفسير الميسر: «ولقد نعلم بانقباض صدرك -أيها الرسول-؛ بسبب ما يقوله المشركون فيك وفي دعوتك»[2].

٦٢-النحل(١٩)-﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النحل: ١٩].

قال ابن كثير: «يخبر تعالى أنه يعلم الضمائر والسرائر كما يعلم الظواهر، وسيجزي كل عامل بعمله يوم القيامة إن خيراً فخير وإن شراً فشر»[3].

٦٣-النحل(٢٣)-﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [النحل: ٢٣].

قال الشوكاني: «أي حقاً أن الله يعلم ما يسرون من أقوالهم وأفعالهم، وما يعلنون من ذلك»[4].

٦٤-النحل(٧٤)-﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٤].

قال ابن كثير: «ولهذا قال تعالى: (فلا تضربوا لله الأمثال) أي لا تجعلوا له أنداداً وأشباهاً وأمثالاً (إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون) أي أنه يعلم ويشهد أنه لا إله إلا هو وأنتم بجهلكم تشركون به غيره»[5].

٦٥-النحل(٩١)-﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ النحل: ٩١.

قال الطبري: «فاحذروا الله أن تلقوه وقد خالفتم فيها أمره ونهيه، فتستوجبوا

---

(١) التفسير الميسر (١/ ٢٦٣).

(٢) المرجع السابق (١/ ٢٦٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٦٤).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٣/ ١٨٨).

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٨٨).

بذلك منه ما لا قِبَل لكم به من أليم عقابه»[1].

٦٦-النحل(١٠١)-﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [النحل: ١٠١].

قال في تفسير الجلالين: «أعلم بِمَا يُنَزِّلُ وحقيقة القرآن »[2] وصدق رسولنا.

وفي التفسير الميسر: «بل أكثرهم لا عِلْم لهم بربهم ولا بشرعه وأحكامه»[3].

وقال مقاتل: «لا يعلمون أن الله أنزله فإنك لا تقول إلا ما قد قيل لك»[4].

٦٧-النحل(١٠٣)-﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣].

٦٨-النحل(١٢٥)-﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

قال ابن كثير: «أي قدم علم الشقي منهم والسعيد وكتب ذلك عنده وفرغ منه، فادعهم إلى الله ولا تذهب نفسك على من ضل منهم حسرات، فإنه ليس عليك هداهم إنما أنت نذير عليك البلاغ، وعلينا الحساب»[5].

٦٩-الإسراء(٢٥)-﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ [الإسراء: ٢٥].

قال في التفسير الميسر: «ربكم -أيها الناس- أعلم بما في ضمائركم من خير وشر. إن تكن إرادتكم ومقاصدكم مرضاة الله وما يقربكم إليه، فإنه كان -سبحانه- للراجعين إليه في جميع الأوقات غفورًا، فمَن عَلِمَ الله أنه ليس في قلبه

---

(١) تفسير الطبري (١٤/ ٣٤١).

(٢) تفسير الجلالين (ص: ٣٦٠).

(٣) التفسير الميسر (١/ ٢٧٨).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٤٨٧).

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٦١٣).

إلا الإنابة إليه ومحبته، فإنه يعفو عنه، ويغفر له ما يعرض من صغائر الذنوب، مما هو من مقتضى الطبائع البشرية»[1].

٧٠-الإسراء(٤٧)-﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ٤٧﴾ [الإسراء: ٤٧].

قال في التفسير الميسر:«نحن أعلم بالذي يستمعه رؤساء قريش، إذ يستمعون إليك، ومقاصدهم سيئة، فليس استماعهم لأجل الاسترشاد وقَبول الحق، ونعلم تَناجيهم حين يقولون: ما تتبعون إلا رجلاً أصابه السحر فاختلط عقله»[2].

٧١-الإسراء(٥٤)-﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ٥٤﴾ [الإسراء: ٥٤].

قال ابن كثير: «أي أعلم بمن يستحق منكم الهداية ومن لا يستحق»[3].

٧٢-الإسراء(٥٥)-﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ٥٥﴾ [الإسراء: ٥٥].

٧٣-الإسراء(٨٤)-﴿قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦۖ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا ٨٤﴾ [الإسراء: ٨٤].

٧٤-الكهف(١٢)-﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ١٢﴾ [الكهف: ١٢].

قال الشوكاني في فتح القدير: «المراد به ظهور معلوم الله سبحانه لعباده»[4].

قال الشنقيطي: «أي نعلم ذلك علماً يظهر الحقيقة للناس، فلا ينافي أنه كان عالماً به قبل ذلك دون خلقه»[5].

٧٥-الكهف(١٩)-﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا

---

(١) التفسير الميسر (١/ ٢٨٤).

(٢) المرجع السابق (١/ ٢٨٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٨٠).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٢٣).

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٢١٠).

يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الكهف: ١٩].

قال السعدي: «فردوا العلم إلى المحيط علمه بكل شيء»[1].

٧٦-الكهف(٢١)-﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۗ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ [الكهف: ٢١].

قال الشوكاني: «أطلعنا الناس عليهم وسمي الإعلام إعثاراً، لأن من كان غافلاً عن شيء فعثر به نظر إليه وعرفه، فكان الإعثار سبباً لحصول العلم (ليعلموا أن وعد الله حق) أي ليعلم الذين أعثرهم الله عليهم أن وعد الله بالبعث حق»[2].

٧٧-الكهف(٢٢)-﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الكهف: ٢٢].

قال ابن كثير: «وقوله (قل ربي أعلم بعدتهم) إرشاد إلى أن الأحسن في مثل هذا المقام رد العلم إلى الله تعالى إذ لا احتياج إلى الخوض في مثل ذلك بلا علم لكن إذا أطلعنا على أمر قلنا به وإلا وقفنا وقوله (ما يعلمهم إلا قليل) أي من الناس»[3].

٧٨-الكهف(٢٦)-﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ۖ لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الكهف: ٢٦].

قال ابن كثير: «وقوله (قل الله أعلم بما لبثوا) أي إذا سئلت عن لبثهم وليس عندك علم في ذلك وتوقيف من الله تعالى، فلا تتقدم فيه بشيء، بل قل في مثل

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٤٧٣).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٢٨).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ١٤٨).

هذا (الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض) أي لا يعلم ذلك إلا هو ومن أطلعه عليه من خلقه»[1].

٧٩-مريم(٧٠)-﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا ۝٧٠﴾ [مريم: ٧٠].

قال ابن كثير: «والمراد أنه تعالى أعلم بمن يستحق من العباد أن يصلى بنار جهنم ويخلد فيها وبمن يستحق تضعيف العذاب»[2].

٨٠-طه(٧)-﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ [طه: ٧].

قال في التفسير الميسر: «وإن تجهر - أيها الرسول - بالقول، فتعلنه أو تخفه، فإن الله لا يخفى عليه شيء، يعلم السر وما هو أخفى من السر مما تحدِّث به نفسك»[3].

٨١-طه(٩٨)-﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝٩٨﴾ [طه: ٩٨].

قال في التفسير الميسر: «إنما إلهكم - أيها الناس - هو الله الذي لا معبود بحق إلا هو، وسع علمه كل شيء»[4].

٨٢-طه(١٠٤)-(﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ۝١٠٤﴾ [طه: ١٠٤].

قال السعدي: «والله يعلم تخافتهم، ويسمع ما يقولون»[5].

٨٣-طه(١١٠)-﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ۝١١٠﴾ [طه: ١١٠].

قال في المنتخب: «والله - جل شأنه - يعلم ما تقدم من أمورهم في دنياهم، وما يستقبلونه منها في أُخراهم، فهو سبحانه يُدبِّر الأمر فيهم بمقتضى علمه، وهم لا يحيطون علماً بتدبيره وحكمته»[6].

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ١٥٠).

(٢) المرجع السابق (٥/ ٢٥١).

(٣) التفسير الميسر (١/ ٣١٢).

(٤) المرجع السابق (١/ ٣١٨).

(٥) تفسير السعدي (ص: ٥١٣).

(٦) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٤٦٧).

٨٤-الأنبياء(٤)-﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝٤﴾ [الأنبياء: ٤].

قال في التفسير الميسر: «رد النبي ﷺ الأمرَ إلى ربه ﷻ فقال: ربي يعلم القول في السماء والأرض، ويعلم ما أسررتموه من حديثكم، وهو السميع لأقوالكم، العليم بأحوالكم. وفي هذا تهديد لهم ووعيد»[(١)].

٨٥-الأنبياء(٢٨)-﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ۝٢٨﴾ [الأنبياء: ٢٨].

قال في تفسير الجلالين: «(يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي ما عملوا وما هم عاملون»[(٢)].

٨٦-الأنبياء(١١٠)-﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ۝١١٠﴾ [الأنبياء: ١١٠].

٨٧-الحج(٦٨)-﴿وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٦٨﴾ [الحج: ٦٨].

قال السعدي: «أي: هو عالم بمقاصدكم ونياتكم، فمجازيكم عليها في يوم القيامة»[(٣)].

علم الله ما في السموات...

٨٨-الحج(٧٠)-﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠﴾ [الحج: ٧٠].

قال في التفسير الميسر: «ألم تعلم- أيها النبى- أن الله يعلم ما في السماء والأرض علماً كاملاً قد أثبته في اللوح المحفوظ؟»[(٤)].

٨٩-الحج(٧٦)-﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝٧٦﴾ [الحج: ٧٦].

قال في تفسير الجلالين: «يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي ما قدموا وما

---

(١) التفسير الميسر (١/ ٣٢٢).

(٢) تفسير الجلالين (ص: ٤٤٤).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٥٤٥).

(٤) التفسير الميسر (١/ ٣٤٠).

خلفوا وما عملوا وما هم عاملون »[1].

٩٠-المؤمنون(٩٦)-﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦﴾ [المؤمنون: ٩٦].

قال في تفسير الميسر: «نحن أعلم بما يصفه هؤلاء المشركون من الشرك والتكذيب، وسنجازيهم عليه أسوأ الجزاء»[2].

٩١-النـــــور(١٩)-﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩﴾ [النور: ١٩].

قال في تفسير الجلالين: «(والله يعلم) انتفاءها عنهم (وأنتم) أيها العصبة بما قلتم من الإفك (لا تعلمون) وجودها فيهم»[3].

٩٢-النـــور(٢٩)-﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٢٩﴾ [النور: ٢٩].

قال في تفسير الجلالين: «(تبدون) تظهرون (وما تكتمون) تخفون في دخول غير بيوتكم من قصد صلاح أو غيره»[4].

٩٣-النـــور(٤١)-﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٤١﴾ [النور: ٤١].

قال في التفسير الميسر: «كل مخلوق قد أرشده الله كيف يصلي له ويسبحه. وهو سبحانه عليم، مُطَّلِع على ما يفعله كل عابد ومسبِّح، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم بذلك»[5].

٩٤-النور(٦٣)-﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ

---

(١) تفسير الجلالين (ص: ٤٤٤).
(٢) التفسير الميسر (١/ ٣٤٨).
(٣) تفسير الجلالين (ص: ٤٦٠).
(٤) المرجع السابق (ص: ٤٦٢).
(٥) التفسير الميسر (١/ ٣٥٥).

يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣].

قال السعدي: «أي: يلوذون وقت تسللّهم وانطلاقهم بشيء يحجبهم عن العيون، فالله يعلمهم، وسيجازيهم على ذلك أتم الجزاء»[(١)].

٩٥-النور(٦٤)-﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾ [النور: ٦٤].

قال في تفسير الجلالين: «(قد يعلم ما أنتم) أيها المكلفون (عليه) من الإيمان والنفاق ويعلم (ويوم يرجعون إليه) فيه التفات عن الخطاب أي متى يكون (فينبئهم) فيه (بما عملوا) من الخير والشر (والله بكل شيء) من أعمالهم وغيرهم (عليم) »[(٢)].

٩٦-الفرقان(٦)-﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾ [الفرقان: ٦].

قال في تفسير الجلالين: «(الذي يعلم السر) الغيب»[(٣)].

٩٧-الشعراء(١٨٨)-﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الشعراء: ١٨٨].

قال في التفسير الميسر: «قال لهم شعيب: ربي أعلم بما تعملونه مِنَ الشرك والمعاصي، وبما تستوجبونه من العقاب»[(٤)].

٩٨-النمل(٢٥)-﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النمل: ٢٥].

قال في تفسير الجلالين: «(ويعلم ما تخفون) في قلوبهم (وما تعلنون)

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٥٧٧).

(٢) تفسير الجلالين (ص: ٤٧٠).

(٣) المرجع السابق (ص: ٤٧١).

(٤) التفسير الميسر (١/ ٣٧٥).

بألسنتهم»[1].

٩٩-النمل(٦٥)-﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥].

قال في تفسير الجلالين: «(قل لا يعلم من في السموات والأرض) من الملائكة والناس (الغيب) ما غاب عنهم (إلا) لكن (الله) يعلمه»[2].

١٠٠-النمل(٧٤)-﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النمل: ٧٤].

قال في التفسير الميسر: «وإن ربك لَيعلم ما تخفيه صدور خلقه وما يظهرونه»[3].

١٠١-القصص(٣٧)-﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [القصص: ٣٧].

قال في التفسير الميسر: «وقال موسى لفرعون: ربي أعلم بالمحقِّ منَّا الذي جاء بالرشاد من عنده، ومَن الذي له العقبى المحمودة في الدار الآخرة، إنه لا يظفر الظالمون بمطلوبهم»[4].

١٠٢-القصص(٥٦)-﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦].

قال في التفسير الميسر: «إنك -أيها الرسول- لا تهدي هداية توفيق مَن أحببت هدايته، ولكن ذلك بيد الله يهدي مَن يشاء أن يهديه للإيمان، ويوفقه إليه، وهو أعلم بمن يصلح لله داية فيهديه»[5].

١٠٣-القصص(٦٩)-﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [القصص: ٦٩].

---

(١) تفسير الجلالين (ص: ٤٩٧).
(٢) المرجع السابق (ص: ٥٠٢).
(٣) التفسير الميسر (١/ ٣٨٣).
(٤) المرجع السابق (١/ ٣٩٠).
(٥) التفسير الميسر (١/ ٣٩٢).

قال في تفسير الجلالين: «(وربك يعلم ما تكن صدورهم) تسر قلوبهم من الكفر وغيره (وما يعلنون) بألسنتهم من ذلك»[1].

١٠٤-القصص(٨٥)-﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ [القصص: ٨٥].

قال في التفسير الميسر: «إن الذي أنزل عليك -أيها الرسول- القرآن، وفرض عليك تبليغه والتمسُّك به، لمرجعك إلى الموضع الذي خرجت منه، وهو (مكة)، قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: ربي أعلم مَن جاء بالهدى، ومن هو في ذهابٍ واضحٍ عن الحق»[2].

١٠٥-العنكبوت(٣)-﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ٣].

قال في التفسير الميسر: «ولقد فتنَّا الذين من قبلهم من الأمم واختبرناهم، ممن أرسلنا إليهم رسلنا، فليعلمنَّ الله علمًا ظاهرًا للخلق صدق الصادقين في إيمانهم، وكذب الكاذبين؛ ليميز كلَّ فريق من الآخر»[3].

١٠٦-العنكبوت(١٠)-﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ۖ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [العنكبوت: ١٠].

قال في تفسير الجلالين: «قال تعالى (أو ليس الله بأعلم) أي بعالم (بما في صدور العالمين) قلوبهم من الإيمان والنفاق بلى»[4].

١٠٧-العنكبوت(١١)-﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [العنكبوت: ١١].

قال ابن كثير: «أي وليختبرن الله الناس بالضراء والسراء ليتميز هؤلاء من

---

(١) تفسير الجلالين (ص: ٥١٧).

(٢) التفسير الميسر (١/ ٣٩٦).

(٣) المرجع السابق (١/ ٣٩٦).

(٤) تفسير الجلالين (ص: ٥٢٢).

هؤلاء من يطيع الله في الضراء والسراء ومن إنما يطيعه في حظ نفسه»[1].

١٠٨-العنكبوت(٤٢)-﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤٢﴾ [العنكبوت: ٤٢].

قال ابن كثير: «قال تعالى متوعدا لمن عبد غيره وأشرك به أنه تعالى يعلم ما هم عليه من الأعمال ويعلم ما يشركون به من الأنداد وسيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم»[2].

١٠٩-العنكبوت(٤٥)-﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾ [العنكبوت: ٤٥].

قال في التفسير الميسر: «والله يعلم ما تصنعون مِن خيرٍ وشر، فيجازيكم على ذلك أكمل الجزاء وأوفاه»[3].

١١٠-العنكبوت(٥٢)-﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٥٢﴾ [العنكبوت: ٥٢].

قال في تفسير الجلالين: «(قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً) بصدقي (يعلم ما في السماوات والأرض) ومنه حالي وحالكم»[4].

١١١- الروم (٥٤)-﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ٥٤﴾ [الروم: ٥٤].

١١٢-لقمان(٣٤)-﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ٣٤﴾ [لقمان: ٣٤].

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٦٦).

(٢) المرجع السابق (٦/ ٢٧٩).

(٣) التفسير الميسر (١/ ٤٠١).

(٤) تفسير الجلالين (ص: ٢٠٦).

مطلق علم الساعة.

علم أحداثها .

علم وقتها .

قال في التفسير الميسر: «إن الله - وحده لا غيره- يعلم متى تقوم الساعة؟ وهو الذي ينزل المطر من السحاب، لا يقدر على ذلك أحد غيره، ويعلم ما في أرحام الإناث، ويعلم ما تكسبه كل نفس في غدها، وما تعلم نفس بأيِّ أرض تموت. بل الله تعالى هو المختص بعلم ذلك جميعه. إن الله عليم خبير محيط بالظواهر والبواطن، لا يخفى عليه شيء منها»[1].

١١٣-الأحزاب(١٨)-﴿۞قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ١٨﴾ [الأحزاب: ١٨].

قال في تفسير الجلالين: «(قد يعلم الله المعوقين) المثبطين (منكم والقائلين لإخوانهم هلم) تعالوا (إلينا ولا يأتون البأس) القتال (إلا قليلا) رياء وسمعة»[2].

١١٤-الأحزاب(٥٠)-﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٠﴾ [الأحزاب: ٥٠].

قال في التفسير الميسر: «يا أيها النبي إنَّا أبَحْنا لك أزواجك اللاتي أعطيتهن مهورهن، وأبَحْنا لك ما مَلَكَتْ يمينك من الإماء، مما أنعم الله به عليك، وأبحنا لك الزواج من بنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك، وأبحنا لك امرأة مؤمنة مَنَحَتْ نفسها لك من غير مهر، إن كنت

(١) التفسير الميسر (١/ ٤١٤).

(٢) تفسير الجلالين (ص: ٥٥٢).

تريد الزواج منها خالصة لك، وليس لغيرك أن يتزوج امرأة بالهِبَة. قد علمنا ما أوجبنا على المؤمنين في أزواجهم وإمائهم بألا يتزوجوا إلا أربع نسوة، وما شاؤوا من الإماء، واشتراط الوليّ والمهر والشهود عليهم، ولكنا رخصنا لك في ذلك، ووسَّعْنا عليك ما لم يُوسَّع على غيرك؛ لئلا يضيق صدرك في نكاح مَن نكحت مِن هؤلاء الأصناف. وكان الله غفورًا لذنوب عباده المؤمنين، رحيمًا بالتوسعة عليهم»[1].

١١٥-الأحزاب(٥١)-﴿۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ۝٥١﴾ [الأحزاب: ٥١].

قال في التفسير الميسر: «والله يعلم ما في قلوب الرجال مِن مَيْلها إلى بعض النساء دون بعض. وكان الله عليمًا بما في القلوب، حليمًا لا يعجل بالعقوبة على من عصاه»[2].

١١٦-سبأ(٢)-﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [سبأ: ٢].

قال في تفسير الجلالين: «(يعلم ما يلج) يدخل (في الأرض) كماء وغيره (وما يخرج منها) كنبات وغيره (وما ينزل من السماء) من رزق وغيره (وما يعرج) يصعد (فيها) من عمل وغيره (وهو الرحيم) بأوليائه (الغفور) لهم»[3].

علم بالله وما والاه أول وأهم العلوم

١١٧-سبأ(٦)-﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦﴾ [سبأ: ٦].

---

(١) التفسير الميسر (١/ ٤٢٤).

(٢) المرجع السابق (١/ ٤٢٥).

(٣) تفسير الجلالين (ص: ٥٦٢).

قال في تفسير الجلالين: «(ويرى) يعلم (الذين أوتوا العلم) مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (الذي أنزل إليك من ربك) أي القرآن (هو) فصل (الحق ويهدي إلى صراط) طريق (العزيز الحميد) أي الله ذي العزة المحمود»[1].

١١٨-فاطر(١١)-﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١١﴾ [فاطر: ١١].

قال في التفسير الميسر: «والله خلق أباكم آدم من تراب، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم جعلكم رجالا ونساءً. وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه، وما يعمَّر من مُعَمَّر، فيطول عمره، ولا يُنْقَص من عمره إلا في كتاب عنده، وهو اللوح المحفوظ، قبل أن تحمل به أمُّه وقبل أن تضعه. قد أحصى الله ذلك كله، وعلمه قبل أن يخلقه، لا يُزاد فيما كتب له ولا يُنْقَص. إن خَلْقكم وعِلْم أحوالكم وكتابتها في اللوح المحفوظ سهل يسير على الله»[2].

١١٩-يس(١٦)-﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦﴾ [يس: ١٦].

قال في الكشاف: «وقوله: (ربنا يعلم) جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم: شهد الله وعلم الله»[3].

١٢٠-يس(٧٦)-﴿فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٧٦﴾ [يس: ٧٦].

قال في التفسير الميسر: «فلا يَحْزُنك -أيها الرسول- كفرهم بالله وتكذيبهم لك واستهزاؤهم بك؛ إنا نعلم ما يخفون، وما يظهرون، وسنجازيهم على ذلك»[4].

---

(١) تفسير الجلالين (ص: ٥٦٣).

(٢) التفسير الميسر (١/ ٤٣٥).

(٣) تفسير الزمخشري (٤/ ٩).

(٤) التفسير الميسر (١/ ٤٤٥).

١٢١-الزمر(٧٠)-﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ الزمر: ٧٠

فتح القدير «(ووفيت كل نفس ما عملت) من خير وشر (وهو أعلم بما يفعلون) في الدنيا لا يحتاج إلى كاتب ولا حاسب ولا شاهد، وإنما وضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء لتكميل الحجة وقطع المعذرة»[١].

١٢٢-غافر(٧)-﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: ٧].

مراح لبيد «(وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً)، أي وسعت رحمتك وعلمك، فكل موجود نال من رحمة الله نصيباً، لأن وجود الممكن بإيجاده تعالى، فذلك رحمة فلا موجود غير الله إلاّ وقد وصل إليه نصيب من رحمة الله، وعلمه تعالى محيط بجميع المعلومات التي لا نهاية لها من الكليات والجزئيات»[٢].

١٢٣-غافر(١٩)-﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ غافر: ١٩.

قال في تفسير الجلالين: «(يعلم) أي الله (خائنة الأعين) بمسارقتها النظر إلى محرم (وما تخفي الصدور) القلوب»[٣].

١٢٤-فصلت (٤٧)-﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾﴾ [فصلت: ٤٧].

قال في التفسير الميسر: «إلى الله تعالى وحده لا شريك له يُرْجَع علم الساعة، فإنه لا يعلم أحد متى قيامها غيره، وما تخرج من ثمرات من أوعيتها، وما تحمل مِن أنثى ولا تضع حَمْلها إلا بعلم من الله، لا يخفى عليه شيء من ذلك»[٤].

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٥٤٦).

(٢) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (٢/ ٣٤٣).

(٣) تفسير الجلالين (ص: ٦٢٠).

(٤) التفسير الميسر (١/ ٤٨٢).

١٢٥-الشورى(٢٥)-﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٢٥﴾ [الشورى: ٢٥].

قال في التفسير الميسر: «الله ﷻ هو الذي يقبل التوبة عن عباده إذا رجعوا إلى توحيد الله وطاعته، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تصنعون من خير وشر، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهو مجازيكم به»[(١)].

١٢٦-الدخان(٣٢)-﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٢﴾ [الدخان: ٣٢].

قال مقاتل: «ثم رجع إلى بني إسرائيل فقال ولقد اخترناهم على علم علمه الله عز وجل منهم على العالمين يعني عالم ذلك الزمان»[(٢)].

العلم هنا وجهان علم عام وعلم الله

١٢٧-الجاثية(٢٣)-﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٣﴾ [الجاثية: ٢٣].

قال الماوردي: «على علم منه أنه ضال، قاله مقاتل»[(٣)].

قال في المنتخب «وضل عن سبيل الحق على علم منه بهذا السبيل»[(٤)].

ابتدأ هو أولا باتخاذ إلهه هواه فجاءت العقوبة بالإضلال بعد علم منه بأحقية الله بالإلهية والعبودية .

قال في التفسير الميسر: من اتخذ هواه إلهًا له، فلا يهوى شيئًا إلا فَعَله، وأضلَّه الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه، فلا يسمع مواعظ الله، ولا يعتبر بها، وطبع على قلبه، فلا يعقل به شيئًا، وجعل على بصره غطاء، فلا يبصر به

---

(١)المرجع السابق (١/ ٤٨٦).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٢٢).

(٣) تفسير الماوردي (٥/ ٢٦٥).

(٤) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٧٤١).

حجج الله ؟ فمن يوفقه لإصابة الحق»[1].

وفي مراح لبيد: «وهذا إما حال من الفاعل أي عالماً بأن جوهر روحه لا يقبل الصلاح أو من المفعول والمعنى وأضله وهو عالم بالحق»[2].

وفي الوسيط: «فيكون قوله (على عِلْمٍ) حال من الفاعل، أي أضله - سبحانه - حالة كونه عالما بأنه من أهل الضلال.

ويصح أن يكون حالاً من المفعول، أي: وأضل الله - تعالى - هذا الشقى، والحال أن هذا الشقي عالم بطريق الإيمان، ولكنه استحب الغي على الرشد»[3].

وفي التحرير والتنوير: «ومعنى (على علم) أنهم أحاطت بهم أسباب الضلالة مع أنهم أهل علم، أي عقول سليمةٍ أوْ مع أنهم بلغهم العِلم بما يهديهم وذلك بالقرآن ودعوة النبي ﷺ إلى الإسلام. فحرف (على) هنا معناه المصاحبة بمعنى (مع) وأصل هذا المعنى استعارة معنى الاستعلاء للاستعلاء المجازي، وهو التمكن بين الوصف والموصوف. وشاع ذلك حتى صار معنى من معاني (على) كما في قول الحارث بن حلزة: فيَقيناً على الشَّنَاءة تَنْمينا... حُصون وعِزّة قعساء والمعنى: أنه ضال مع مَا له من صفة العلم، فالعلم هنا من وصف من اتخذ إلهه هواه وهو متمكن من العلم لو خلع عن نفسه المكابرة والميل إلى الهوى»[4].

قال فى المنتخب: «أنظرت فرأيت - أيها الرسول - مَنْ اتخذ هواه معبوداً له فخضع له وأطاعه، وضل عن سبيل الحق على علم منه بهذا السبيل، وأغلق سمعه فلا يقبل وعظاً، وقلبه فلا يعتقد حقاً، وجعل على بصره غطاء فلا يبصر عبرة، فمن يستطيع هدايته بعد الله ؟ أفلا تتعظون بمثل هذه الحالات؟»[5].

---

(١) التفسير الميسر (١/ ٥٠١).

(٢) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (٢/ ٤٠١).

(٣) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٣/ ١٦١).

(٤) التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٥٨).

(٥) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٧٤١).

١٢٨-الأحقاف(٨)-﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾﴾ [الأحقاف: ٨].

قال في المنتخب: «بل أيقول هؤلاء الكافرون: اختلق محمد القرآن وأضافه إلى الله ؟، قل رداً عليهم: إن افتريته عاجلنى الله بعقوبته، فلا تستطيعون أن تدفعوا عنى من عذابه شيئاً هو - وحده - أعلم بما تخوضون فيه من الطعن فى آياته، كفى به شهيداً لى بالصدق وشهيداً عليكم بالتكذيب، وهو - وحده - واسع المغفرة لمن تاب، عظيم الرحمة، يمهل العصاة ليتداركوا»[(١)].

١٢٩-محمد(٢٦)-﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [محمد: ٢٦].

قال فى المنتخب: «ذلك الارتداد بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزَّل الله: سنطيعكم في بعض الأمر، والله يعلم أسرار هؤلاء المنافقين»[(٢)].

١٣٠-محمد(٣٠)-﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾ [محمد: ٣٠].

قال فى المنتخب: «ولو نشاء لدللناك عليهم، فلعرفتهم بعلامات نسمهم بها، وأقسم: لتعرفنهم من أسلوب قولهم، والله يعلم حقيقة أعمالكم جميعاً»[(٣)].

١٣١-محمد(٣١)-﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ۖ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١].

قال فى المنتخب: «وأقسم: لنعاملكم معاملة المختبر، حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين في البأساء والضراء، ونبلو أخباركم من طاعتكم وعصيانكم في الجهاد وغيره»[(٤)].

---

(١)المرجع السابق (ص: ٧٤٥).

(٢)المرجع السابق (ص: ٧٥٤).

(٣) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٧٥٤).

(٤)المرجع السابق.

١٣٢-الفـــتح(١٨)-﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨].

قال في المنتخب: «لقد رضي الله عن المؤمنين حين يعاهدونك مختارين تحت الشجرة، فعلم ما في قلوبهم من الإخلاص والوفاء لرسالتك»[(١)].

علم الله علم الإنسان القاصر

١٣٣-الفـــتح(٢٧)-﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ الفتح: ٢٧.

قال في المنتخب: «لقد صدق الله رسوله رؤياه دخول المسجد الحرام بتحققها. أقسم: لتدخلن المسجد الحرام - إن شاء الله - آمنين عدوكم، بين محلق رأسه ومقصر، وغير خائفين، فعلم سبحانه الخير الذى لم تعلموه في تأخير دخول المسجد الحرام، فجعل من قبل دخولكم فتحا قريبا»[(٢)].

علم بالدين علم الله

١٣٤-الحجـــرات(١٦)-﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [الحجرات: ١٦].

قال في المنتخب: «قل لهم - يا محمد - تكذيباً لقولهم آمنا: أتخبرون الله بتصديق قلوبكم، والله - وحده - يعلم كل ما في السموات، وكل ما في الأرض، والله محيط علمه بك»[(٣)].

١٣٥-الحجـــرات(١٨)-﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحجرات: ١٨]،

قال في المنتخب: «إن الله يعلم كل ما استتر في السموات والأرض، والله

---

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٧٥٩).

(٢) المرجع السابق (ص: ٧٦١).

(٣) المرجع السابق (ص: ٧٦٥).

محيط الرؤية بكل ما تعملون»[1].

١٣٦-ق (٤)-﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ۝٤﴾ [ق: ٤].

قال في المنتخب: «قد علمنا ما تأخذه الأرض من أجسامهم بعد الموت، وعندنا كتاب دقيق الإحصاء والحفظ»[2].

١٣٧-ق(١٦)-﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝١٦﴾ [ق: ١٦]،

قال في المنتخب: «أقسم: لقد خلقنا الإنسان ونعلم ما تحدثه به نفسه، ونحن - بعلمنا بأحواله كلها - أقرب إليه من عرق الوريد، الذي هو أقرب شئ منه»[3].

١٣٨-ق(٤٥)-﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥﴾ [ق: ٤٥].

قال في المنتخب: «نحن أعلم بكل ما يقولون من الأكاذيب في شأن رسالتك، وما أنت عليهم بمسلط تجبرهم على ما تريد، وإنما أنت منذر، فذكر بالقرآن المؤمن الذي يخاف عقابي، فتنفعه الذكرى»[4].

١٣٩-النجم(٣٠)-﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ۝٣٠﴾ [النجم: ٣٠].

قال في فتح القدير: «قال الفراء: أي ذلك قدر عقولهم ونهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة، والمراد بالعلم هنا مطلق الإدراك الذي يندرج تحته الظن الفاسد، والجملة مستأنفة لتقرير جهلهم واتباعهم مجرد الظن»[5].

قال السعدي: «فسعيهم مقصور على الدنيا ولذاتها وشهواتها، كيف حصلت حصلوها، وبأي: طريق سنحت ابتدروها، (ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ) أي: هذا منتهى

---

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم.

(٢)المرجع السابق (ص: ٧٦٦).

(٣)المرجع السابق.

(٤)المرجع السابق (ص: ٧٧٠).

(٥) فتح القدير للشوكاني (٥/ ١٣٥).

علمهم وغايته، وأما المؤمنون بالآخرة، المصدقون بها، أولو الألباب والعقول، فهمتهم وإرادتهم للدار الآخرة، وعلومهم أفضل العلوم وأجلها، وهو العلم المأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ»[1].

قال في المنتخب: «ذلك الذي يتبعونه في عقائدهم وأعمالهم منتهى ما وصلوا إليه من العلم، إن ربك هو أعلم بمن أصر على الضلال، وهو أعلم بمن شأنه قبول الاهتداء»[2].

١٤٠-النجم(٣٢)-﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم: ٣٢].

قال في المنتخب: «الذين يجتنبون ما يكبر عقابه من الذنوب وما يعظم قبحه منها، لكن الصغائر من الذنوب يعفو الله عنها، إن ربك عظيم المغفرة، هو أعلم بأحوالكم، إذ خلقكم من الأرض، وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم في أطواركم المختلفة، فلا تصفوا أنفسكم بالتزكي مدحاً وتفاخراً، هو أعلم بمن اتقى، فزكت نفسه حقيقة بتقواه»[3].

١٤١-الحديد(٤)-﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤].

قال في المنتخب: «هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استولى على العرش بتدبير ملكه، يعلم كل ما يغيب في الأرض وما يخرج منها، وكل ما ينزل من السماء وما يصعد إليها، وهو عليم بكم محيط بشئونكم في أي مكان كنتم، والله بما تعملون بصير، مطَّلع لا يخفى عليه شئ من ذلك»[4].

١٤٢-الحديد (٢٥)-﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ

(١) تفسير السعدي (ص: ٨٢٠).
(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٧٨٢).
(٣) المرجع السابق (ص: ٧٨٣).
(٤) المرجع السابق (ص: ٨٠٤).

ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥].

قال فى المنتخب: «وليعلم الله من ينصر دينه، وينصر رسله غائباً عنهم. إن الله قادر بذاته. لا يفتقر إلى عون أحد»[1].

١٤٣-المجادلة(٧)- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: ٧].

قال فى المنتخب:«ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ما يكون من مُسارّة بين ثلاثة إلا هو رابعهم بعلمه بما يتسارون به، ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أقل من ذلك ولا أكثر إلا وهو معهم. يعلم ما يتناجون به - أينما كانوا - ثم يُخبرهم يوم القيامة بكل ما عملوا. إن الله بكل شئ عليم»[2].

١٤٤-الممتحنة(١)- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ [الممتحنة: ١].

قال في المنتخب:«إن كنتم خرجتم من دياركم للجهاد في سبيلي وطلب رضائى فلا تتولوا أعدائي، تُلْقُون إليهم بالمودة سراً، وأنا أعلم بما أسررتم وما أعلنتم، ومن يتخذ عدو الله ولياً له فقد ضل الطريق المستقيم»[3].

١٤٥-الممتحنة(١٠)- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۖ

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص ٨٠٨).
(٢) المرجع السابق (ص: ٨١١).
(٣) المرجع السابق (ص: ٨١٩).

وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ [الممتحنة: ١٠].

قال في المنتخب:«يا أيها الذين آمنوا: إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من دار الشرك فاختبروهن لتعلموا صدق إيمانهن، الله أعلم بحقيقة إيمانهن، فإن اطمأننتم إلى إيمانهن فلا تردوهن إلى أزواجهن الكفار، فلا المؤمنات بعد هذا حلال للكافرين، ولا الكافرون حلال للمؤمنات، وآتوا الأزواج الكافرين ما أنفقوا من الصداق على زوجاتهم المهاجرات إليكم، ولا حرج عليكم أن تتزوجوا هؤلاء المهاجرات إذا آتيتموهن صداقهن، ولا تتمسكوا بعقد زوجية الكافرات الباقيات في دار الشرك أو اللاحقات بها، واطلبوا من الكفار ما أنفقتم من صداق على اللاحقات بدار الشرك وليطلبوا - هم - ما أنفقوا على زوجاتهم المهاجرات. ذلكم - التشريع - حكم الله، يفصل به بينكم، والله عليم بمصالح عباده، حكيم في تشريعه»[1].

١٤٦-المنافقون(١)-﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون: ١].

قال في المنتخب:«إذا جاءك المنافقون - يا محمد - قالوا بألسنتهم: نشهد إنك لرسول الله، والله يعلم إنك لرسوله، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون في دعواهم الإيمان بك لعدم تصديقهم بقلوبهم»[2].

١٤٧-التغابن(٤)-﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾ [التغابن: ٤].

قال في أيسر التفاسير: «وَاللَّه تَعَالَى يَعْلَمُ جَمِيعَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مِنْ كَائِنَاتٍ وَمَخْلُوقَاتٍ، فَلاَ تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِهَا خَافِيَةٌ، وَهُوَ يُدَبِّرُهَا وَيُدِيرُهَا، وَيَعْلَمُ مَا يُعْلِنُهُ النَّاسُ وَيَقُولُونَهُ، وَيَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَهُ وَيُبْطِنُونَهُ، وَمَا تُوَسْوِسُ بِهِ،

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٨٢١).
(٢) المرجع السابق (ص: ٨٢٨).

نُفُوسُهُمْ، وَيَعْلَمُ مَا يُضْمِرُونَ فِي صُدُورِهِمْ وَمَا يُبَيِّتُونَ فِي سَرَائِرِهِمْ فَلاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيءٌ مِنْ ذَلِكَ»[1].

١٤٨-التغابن(١٢)-﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٢﴾ [التغابن: ١٢].

قال في أيسر التفاسير: «اللَّه تَعَالَى هُوَ الذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَخَلَقَ مِثْلَهُنَّ فِي العَدَدِ مِنَ الأَرْضِ، وَيَجْرِي قَضَاءُ اللَّه وَقَدَرُهُ بَيْنَهُنَّ، وَيَنْفُذُ حُكْمُهُ فِيهِنَّ، فَهُوَ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فِيهِنَّ وَفْقَ عِلْمِهِ الوَاسِعِ وَحِكْمَتِهِ»[2].

١٤٩-الملك(١٤)-﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك: ١٤].

قال في أيسر التفاسير: «وَكَيْفَ لاَ يَعْلَمُ اللَّه تَعَالَى السِّرَّ وَالجَهْرَ مِنَ النَّاسِ وَهُوَ الذِي أَوْجَدَ، بِحِكْمَتِهِ وَوَاسِعِ عِلْمِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، جَمِيعَ الأَشْيَاءِ فِي هَذَا الوُجُودِ، وَهُوَ النَّافِذُ عِلْمُهُ إِلَى مَا ظَهَرَ وَمَا بَطَنَ؟»[3].

١٥٠-القلم(٧)-﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٧﴾ [القلم: ٧].

قال في أيسر التفاسير: «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ حَادَ عَنِ الطَّرِيقِ السَّوِيّ المُؤَدِّي إِلَى سَعَادَةِ الدَّارَينِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى إِلَى سَبِيلِهِ القَوِيمِ، وَطَرِيقِهِ المُسْتَقِيمِ»[4].

١٥١-الحاقة(٤٩)-﴿وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ٤٩﴾ [الحاقة: ٤٩].

قال في أيسر التفاسير: «وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ يُكَذِّبُونَ النَّبِيَّ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ رَبِّهِ»[5].

---

(١) أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥٠٨١).

(٢) المرجع السابق (ص: ٥١٠٧).

(٣) لمرجع السابق (ص: ٥١٣٣).

(٤) المرجع السابق (ص: ٥١٥٦).

(٥) المرجع السابق (ص: ٥٢٥٠).

١٥٢-الجن(٢٨)-﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن: ٢٨].

قال في أيسر التفاسير: «وَاللَّه تَعَالَى يَحْفَظُ رُسُلَهُ لِيتَمَكَّنُوا مِنْ أَدَاءِ رِسَالاَتِهِ، وَيَحْفَظُوا مَا يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنَ الوَحْيِ لِيَعْلَمَ إِنْ كَانُوا قَدْ بلَّغُوا هَذِهِ الرِّسَالاَتِ؛ وَهُوَ تَعَالَى قَدْ أَحَاطَ عِلْماً بِمَا عِنْدَ الرَّاصِدِ مِنَ المَلاَئِكَةِ، وَأَحْصَى مَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ فَرْداً فَرْداً، فَهُوَ عَالِمٌ بِجَمِيعِ الأَشْيَاءِ، لاَ يُشَارِكُهُ فِي عِلْمِهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ لاَ المَلاَئِكَةُ وَلاَ غَيْرُهُمْ»[1].

١٥٣-المزمل(٢٠)-﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل: ٢٠].

قال فى أيسر التفاسير: « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَقَلَّ مِنْ ثُلْثَى اللَّيْل، وَأَكْثَرَ مِنْ نِصْفِهِ، وَتَقُومُ النِّصْفَ، وَتَقُومُ الثُّلُثَ، أَنْتَ وَطَائِفَةٌ مِنَ أَصْحَابِكَ المُؤْمِنِينَ، حِينَ فُرِضَ عَلَيْهِمْ قِيَامُ اللَّيْل. وَلاَ يَعْلَمُ مَقَادِيرَ اللَّيْل والنَّهَارِ إِلاَّ اللَّه، وَأَنْتُمْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ ضَبْطَ المَوَاقِيتِ، وَإِحْصَاءَ السَّاعَاتِ، فَتَابَ عَلَيْكُمْ بِأَنْ رَخَّصَ لَكُمْ تَرْكَ القِيَامِ المُقَدَّرِ، وَعَفَا عَنْكُمْ، وَرَفَعَ عَنْكُمْ هَذِهِ المَشَقَّةَ، فَصَلُّوا مَا تَيَسَّرَ لَكُمْ مِنَ الصَّلاَةِ فِي اللَّيْل، وَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ فِيهَا، وَإِنَّ اللَّه تَعَالَى عَلِمَ أَنَّهُ سَيَكُونُ بَيْنَكُمْ ذَوُو أَعْذَارٍ لاَ يَسْتَطِيعُونَ مَعَهَا القِيَامَ بِاللَّيْل، كَالمَرَضِ والسَّفَرِ وَابْتِغَاءِ الرِّزْقِ (الضَّرْب فِي الأَرْضِ) وَالجِهَادِ فِي سَبِيل اللَّه، فَهَؤُلاَءِ إِذَا لَمْ يَنَامُوا اللَّيْلَ تَعِبَتْ أَجْسَادُهُمْ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا القِيَامَ بِوَاجِبِهِمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ فِى الصَّلاَةِ، وَصَلُّوا الصَّلاَةَ المَفْرُوضَةَ، وَقُومُوهَا فَلاَ تَكُونُ قُلُوبُكُمْ غَافِلَةً، وَآتُوا الزَّكَاةَ الوَاجِبَةَ عَلَيْكُمْ، وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّه فِي أَوْجُهِ الطَّاعَاتِ، وَسَيَجْعَلُ رَبُّكُمْ هَذَا الإِنْفَاقَ بِمَثَابَةِ القَرْضِ لَهُ،

(١) أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥٣٥٣).

وَسَيَجْزِيكُمْ فِي الآخِرَةِ أَحْسَنَ الجَزَاءِ، وَمَا تُقَدِّمُوا فِي الدُّنْيَا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ فِعْلِ خَيْرٍ فَإِنَّكُمْ وَاجِدُونَ ثَوَابَهُ عِنْدَ اللَّه تَعَالَى، وَاسْتَغْفِرُوا اللَّه إِنَّ اللَّه غَفُورٌ رَحِيمٌ»[1].

١٥٤-الانشقاق(٢٣)-﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣﴾ [الانشقاق: ٢٣].

قال في أيسر التفاسير: «وَاللَّه يَعْلَمُ مَا يُضْمِرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الأَسْبَابِ التِي تَحْمِلُهُمْ عَلَى الإِصْرَارِ عَلَى الشِّرْكِ، وَالاسْتِمْرَارِ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ»[2].

١٥٥-الأعلى(٧)-﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ٧﴾ [الأعلى: ٧].

قال في أيسر التفاسير: «إِلاَّ إِذَا شَاءَ اللَّه أَنْ يُنْسِيَكَ مِنْهُ شَيْئاً فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ، وَهُوَ تَعَالَى مَالِكٌ قَلْبَكَ وَعَقْلَكَ، وَعَالِمٌ بِسِرِّكَ وَجَهْرِكَ، فَلاَ يَفُوتُهُ شَيءٌ مِمَّا فِي نَفْسِكَ»[3].

(١) أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥٣٧٣).

(٢) المرجع السابق (ص: ٥٧٨٤).

(٣) المرجع السابق (ص: ٥٨٣٢).

(تعليم اللَّه) في القرآن

إن موضوع تعليم الله كذلك من موضوعات العلم بالله لكني وجدت أن أفرد لها بابا.

١-البقرة(٣٢)-﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ البقرة: ٣٢.

لا علم لنا بأي شيء عن أفعالك وحكمتك وعن الخليفة وعن الأسماء إلا ما علمتنا أنت العليم الْحَكِيمُ.

تعليم اللَّه

٢-المائدة(٤)- ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾ [المائدة: ٤].

المبحث الرابع : العلم بأعمال الإنسان مع الله

لم يقترن كثيرا لفظ العلم بالعمل مع اللَّه أو غيره، في القرآن الكريم لكن الذي جاء بالقرآن فيما يتعلق بالعمل هو أوامر مباشرة بأعمال حسنة ونواهي مباشرة عن أعمال سيئة.

فلنتحدث قليلاً عن مفهوم العمل مع اللَّه ثم لنتقصى ورود كلمة علم مع العمل في كتاب اللَّه .

لنتساءل ما هي علاقات الخلق باللَّه ؟

علاقات الملائكة – الأنبياء - البشر(المؤمن منهم والكافر).

كيف نتعرف عليها ؟ كيف نقيم العلاقات الحميدة النافعة؟..

وكيف نحمي أنفسنا من غواية الشيطان حتى لا يسقطنا بعلاقات مع اللَّه مهلكة؟.

وما هي هذه العلاقات المهلكة الخطيرة؟ هل لنا أن نعرفها؟هل لنا أن نحذرها؟

هل نحن البشر بحاجة إلى إقامة العلاقات الحميدة مع اللَّه ؟

ماذا يحصل لناإذا انفصلنا عن اللَّه ؟.

كيف نربط أنفسنا باللَّه ؟

وكيف نحيا مع اللَّه ؟ وهل هناك روابط معينة مضبوطة معروفة يحياها قلب الإنسان؟

هل هناك مشاعر وأحاسيس يعتمل بها القلب ويتوجه بها نحو ربه ؟

نعم لابد من طمأنة القلب وتسكينه بذكر اللَّه، وحضوره فيه.

ما معنى الاستجابة للَّه ؟ ما معنى الإخبات للَّه ؟

كيف أصبح بعض الناس معادين للَّه ؟ وما هي صور المعاداة للَّه ؟

ما معنى الإلحاد في أسماء اللَّه ؟

لننظر الآن في الآيات

اقتران علم بعمل مع اللَّه (المعصية والاستغفار)

١-آل عمـــران(١٣٥)-﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥].

هذا مما ذكرت في العلم المطلق أوله العلم بالله ومنه باقي العلوم.

قال البغوي: « (وهم يعلمون) قال ابن عباس والحسن ومقاتل والكلبي: وهـم يعلمـون أنهـا معصـية، وقيـل: وهـم يعلمـون أن الإصـرار ضـار، وقال الضحاك: وهم يعلمون أن الله يملك مغفرة الذنوب.

وقال الحسين بن الفضل: وهم يعلمون أن لهم ربا يغفر الذنوب، وقيل: وهم يعلمون أن الله لا يتعاظمه العفو عن الذنوب وإن كثرت، وقيل: وهم يعلمون أنهم إن استغفروا غفر لهم»[(١)].

اقتران علم بعمل مع اللَّه

٢-التوبـــة(٤١)-﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة: ٤١].

قال العز بن عبد السلام: «إن كُنتُمْ تعلمون أن النفير والجهاد في سبيل الله خير، انفروا وجاهدوا (تَعْلَمُونَ) صدق وعد الله تعالى بثواب الجهاد»[(٢)].

علم بالإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله

٣-الصـــف(١١)-﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصف: ١١].

قال في الوسيط: «واسم الإشارة في قوله: (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) يعود إلى ما سبق ذكره من الإيمان والجهاد. أي: ذلكم الذي أرشدناكم إلى التمسك به من الإيمان والجهاد في سبيل الله، هو خير لكم من كل شيء إن كنتم

---

(١)تفسير البغوي (٢/ ١٠٧).

(٢) تفسير العز بن عبد السلام (٢/ ٢٣).

من أهل العلم والفهم.

فقوله (تَعْلَمُونَ) منزلة منزلة الفعل اللازم، للإشعار بأن من يخالف ذلك لا يكون لا من أهل العلم، ولا من أهل الإدراك.

وجعله بعضهم فعلا متعديا، ومفعوله محذوف، والتقدير: إن كنتم تعلمون أنه خير لكم فافعلوه، ولا تتقاعسوا عن ذلك»[1].

وفي المنتخب: «هذه التجارة هى أن تثبتوا على الإيمان بالله ورسوله، وتُجاهدوا فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلك الذي أرشدكم إليه خير لكم إن كنتم تعلمون»[2].

من العمل مع الله

وفي البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: (قال الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد)[3].

القتال في سبيل الله

٤-آل عمران(١٦٧)- ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران: ١٦٧].

يبحث عن الأعمال مع الله من العلم العام المطلق

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٤/ ٣٦٥).

(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٨٢٤).

(٣) صحيح البخاري (٦/ ١٩)، حديث رقم ٤٤٨٢.

المبحث الخامس: العلم بجزاءات الأعمال مع الله

لم يقترن كثيراً لفظ العلم بالجزاء في القرآن الكريم، وإنما ذكر الجزاء عند ذكر العمل وعند ذكر الأوامر والنواهي، فلنتحدث قليلاً عن مفهوم الجزاء، ثم لنتقصى ورود كلمة علم مع الجزاء في كتاب الله.

ما ثواب المرتبطين بالله؟ وما عقوبة المعرضين النائين ؟

جزاء الكافرين

١-النحـــــل(٢٧)-﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [النحل: ٢٧].

٢-الأنعام(٦٧)﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنعام: ٦٧].

قال ابن أبى حاتم: «عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلَهُ: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾، مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا فَسَوْفَ تَرَوْنَهُ، وَمَا كَانَ فِي الآخِرَةِ فَسَوْفَ يَبْدُو لَكُمْ»[1].

وفى البحر المحيط: «(وسوف تعلمون) مبالغة فى التهديد والوعيد فيجوز أن يكون تهديد بعذاب الآخرة، ويجوز أن يكون تهديداً بالحرب وأخذهم بالإيمان على سبيل القهر والاستيلاء»[2].

وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ما توعدون به من عذاب الله.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣١٤).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٤/ ٥٤٥).

الباب الثاني

العلم بكتاب الله

العلم بكتاب الله

كتـاب اللَّه العظيم،القـرآن الكريم،الرسـالة العلميـة،البلاغ، النـذير، حبـل اللَّه المتين، من الخالق للمخلوق.

ما معنى كلمة الكتاب ؟ ما هو كتاب اللَّه بالنسبة لي؟ ماذا أعلم عنه ؟

لمن أنزل الكتاب ؟

لغيري؟

أم لي ؟ ولغيري ؟

ولماذا أنزل؟

هل هناك عدد من المعلومات عن الكتاب يمكن أن يحصلها العاقل المفكر؟

هل هناك مقدار معين يتعلمه الإنسان ثم يتوقف ويتحول عنه إلى علم آخر؟

ما فوائد تحصيل هذا العلم؟ وما ثمراته؟

هل العلاقة مع اللَّه والعلاقة مع غيره مرتبطة بالعلم بالكتاب؟

كيف يقيم الجاهل بكتاب اللَّه علاقاته مع اللَّه ومع غيره؟

كيف تكون علاقته، مع كتاب اللَّه ؟

هل هناك حساب وسؤال عن القرآن ؟

هل ستحاج كل آية عن صاحبها؟

هل آيات الكتاب هي الدالة على اللَّه ؟

هل لي سبيل لأعلم عن ربي شيئا غير كتاب اللَّه ؟

هل أمرنا باتباع القرآن ؟

وهل يمكن اتباع ما أنزل اللَّه بدون العلم بكتاب اللَّه ؟

نبدأ بعرض الآيات مع تفسيرها أو بعضها بما تيسر.

العلم بالقرآن

علم بالكتاب (تحول العلم إلى ظن)

١-البقرة(٧٨)- ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ [البقرة: ٧٨].

٢-البقرة(١٠١)- ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة: ١٠١].

أنه ذكر في كتابهم .

علم بالكتاب

٣-البقرة(١١٣)- ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة: ١١٣].

لاَ يَعْلَمُونَ حيث يجعل الله رسالته ومن يكلم.

٤-البقرة (١٢٠)- ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠].

الذي أنزله الله

٥-البقرة(١٢٩)- ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ البقرة: ١٢٩.

٦-البقرة(١٤٤)- ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [البقرة: ١٤٤].

الكتاب هو الحق

الكتاب من ربهم

٧-البقرة(١٤٥)- ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة: ١٤٥].

مقابل العلم الهوى .

مقابل الكتاب الهوى.

مقابل كلام الله الهوى.

مقابل اتباع العلم اتباع الهوى.

مقابل اتباع الكتاب اتباع الهوى.

مقابل اتباع كلام الله اتباع الهوى.

٨-البقرة(١٤٦)- ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾ [البقرة: ١٤٦].

وهم يعلمون أن الكتاب من الله وهو الذي آتاهم إياه الْحَقّ أنهم يكتمون الحق

٩-البقرة(١٥١)- ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١﴾ [البقرة: ١٥١].

علم بالكتاب

١٠-آل عمران(٧)- ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ [آل عمران: ٧].

١١-آل عمران(٤٨)- ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٤٨﴾ [آل عمران: ٤٨].

١٢-آل عمران(٧٩)- ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩].

١٣-آل عمران(١٦٤)- ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤].

١٤-النساء(٤٣)- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا

جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [النساء: ٤٣].

١٥-النساء(١٦٢)- ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾ [النساء: ١٦٢].

١٦-المائدة(١٠٤)- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [المائدة: ١٠٤].

لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً عن الذي ندعوهم إليه مما أنزله اللَّه.

ولاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً عن رسول اللَّه .

١٧-المائدة(١١٠)- ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [المائدة: ١١٠].

١٨-الأنعام(٩١)- ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۚ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الأنعام: ٩١].

قال في تفسير الجلالين: «(وما قدروا) أي اليهود (الله حق قدره) أي ما عظموه حق عظمته أو ما عرفوه حق معرفته (إذ قالوا) للنبي ﷺ وقد خاصموه في القرآن (ما أنزل الله على بشر من شيء قل) لهم (من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس يجعلونه) بالياء والتاء في المواضع الثلاثة (قراطيس) أي يكتبونه في دفاتر مقطعة (يبدونها) أي ما يحبون إبداءه منها (ويخفون كثيرا) مما فيها كنعت محمد ﷺ (وعلمتم) أيها اليهود في القرآن (ما لم تعلموا أنتم ولا

آباؤكم) من التوراة ببيان ما التبس عليكم واختلفتم فيه (قل الله) أنزله إن لم يقولوه لا جواب غيره (ثم ذرهم في خوضهم) باطلهم (يلعبون))»[1].

١٩-الأنعام(١١٤)- ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الأنعام: ١١٤].

٢٠-الأنعام(١١٩ ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الأنعام: ١١٩].

علم بالكتاب بما شرع

٢١-الأنعـــام(١٤٠)- ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأنعام: ١٤٠].

٢٢-الأنعام(١٤٣)- ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأنعام: ١٤٣].

علم بالكتاب وما فيه من العلوم

٢٣-يـــونس(٣٩)- ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [يونس: ٣٩].

قال الراغب في المفردات: «والإحاطة بالشيء علماً هي أن تعلم وجوده وجنسه وقدره وكيفيته، وغرضه المقصود به وبإيجاده، وما يكون به ومنه»[2].

وفي ظلال القرآن: «لقد كذبوا بهذا، وليس لديهم من علم يقوم عليه التكذيب»[3].

وفي التفسير الميسر: «بل سارَعوا إلى التكذيب بالقرآن أول ما سمعوه»[4].

---

(١) تفسير الجلالين (ص: ١٧٧).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٦٥).

(٣) في ظلال القرآن (٣/ ١٧٩٤).

(٤) التفسير الميسر (١/ ٢١٣).

٢٤-يـــونس(٩٣)- ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [يونس: ٩٣].

وفي فتح القدير: «وقيل المعنى: أنهم لم يختلفوا حتى جاءهم العلم، وهو القرآن النازل على نبينا ﷺ، فاختلفوا في نعته وصفته، وآمن به من آمن منهم وكفر به من كفر»[(١)].

٢٥-هـــــود(١٤)- ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: ١٤].

قال في فتح القدير: «ومعنى أمرهم بالعلم أمرهم بالثبات عليه لأنهم عالمون بذلك من قبل عجز الكفار عن الإتيان بعشر سور مثله، أو المراد بالأمر بالعلم الأمر بالازدياد منه إلى حد لا يشوبه شك ولا تخالطه شبهة وهو علم اليقين، والأول أولى»[(٢)].

وفي التفسير الميسر: «فاعلموا أن هذا القرآن إنما أنزله الله على رسوله بعلمه وليس من قول البشر، واعلموا أن لا إله يُعبد بحق إلا الله »[(٣)].

٢٦-الرعد(١٩)- ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد: ١٩].

قال الطبري «يقول تعالى ذكره: أهذا الذي يعلم أنّ الذي أنزله الله عليك، يا محمد، حق فيؤمن به ويصدق ويعمل بما فيه، كالذي هو أعمى فلا يعرف موقع حُجَة الله عليه به ولا يعلم ما ألزمه الله من فَرائضه؟»[(٤)].

٢٧-الرعد(٤٣)- ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد: ٤٣].

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٣٧).
(٢) المرجع السابق (٢/ ٥٥٢).
(٣) التفسير الميسر (١/ ٢٢٣).
(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٥٠٦).

قال في الوجيز: «(ومن عنده علم الكتاب) هم مؤمنو أهل الكتابين وكانت شهادتهم قاطعة لقول أهل الخصوم»[1].

٢٨-النحل(٤٣)- ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ النحل: ٤٣.

قال في تفسير الجلالين: «(وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم) لا ملائكة (فاسألوا أهل الذكر) العلماء بالتوراة والإنجيل (إن كنتم لا تعلمون) ذلك فإنهم يعلمونه وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمدﷺ »[2].

وانا أراها معلومة عن الله ما أرسل إلا بشر.

علم بالقرآن

٢٩-النحل(١٠١)- ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١﴾ [النحل: ١٠١].

قال في تفسير الجلالين: «حقيقة القرآن»[3].

وفي التفسير الميسر: «بل أكثرهم لا عِلْم لهم بربهم ولا بشرعه وأحكامه»[4].

علم من الله بالكتاب

٣٠-الإسراء(٣٦)- ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦].

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الأعراف: ٣].

الذي أنزل إلينا من ربنا هو العلم وغيره الحدس والظن .

وأجهزة تلقي العلم من الله السّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ .

---

(١) الوجيز للواحدي (ص: ٥٧٦).

(٢) تفسير الجلالين (ص: ٣٥١).

(٣) المرجع السابق (ص: ٣٦٠).

(٤) التفسير الميسر (١/ ٢٧٨).

ولا تقف ولا تتبع الذي ليس لك به من الله علم سواء من الأفكار والأسماء والأشخاص والأولياء.

قال القرطبي: «قال قتادة: لا تقل رأيت وأنت لم تر، وسمعت وأنت لم تسمع، وعلمت وأنت لم تعلم ؛ وقاله ابن عباس رضي الله عنهما»[1].

وفي فتح القدير: «وقال القتيبي: معنى الآية: لا تتبع الحدس والظنون،فإن ما عدا ذلك هو العلم»[2].

٣١-الإسراء(١٠٧)- ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧].

قال ابن كثير: «أي من صالحي أهل الكتاب الذين تمسكوا بكتابهم ويقيمونه ولم يبدلوه ولا حرفوه»[3].

وفي البحر المحيط: «هم مؤمنو أهل الكتاب»[4].، وقيل: المراد بالذين (أوتوا العلم من قبله) هو محمد ﷺ .

وفي فتح القدير: «أن العلماء الذين قرأوا الكتب السابقة قبل إنزال القرآن وعرفوا حقيقة الوحي وأمارات النبوة»[5].

علم بالقرآن المتضمن العلم بالله وما والاه

٣٢-طه(١١٤)- ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤].

قال في البحر المحيط: «قال مقاتل أي قرآناً. وقيل: فهماً. وقيل: حفظاً وهذا

---

(١) تفسير القرطبي (١٠/ ٢٥٧).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٧٠).

(٣) تفسير ابن كثير ط العلمية (٥/ ١١٧).

(٤) البحر المحيط في التفسير (٧/ ١٢٤).

(٥) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣١٣).

القول متضمن للتواضع لله والشكر له عند ما علم من ترتيب التعلم أي علمتني مآرب لطيفة في باب التعلم وأدباً جميلاً ما كان عندي، فزدني علماً. وقيل: ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلاّ في طلب العلم»[1].

٣٣-الأنبياء(٧)- ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧﴾ [الأنبياء: ٧].

قال في التفسير الميسر: «وما أرسلنا قبلك - أيها الرسول - إلا رجالاً من البشر نوحي إليهم، ولم نرسل ملائكة، فاسألوا - يا كفار (مكة) - أهل العلم بالكتب المنزلة السابقة، إن كنتم تجهلون»[2].

٣٤-الحج(٥٤)- ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤﴾ [الحج: ٥٤].

قال في التفسير الميسر: «وليعلم أهل العلم الذين يفرقون بعلمهم بين الحق والباطل أن القرآن الكريم هو الحق النازل من عند الله عليك أيها الرسول، لا شبهة فيه، ولا سبيل للشيطان إليه، فيزداد به إيمانهم، وتخضع له قلوبهم»[3].

٣٥-الشعراء(١٩٧)- ﴿أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٩٧﴾ الشعراء: ١٩٧.

قال في التفسير الميسر: «أولم يَكْفِ هؤلاء- في الدلالة على أنك رسول الله، وأن القرآن حق- علم علماء بني إسرائيل صحة ذلك، ومَن آمن منهم كعبد الله بن سلام؟»[4].

٣٦-النمل(٤٠)- ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ ٤٠﴾ [النمل: ٤٠].

---

(١) البحر المحيط في التفسير (٧/ ٣٨٧).

(٢) التفسير الميسر (١/ ٣٢٢).

(٣) المرجع السابق (١/ ٣٣٨).

(٤) التفسير الميسر (١/ ٣٧٥).

٣٧-النمل(٨٤)- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [النمل: ٨٤].

قال الطبري: «وقوله: (حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي) يقول تعالى ذكره: حتى إذا جاء من كل أمة فوج ممن يكذب بآياتنا فاجتمعوا قال الله: (أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي) أي: بحججي وأدلتي (وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا) يقول: ولم تعرفوها حق معرفتها، (أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فيها من تكذيب أو تصديق»[(١)].

٣٨-العنكبوت(٤٩)- ﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت: ٤٩].

لم أجد ما يشفي الغليل.

العلم هو ما أنزل الله.

٣٩-الروم(٢٩)- ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الروم: ٢٩].

قال في فتح القدير: «أي لم يعقلوا الآيات بل اتبعوا أهواءهم الزائغة، وآراءهم الفاسدة الزائفة»[(٢)].

٤٠-ص(٨٨)- ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾﴾ [ص: ٨٨].

قال في تفسير الجلالين: «((ولتعلمن) يا كفار مكة (نبأه) خبر صدقه (بعد حين) أي يوم القيامة وعلم بمعنى عرف واللام لام قسم مقدر أي والله»[(٣)].

وصدق ما ينبؤكم به القرآن عن طريق رسول الله بعد حين أي نبأ الذكر وهو القرآن أنه حق.

٤١-فصلت(٣)- ﴿كِتَـٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [فصلت: ٣].

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ١٣٠).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٢٥٨).

(٣) تفسير الجلالين (ص: ٦٠٥).

قال القرطبي: «قال الضحاك: أي إن القرآن منزل من عند الله . وقال مجاهد: أي يعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل. وقيل: يعلمون العربية فيعجزون عن مثله ولو كان غير عربي لما علموه»[1].

٤٢-الشورى(١٤)- ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤﴾ [الشورى: ١٤].

قال الماوردي: «قوله ﷻ: (وَمَا تَفَرَّقُواْ) فيه وجهان:

أحدهما: عن محمد ﷺ.

الثاني: في القرآن.

(إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ) فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: إلا من بعد ما تبحروا في العلم، قاله الأعمش.

الثاني: إلا من بعد ما علموا أن الفرقة ضلال، قاله ابن زياد.

الثالث: إلا من بعد ما جاءهم القرآن، وسماه علماً لأنه يتعلم منه.

(بَغْياً بَيْنَهُمْ) فيه وجهان:

أحدهما: لابتغاء الدنيا وطلب ملكها، قاله أُبي بن كعب.

الثاني: لبغي بعضهم على بعض، قاله سعيد بن جبير»[2].

وما ابتعدوا عن الرسل وتفرقوا واختلفوا مللا عنهم إلا من بعد ما جاءهم الرسالة والعلم الذي أنزله من الله.

قال ابن كثير: «قال تبارك وتعالى: (وما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم) أي إنما كان مخالفتهم للحق بعد بلوغه إليهم وقيام الحجة عليهم وما حملهم على ذلك إلا البغي والعناد والمشاقة ثم قال ﷻ: (ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى) أي لولا الكلمة السابقة من الله تعالى بإنظار العباد بإقامة

(١) تفسير القرطبي (١٥/ ٣٣٧).

(٢) تفسير الماوردي (٥/ ١٩٧).

حسابهم إلى يوم المعاد لعجل عليهم العقوبة في الدنيا سريعاً»[1].

وقال البيضاوي: «العلم بأن التفرق ضلال متوعد عليه، أو العلم بمبعث الرسل عليهم الصلاة والسلام، أو أسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا إليها. (بغياً بينهم) عداوة أو طلباً للدنيا»[2].

٤٣-الدخان(١٤)- ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾﴾ [الدخان: ١٤] .

قال في التفسير الميسر: «تولوا عن الكتاب وعن الوحي وعن الرسول، ثم أعرضوا عنه وقالوا: علَّمه بشر أو الكهنة أو الشياطين، هو مجنون وليس برسول؟»[3].

علم بالآيات

٤٤-الجاثية(٩)- ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩﴾﴾ [الجاثية: ٩].

قال في ظلال القرآن: «بعد أن يعلمها ويعرف مصدرها. وهذه أشد وأنكى. وهي صورة كذلك مكرورة في الجاهليات الأولى والأخيرة. وكم من الناس. وبين من يقال إنهم مسلمون. من يستهزىء بآيات الله التي يعلمها، ويتخذها مادة للسخرية منها وممن يؤمنون بها»[4].

٤٥-الجاثية(١٧)- ﴿وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الجاثية: ١٧].

قال في التفسير الميسر: «وآتينا بني إسرائيل شرائع واضحات في الحلال والحرام، ودلالات تبين الحق من الباطل، فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم، وقامت الحجة عليهم، وإنما حَمَلهم على ذلك بَغْيُ بعضهم على بعض؛

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ١٩٥).
(٢) تفسير البيضاوي (٥/ ٧٨).
(٣) التفسير الميسر (١/ ٤٩٦).
(٤) في ظلال القرآن (٥/ ٣٢٢٥).

طلبًا للرفعة والرئاسة»[1].

وفي المنتخب: «وأعطيناهم دلائل واضحة من أمر دينهم فما وقع بينهم اختلاف إلا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الدين وأحكامه عداوة وحسداً فيما بينهم، إن ربك يفصل بين المختلفين يوم القيامة في الأمر الذي كانوا فيه يختلفون»[2].

٤٦-محمد(١٦)- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾ [محمد: ١٦].

من أهل العلم بكتاب اللَّه

قال في المنتخب: «ومن الكفار فريق يستمعون إليك - يا محمد - غير مؤمنين بك، ولا منتفعين بقولك، حتى إذا انصرفوا من مجلسك، قالوا استهزاء للذين أوتوا العلم: أي قول قال محمد الآن؟ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم بالكفر، فانصرفوا عن الخير منقادين لشهواتهم»[3].

علم بالوحي

٤٧-النجم(٥)- ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [النجم: ٥].

المنتخب «علَّمه هذا الوحى ملك شديد القوى»[4].

٤٨-الرحمن(٢)- ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾﴾ [الرحمن: ٢].

المنتخب «الرحمن. علَّم الإنسان القرآن ويسَّره له»[5].

---

(١) التفسير الميسر (١/ ٥٠٠).

(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٧٤٠).

(٣) المرجع السابق (ص: ٧٥٢).

(٤) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٧٨١).

(٥) المرجع السابق (ص: ٧٩١).

علم بالحكمة الشارحة للكتاب

٤٩-الجمعـــــة(٢)- ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢﴾ [الجمعة: ٢].

قال في تفسير الجلالين: «(والحكمة) ما فيه من الأحكام »[(١)].

وفي فتح القدير: «وبالحكمة السنة، كذا قال الحسن. وقيل الكتاب الخط بالقلم، والحكمة الفقه في الدين، كذا قال مالك بن أنس (وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) أي وإن كانوا من قبل بعثته فيهم في شرك وذهاب عن الحق»[(٢)].

وفي المنتخب:) اللَّه هو الذى أرسل في العرب الذين لا يعرفون الكتابة رسولاً منهم. يقرأ عليهم آياته ويُطهرهم من خبائث العقائد والأخلاق، ويُعلمهم القرآن والتَّفقه في الدين، وأنهم كانوا قبل بعثته لفي انحراف عن الحق شديد الوضوح»[(٣)].

علم بالنبأ بالقرآن

٥٠-النبأ(٤)- ﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤﴾ [النبأ: ٤].

سيعلمون القرآن (النبأ)بعد فوات الأوان وسيعلمون الجزاء حين يعاينونه.

قال فى أيسر التفاسير: «وَيَتَهَدَّدُ اللَّه تَعَالَى المُنْكِرِينَ المُكَذِّبِينَ بِأَنَّهُمْ سَيَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ مَا كَانُوا يُنْكِرُونَ، حِينَما يُعَايِنُونَهُ بِأَنْفُسِهِمْ، وَحِينَ يُسْأَلُ كُلُّ إِنْسَانٍ عَمَّا اكْتَسَبَ مِنْ عَمَلٍ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا»[(٤)].

٥١-النبأ(٥)- ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٥﴾ [النبأ: ٥].

سيعلمون القرآن (النبأ)بعد فوات الأوان وسيعلمون الجزاء حين يعاينونه.

وفي أيسر التفاسير: «ثُمَّ كَرَّرَ اللَّه تَعَالَى تَهْدِيدَهُ لِهَؤُلاَءِ المُكَذِّبِينَ بِأَنَّهُمْ

(١) تفسير الجلالين (ص: ٢٧).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٢٦٨).

(٣) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٨٢٦).

(٤) أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥٥٥٣).

سَيَعْلَمُونَ بِدُونِ شَكٍّ حَقِيقَةَ مَا كَانُوا يُنْكِرُونَ، عِنْدَمَا يَحِلُّ بِهِم النَّكَالُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[1].

ما علاقتنا نحن الجنس البشري بالكتاب ؟ وما علاقتي أنا به ؟

هل هناك علاقات محددة معروفة شعورية قلبية مع توجيهات الكتاب .

و أضوائه،وأوامره ؟...

هل باستطاعة الإنسان معرفتها وفهمها والحياة بها؟

هل نحن مطالبون ببنائها؟ أو أن الأمر مرتبط بالنفس وما تهوى؟

هل نحن مضطرون للالتزام بهذه الارتباطات المذكورة والمعدودة والمحدودة؟

أو أنها تقام في قلب المرء حسب ظروفه وواقعه، ويقوّم سلوكه أولا يقوّم وفقها...

من أين لنا أن نعرف هذه العلاقات ؟

وكم تشغل من قلوبنا وحياتنا في الواقع الذي نعيش فيه؟

وكم يجب أن نعطي من قلوبنا ووقتنا لهذه العلاقات؟

هل الهدى والضلال مرتبطا بالإقبال على القرآن أوالهجر له ؟

ما الإعراض عما أنذر به الإنسان؟ وما عكسه؟

العلم بجزاءات العلاقات مع الكتاب

ما ثواب المرتبطين بالكتاب ؟ وما عقوبة المعرضين عنه؟

وما نتائج المواقف السيئة من القرآن ؟

---

(١) المرجع السابق (ص: ٥٥٥٤).

الباب الثالث

العلم باللقاء مع الله والعلم بالآخرة

العلم باللقاء مع الله والعلم بالآخرة

هل الموت والفناء هو النهاية ؟ أو ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: ٤٢].

ما أعظم شيء سيلتقي به الإنسان في الآخرة؟

إلى أين المصير؟ لمن سنعود؟ من أين أتينا ؟ ولمن سنرجع ؟

الأمر بأيدينا أم بيد من؟

ما علمنا باللقاء ؟ وما الأخبار والمعلومات التي وصلتنا عنه ؟

ما مقدمات اللقاء؟ ما البعث؟ ما النشور ؟ ما الحشر؟ ما الجمع؟ ما التغابن؟

هل هناك تصور عن حقائقه ووقائعه؟.... ما نوعه؟

هل هو لقاء من نوعية واحدة لجميع البشر؟...أو يختلف باختلاف البشر؟

هل هو لقاء استسلام؟... هل فيه حوار وجدال ونقاش؟

ما المطلوب مني ليكون اللقاء ودياً؟.... وفيه الرضى والستر؟

كيف أسعد باللقاء؟.... وكيف أشعر بالسكينة والطمأنينة؟

هل فيه حساب ؟.... ومن ثم جزاء ؟

هل بإمكاني التخلف عن اليوم الموعود؟

أين المفر؟ إلى ربك يومئذ المستقر.

من أين لي تحصيل المعلومات الحقيقية عن اللقاء قبل المفاجأة والمباهتة؟

ما التعبيرات القرآنية المتعددة عن اللقاء؟

ما الكلمات القرآنية التي تشير إلى اللقاء ؟

والمراد بالعلم باللقاء في الآخرة هو العلم بكل ما يتعلق باللقاء والآخرة ونستعرض الآيات التي وردت في ذلك.

علم باللقاء مرادف اللقاء الحشر إليه

١-البقرة(٢٠٣)- ﴿۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [البقرة: ٢٠٣].

٢-البقرة(٢٢٣)- ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وَاعْلَمُوَاْ أَنَّكُمْ مّلاَقُوا اللَّه.

٣-الأنعام(٦٧)- ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنعام: ٦٧].

وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ما توعدون به من عذاب اللَّه.

٤-الأنعام(٨١)- ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنعام: ٨١].

من الأحق بالأمن من عذاب اللَّه.

قال الطبري: «صدق ما أقول»[1].

وقال الطبري: «ويصرّف لهم العبر، ليعلموا أنَّ اللَّه هو أحق أن يخاف ويعبد مما يعبُدون من دونه»[2].

عاقبة وجزاء كل من الفريقين واللَّه أعلم.

علم بالدار الآخرة

٥-الأنعام(١٣٥)- ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [الأنعام: ١٣٥].

علم بالساعة مقدمة اللقاء

٦-الأعراف(١٨٧)- ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧].

ما يلزم لهم أن يعلموه عن اللَّه وعن الساعة .

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٢٤١).

(٢) المرجع السابق (٩/ ٣٦٦).

علم الساعة قبيل الآخرة

٧-فصلت(٤٧)- ﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾﴾ [فصلت: ٤٧].

قال في التفسير الميسر: «إلى الله تعالى وحده لا شريك له يُرْجَع علم الساعة، فإنه لا يعلم أحد متى قيامها غيره، وما تخرج من ثمرات من أوعيتها، وما تحمل مِن أنثى ولا تضع حَمْلها إلا بعلم من الله، لا يخفى عليه شيء من ذلك»[(١)].

علم بلقائه

٨-النحل(٢٧)- ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [النحل: ٢٧].

قال في الوسيط: «والمراد بالذين أوتوا العلم، كل من اهتدى إلى الحق في الدنيا؛ وأخلص لله - تعالى - العبادة والطاعة»[(٢)].

قال القطان: «الذين يعلمون الحقّ من الأنبياء والمؤمنين والملائكة»[(٣)].

وفي روح المعاني: «من أهل الموقف وهم الأنبياء عليهم السلام والمؤمنون الذين أوتوا علماً بدلائل التوحيد وكانوا يدعونهم في الدنيا إلى التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم»[(٤)].

وعند البيضاوي: «الأنبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم إلى التوحيد»[(٥)].

وفي مراح لبيد: «يقول المؤمنون الذين أوتوا علماً بدلائل التوحيد»[(٦)].

---

(١) التفسير الميسر (١/ ٤٨٢).

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي (٨/ ١٣٦).

(٣) تيسير التفسير للقطان (٢/ ٣١٢).

(٤) تفسير الألوسي (٧/ ٣٦٨).

(٥) تفسير البيضاوي (٣/ ٢٢٤).

(٦) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (١/ ٥٩١).

وفي التحرير والتنوير: «هم الذين آتاهم الله علم الحقائق من الرّسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنون»[1].

العلم باللقاء

٩-الأنبيـــــاء(٣٩)- ﴿لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٣٩﴾ [الأنبياء: ٣٩].

قال في فتح القدير: «ليعلموا صدق الوعد، وقيل لو علموه ما أقاموا على الكفر»[2].

علم باللقاء والبعث والحشر

١٠-المؤمنـــون (١١٤)- ﴿قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١٤﴾ [المؤمنـــون: ١١٤].

قال في تفسير الجلالين: «مقدار لبثكم من الطول كان قليلا بالنسبة إلى لبثكم في النار»[3].

وفي مفاتيح الغيب: «فبين في هذا الوجه أنه أراد أنه قليل لو علمتم البعث والحشر، لكنكم لما أنكرتم ذلك كنتم تعدونه طويلا»[4].

١١-النمل(٦٦)- ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ٦٦﴾ [النمل: ٦٦].

قال ابن كثير: «أي انتهى علمهم وعجز عن معرفة وقتها»[5].

العلم بالدنيا العلم بالآخرة

١٢-الروم(٧)- ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧﴾ [الروم: ٧].

---

(١) التحرير والتنوير (١٤/ ١٣٧).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٨٢).

(٣) تفسير الجلالين (ص: ٤٥٦).

(٤) تفسير الرازي (٢٣/ ٢٩٩).

(٥) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٠٧).

الظاهر له باطن ولا ظاهر بدون باطن.

الدنيا لها آخرة ولا دنيا بدون آخرة .

قال ابن كثير: «قوله تعالى: (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) أي أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها وشؤونها وما فيها فهم حذاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها وهم غافلون في أمور الدين وما ينفعهم في الدار الآخرة كأن أحدهم مغفل لا ذهن له ولا فكرة، قال الحسن البصري: والله ليبلغ من أحدهم بدنياه أنه يقلب الدرهم على ظفره فيخبرك بوزنه وما يحسن أن يصلي. وقال ابن عباس في قوله تعالى: (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) يعني الكفار يعرفون عمران الدنيا وهم في أمر الدين جهال»[1].

١٣-الروم(٥٦)- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٥٦﴾ [الروم: ٥٦].

قال الطبري: « وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) يقول: ولكنكم كنتم لا تعلمون في الدنيا أنه يكون؟ وأنكم مبعوثون من بعد الموت، فلذلك كنتم تكذبون»[2].

وقال الماوردي: «وَلكِنَّكُمْ كِنْتُم لاَ تَعْلَمُونَ) أي لا تعلمون في الدنيا أن البعث حق وقد علمتم الآن أنه حق»[3].

وفي مفاتيح الغيب «فنقول الموعود بوعد إذا ضرب له أجل يستكثر الأجل ويريد تعجيله، والموعد بوعيد إذا ضرب له أجل يستقل المدة ويريد تأخيرها، لكن المجرم إذا حشر علم أن مصيره إلى النار فيستقل مدة اللبث ويختار تأخير الحشر والإبقاء في القبر، والمؤمن إذا حشر علم أن مصيره إلى الجنة فيستكثر المدة ولا يريد التأخير فيختلف الفريقان ويقول أحدهما إن مدة لبثنا قليل وإليه

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٠٥).

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٥٢٨).

(٣) تفسير الماوردي (٤/ ٣٢٤).

الإشارة بقوله: (يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) ويقول الآخر لبثنا مديداً، يعني طلبكم التأخير، لأنكم كنتم لا تعلمون البعث ولا تعترفون به، فصار مصيركم إلى النار فتطلبون التأخير»[1].

وقال البيضاوي: «(وقال الذين أوتوا العلم والإيمان) من الملائكة والإنس. (لقد لبثتم في كتاب الله) في علمه أو قضائه، أو ما كتبه لكم أي أوجبه أو اللوح أو القرآن وهو قوله: (ومن ورائهم برزخ). (إلى يوم البعث) ردوا بذلك ما قالوه وحلفوا عليه. (فهذا يوم البعث) الذي أنكرتموه. (ولكنكم كنتم لا تعلمون) أنه حق لتفريطكم في النظر، والفاء لجواب شرط محذوف تقديره: إن كنتم منكرين البعث فهذا يومه، أي فقد تبين بطلان إنكاركم»[2].

وفي ظلال القرآن: «وأولو العلم هؤلاء هم في الغالب المؤمنون، الذين آمنوا بالساعة، وأدركوا ما وراء ظاهر الحياة الدنيا، فهم أهل العلم الصحيح وأهل الإيمان البصير»[3].

وفي التحرير والتنوير: «فلما سمع المؤمنون الذين أوتوا علم القرآن وأشرقت عقولهم في الحياة الدنيا بالعقائد الصحيحة وآثار الحكمة لم يتمالكوا أن لا يردوا عليهم غلطهم رداً يكون عليهم حسرات أن لا يكونوا قبلوا دعوة الحق كما قبلها المؤمنون. وهذه الجملة معترضة. وعطف الإيمان على العلم للاهتمام به لأن العلم بدون إيمان لا يرشد إلى العقائد الحق التي بها الفوز في الحياة الآخرة.

وفي هذا أدب إسلامي وهو أن الذي يسمع الخطأ في الدين والإيمان لا يقره ولو لم يكن هو المخاطَب به.

والاستدراك في (ولكنكم كنتم لا تعلمون) استدراك على ما تضمنته جملة (لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث) أي لقد بلغكم ذلك وكان الشأن أن

---

(١) تفسير الرازي (٢٥/ ١١٢).

(٢) تفسير البيضاوي (٤/ ٢١١).

(٣) في ظلال القرآن (٥/ ٢٧٧٧).

تستعدوا له ولكنكم كنتم لا تعلمون، أي: لا تتصدون للعلم بما فيه النفع بل كان دأبكم الإعراض عن تصديق الرسول ﷺ وفي التعبير بنفي العلم وقصدِ نفي الاهتمام به والعناية بتلقيه إشارة إلى أن التصدي للتعلّم وسيلة لحصوله»[1].

وفي المنتخب لعلماء الأزهر: «وقال الذين آتاهم الله العلم من الأنبياء والملائكة والمؤمنين: لقد لبثتم في حكم الله وقضائه إلى يوم البعث. فهذا يوم البعث الذي أنكرتموه، ولكنكم كنتم في الدنيا لا تعلمون أنه حق، لجهالتكم وإعراضكم»[2].

وفي التفسير الميسر: «وقال الذين أوتوا العلم والإيمان بالله من الملائكة والأنبياء والمؤمنين»[3].

علم باللقاء، علم بساعة اللقاء، علم بالساعة

١٤-لقمان(٣٤)-﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان: ٣٤].

مطلق علم الساعة

علم أحداثها

علم وقتها

قال في التفسير الميسر: «إن الله - وحده لا غيره- يعلم متى تقوم الساعة؟ وهو الذي ينزل المطر من السحاب، لا يقدر على ذلك أحد غيره، ويعلم ما في أرحام الإناث، ويعلم ما تكسبه كل نفس في غدها، وما تعلم نفس بأيِّ أرض تموت. بل الله تعالى هو المختص بعلم ذلك جميعه. إن الله عليم خبير محيط

(١) التحرير والتنوير (٢١/ ١٣٠).

(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٦١٠).

(٣) التفسير الميسر (١/ ٤١٠).

بالظواهر والبواطن، لا يخفى عليه شيء منها»[1].

علم الساعة

١٥-الأحزاب(٦٣)- ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب: ٦٣].

قال في التفسير الميسر: «يسألك الناس -أيها الرسول- عن وقت القيامة استبعادًا وتكذيبًا، قل لهم: إنما علم الساعة عند الله، وما يدريك -أيها الرسول- لعل زمانها قريب؟»[2].

١٦-الصافات(١٥٨)- ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الصافات: ١٥٨].

قال في ظلال القرآن «وكانوا يزعمون أن الملائكة هم بنات الله - بزعمهم - ولدتهم له الجنة ! وذلك هو النسب والقرابة ! والجن تعلم أنها خلق من خلق الله . وأنها محضرة يوم القيامة بإذن الله.وما هكذا تكون معاملة النسب والصهر!»[3].

عذاب الآخرة

١٧-الزمر(٢٦)- ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الزمر: ٢٦].

قال في تفسير الجلالين: «(فأذاقهم الله الخزي) الذل والهوان من المسخ والقتل وغيره (فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا) المكذبون (يعلمون) عذابها ما كذبوا»[4].

قال في التفسير الميسر: «لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن ما حلَّ بهم؛

---

(١) التفسير الميسر (١/ ٤١٤).

(٢) المرجع السابق (١/ ٤٢٧).

(٣) في ظلال القرآن (٥/ ٣٠٠١).

(٤) تفسير الجلالين (ص: ٦١٠).

بسب كفرهم وتكذيبهم لاتَّعظوا»[1].

١٨-فصلت(٤٧)- ﴿۞ إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ٤٧﴾ [فصلت: ٤٧].

قال في التفسير الميسر: «إلى الله تعالى وحده لا شريك له يُرْجَع علم الساعة، فإنه لا يعلم أحد متى قيامها غيره، وما تخرج من ثمرات من أوعيتها، وما تحمل مِن أنثى ولا تضع حَمْلها إلا بعلم من الله، لا يخفى عليه شيء من ذلك»[2].

١٩-الشورى(١٨)- ﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ١٨﴾ [الشورى: ١٨].

قال ابن كثير: «(ويعلمون أنها الحق) أي كائنة لا محالة فهم مستعدون لها عاملون من أجلها»[3].

٢٠-الزخـــرف(٦١)- ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١﴾ [الزخرف: ٦١].

قال في التفسيرالميسر: «وإن نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة لدليل على قُرْبِ وقوع الساعة، فلا تشُكُّوا أنها واقعة لا محالة، واتبعون فيما أخبركم به عن الله تعالى، هذا طريق قويم إلى الجنة، لا اعوجاج فيه»[4].

٢١-الزخرف(٨٥) ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٥﴾ [الزخرف: ٨٥].

قال في التفسير الميسر: «وتكاثرت بركة الله، وكَثُر خيره، وعَظُم ملكه، الذي له وحده سلطان السموات السبع والأرضين السبع وما بينهما من الأشياء كلها،

---

(١) التفسير الميسر (١/ ٤٦١).
(٢) المرجع السابق (١/ ٤٨٢).
(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ١٩٧).
(٤) التفسير الميسر (١/ ٤٩٤).

وعنده علم الساعة التي تقوم فيها القيامة، ويُحشر فيها الخلق من قبورهم لموقف الحساب، وإليه تُرَدُّون - أيها الناس- بعد مماتكم، فيجازي كلا بما يستحق»[1].

٢٢-الملك(٢٦)- ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الملك: ٢٦].

قال ابن كثير: «(قل إنما العلم عند الله) أي لا يعلم وقت ذلك على التعيين إلا الله ﷻ لكنه أمرني أن أخبركم أن هذا كائن وواقع لا محالة فاحذروه (وإنما أنا نذير مبين) أي وإنما علي البلاغ وقد أديته إليكم»[2].

قال في التفسير الميسر: «إن العلم بوقت قيام الساعة اختصَّ الله به»[3].

وفى أيسر التفاسير: «فَقُلْ لَهُمْ مُجِيباً: إِنَّهُ لاَ يَعْلَمُ وَقْتَ ذَلِكَ عَلَى التَّحْدِيدِ وَالتَّعْيِين إِلاَّ اللَّه تَعَالَى وَحْدَهُ، وَلَكِنَّهُ أَمَرَنِى بِأَنْ أَقُولَ لَكُمْ: إِنَّهُ كَائِنٌ وَوَاقِعٌ لاَ مَحَالَةَ، فَاحْذَرُوهُ، وَأَنَا مَهمَّتِي هِيَ إِبْلاَغُكُمْ ذَلِكَ، وَإِنْذَارُكُمْ بِوُقُوعِهِ، وَقَدْ قُمْتُ بِمَا كُلِّفْتُ بِهِ»[4].

٢٣-القلم(٣٣)- ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [القلم: ٣٣].

٢٤-نـــــوح(٤)- ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ [نوح: ٤].

قال في أيسر التفاسير: «ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ نُوحٌ أَنَّ أَجَلَ اللَّه، الذِي كَتَبَهُ فِي أَمِّ الكِتَاب، إِذَا جَاءَ لاَ يُؤَخَّرُ مِيقَاتُهُ، وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ مَا سَيَحِلُّ بِهِمْ مِنَ الخِزْيِ والنَّدَامَةِ عِنْدَ انْقِضَاءِ آجَالِهِمْ لَسَارَعُوا إِلَى الإِيْمَانِ والطَّاعَةِ»[5].

---

(١) التفسير الميسر (١/ ٤٩٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ١٨٢).

(٣) التفسير الميسر (١/ ٥٦٣).

(٤) أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥١٤٥).

(٥) المرجع السابق (ص: ٥٣٠١).

علم بالنبأ

٢٥-النبأ(٤)- ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [النبأ: ٤].

قال في أيسر التفاسير: «وَيَتَهَدَّدُ اللَّه تَعَالَى المُنْكِرِينَ المُكَذِّبِينَ بِأَنَّهُمْ سَيَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ مَا كَانُوا يُنْكِرُونَ، حِينَما يُعَايِنُونَهُ بِأَنْفُسِهِمْ، وَحِينَ يُسْأَلُ كُلُّ إِنْسَانٍ عَمَّا اكْتَسَبَ مِنْ عَمَلٍ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا»[1].

٢٦-النبأ(٥)- ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ [النبأ: ٥].

قال في أيسر التفاسير «ثُمَّ كَرَّرَ اللَّه تَعَالَى تَهْدِيدَهُ لِهَؤُلاَءِ المُكَذِّبِينَ بِأَنَّهُمْ سَيَعْلَمُونَ بِدُونِ شَكٍّ حَقِيقَةَ مَا كَانُوا يُنْكِرُونَ، عِنْدَمَا يَحِلُّ بِهِم النَّكَالُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[2].

العلم بالعلاقات مع لقاء اللَّه ومع الآخرة

ما علاقاتنا به ؟..... ما مشاعرنا نحوه؟

ما موقفنا منه ؟.... ماذا بعد اللقاء؟

هل هناك عدد من العلاقات معروفة ومذكورة ؟

من أين لي تحصيل العلم بالعلاقات والمواقف الصحيحة من اللقاء؟

من أين لي معرفة الأعمال القلبية بهذا اللقاء؟

كيف تقوم في نفسي ؟ وكيف أجتنب السيئ منها ؟

ماذا يستفيد من تحيا مشاعره باللقاء؟... وما الآثار الإيجابية لهذه الحياة؟

ما نتائج نسيان اللقاء والغفلة عنه والتكذيب به؟

ما استعداداتنا له؟

هل نحب اللقاء حقيقة ونعمل بمقتضى حبنا؟ أو أننا ندعيه.

هل هناك أحد من الناس يكره اللقاء ؟ ولماذا؟

---

(١) أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥٥٥٣).

(٢) المرجع السابق (ص: ٥٥٥٤).

كم يشغل من قلوبنا ومن أوقاتنا ؟
هل العلاقات الإنسانية مرتبطة بعلاقات المرء باللقاء؟
هل يصلح شأن المجتمعات البشرية بدون حضور هذه العلاقات في قلبها؟
هل أنا موقن باللقاء أو أن حالي يظهر الشك فيه ؟
ما ثواب ذاكري الدار ؟ وما عقوبة الناسين ليوم الحساب ؟

الباب الرابع

العلم المرتبط بالغيب

العلم المرتبط بالغيب

الإنسان بفطرته ومن طفولته يتعطش للغيب والخيال، وأمتع شيء عنده أن تقص له أمه قصة غيبية خيالية يسرح معها بقلبه وبتصوره وبمخيلته ويقضي أوقاتا طويلة بلذة الاستماع والإصغاء.

ماهو الغيب بالنسبة للإنسان

وماهي المعلومات الصحيحة الحقيقية عن الغيب .

ومن أين نأتي بهذه المعلومات ونحصل عليها وكيف نتعامل شعوريا مع المغيبات وما تأثيرها علينا سلوكياً.

إن قلب الإنسان عطش للاطمئنان بالتصورات الصحيحة عن المغيبات إنه ينتظرهذه التصورات وهذه العلوم لتسكن نفسه ويطمئن روعه.

علم عن الغيب

١-هود(٣١)- ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١﴾ [هود: ٣١].

٢-هود(٤٩)- ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩﴾ [هود: ٤٩].

قال ابن أبى حاتم: «عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ أَيْ(مَا عَلِمَ مُحَمَّدٌ ﷺ وَلا قَوْمُهُ بِمَا صَنَعَ نُوحٌ وقَوْمُهُ لَوْلا بَيَانُ اللَّهِ ﷻ).

عَنِ السُّدِّيِّ، قَوْلُهُ: ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ﴾ يَعْنِي(الْعَرَبَ).

عَن ابْن عَبَّاسٍ(يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ لِلْمُتَّقِينَ أَيْ الَّذِينَ يَحْذَرُونَ مِنَ اللَّهِ عُقُوبَتَهُ فِي تَرْكِ مَا يَعْرِفُونَ مِنَ الْهُدَى، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ بِالتَّصْدِيقِ بِمَا جَاءَ بِهِ)»[1].

من الأَزْوَاجَ التي لايعلمها الإنسان.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٤٣).

علم بالمخلوقات الغيبية

٣- النحل (٨)- ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل: ٨].

قال في الوسيط: «وستجد وسائل أخرى لا يعلمها أهل هذا الزمان. والقرآن يهيىء لها القلوب والأذهان، بلا جمود ولا تحجر»[(١)].

٤-الإسراء(٨٥)- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥].

قال في التفسير الميسر: «تنزَّه الله العظيم الذي خلق الأصناف جميعها من أنواع نبات الأرض، ومن أنفسهم ذكورًا وإناثًا، ومما لا يعلمون من مخلوقات الله الأخرى. قد انفرد سبحانه بالخلق، فلا ينبغي أن يُشْرَك به غيره»[(٢)].

علم الغيب علم اللَّه

٥-المائدة(١٠٩)- ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة: ١٠٩].

٦-الأنعام(٥٠)- ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنعام: ٥٠].

٧-الأنعام(٥٩)- ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

٨-الأعراف(١٨٨)- ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١١٨].

٩-هود(٣١)- ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (٨/ ١١١).

(٢) التفسير الميسر (١/ ٤٤٢).

لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [هود: ٣١].

١٠-هود(٤٧)- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [هود: ٤٧].

قال في فتح القدير: «أعوذ بك أن أطلب منك ما لا علم لي بصحته وجوازه»[(١)].

وقال الطبري: «أستجير بك أن أتكلف مسألتك ما ليس لي به علم، (١٣) مما قد استأثرت بعلمه، وطويت علمه عن خلقك، فاغفر لي زلتي في مسألتي إياك ما سألتك في ابني، وإن أنت لم تغفرها لي وترحمني فتنقذني من غضبك، (أكن من الخاسرين)، يقول: من الذين غبنوا أنفسهم حظوظَها وهلكوا»[(٢)].

١١-هود(٤٩)- ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [هود: ٤٩].

١٢-الإسراء(٨٥)- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٥].

١٣-الكهف(٦٥)- ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الكهف: ٦٥].

قال في فتح القدير: «وهو ما علمه الله سبحانه من علم الغيب الذي استأثر به، وفي قوله: (من لدنا) تفخيم لشأن ذلك العلم، والرحلة في ذلك ما يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته، وأن يتواضع لمن هو أعلم منه»[(٣)].

وقال السعدي: «وكان قد أعطي من العلم ما لم يعط موسى، وإن كان موسى عليه السلام أعلم منه بأكثر الأشياء، وخصوصا في العلوم الإيمانية، والأصولية، لأنه من أولي العزم من المرسلين، الذين فضلهم الله على سائر الخلق، بالعلم، والعمل، وغير ذلك، فلما

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٧١).
(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٤٣٧).
(٣) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٥٤).

اجتمع به موسى قال له على وجه الأدب والمشاورة، والإخبار عن مطلبه»[1].

وعند القرطبي: «والخضر نبي عند الجمهور»[2].

وقال أيضاً: «أي علم الغيب، قال ابن عطية: كان علم الخضر علم معرفة بواطن قد أوحيت إليه، لا تعطي ظواهر الأحكام أفعاله بحسبها ؛ وكان علم موسى علم الأحكام والفتيا بظاهر أقوال الناس وأفعالهم»[3].

وفي البحر المحيط: «وهو الإخبار عن الغيوب»[4].

١٤-الكهف(٦٦)- ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦﴾ [الكهف: ٦٦].

قال في التفسير الميسر: «لتعلمني من العلم الذي علمك الله إياه ما أسترشد به وأنتفع»[5].

علم الغيب (القرون)

١٥-طه(٥٢)- ﴿قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ٥٢﴾ [طه: ٥٢].

قال في التفسير الميسر: «عِلْمُ تلك القرون فيما فَعَلَت من ذلك»[6].

وقال الشوكاني: «بل هو من علم الغيب الذي استأثر الله به لا تعلمه أنت ولا أنا إن علم هؤلاء الذين عبدوا الأوثان ونحوها محفوظ عند الله في كتابه سيجازيهم عليها، ومعنى كونها في كتاب أنها مثبتة في اللوح المحفوظ... علم أعمالها عند ربي في كتاب»[7].

علم الملائكة

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٤٨٢).

(٢) تفسير القرطبي (١١/ ١٦).

(٣) المرجع السابق (١١/ ١٦).

(٤) البحر المحيط في التفسير (٧/ ٢٠٤).

(٥) التفسير الميسر (١/ ٣٠١).

(٦) المرجع السابق (١/ ٣١٥).

(٧) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٣٦).

١٦-العنكبوت(٣٢)- ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [العنكبوت: ٣٢].

قال في التفسير الميسر: «قال إبراهيم للملائكة: إنَّ فيها لوطًا وليس من الظالمين، فقالت الملائكة له: نحن أعلم بمن فيها، لننجِّينَّه وأهله من الهلاك الذي سينزل بأهل قريته إلا امرأته كانت من الباقين الهالكين»[(١)].

علم بالملائكة: علم بالملأ الأعلى

١٧-ص(٦٩)- ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [ص: ٦٩].

قال في التفسير الميسر: «ليس لي علم باختصام ملائكة السماء في شأن خلق آدم، لولا تعليم الله إياي، وإيحاؤه إليَّ»[(٢)].

١٨-النجم(٢٨)- ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾﴾ النجم: ٢٨.

قال في فتح القدير: «(ما لهم به) أي بالملائكة أو التسمية»[(٣)].

علم قرين الحق مقابل الظن

قال في فتح القدير: «وفيه دليل على أن مجرد الظن لا يقوم مقام العلم وأن الظان غير عالم»[(٤)].

وفي المنتخب: «وما لهم بهذا القول من علم، ما يتبعون فيه إلا ظنهم الباطل، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً»[(٥)].

١٩-النجم(٣٥)- ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴿٣٥﴾﴾ [النجم: ٣٥].

قال في مختصر تفسير ابن كثير: «وقوله تعالى: (أعنده علم الغيب فهو يرى)؟

---

(١) التفسير الميسر (١/ ٤٠٠).

(٢) المرجع السابق (١/ ٤٥٧).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٥/ ١٣٤).

(٤) تفسير فتح القدير (٥/ ١١٢) .

(٥) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٧٨٢).

أي أعند هذا الذي أمسك يده خشية الإنفاق، وقطع معروفه، أعنده علم الغيب أنه سينفد ما في يده حتى أمسك عن معروفه فهو يرى ذلك عياناً؟ أي ليس الأمر كذلك، وإنما أمسك عن الصدقة والبر والصلة بخلاً وشحاً وهلعاً»[1].

وفي المنتخب: «أتأملت فرأيت الذي أعرض عن اتباع الحق، وأعطى شيئاً قليلاً من المال، وقطع العطاء؟! أعنده علم الغيب فهو منكشف له عما يدفعه إلى التولى عن الحق والبخل بالمال؟»[2].

علم الملائكة بأفعال العباد

٢٠-الانفطار(١٢)- ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٢].

قال في أيسر التفاسير: «وَهُمْ يُحْصُونَ جَمِيعَ مَا يَفْعَلُهُ العِبَادُ مِنْ خَيرٍ وَشَرٍّ، وَيُثْبِتُونَهُ فِي صَحَائِفِهِمْ»[3].

العلم بالعلاقات مع الغيب

هل أنا مؤمن بشي اسمه عرش نسبه اللَّه إلى نفسه؟

هل أنا مؤمن بشي اسمه ملك؟

هل أنا مؤمن بشي اسمه روح الإنسان؟

هل أنا مؤمن بشي اسمه عدو الإنسان ولا أراه ويشتغل على الإيذاء؟

العلم بجزاءات العلاقات مع الغيب

لو آمنت بالغيب ماذا أستفيد؟

الطمأنينة والأمن من المجهول المرتقب .

ما جزاء الكافر بالغيب؟

سأتعرض للأذى عند عدم تصديقي بشيء حقيقي وواقعي .

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ٤٠٣).

(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٧٨٣).

(٣) أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥٧١٨).

الباب الخامس

العلم برسل الله

العلم برسل الله

من هم الأنبياء عليهم صلوات اللَّه وسلامه؟

ومن هم الرسل ؟

هل نستمع لقول اللَّه فيهم ؟

أو نصغي إلى مقولات البشر: حسنها أو سيئها؟

ما المعلومات التي أعطانا اللَّه إياها عن الرسل؟

وهل هناك معلومات من اللَّه عن الرسل محدودة معدودة مضبوطة؟

هل زيادة المعلومات أو نقصها يخل التصور الصحيح عنهم ؟

ولماذا حدثنا اللَّه عن الرسل؟

ما الغاية وما الفائدة من هذا العلم ؟

هل هذا العلم للمتعة والفخر؟

أم أنه يورث أحاسيس وخلجات في القلب تدفع بقوة إلى سلوكيات منسجمة معها.

هل يمكنني أن أحصل على معلومات عن الرسل- حقيقية لا يأتيها الباطل- من غير كتاب اللَّه ؟

من هو قدوتي وأسوتي في حياتي ؟

من هو سيد ولد آدم ؟ وبم حصل على هذا اللقب ؟

هل هذا الموضوع جانبي ثانوي في كتاب اللَّه ؟

أو أنه أساسي محوري...؟

العلم عن الرسل

١-آل عمران(١٩)- ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩].

جاءهم بيان نعته وصفته في كتبهم.

علم بالرسل

٢-آل عمران(٦١)- ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران: ٦١].

من بعد ما جاءك من العلم عن عيسى بأنه عبد الله ورسوله.

٣-آل عمران(٦٦)- ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [آل عمران: ٦٦].

٤-آل عمران(٧١)- ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ [آل عمران: ٧١].

وأنتم تعلمون أنه رسول من عند الله.

٥-المائدة(٩٢)- ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: ٩٢].

٦-المائدة(١٠٤)- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المائدة: ١٠٤].

لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً عن الذي ندعوهم إليه مما أنزله الله .

ولاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً عن رسول الله .

٧-المائدة(١١٣)- ﴿قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [المائدة: ١١٣].

٨-الأعراف(٧٥)- ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأعراف: ٧٥].

٩-يوسف(٥١)- ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ [يوسف: ٥١].

المعلومات اليقينية كأنها رؤيا العين مافيها سوء .

١٠-النحل(١٠١)- ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [النحل: ١٠١].

لا يعلمون حكمة تبديلنا ولا يعلمون أن الله أعلم بِمَا يُنَزِّلُ وحقيقة وصدق رسولنا لا يعلمون أن الله أنزله فإنك لا تقول إلا ما قد قيل لك.

١١-النحل(١٠٣)- ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣].

١٢-الشعراء(١٩٧)- ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الشعراء: ١٩٧].

قال في التفسير الميسر: «أولم يَكْفِ هؤلاء- في الدلالة على أنك رسول الله، وأن القرآن حق- علم علماء بني إسرائيل صحة ذلك، ومَن آمن منهم كعبد الله بن سلام؟»[(١)].

١٣-سبأ(٢٨)- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ: ٢٨].

قال في تفسير الجلالين: «(ما أرسلناك إلا كافة) حال من الناس قدم للاهتمام (للناس بشيراً) مبشرا للمؤمنين بالجنة (ونذيراً) منذرا للكافرين بالعذاب (ولكن أكثر الناس) أي كفار مكة (لا يعلمون) ذلك»[(٢)].

١٤-الحجرات(٧)- ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات: ٧].

قال فى المنتخب: «واعلموا - أيها المؤمنون - أن فيكم رسول الله فاقْدروه حق قدْره واصْدقوه، لو يطيع ضعاف الإيمان منكم فى كثير من الأمور، لوقعتم في المشقة والهلاك، ولكن الله حبَّب في الكاملين منكم الإيمان، وزيَّنه في

(١) التفسير الميسر (١/ ٣٧٥).

(٢) تفسير الجلالين (ص: ٥٦٧).

قلوبكم»[1].

علم بالله علم بالرسول

١٥-الحجرات(٧)- ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾ [الحجرات: ٧].

في ظلال القرآن: «فجاءت الآية التالية تذكرهم بالحقيقة الضخمة والنعمة الكبيرة التي تعيش بينهم ليدركوا قيمتها وينتبهوا دائما لوجودها:

(واعلموا أن فيكم رسول الله)..

وهي حقيقة تتصور بسهولة لأنها وقعت ووجدت. ولكنها عند التدبر تبدو هائلة لا تكاد تتصور ! وهل من اليسير أن يتصور الإنسان أن تتصل السماء بالأرض صلة دائمة حية مشهودة ؛ فتقول السماء للأرض ؛وتخبر أهلها عن حالهم وجهرهم وسرهم، وتقوم خطاهم أولا بأول، وتشير عليهم في خاصة أنفسهم وشؤونهم. ويفعل أحدهم الفعلة ويقول أحدهم القولة، ويسر أحدهم الخالجة ؛ فإذا السماء تطلع، وإذا الله ﷻ ينبئ رسوله بما وقع، ويوجهه لما يفعل وما يقول في هذا الذي وقع.. إنه لأمر. وإنه لنبأ عظيم. وإنها لحقيقة هائلة. قد لا يحس بضخامتها من يجدها بين يديه. ومن ثم كان هذا التنبيه لوجودها بهذا الأسلوب: (واعلموا أن فيكم رسول الله).. اعلموا هذا وقدروه حق قدره، فهو أمر عظيم.

ومن مقتضيات العلم بهذا الأمر العظيم أن لا يقدموا بين يدي الله ورسوله. ولكنه يزيد هذا التوجيه إيضاحا وقوة، وهو يخبرهم أن تدبير رسول الله ﷺ لهم بوحي الله أو إلهامه فيه الخير لهم والرحمة واليسر. وأنه لو أطاعهم فيما يعن لهم أنه خير لعنتوا وشق عليهم الأمر. فالله أعرف منهم بما هو خير لهم، ورسوله

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٧٦٣).

رحمة لهم فيما يدبر لهم ويختار»[1].

١٦-القمر(٢٦)- ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾ [القمر: ٢٦].

قال في مفاتيح الغيب: «فإن قال قائل: سيعلم للاستقبال ووقت إنزال القرآن على محمد ﷺ كانوا قد علموا، لأن بعد الموت تتبين الأمور وقد عاينوا ما عاينوا فكيف القول فيه؟ نقول: فيه وجهان أحدهما: أن يكون هذا القول مفروض الوقوع في وقت قولهم: بل هو كذاب أشر، فكأنه تعالى قال يوم قالوا: بل هو كذاب أشر سيعلمون غدا وثانيهما: أن هذا التهديد بالتعذيب لا بحصول العلم بالعذاب الأليم وهو عذاب جهنم لا عذاب القبر فهم سيعذبون يوم القيامة وهو مستقبل (سيعلمون غدا) معناه سيعلمون غدا أنهم الكاذبون الذين كذبوا لا لحاجة وضرورة، بل بطروا وأشروا لما استغنوا»[2].

وفي المنتخب: «سيعلمون قريباً يوم ينزل بهم العذاب: مَنْ الكذَّاب المنكر للنعمة، أهم أم صالح رسولهم؟»[3].

١٧-الصف(٥)- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف: ٥].

قال في المنتخب: «واذكر - يا محمد - حين قال موسى لقومه، لِمَ تؤذونني وأنتم تعلمون أنى رسول الله إليكم؟. فلما أصروا على الانحراف عن الحق أمال الله قلوبهم عن قبول الهداية، والله لا يهدي القوم الخارجين عن طاعته»[4].

العلم بالعلاقات مع الرسل

ما موقف الجنس البشري من الرسل؟

ما العلاقات والأعمال القلبية الشعورية مع الرسل؟

---

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٣٤١).

(٢) تفسير الرازي (٢٩/ ٣٠٨).

(٣) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٧٨٨).

(٤) المرجع السابق (ص: ٨٢٣).

هل ذكر لنا ربنا علاقات مع الرسل معينة محدودة؟
هل نحن مطالبون بالارتباط الشعوري برسول الله ؟
من هو رسول الله بالنسبة لي... ؟
ما ثمرات العلاقات والارتباطات بالرسل ؟
كيف كان تعامل الصحابة مع الرسول؟
كيف تعامل الكفرة مع رسول الله ؟
كيف يرى شخصية الرسول الجاهل به؟
كيف أتعامل مع رسول الله ؟
هل يحتاج المرء إلى إمام يتبعه فيهديه إلى ما ينشد ؟
من أحق أن يتبع من البشر للوصول بأمان وسلام ؟
هل طاعة الرسل واجبة في حياتهم فقط ؟
وهل يتوجب علي البحث عن أوامرهم بعد مماتهم لتنفيذها؟
كيف أصل إلى الحب الحقيقي لرسول الله ؟

العلم بجزاءات العلاقات مع الرسل

هل الارتباط بالرسل يبنى عليه ثواب وعقاب ؟

الباب السادس

العلم بالإنسان

العلم بالإنسان

من هو الإنسان ؟

كثير من البشر تكلموا عن أنفسهم وعن عظمتهم..

وكثير من الناس تكلم عن الإنسان بكلام حقيقي أو ظنّي..

وألفت في ذلك الكتب الكثيرة جداً.

من أين لي أن أعرف حقيقة نفسي ؟

من أين لي أن أكوّن التصور الصحيح عن الإنسان ووجوده على هذه الأرض؟

الإنسان عالم عظيم...والبشر لا يعلمون عنه إلا القدر اليسير...

ما الذي يسعدني؟ وما الذي يشقيني؟

من هو رب الإنسان المتصرف بشؤونه؟

لابد لي من تحصيل معلومات كاملة معدودة محدودة عن الإنسان كي أحيا منسجما مع نفسي ومع غيري.

ليس هناك أحد يعلم عن الإنسان كالذي خلقه.

لابد أن أبحث في كتاب الله ما قال الله عن الإنسان لأكون حصيلة علمية حقيقية عنه أبني على أساسها سلوكياتي مع نفسي وغيري.

العلم بالإنسان

علم بسفه أنفسهم

١-البقرة(١٣)- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة: ١٣].

٢-البقرة(٣٠)- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠].

من حكمة جعلي خليفة في الأرض .

من الحكم في الجعل - أعلم عن الإنسان – أعلم عن أي شيء.

علم بالإنسان (أفعاله) بإلباس الحق بالباطل وكتمانه

٣-البقرة(٤٢)- ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [البقرة: ٤٢].

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ عن أنفسكم أنكم تعملون السوء، وتعلمون أن الباطل مغاير للحق.

علم بالإنسان (أفعاله) علم بالناس بالمعتدين

٤-البقرة(٦٥)- ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [البقرة: ٦٥].

علمتم بشرا، علمتم أناسا اعتدوا، علمتم أن من البشر من يعتدي.

علم بالإنسان (أفعاله) علم بالفعل القبيح .

٥-البقرة(٧٥)-﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أن فعلهم هذا تحريف لكلام الله.

علم الإنسان بالحقيقة التي في داخله

٦-البقرة(١٨٨)- ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [البقرة: ١٨٨].

أن هذه الأموال ليست من حقكم .

٧-آل عمران(٧٥)- ﴿۞ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [آل عمران: ٧٥].

وهم يعلمون أنهم كاذبون على الله..

٨-آل عمران(٧٨)- ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران: ٧٨].

وهم يعلمون أنهم كاذبون على الله..

علم بالعلاقات الإنسانية

٩-النساء(٨٣)- ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾ [النساء: ٨٣].

علم من إنسان عن إنسان

١٠-الأعراف(١٢٣)- ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ١٢٣﴾ [الأعراف: ١٢٣].

وعيد أجمله، ثم فصله الكشاف: ما أفعل بكم، وما تلقون من عقابي إياكم على صنيعكم هذا.

علم بالناس (الكاذبين)

١١-التوبة(٢)- ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢﴾ [التوبة: ٢].

الأمر بالعلم بالله للمشركين والكافرين .

الأمر بالعلم بالله للتحدي .

الأمر بالعلم بالله للتهديد والوعيد .

سؤال يطرح نفسه هنا .

من الذي يوصل أمر الله هنا للكافرين .

(لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن).

هل من أحد يتبع الرسل؟

١٢-التوبة(٤٣)- ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٤٣﴾ [التوبة: ٤٣].

علم بالإنسان وإراداته

١٣-هود(٧٩)- ﴿قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ٧٩﴾ [هود: ٧٩].

معلومات عن قومه بفسادهم وإرادتهم.

١٤-يوسف(٥٢)- ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢﴾ [يوسف: ٥٢].

ذلك ماحصل من البينات هي معلومات تجعله يدرك ويتحقق.

١٥-يوسف(٧٣)- ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ٧٣﴾ [يوسف: ٧٣].

١٦-يوسف(٨٠)- ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٠﴾ [يوسف: ٨٠].

والاستفهام في (ألم تعلموا) تقريري مستعمل في التذكير بعدم اطمئنان أبيهم بحفظهم لابنه.

١٧-يوسف(٨١)- ﴿ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ٨١﴾ [يوسف: ٨١].

علم بالإنسان والعلاقات الإنسانية.

١٨-يوسف(٨٩)- ﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ٨٩﴾ [يوسف: ٨٩].

قال في فتح القدير: «الاستفهام في قوله (هل علمتم) للتوبيخ والتقريع، وقد كانوا عالمين بذلك، ولكنه أراد ما ذكرناه، ويستفاد منه تعظيم الواقعة لكونه في قوة: ما أعظم الأمر الذي ارتكبتم من يوسف وأخيه، وما أقبح ما أقدمتم عليه؟»[1].

(١) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٦٢).

قال في التفسير الميسر: «بعاقبة ما تفعلون»[1].

علم الإنسان بحقيقة نفسه

١٩ -النحـــل (٣٩)-﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۲وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾[النحل: ٣٩].

٢٠-النحـل(٧٠)- ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [النحل: ٧٠].

قال في التفسير الميسر: «والله سبحانه وتعالى خلقكم ثم يميتكم في نهاية أعماركم، ومنكم مَن يصير إلى أردأ العمر وهو الهرم، كما كان في طفولته لا يعلم شيئًا مما كان يعلمه، إن الله عليم قدير، أحاط علمه وقدرته بكل شيء، فالله الذي ردَّ الإنسان إلى هذه الحالة قادر على أن يميته، ثم يبعثه»[2].

٢١-النحـــــل(٧٨)- ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ۙ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: ٧٨].

قال في التفسير الميسر: «والله ﷻ أخرجكم مِن بطون أمهاتكم بعد مدة الحمل، لا تدركون شيئًا مما حولكم، وجعل لكم وسائل الإدراك من السمع والبصر والقلوب؛ لعلكم تشكرون لله تعالى على تلك النعم، وتفردونه ﷻ بالعبادة»[3].

علم بالإنسان والعلاقات الإنسانية

٢٢-طـــه (٧١)- ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾ [طه: ٧١].

قال ابن كثير: «أي أنتم تقولون إني وقومي على ضلالة وأنتم مع موسى

---

(١) التفسير الميسر (١/ ٢٤٦).

(٢) التفسير الميسر (١/ ٢٧٤).

(٣) التفسير الميسر (١/ ٢٧٥).

وقومه على الهدى فسوف تعلمون من يكون له العذاب ويبقى فيه فلما صال عليهم بذلك وتوعدهم هانت عليهم أنفسهم في الله ﷻ»[1].

٢٣-النور(١٥)- ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [النور: ١٥].

قال في التفسير الميسر: «حين تتلقفون الإفك وتتناقلونه بأفواهكم، وهو قول باطل، وليس عندكم به علم، وهما محظوران: التكلم بالباطل، والقول بلا علم، وتظنون ذلك شيئًا هيّنًا، وهو عند الله عظيم. وفي هذا زجر بليغ عن التهاون في إشاعة الباطل »[2].

٢٤-النور(٣٣)- ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [النور: ٣٣].

قال في تفسير الجلالين: «أي أمانة وقدرة على الكسب لأداء مال الكتابة»[3].

علم بالإنسان والعلاقات الإنسانية علم بأخبار الناس

٢٥-الشعراء(١١٢)- ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الشعراء: ١١٢].

قال في التفسير الميسر: «فأجابهم نوح عليه السلام بقوله: لست مكلفًا بمعرفة أعمالهم، إنما كُلفت أن أدعوهم إلى الإيمان. والاعتبار بالإيمان لا بالحسب والنسب والحِرف والصنائع»[4].

علم بالإنسان والعلاقات الإنسانية علم منطق الطير

٢٦-النمل(١٦)- ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٠٤).
(٢) التفسير الميسر (١/ ٣٥١).
(٣) تفسير الجلالين (ص: ٤٦٣).
(٤) التفسير الميسر (١/ ٣٧٢).

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ [النمل: ١٦].

قال في تفسير الجلالين: «(علمنا منطق الطير) أي فهم أصواته»[1].

علم بالإنسان والناس علم نوعية الإتباع

٢٧-القصص(٥٠)- ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ [القصص: ٥٠].

قال في ظلال القرآن: «من لم يجنح إلى الحق بعد هذا فهو ذو الهوى المكابر»[2].

علم بالإنسان علم سوى المحاور

٢٨-الأحزاب(٥)- ﴿ٱدْعُوهُمْ لِـَٔابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ [الأحزاب: ٥].

قال في التفسير الميسر: «يا أيها النبي دُم على تقوى الله بالعمل بأوامره واجتناب محارمه، وليقتد بك المؤمنون؛ لأنهم أحوج إلى ذلك منك، ولا تطع الكافرين وأهل النفاق. إن الله كان عليمًا بكل شيء، حكيمًا في خلقه وأمره وتدبيره»[3].

علم بالإنسان علم بأوضاع إنسانية

٢٩-الفتح(٢٥)- ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ [الفتح: ٢٥].

وقيل لم تعلموا أنهم مؤمنون.

---

(١) تفسير الجلالين (ص: ٤٩٦).

(٢) في ظلال القرآن (٥/ ٢٦٩٩).

(٣) التفسير الميسر (١/ ٤١٨).

وفي فتح القدير «(بغير علم) متعلق بأن تطأوهم: أي غير عالمين»[1].

المنتخب «أهل مكة هم الذين كفروا ومنعوكم من دخول المسجد الحرام، ومنعوا الهدى الذي سقتموه محبوسا معكم على التقرب به من بلوغ مكانه الذي ينحر فيه، ولولا كراهة أن تُصيبوا رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات بين الكفار بمكة أخفوا إيمانهم فلم تعلموهم فتقتلوهم بغير علم بهم، فيلحقكم بقتلهم عار وخزى، ولهذا كان منع القتال في هذا اليوم حتى يحفظ الله من كانوا مستخفين بإسلامهم بين كفار مكة»[2].

علم بالإنسان علم الممارسة والعمل

٣٠-الرحمن(٤)- ﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن: ٤].

قال الطبري: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك: أن الله علَّم الإنسان ما به الحاجة إليه من أمر دينه ودنياه من الحلال والحرام، والمعايش والمنطق، وغير ذلك مما به الحاجة إليه، لأن الله جلّ ثناؤه لم يخصص بخبره ذلك، أنه علَّمه من البيان بعضا دون بعض، بل عمّ فقال: (علَّمه البيان)، فهو كما عمّ جلّ ثناؤه»[3].

قال في التفسير الميسر: «علَّمه البيان عمَّا في نفسه تمييزًا له عن غيره»[4].

في المنتخب «علمه الإبانة عما في نفسه تمييزاً له عن غيره»[5].

علم بالإنسان علم بالمخلوقات

٣١-الواقعة(٦١)- ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٦١﴾ [الواقعة: ٦١].

قال البغوي: «من الصور، قال مجاهد: في أي خلق شئنا. وقال الحسن: أي

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٦٤).

(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٧٦٠).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١٧٠).

(٤) التفسير الميسر (١/ ٥٣١).

(٥) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٧٩١).

نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير، كما فعلنا بمن كان قبلكم، يعني: إن أردنا أن نفعل ذلك ما فاتنا ذلك. وقال سعيد بن المسيب: (في ما لا تعلمون) يعني: في حواصل طير سود»[1].

وفي أيسر التفاسير: «بحيث نخلقكم في صور وأشكال غير ما أنتم عليه فنخلقكم خلقاً ذميما وقبيحاً كالقردة والخنازير، وما نحن بعاجزين عن ذلك فهل نعجز إذاً عن بعثكم بعد موتكم أحياء لنحاسبكم ونجازيكم»[2].

المنتخب «نحن قضينا بينكم بالموت، وجعلنا لموتكم وقتاً معيَّناً، وما نحن بمغلوبين على أن نبدل صوركم بغيرها، وننشئكم في خلق وصور لا تعهدونها»[3].

٣٢-الواقعة(٦٢)- ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الواقعة: ٦٢].

قال أيسر التفاسير: «(ولقد علمتم النشأة الأولى) كيف تمت لكم بما لا تنكرونه»[4].

علم بالإنسان علم معرفة

٣٣-المجادلة(١٤)- ﴿۞أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المجادلة: ١٤].

في المنتخب «ألم تر - أيها الرسول - إلى المنافقين الذين وَالَوْا قوماً غضب الله عليهم. ما هؤلاء الموالون منكم ولا ممن وَالوُهم، ويجترئون على الحلف كذباً مع علمهم بكذبهم»[5].

علم بالإنسان علم بأهل الهدى وبأهل الضلال

---

(١) تفسير البغوي (٨/ ٢٠).

(٢) أيسر التفاسير للجزائري (٥/ ٢٥١).

(٣) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٨٠٠).

(٤) أيسر التفاسير للجزائري (٥/ ٢٥١).

(٥) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٨١٢).

٣٤-الملك(٢٩)- ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الملك: ٢٩].

قال في الوسيط: «مسوق مساق التهديد والوعيد أي: فستعلمون في عاجل أمرنا وآجله، أنحن الذين على الحق أم أنتم؟ ونحن الذين على الباطل أم أنتم؟ فالمقصود بالآية الكريمة التهديد والإنذار، مع إخراج الكلام مخرج الإنصاف، الذى يحملهم على التدبر والتفكر لو كانوا يعقلون»[١].

إنكم الآن لا تعلمون وأنا أنذركم الآن لتعلموا فتنتفعوا فإن لم تعلموا الآن فستعلمون بالتأكيد في المستقبل حين لا ينفعكم العلم.

وفى أيسر التفاسير «وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّنِي وَمَنْ مَعِي آمَنَّا بِرَبِّنَا الرَّحْمَن الرَّحِيمِ، وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فِي جَمِيعِ أُمُورِنَا، وَسَيَتَبَيَّنُ لَكُمْ مَنْ سَيَكُونُ الضَّالَّ - مِنّا وَمِنْكُمْ - وَمَنْ يَكُونُ المُهْتَدِيَ، وَسَتَعْلَمُونَ مَنْ يَكُونُ الهَالِكَ غَداً إِذَا قَامَتِ السَّاعَةُ، وَمَنْ يَكُونُ النَّاجِي»[٢].

٣٥-المعارج(٣٩)- ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [المعارج: ٣٩].

وفى أيسر التفاسير «كَلاَّ إِنَّهُمْ لَنْ يَدْخُلُوا الجَنَّةَ، وَسَيَدْخُلُونَ النَّارَ وَسَتَكُونُ مَأْوَاهُمْ وَمُسْتَقَرَّهُمْ. فَإِذَا كَانُوا يَسْتَبْعِدُونَ البَعْثَ وَالمَعَادَ، فَلْيَنْظُرُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ أَيْ شَيءٍ خَلَقَهُمُ اللهُ ؟ إِنَّهُ خَلَقَهُمْ مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ مَنِيّ يُمْنَى، ثُمَّ جَعَلَهُمْ بَعْدَ أَطْوَارٍ كَثِيرَةٍ بَشَراً يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ، ثُمَّ يُمِيتُهُمْ حِينَمَا تَحِينُ آجَالُهُمْ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَبْعَثُهُمْ مِنْ جَدِيدٍ، وَالإِعَادَةُ أَهْوَنُ مِنَ البَدْءِ»[٣].

علم بالإنسان علم بما وجب أن تعمل

٣٦-التكوير(١٤)- ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ [التكوير: ١٤].

قال في أيسر التفاسير: «فَإِذَا حَصَلَ كُلُّ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الأَحْدَاثِ السَّالِفَةِ التِي تَدُلُّ

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٥/ ٣٠).

(٢) أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥١٤٨).

(٣) أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥١٤٨).

عَلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَبُعِثَ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَحُشِرُوا لِلحِسَاب.. حِينَئِذٍ تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ، وَمَا أُعِدَّ لَهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍ، وَتَعْلَمُ أَيَّ أَعْمَالِهَا قَدْ تَقَبَّلَهُ اللَّه، وَأَيَّ أَعْمَالِهَا رَدَّهُ عَلَيْهَا وَرَفَضَهُ»[1].

علم بالإنسان علم بما وجب أن تعمل

٣٧-الانفطار(٥)- ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ **[الانفطار: ٥]**.

قال في أيسر التفاسير «إِذَا حَصَلَ كُلُّ ذَلِكَ يَكُونُ مَوْعِدُ قِيَامِ السَّاعَةِ قَدْ حَانَ، وَحَانَ البَعْثُ وَالحِسَابُ. وَحِينَئِذٍ تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا قَدَّمَتْ مِنْ عَمَلٍ وَلَمْ تُقَصِّرْ فِيهِ، وَمَا أَخَّرَتْ مِنْ عَمَلٍ وَتَكَاسَلَتْ عَنْ أَدَائِه»[2].

العلم بالعلاقات الإنسانية

ما المقصود بالعلاقات الإنسانية؟

ما أهمية علاقة الإنسان مع نفسه؟ و ما أهمية علاقاته مع غيره؟

هل علاقات الإنسان مع نفسه علم يتعلم ؟ أو أنه تلبية هوى ؟

هل تعلم علاقات الإنسان مع نفسه حاجة ملحة لكل إنسان كي لا يصطدم مع نفسه ؟

ما هذه العلاقات؟

من أين لي أن أعرفها؟

ما علاقات الإنسان مع غيره سواء كان صديقاً أو عدواً؟

ما علاقات الإنسان مع والديه؟..

ما علاقات الإنسان مع زوجته وأولاده ؟

ما علاقات الإنسان مع أقاربه ؟

ما علاقات الإنسان مع جيرانه وجميع أصدقائه ؟

---

(١) المرجع السابق (ص: ٥٦٩١).

(٢) المرجع السابق (ص: ٥٧١١).

ما علاقات الإنسان مع أعدائه المسالمين ومع أعدائه المحاربين؟
من أين أتعلم هذه العلاقات كيلا أصطدم مع غيري ؟
من أين لي المنهج المتكامل الصحيح للتوفيق بين هذه العلاقات ؟
هل العلاقات هي ردود أفعال وأهواء نفوس ليس لها حدود ؟
ما أسباب النزاعات والخلافات بين الناس ؟ وكيف تقلل؟
كيف يسود الحب والوفاق والسعادة ؟
إن كل هذه العلاقات مرسومة ومخططة (ومبرمجة) في كتاب اللَّه بعلم من اللَّه.
إن رحمة اللَّه أعظم من أن تترك الإنسان جهولا... يضل ويشقى.

العلم بجزاءات العلاقات الإنسانية

إن هذه العلاقات مرتبطة بمرضاة اللَّه وسخطه وثوابه وعقابه.

الباب السابع

العلم بما ورد من معلومات عن الشيطان

العلم بما ورد من معلومات عن الشيطان

كأني لم أجد في كتاب الله اقتران كلمة العلم بكلمة الشيطان أو ابليس وكأن شرف كلمة العلم لا تليق مع إبليس ومع الشياطين.

لكن موضوع ابليس محوري في القرآن وفي حياة الإنسان وقد حدثنا الله عن ابليس وأعطانا معلومات عنه كي نعاديه ولا نغفل عن غدره وخطره.

ولن أتطرق إليه هنا بالتفصيل لأن ذلك لا يناسب موضوع الكتاب .

لكن سأفرد له إن شاء الله كتيبا مستقلا أبين فيه أن ابليس وجنوده هوعدو الإنسان الأول والحقيقي الذي يتمنى فناءه.

كيف نتحقق من أنه يكيد للإنسان ؟

وما هي العلاقات الإنسانية مع الشيطان

هل أتخوف من عدوي أم أصادقه وأصدقه ؟

هل آمن عداوته ؟

وما هي جزاءات العلاقات مع الشيطان

ماذا يضيرني فيما لو لم أتخذه عدوا ؟

إن هذا المبحث القرآني لا يدخل في صلب هذا الكتاب الذي هو العلم في القرآن ولكن رأيت أن أذكره هنا من باب الحديث عن المحاور القرآنية والذي هو سابعها

التوفيق بين المحاور

إن هذه المحاور السبعة السابقة وهذه الأسئلة الملحة في النفس ذات أهمية مصيرية في حياة الجنس البشري، ولابد للإنسان من إجابات مطمئنة للقلوب.

إن النسيان والغفلة والإنشغال عنها إلى حد الانقطاع والانفصال والابتعاد.

تتعرض حياة الإنسان إلى العذاب والهلاك في الدنيا والآخرة...

إن هذه المحاور هي أهم الموضوعات القرآنية، وهي أساسياته الصلبة المتينة،

ومحاوره الأولية..

وهي الحقائق الكبرى والظواهر العظمى المفسرة للوجود الكوني والبشري.

وباقي الموضوعات القرآنية مبنية عليها ومرتبطة بها وتبع لها.

لنتصور إنساناً لا يعلم عن ربه شيئاً ولاعن كتابه ولاعن لقائه، ولا يعلم شيئاً عما حوله من المخلوقات التي لا يراها وهي ذات تأثير قريب أو بعيد عليه ولا يجد هادياً يتبعه من جهة خالقه، ولاعرف شيئاً عن نفسه من خلقها بيديه ولا ما يدور حولها من مخاطر وأعداء وأولهم إبليس، أو كان علمه بهذه المحاور السبعة مختلاً أو ناقصاً أو باطلاً ...

ترى كيف تكون حياته،وكيف تكون علاقاته مع الله ومع كتابه ومع لقائه ومع الغيب الذي يحيط به من كل جانب والذي لابد أن يلاقيه، ومع رسوله ومع نفسه ومع عدوه المتربص به في كل لحظة يريد شقاءه وهلاكه.

أظن أنه يعيش الضلال والشقاء والتخبط والتيه...

فلابد إذن أن ندور مع القرآن حيث دار...

ولابد أن نستهدي بنور الله ونتبع ما أنزل إلينا منه.

ولابد أن نعلم من هو الله ..ونرتبط معه...ونعلم عن لقائه فنستعد له..

ونتعرف على رسوله..ونتبعه.

ونعرف أنفسنا..نتواءم معها.

حتى نفوز بخيري الدنيا والآخرة....

وهذه الموضوعات السبعة كالبناء المشيد سواء كان هذا البناء في قلب الإنسان بمفرده أو في مجتمع من المجتمعات.

فإذا كان هذا البناء علمي وفكري أسس على تقوى من الله ورضوان فإنه بإذن الله سيثمر الخير والنفع للفرد أو للمجتمع.

وإذا كان البناء على هوى وشفا جرف هار فإنه سينهار على الفرد والمجتمع.

إن ترتيب وجمع وتشكيل هذه الموضوعات فيما بينها ومع غيرها من الموضوعات القرآنية وبرمجتها وبناءها وصياغتها يحتاج من الإنسان إلى العلم الواسع والمفصل في كل واحد منها،ويحتاج إلى العلم بكمها وحجمها، كما يحتاج إلى علم بحضورها وغيابها في السياق القرآني.

وعلم بحضورها وغيابها في قلب الإنسان وفي مجتمعه.

ويحتاج إلى العلم بأفضليتها وأولويتها وأهميتها وضرورتها.

وإن مما نجنيه ونلمسه ونعيشه في حياتنا من سوء العلاقات الإنسانية وفسادها،هو من ثمرات الجهل بالله وبكتابه وبلقائه وبرسوله وبالمغيبات وبالإنسان،وكذلك الجهل بالعلاقات معها، وعدم الارتباط بها على الوجه الصحيح.

ولا يمكن إصلاح حياة الإنسان وعلاقاته مع غيره،ولا يمكن إصلاح أي مجتمع إلا بالعلم بالمحاور السابقة والارتباط الصحيح بها.

سأحرص على التعرض لهذه المحاور بالدراسة بتوفيق الله .

الباب الثامن

العلوم الدنيوية في القرآن

الله ﷻ يتحدث عن نفسه ويقول: (إن الله بكل شيء عليم).

فالله عنده علم بكل شيء وما أوتي الإنسان من العلم بالأشياء إلا قليلاً.

الشاهد هنا أن كل شيء أمامك وبين يديك وتتعامل معه لابد لك من معلومات عنه حتى يكون التعامل معه صحيحا فكل شيء من حولك حتى المسميات المعنوية ممكن أن يشكل منها علما.

فبناء على ذلك لا حصر للأشياء ولا حصر للعلوم .

وهنا سأذكر ما ذكر في القرآن من أشياء واقترنت بها كلمة علم .

١ - العلم بالمشرب

البقرة(٦٠)- ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة: ٦٠].

قال الطبري: «(قد علم كل أناس مشربهم)، إنما معناه: قد علم كل أناس منهم مشربهم. فترك ذكر (منهم) لدلالة الكلام عليه.

كان هذا إذْ هم في البرية اشتكوا إلى نبيهم الظمأ، فأمروا بحجر طوري - أي من الطور - أن يضربه موسى بعصاه. فكانوا يحملونه معهم، فإذا نزلوا ضربه موسى بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، لكل سبط عين معلومة مستفيض ماؤها لهم.

عن مجاهد: لكل سبط منهم عين. كل ذلك كان في تيههم حين تاهوا»[1].

٢ - العلم بالسحر وبالضار وبما لاينفع وبالمعنويات

١-البقرة(١٠٢)- ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ

(١) تفسير الطبري (٢/ ٥).

أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ [البقرة: ١٠٢].

ورد في تفسير ابن أبي حاتم ما معناه وَقَدْ عَلِمَ أَهْلُ الْكِتَابِ فِيمَا يَقْرَءُونَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أو فيما عهد الله إليهم (لَمَنِ اشْتَرَاهُ)أي اسْتَحَبَّهُ وأن الساحر مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ أي من نصيب[1].

٢-طـــه(٧١)- ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾ [طه: ٧١].

ولاشك أن قوله زوراً وبهتاناً وهروباً وعجزاً.

وفي فتح القدير أن موسى لكبيركم: أي أسحركم وأعلاكم درجة في صناعة السحر، أو معلمكم وأستاذكم كما يدل عليه قوله: (الذي علمكم السحر) قال الكسائي: الصبي بالحجاز إذا جاء من عند معلمه قال: جئت من عند كبيري.

قال الواحدي: «والكبير في اللغة الرئيس، ولهذا يقال للمعلم الكبير»[2].

٣-الشعراء(٤٩)- ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [الشعراء: ٤٩].

قال في تفسير الجلالين: «ما ينالكم مني»[3].

قال في التفسير الميسر: «قال فرعون للسحرة مستنكرًا: آمنتم لموسى بغير إذن مني، وقال موهمًا أنَّ فِعْل موسى سحر: إنه لكبيركم الذي علَّمكم السحر، فلسوف تعلمون ما ينزل بكم من عقاب»[4].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٩٥).

(٢) التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٢١٤).

(٣) تفسير الجلالين (ص: ٢١٠).

(٤) التفسير الميسر (١/ ٣٦٩).

٣- عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ الكتابة

١-البقرة(٢٨٢)- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۖ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة: ٢٨٢].

علمه الكتابة ويعلمكم الله ما يكون إرشادا في الدين والدنيا والله عليم بجميع مصالح عباده .

٢-العلق(٤)- ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾﴾ [العلق: ٤].

قال الطبري: «علَّم الإنسان الخطّ بالقلم، ولم يكن يَعْلَمُهُ، مع أشياء غير ذلك، مما علمه ولم يكن يعلمه»[(١)].

وفي أيسر التفاسير: «وَهُوَ تَعَالَى الذِي عَلَّم الإِنْسَانَ أنْ يَكْتُبَ بالقَلَمِ، وَجَعَلَ الكِتَابَةَ بالقَلَمِ وَسِيلَةً لإِدْرَاكِ الإِنْسَانِ العُلُومَ، وَالمَعَارِفَ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ، وَبِفَضْلِ القَلَمِ حُفِظَتِ العُلُومُ، وَانْتَقَلَتْ فِي الأَرْضِ مِنْ صِقْعٍ إِلَى صِقْعٍ»[(٢)].

قال الماوردي: «علمه كل صنعه علمها فتعلم، قاله ابن شجرة»[(٣)].

(علم الإنسان ما لم يعلم)، من أنواع الهدى والبيان. وقيل: علم آدم الأسماء

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٣٢).

(٢) أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥٩٨٧).

(٣) تفسير الماوردي (٦/ ٣٠٥).

كلها. وقيل: الإنسان ها هنا محمد ﷺ، بيانه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣].

قال في البحر المحيط: «حيث قال: الأكرم (ٱلأَكْرَمُ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ ٱلإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(٥)) فدلّ على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلاّ هو، وما دوّنت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم، ولا كتب الله المنزلة إلاّ بالكتابة؛ ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا؛ ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره ودليل إلّا أمر القلم والخط، لكفى به»[1].

وفي كشاف الزمخشري «وقرأ ابن الزبير: «علم الخط بالقلم»[2].

وفي مفاتيح الغيب: «أما قوله تعالى: (علم الإنسان لم يعلم) فيحتمل أن يكون المراد علمه بالقلم وعلمه أيضا غير ذلك ولم يذكر واو النسق، وقد يجري مثل هذا في الكلام تقول: أكرمتك أحسنت إليك ملكتك الأموال وليتك الولايات، ويحتمل أن يكون المراد من اللفظين واحدا ويكون المعنى: علم الإنسان بالقلم مالم يعلمه، فيكون قوله: (علم الإنسان ما لم يعلم) بيانا لقوله: (علم بالقلم) »[3].

وقيل: هو عام لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ۙ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: ٧٨].

قال في تفسير الجلالين: « (علم الإنسان) الجنس (ما لم يعلم) قبل تعليمه من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها»[4].

---

(١) البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٥٠٧).

(٢) تفسير الزمخشري (٤/ ٧٧٧).

(٣) تفسير الرازي (٣٢/ ٢١٩).

(٤) تفسير الجلالين (ص: ٨١٤).

وقال الشوكاني: «(علم الإنسان ما لم يعلم) هذه الجملة بدل اشتمال من التي قبلها: أي علمه بالقلم من الأمور الكلية والجزئية ما لم يعلم به منها»[1].

وفي فتح القدير: «والمعنى: أن من علمه الله سبحانه من هذا الجنس بواسطة القلم فقد علمه ما لم يعلم»[2].

وفي روح المعاني للألوسي: «علمه به وبدونه من الأمور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر بباله وفي حذف المفعول أولاً وإيراده بعنوان عدم المعلومية ثانياً من الدلالة على كمال قدرته تعالى»[3].

وقال السعدي: «فعلمه القرآن، وعلمه الحكمة، وعلمه بالقلم، الذي به تحفظ به العلوم، وتضبط الحقوق، وتكون رسلًا للناس، ثم تبرز مصدر التعليم.. إن مصدره هو الله . منه يستمد الإنسان كل ما علم، وكل ما يعلم.

وهذه الحقيقة القرآنية الأولى، التي تلقاها قلب رسول الله ﷺ في اللحظة الأولى هي التي ظلت تصرف شعوره، وتصرف لسانه، وتصرف عمله واتجاهه، بعد ذلك طوال حياته. بوصفها قاعدة الإيمان الأولى»[4].

وفي التحرير والتنوير: «وأشعر قوله: (ما لم يعلم) أن العلم مسبوق بالجهل فكل علم يحصل فهو علم ما لم يكن يُعلَم من قبل، أي فلا يُوئِسَنَّك من أن تصير عالماً بالقرآن والشريعة أنك لا تعرف قراءة ما يكتب بالقلم.

والمتأمل في هذه الآيات الكريمة، يراها قد جمعت أصول الصفات الإلهية، كالوجود، والوحدانية، والقدرة والعلم، والكرم»[5].

وفي الوسيط: «وأن من كرمه - تعالى - أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٧١).

(٢) المرجع السابق (٥/ ٥٧١).

(٣) تفسير الألوسي (١٥/ ٤٠٢).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٩٣٠).

(٥) التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٤١).

وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة»[1].

٤- علم التكليب

المائدة(٤)- ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٤﴾ [المائدة: ٤].

(تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا علَّمَكُمُ اللَّه) أي تعلمونهن من طلب الصيد لكم مما علمكم الله من التأديب الذي أدبكم وصفات التعليم التي بيَّن حكمها لكم.

فأما صفة التعليم، فهو أن يُشلَى إذا أُشلي، ويجيب إذا دعي ويمسك إذا أخذ.

قال الزمخشري: « (مما علمكم اللَّه) من علم التكليب لأنه إلهام من اللَّه ومكتسب بالعقل. أو مما عرفكم أن تعلموه من اتباع الصيد بإرسال صاحبه وانزجاره بزجره، وانصرافه بدعائه وإمساك الصيد عليه وأن لا يأكل منه»[2].

وفي مفاتيح الغيب: «وأجابوا عن التمسك بقوله تعالى: (مكلبين) من وجوه: الأول: أن المكلب هو مؤدب الجوارح ومعلمها أن تصطاد لصاحبها، وإنما اشتق هذا الاسم من الكلب لأن التأديب أكثر ما يكون في الكلاب، فاشتق منه هذا اللفظ لكثرته في جنسه.

الثاني: أن كل سبع فإنه يسمى كلبا، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: (اللَّهم سلط عليه كلباً من كلابك فأكله الأسد).

الثالث: أنه مأخوذ من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة، يقال فلان: كلب بكذا إذا كان حريصاً عليه.

والرابع: هب أن المذكور في هذه الآية إباحة الصيد بالكلب، لكن تخصيصه بالذكر لا ينفي حل غيره، بدليل أن الاصطياد بالرمي ووضع الشبكة جائز، وهو غير مذكور في الآية والله أعلم.

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٥/ ٤٥٥).

(٢) تفسير الزمخشري (١/ ٦٠٦).

المسألة السادسة: انتصاب (مكلبين) على الحال من (علمتم). فإن قيل: ما فائدة هذه الحال وقد استغنى عنها بعلمتم؟

قلنا: فائدتها أن يكون من يعلم الجوارح نحريرا فى علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب و(تعلمونهن) حال ثانية أو استئناف، والمقصود منه المبالغة في اشتراط التعليم»[1].

٥- علم التأديب

المائدة(٤)- ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٤﴾ [المائدة: ٤].

٦- علم بالأموال والأولاد

الأنفـــال(٢٨)- ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٢٨﴾ [الأنفال: ٢٨].

قال في التفسير الميسر: «واعلموا -أيها المؤمنون- أن أموالكم التي استخلفكم الله فيها، وأولادكم الذين وهبهم الله لكم اختبار من الله وابتلاء لعباده؛ ليعلم أيشكرونه عليها ويطيعونه فيها، أو ينشغلون بها عنه؟ واعلموا أن الله عنده خير وثواب عظيم لمن اتقاه وأطاعه»[2].

وفي فتح القدير: «ثم قال: (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة) لأنهم سبب الوقوع في كثير من الذنوب، فصاروا من هذه الحيثية محنة يختبر الله بها عباده، وإن كانوا من حيثية أخرى زينة الحياة الدنيا كما في الآية الأخرى: (وأن الله عنده أجر عظيم) فآثروا حقه على أموالكم وأولادكم ليحصل لكم ما عنده من الأجر المذكور»[3].

---

(١) تفسير الرازي (١١/ ٢٩١).

(٢) التفسير الميسر (١/ ١٨٠).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣٤٤).

٧- علم بأنواع الفتن

١-الأنفال(٢٨)- ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨﴾ [الأنفال: ٢٨].

٢-الزمر(٤٩)- ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ نِعۡمَةٗ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمِۭۚ بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٩﴾ [الزمر: ٤٩].

قال في ظلال القرآن: «إن الضر يسقط عن الفطرة ركام الأهواء والشهوات، ويعريها من العوامل المصطنعة التي تحجب عنها الحق الكامن فيها وفي ضمير هذا الوجود. فعندئذ ترى الله وتعرفه وتتجه إليه وحده. حتى إذا مرت الشدة وجاء الرخاء، نسي هذا الإنسان ما قاله في الضراء»[(١)].

وفي حدائق الروح: (قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) أي خير علمه الله مني، فإن كانت النعمة سعة في المال قال: إنما حصل هذا بكسبي، وإن كانت صحة قال: إنما حصلت هذه الصحة بسبب العلاج الفلاني. (بَلْ هِيَ) أي النعمة (فِتْنَةٌ) أي اختبار أيشكر أم يكفر، (لاَ يَعْلَمُونَ) أي هذا التخويل، إنما كان لأجل اختبار أي إنا نتفضل على ذلك الإنسان وهو يظن أنه إنما وجده بالاستحقاق»[(٢)].

٨- علم بالغنائم

الأنفال(٤١)- ﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١﴾ [الأنفال: ٤١].

قال في فتح القدير: «(واعلموا أنما غنمتم من شيء) مال الكفار إذا ظفر بهم المسلمون على وجه الغلبة والقهر»[(٣)].

---

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٣٠٥٦).

(٢) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٢٥/ ٣١).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣٥٣).

٩- علم تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ

١-يوسف(٢١)- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: ٢١].

٢-يوسف(٦٨)- ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يوسف: ٦٨].

١٠- العلم بعدد السنين والحساب

١-يونس(٥)- ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ [يونس: ٥].

قال الطبري: « لتعلموا)، أنتم أيها الناس، (عدد السنين)، دخول ما يدخل منها، أو انقضاءَ ما يستقبل منها، وحسابها، يقول: وحساب أوقات السنين، وعدد أيامها، وحساب ساعات أيامها، خلقت ذلك كله بحقٍّ وحدي، بغير عون ولا شريك»[(١)].

وفي الكشاف للزمخشري: «ذلك)إشارة إلى المذكور أي ما خلقه إلا ملتبساً بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثاً»[(٢)].

٢-الإسراء(١٢)- ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء: ١٢].

قال الرازي في مفاتيح الغيب: «(وكل شيء فصلناه تفصيلاً) والمعنى: أنه تعالى لما ذكر أحوال آيتي الليل والنهار وهما من وجه دليلان قاطعان على التوحيد، ومن وجه آخر نعمتان عظيمتان من الله تعالى على أهل الدنيا فلما شرح الله تعالى حالهما وفصل ما فيهما من وجوه الدلالة على الخالق ومن وجوه النعم

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٢٤).

(٢) تفسير الزمخشري (٢/ ٣٢٩).

العظيمة على الخلق، كان ذلك تفصيلا نافعا وبيانا كاملا، فلا جرم قال: (وكل شيء فصلناه تفصيلا) أي كل شيء بكم إليه حاجة في مصالح دينكم ودنياكم، فقد فصلناه وشرحناه»[1].

١١- علم بالآيات المعجزات المرئيات

الإسراء(١٠٢)- ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء: ١٠٢].

قال في البحر المحيط: «فبكتَّه وأعلمه أنه يعلم آيات الله ومن أنزلها ولكنه مكابر معاند»[2].

وفي التحرير والتنوير: «وخاطبه بذلك على سبيل التوبيخ أي أنت بحال من يعلم هذا وهي من الوضوح بحيث تعلمها وليس خطابه على جهة إخباره عن علمه أن فرعون لم يبق في نفسه شك في أن تلك الآيات لا تكون إلا بتسخير الله إذ لا يقدر عليها غيرُ الله، وأكد كلام موسى بلام القسم وحرف التحقيق تحقيقاً لحصول علم فرعون بذلك. وإنما أيقن موسى بأن فرعون قد علم بذلك: إما بوحي من الله أعلمه به، وإما برأي مُصيب، لأن حصول العلم عند قيام البرهان الضروري حصول عقلي طبيعي لا يتخلف عن عقل سليم »[3].

١٢- العلم بأهل الكهف

الكهف(٢٢)- ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الكهف: ٢٢].

قال ابن كثير: «وقوله (قل ربي أعلم بعدتهم) إرشاد إلى أن الأحسن في مثل

---

(١) تفسير الرازي (٢٠/ ٣٠٧).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٧/ ١٢١).

(٣) التحرير والتنوير (١٥/ ٢٢٦).

هذا المقام رد العلم إلى الله تعالى إذ لا احتياج إلى الخوض في مثل ذلك بلا علم لكن إذا أطلعنا على أمر قلنا به وإلا وقفنا وقوله (ما يعلمهم إلا قليل) أي من الناس»[1].

١٣- العلم بما عبد من الآلهة المتخذة زورا

معلومات عن أشياء اتخذت آلهة

١-الأنبياء(٦٥)- ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنبياء: ٦٥].

قال ابن كثير: «فكيف تقول لنا سلوهم إن كانوا ينطقون وأنت تعلم أنها لا تنطق»[2].

٢-القصص(٣٨)- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [القصص: ٣٨].

أعلم أن الأمر كله لي (أنا الذي يأمر وينهى ويعظم ويطاع) ماعلمت لكم أحداً بشراً مثلي يأمركم فتطيعونه وتعظمونه.

ولم يؤمن بالغيب بل كفر بالغيب بل كفر ربه.

قال الجزائري: «(ما علمت لكم من إله غيري): أي رباً يطاع ويذل له ويعظم غيري، لعنة الله عليه ما أكذبه»[3].

وقال السعدي: «(أي: أنا وحدي، إلهكم ومعبودكم، ولو كان ثَمَّ إله غيري، لعلمته) »[4].

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ١٤٨).

(٢) المرجع السابق (٥/ ٣٥٠).

(٣) أيسر التفاسير للجزائري (٤/ ٧٤).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٦١٦).

١٤- علم الصنعة والحاجة

الأنبياء(٨٠)- ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنبياء: ٨٠].

قال في التفسير الميسر: «واختصَّ الله داود عليه السلام بأن علَّمه صناعة الدروع يعملها حِلَقًا متشابكة»[(١)].

١٥- علم منطق الطير

النمل(١٦)- ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النمل: ١٦].

قال في تفسير الجلالين: «(علمنا منطق الطير) أي فهم أصواته»[(٢)].

١٦- علم بجزاءات الطغاة

الشعراء(٤٩)- ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [الشعراء: ٤٩].

قال في تفسير الجلالين: «ما ينالكم مني»[(٣)].

قال في التفسير الميسر: «قال فرعون للسحرة مستنكرًا: آمنتم لموسى بغير إذن مني، وقال موهمًا أنَّ فِعْل موسى سحر: إنه لكبيركم الذي علَّمكم السحر، فلسوف تعلمون ما ينزل بكم من عقاب»[(٤)].

١٧- بأسباب النعم والرزق

١-القصص(٧٨)- ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [القصص: ٧٨].

---

(١) التفسير الميسر (١/ ٣٢٨).

(٢) تفسير الجلالين (ص: ٤٩٦).

(٣) المرجع السابق (ص: ٢١٠).

(٤) التفسير الميسر (١/ ٣٦٩).

قال في التفسير الميسر: «قال قارون لقومه الذين وعظوه: إنما أُعطيتُ هذه الكنوز بما عندي من العلم والقدرة، أولم يعلم قارون أن الله قد أهلك مِن قبله من الأمم مَن هو أشد منه بطشًا، وأكثر جمعًا للأموال؟»[1].

١٨- علم بالعربية

فصلت(٣)- ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [فصلت: ٣].

قال القرطبي: «قال الضحاك: أي إن القرآن منزل من عند الله . وقال مجاهد: أي يعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل. وقيل: يعلمون العربية فيعجزون عن مثله ولو كان غير عربي لما علموه»[2].

١٩- علم بنظم الشعر

يس(٦٩)- ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩﴾ [يس: ٦٩].

قال ابن كثير: «وقوله تبارك وتعالى: (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) يقول ﷻ مخبرًا عن نبيه محمد ﷺ أنه ما علمه الشعر (وما ينبغي له) أي ما هو في طبعه فلا يحسنه ولا يحبه ولا تقتضيه جبلته ولهذا ورد أنه ﷺ كان لا يحفظ بيتا على وزن منتظم بل إن أنشده زحفه أو لم يتمه وقال أبو زرعة الرازي حدثنا إسماعيل بن مجالد عن أبيه عن الشعبي أنه قال: ما ولد عبدالمطلب ذكرا ولا أنثى إلا يقول الشعر إلا رسول الله ﷺ ذكره ابن عساكر في ترجمة عتبة بن أبي لهب الذي أكله الأسد بالزرقاء قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن هو البصري قال إن رسول الله ﷺ كان يتمثل بهذا البيت: كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا قال أبو بكر أو عمر رضي الله عنهما أشهد أنك رسول الله»[3].

---

(١) المرجع السابق (١/ ٣٩٥).

(٢) تفسير القرطبي (١٥/ ٣٣٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٥٨٨).

٢٠- علم بأهل الحق

الجن(٢٤)- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدًا ٢٤﴾ [الجن: ٢٤].

قال البغوي: «(فسيعلمون)، عند نزول العذاب، (من أضعف ناصراً وأقل عدداً)، أهم أم المؤمنون»[١].

قال البيضاوي: «(حتى إذا رأوا ما يوعدون) في الدنيا كوقعه بدر، أو في الآخرة والغاية لقوله: (يكونون عليه لبداً) بالمعنى الثاني، أو لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار وعصيانهم له. (فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً) هو أم هم»[٢].

لم يروا في الدنيا أن الله ... ولله جنود السموات والأرض .

قال في أيسر التفاسير: «وَلاَ يَزَالُونَ يَسْتَضْعِفُونَ المُؤْمِنِينَ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِمْ، حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ مِنْ فُنُونِ العَذَاب فَسَيَتَبَيَّنُ لَهُمْ حِينَئِذٍ مَنْ هُمُ المُسْتَضْعَفُونَ؟ أَهُمُ المُؤْمِنُونَ المُوَحِّدُونَ للَّه تَعَالَى، أَمْ هُمُ المُشْرِكُونَ الذِينَ لاَ نَاصِرَ لَهُمْ وَلاَ مُعِينَ؟»[٣].

٢١- علم بما يتعلق بالقسم بمواقع النجوم

الواقعة(٧٦)- ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦﴾ [الواقعة: ٧٦].

قال الماوردي: «(وَإِنَّهُ قَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) فيه قولان:

أحدهما: أن القرآن قسم عظيم، قاله ابن عباس.

الثاني: أن الشرك بآياته جرم عظيم، قاله ابن عباس، والضحاك.

ويحتمل ثالثاً: أن ما أقسم الله به عظيم»[٤].

---

(١) تفسير البغوي (٨/ ٢٤٤).

(٢) تفسير البيضاوي (٥/ ٢٥٤).

(٣) أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥٣٤٩).

(٤) تفسير الماوردي (٥/ ٤٦٣).

وقال القرطبي: «وحكى الفراء عن ابن مسعود أن مواقع النجوم هو محكم القرآن»[1].

وقال ابن كثير: «وقوله: (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) أي وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لعظمتم المقسم به عليه»[2].

وفي المنتخب: «فأقسم - حقا - بمساقط النجوم عند غروبها آخر الليل أوقات التهجد والاستغفار، وإنه لقسم - لو تفكرون في مدلوله - عظيم الخطر بعيد الأثر»[3].

لماذا يحصل القسم ؟ لماذا يقسم ربنا ؟ هل القسم له داع هنا ؟ هل الأمر خطب وجلل ؟ هل موضوع نزول القرآن لتخليص الناس من الشرك وتأمين معادهم عظيم ؟ نعم أجل

كل أنواع العلوم الحياتية

١-البقرة(٢٣٩)- ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ البقرة: ٢٣٩.

كل أنواع العلوم: ما تحتاجونه في حياتكم من العلوم .

٢-غافر (٥)- ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [غافر:٨٣].

قال في تفسير الجلالين: «(فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) المعجزات الظاهرات (فرحوا) أي الكفار (بما عندهم) أي الرسل (من العلم) فرح استهزاء وضحك متنكرين له (وحاق) نزل (بهم ما كانوا به يستهزئون) أي العذاب»[4].

وفي فتح القدير: «أي أظهروا الفرح بما عندهم مما يدعون أنه من العلم من الشبه الداحضة والدعاوى الزائغة، وسماه علماً تهكماً بهم، أو على ما يعتقدونه.

---

(١) تفسير القرطبي (١٧/ ٢٢٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٥٤٤).

(٣) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٨٠١).

(٤) تفسير الجلالين (ص: ٦٢٩).

وقال مجاهد: قالوا نحن أعلم منهم لن نعذب ولن نبعث، وقيل المراد من علم أحوال الدنيا لا الدين»[1].

٤-النجم(٣٠)- ﴿ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ٣٠﴾ [النجم: ٣٠].

قال الواحدي في الوجيز: «(ذلك مبلغهم من العلم) يقول: ذلك نهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة»[2].

وفي فتح القدير: «قال الفراء: أي ذلك قدر عقولهم ونهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة»[3].

وقال السعدي: «والمراد بالعلم هنا مطلق الإدراك الذي يندرج تحته الظن الفاسد، والجملة مستأنفة لتقرير جهلهم واتباعهم مجرد الظن، فسعيهم مقصور على الدنيا ولذاتها وشهواتها، كيف حصلت حصلوها، وبأي: طريق سنحت ابتدروها، (ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ) أي: هذا منتهى علمهم وغايته، وأما المؤمنون بالآخرة، المصدقون بها، أولو الألباب والعقول، فهمتهم وإرادتهم للدار الآخرة، وعلومهم أفضل العلوم وأجلها، وهو العلم المأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ»[4].

وفي المنتخب: «ذلك الذي يتبعونه في عقائدهم وأعمالهم منتهى ما وصلوا إليه من العلم، إن ربك هو أعلم بمن أصر على الضلال، وهو أعلم بمن شأنه قبول الاهتداء»[5].

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٥٧٦).

(٢) الوجيز للواحدي (ص: ١٠٤١).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٥/ ١٣٥).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٨٢٠).

(٥) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٧٨٢).

الباب التاسع

مكملات الكتاب

مكملات الكتاب

الجهل والآيات التي ورد فيها

بعد ما عرفنا موضوع العلم وورود وتعريفه أرى من المناسب والضروري إيراد موضوع الجهل وتعريفه وورود في القرآن.

فنبدأ أولا بتعريفه من المعاجم اللغوية.

- الجهل على ثلاثة أضرب:

- الأول: وهو خلو النفس من العلم، هذا هو الأصل، وقد جعل ذلك بعض المتكلمين معنى مقتضيا للأفعال الخارجة عن النظام، كما جعل العلم معنى مقتضيا للأفعال الجارية على النظام.

- والثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه.

- والثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً، كمن يترك الصلاة متعمداً، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [البقرة: ٦٧].

فجعل فعل الهزو جهلا، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات: ٦].

قال الراغب الأصفهاني في المفردات: «والجاهل تارة يذكر على سبيل الذم، وهو الأكثر، وتارة لا على سبيل الذم، نحو: ﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾ [البقرة: ٢٧٣]، أي: من لا يعرف حالهم، وليس يعني المتخصص بالجهل المذموم، والمجهل: الأمر والأرض والخصلة التي تحمل الإنسان على الاعتقاد بالشيء خلاف ما هو عليه، واستجهلت الريح الغصن: حركته، كأنها حملته على تعاطي الجهل، وذلك استعارة حسنة»[1].

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٠٩).

وروده في القرآن

عدد مرات تكرار كلمة جهل من خلال البحث باستخدام الجذر ٢٤ مرة.

انظر في الملحقات لترى سرد الآيات حسب تسلسل السور .

جهل بالله

١- **الأنعام** (٣٥) - ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنعام: ٣٥].

قال الطبري: «فلا تكونن ممن لا يعلم أن الله لو شاء لجَمع على الهدى جميع خلقه بلطفه»[(١)].

وفي مفاتيح الغيب: «والمقصود أنه لا ينبغي أن يشتد تحسرك على تكذيبهم، ولا يجوز أن تجزع من إعراضهم عنك فإنك لو فعلت ذلك قرب حالك من حال الجاهل، والمقصود من تغليظ الخطاب التبعيد والزجر له عن مثل هذه الحالة».

وفي كشاف الزمخشري: «ولو شاء الله لجمعهم على الهدى بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة (فَلا تَكونَنَ مِنَ الجاهلين) من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه»[(٢)].

وفي التحرير والتنوير: «والمراد بـ(الجاهلين) يجوز أن يكون من الجهل الذي هو ضدّ العلم، كما في قوله تعالى خطاباً لنوح ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود: ٤٦]، وهو ما حمل عليه المفسّرون هنا. ويجوز أن يكون من الجهل ضدّ الحلم، أي لا تضق صدراً بإعراضهم. وهو أنسب بقوله: (وإن كان كبر عليك إعراضهم).وإرادة كلا المعنيين ينتظم مع مفاد الجملتين: جملة: (وإن كان كبر عليك إعراضهم) وجملة (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى).ومع كون هذه

(١) تفسير الطبري (٩/ ٢٢٨).

(٢) تفسير الزمخشري (٢/ ٢٠).

الجملة تذييلاً للكلام السابق، فالمعنى: فلا يَكْبُرْ عليك إعراضهم ولا تضق به صدراً، وأيضاً فكن عالماً بأنّ الله لو شاء لجمعهم على الهدى. وهذا إنباء من الله تعالى لرسوله ﷺ بأمر من علم الحقيقة يختصّ بحالة خاصّة فلا يطّرد في غير ذلك من مواقف التشريع.

وإنّما عدل على الأمر بالعلم لأنّ النّهى عن الجهل يتضمّنه فيتقرّر فى الذهن مرتين، ولأنّ فى النهى عن الجهل بذلك تحريضاً على استحضار العلم به، كما يقال للمتعلّم: لا تنسى هذه المسألة. وليس فى الكلام نهى عن شىء تلبّس به الرسول ﷺ كما توهّمه جمع من المفسّرين، وذهبوا فيه مذاهب لا تستبين»[1].

وفى الوسيط: «فلا تكونن من الجاهلين بحكمة الله في خلقه، وبسننه التى اقتضاها علمه»[2].

الجهل بالله

٢-الأنعام (١١١)- ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الأنعام: ١١١].

قال الماوردي: «(وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ) فيه وجهان:

أحدهما: يجهلون فيما يقترحونه من الآيات.

والثاني: يجهلون أنهم لو أجيبوا إلى ما اقترحوا لم يؤمنوا طوعًا.

(إلا أن يشاء الله) مشيئة إكراه واضطرار (ولكن أكثرهم يجهلون (فيقسمون بالله جهد إيمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات. أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون أن هؤلاء لا يؤمنون إلا أن يضطرهم فيطمعون في إيمانهم إذا جاءت الآية المقترحة»[3].

---

(١) التحرير والتنوير (٧/ ٢٠٦).

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي (٥/ ٦٨).

(٣) تفسير الماوردي (٢/ ١٥٧).

وفي مفاتيح الغيب: «(ولكن أكثرهم يجهلون) قال أصحابنا: المراد، يجهلون بأن الكل من الله وبقضائه وقدره»[1].

وقال القرطبي: «(وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ) أي يجهلون الحق. وقيل: يجهلون أنه لا يجوز اقتراح الآيات بعد أن رأوا آية واحدة»[2].

وفي روح المعاني للألوسي: «(ولكن أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ) استدراك من مضمون الشرطية بعد ورود الاستثناء، وضمير الجمع للمسلمين أو للمقسمين، والمعنى أن حالهم كما شرح ولكن أكثر المسلمين يجهلون عدم إيمانهم عند مجيء الآيات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لإيمانهم فيتمنون مجيئها طمعاً فيما لا يكون أو ولكن المشركين يجهلون عدم إيمانهم عند مجيء الآيات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لإيمانهم حينئذ فيقسمون بالله تعالى جهد أيمانهم على ما لا يكاد يوجد أصلاً»[3].

وفي التحرير والتنوير: «والاستدراك بقوله: (ولكن أكثرهم يجهلون) راجع إلى قوله: (إلا أن يشاء الله) المقتضي أنّهم يؤمنون إذا شاء الله إيمانهم: ذلك أنَّهم ما سألوا الآيات إلاّ لتوجيه بقائهم على دينهم، فإنَّهم كانوا مصمّمين على نبذ دعوة الإيمان، وإنَّما يتعلَّلون بالعلل بطلب الآيات استهزاء، فكان إيمانهم في نظرهم من قبيل المحال، فبيّن الله لهم أنَّه إذا شاء إيمانَهم آمنوا، فالجهل على هذا المعنى: هو ضدّ العلم. وفي هذا زيادة تنبيه إلى ما أشار إليه قوله: (إلا أن يشاء الله) من أنّ ذلك سيكون، وقد حصل إيمان كثير منهم بعد هذه الآية. وإسناد الجهل إلى أكثرهم يدلّ على أنّ منهم عقلاء يحسبون ذلك.

ويجوز أن يكون الاستدراك راجعاً إلى ما تضمّنه الشّرط وجوابُه: من انتفاء إيمانهم مع إظهار الآيات لهم، أي لا يؤمنون، ويزيدهم ذلك جهلاً على جهلهم،

---

(١) تفسير الرازي (١٣/ ١١٩).

(٢) تفسير القرطبي (٧/ ٦٧).

(٣) تفسير الألوسي (٤/ ٢٥٠).

فيكون المراد بالجهل ضدّ الحلم، لأنَّهم مستهزئون، وإسناد الجهل إلى أكثرهم لإخراج قليل منهم وهم أهل الرأي والحلم فإنَّهم يرجى إيمانهم، لو ظهرت لهم الآيات، وبهذا التّفسير يظهر موقع الاستدراك.

فضمير (يجهلون) عائد إلى المشركين لا محالة كبقية الضّمائر التي قبله»[1].

وفي تفسير المنار: «(وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ) سُنَنَ اللَّه تَعَالَى فِي عِبَادِهِ وَانْطِبَاقَهَا عَلَى الْأَفْرَادِ وَالْجَمَاعَاتِ، لِذَلِكَ يَتَمَنَّى بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ يُؤْتَى مُقْتَرِحُو الْآيَاتِ مَا اقْتَرَحُوهُ لِظَنِّهِمْ أَنَّهُ سَيَكُونُ سَبَبًا لِإِيمَانِهِمْ، وَلَيْسَتِ الْآيَاتُ بِمُلْزِمَةٍ وَلَا مُغَيِّرَةٍ لِطِبَاعِ الْبَشَرِ فِي اخْتِيَارِ مَا تَرَجَّحَ عِنْدَ كُلِّ مِنْهُمْ بِحَسَبِ نَظَرِهِ فِيهَا وَفِي غَيْرِهَا، وَلَوْ شَاءَ اللَّه تَعَالَى لَجَعَلَهَا كَذَلِكَ، وَلَوْ شَاءَ أَيْضًا لَخَلَقَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِ الْبَشَرِ خَلْقًا لَا عَمَلَ لَهُمْ فِيهِ وَلَا اخْتِيَارَ. وَحِينَئِذٍ لَا يَكُونُونَ مُحْتَاجِينَ إِلَى رُسُلٍ، بَلْ لَا يَكُونُونَ هُمْ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الْخَلْقِ الَّذِي سُمِّيَ الْإِنْسَانَ. ذَهَبَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ الْأَخِيرَةَ نَزَلَتْ فِي الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ قَطْعًا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُقْتَرِحِينَ الْمُعَانِدِينَ مِنَ الَّذِينَ فَقَدُوا الِاسْتِعْدَادَ لِلْإِيمَانِ وَالِاسْتِعْدَادَ لِلنَّظَرِ الصَّحِيحِ فِي الْآيَاتِ وَالدَّلَائِلِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَيْهِ. وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا فِي الْكَافِرِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ - كَالْجُمَلِ قَبْلَهَا - وَلَا شَكَّ أَنَّ جَهْلَهُمْ عَظِيمٌ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَفِي غَيْرِهِ، وَيُرَجِّحُ الْأَوَّلَ إِسْنَادُ الْجَهْلِ إِلَى أَكْثَرِهِمْ وَهُوَ عَامٌّ شَامِلٌ لَهُمْ»[2].

٣-الأعراف (١٣٨)- ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾ [الأعراف: ١٣٨].

قال الطبري: «وقال موسى صلوات اللَّه عليه: إنكم أيها القوم قوم تجهلون عظمة اللَّه وواجبَ حقه عليكم، ولا تعلمون أنه لا تجوز العبادة لشيء سوى اللَّه

(١) التحرير والتنوير (٨-أ/ ٧).

(٢) تفسير المنار (٨/ ٥).

الذي له ملك السماوات والأرض»[1].

وفي وجيز الواحدي: «قال إنكم قوم تجهلون) نعمة الله عليكم وما صنع بكم حيث توهمتم أنه يجوز عبادة غيره»[2].

وقال البغوي: «ولم يكن ذلك شكاً من بني إسرائيل في وحدانية الله، وإنما معناه: اجعل لنا شيئاً نعظمه ونتقرب بتعظيمه إلى الله ﷻ وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم. (قال) موسى (إنكم قوم تجهلون)، عظمة الله»[3].

وقال ابن كثير: «(قال إنكم قوم تجهلون) أي تجهلون عظمة الله وجلاله وما يجب أن ينزه عنه من الشريك والمثيل»[4].

وفي روح المعاني للألوسي: «(قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) تعجب عليه السلام من قولهم هذا بعدما شاهدوه من الآية الكبرى والبينة العظمى فوصفهم بالجهل على أتم وجه حيث لم يذكر له متعلقاً ومفعولاً لتنزيله منزلة اللازم أو لأن حذفه يدل على عمومه أي تجهلون كل شيء فدخل فيه الجهل بالربوبية بالطريق الأولى»[5].

وفي ظلال القرآن: «(قال:إنكم قوم تجهلون)..

ولم يقل تجهلون ماذا ؟ ليكون في إطلاق اللفظ ما يعني الجهل الكامل الشامل.. الجهل من الجهالة ضد المعرفة، والجهل من الحماقة ضد العقل ! فما ينبعث مثل هذا القول إلا من الجهالة والحمق إلى أبعد الحدود ! ثم ليشير إلى أن الانحراف عن التوحيد إلى الشرك إنما ينشأ من الجهل والحماقة ؛ وأن العلم والتعقل يقود كلاهما إلى الله الواحد ؛ وأنه ما من علم ولا عقل يقود إلى غير هذا

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٤٠٩).

(٢) الوجيز للواحدي (ص: ٤١١).

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٢٧٤).

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٧).

(٥) تفسير الألوسي (٥/ ٤٠).

الطريق»[1].

٤- هـود (٢٩)- ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [هود: ٢٩].

قال الطبري: «(ولكني أراكم قومًا تجهلون)، يقول: ولكني، أيها القوم، أراكم قومًا تجهلونَ الواجبَ عليكم من حقّ الله، واللازم لكم من فرائضه. ولذلك من جهلكم سألتموني أن أطرد الذين آمنوا بالله»[2].

وقال الماوردي: «(وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ) فيه وجهان:

أحدهما: تجهلون في استرذالكم لهم وسؤالكم طردهم.

الثاني: تجهلون في أنهم خير منكم لإيمانهم وكفركم»[3].

وفي كشاف الزمخشري: «(تجهلون) تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل: من قوله: ألا لا يجهلن أحد علينا... أو تجهلون بلقاء ربكم. أو تجهلون أنهم خير منكم»[4].

وفي مفاتيح الغيب: «ثم بين أنهم يبنون أمرهم على الجهل بالعواقب والاغترار بالظواهر فقال (ولكني أراكم قوما تجهلون)»[5].

وفي البحر المحيط: «ووصفهم بالجهل لكونهم بنوا أمرهم على الجهل بالعواقب، والاغترار بالظواهر. أو لأنهم يتسافلون على المؤمنين ويدعونهم أراذل من قوله: ألا لا يجهلن أحد علينا... أو تجهلون لقاء ربكم، أو تجهلون أنهم خير منكم، أو وصفهم بالجهل في هذا الاقتراح، وهو طرد المؤمنين ونحوه»[6].

---

(١) في ظلال القرآن (٣/ ١٣٦٦).

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٣٨٥).

(٣) تفسير الماوردي (٢/ ٤٦٧).

(٤) تفسير الزمخشري (٢/ ٣٩٠).

(٥) تفسير الرازي (١٧/ ٣٣٩).

(٦) البحر المحيط في التفسير (٦/ ١٤٥).

وفي فتح القدير: «(ولكني أراكم قوماً تجهلون) كل ما ينبغي أن يعلم، ومن ذلك استرذالهم للذين اتبعوه وسؤالهم له أن يطردهم»[1].

وفي روح المعاني للألوسي: «(ولكني أُرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ) أي بكل ما ينبغي أن يعلم، ويدخل فيه جهلهم بمنزلتهم عند الله تعالى وبما يترتب من المحذور على طردهم وبركاكة رأيهم في التماس ذلك، وتوقف إيمانهم عليه وغير ذلك وإيثار صيغة الفعل للدلالة على التجدد والاستمرار، وعبر بالرؤية موافقة لتعبيرهم، وجوز أن يكون الجهل بمعنى الجناية على الغير وفعل ما يشق عليه لا بمعنى عدم العلم المذموم وهو معنى شائع كما في قوله:

ألا لا يجهلن أحد علينا... فنجهل فوق جهل الجاهلينا»[2].

وفي مراح لبيد: «(وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ) إن منزلة المؤمنين عند الله تعالى أعلى وإن طردهم يوجب غضب الله تعالى»[3].

وفي ظلال القرآن: «(ولكني أراكم قوما تجهلون)..

تجهلون القيم الحقيقية التي يقدر بها الناس في ميزان الله . وتجهلون أن مرد الناس كلهم إلى الله»[4] .

وفي التحرير والتنوير: «وموقع الاستدراك هو أن مضمون الجملة ضد مضمون التي قبلها وهي جملة (إنهم ملاقوا ربهم) أي لا ريب في ذلك ولكنكم تجهلون فتحسبونهم لا حضرة لهم وأن لا تبعة في طردهم.

وحذف مفعول (تجهلون) للعلم به، أي تجهلون ذلك.

وزيادة قوله: (قوماً) يدل على أن جهلهم صفة لازمة لهم كأنها من مقومات

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٦١).

(٢) تفسير الألوسي (٦/ ٢٤١).

(٣) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (١/ ٥٠٥).

(٤) في ظلال القرآن (٤/ ١٨٧٤).

قوميتهم كما تقدم عند قوله تعالى: (لآياتٍ لقومٍ يعقلون) في سورة [البقرة: ١٦٤]»[١].

٥- هـــود (٤٦) - ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود: ٤٦].

قال الطبري: «قال ابن زيد في قوله: (إني أعظك أن تكون من الجاهلين)، أنْ تبلغ الجهالة بك أن لا أفي لك بوعد وعدتك، حتى تسألني ما ليس لك به علم»[٢].

وقال ابن أبي حاتم: «عَبْدَ الرَّحْمَن بْنَ زَيْدِ بْن أَسْلَمَ، يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أَنْ تَبْلُغَ بِكَ الْجَهَالَةُ لأَفِيَ لَكَ بِوَعْدٍ وَعَدْتُكَ حَتَّى تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عَلِمٌ، قَالَ: فَإِنَّهَا خَطِيئَةٌ»[٣].

وقال الماوردي: «(إني أعظُك أن تكون من الجاهلين) يحتمل وجهين:

أحدهما: من الجاهلين بنسبك.

الثاني: من الجاهلين بوعدي لك»[٤].

وفي ظلال القرآن: «فإني أعظك خشية أن تكون من الجاهلين بحقيقة الوشائج والروابط، أو حقيقة وعد الله وتأويله، فوعد الله قد أول وتحقق، ونجا أهلك الذين هم أهلك على التحقيق»[٥].

وفي التحرير والتنوير: «(إني أعظك أن تكون من الجاهلين) موعظة على ترك التثبّت قبل الإقدام. والجهل فيه ضد العلم، وهو المناسب لمقابلته بقوله: (ما ليس لك به علم)»[٦].

---

(١) التحرير والتنوير (١٢/ ٥٦).

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٤٣٦).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٤٠).

(٤) تفسير الماوردي (٢/ ٤٧٦).

(٥) في ظلال القرآن (٤/ ١٨٨٠).

(٦) التحرير والتنوير (١٢/ ٨٧).

وفي أيسر التفاسير: « (من الجاهلين): أي من الذين لا يعرفون جلالي وصدق وعدي ووفائي فتسألني ما ليس لك به علم»[1].

٦- يوسف (٣٣) - ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف: ٣٣].

قال الطبري: «وقوله: (وأكن من الجاهلين)، يقول: وأكن بصبوتي إليهن، من الذين جهلوا حقك، وخالفوا أمرك ونهيك، عن ابن إسحاق: (وأكن من الجاهلين)، أي: جاهلا إذا ركبت معصيتك»[2].

وفي فتح القدير: «(وأكن من الجاهلين) معطوف على (أصب): أي أكن ممن يجهل ما يحرم ارتكابه ويقدم عليه، أو ممن يعمل عمل الجهال»[3].

وفي ظلال القرآن: «وهي دعوة الإنسان العارف بشريته. الذي لا يغتر بعصمته ؛ فيريد مزيدا من عناية الله وحياطته، يعاونه على ما يعترضه من فتنة وكيد وإغراء»[4].

وفي تفسير المنار: «(وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ) أَيْ مِنْ صِنْفِ السُّفَهَاءِ الَّذِينَ تَسْتَخِفُّهُمْ أَهْوَاءُ النَّفْسِ فَيَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ، وَهِيَ مَا يُخَالِفُ مُقْتَضَى الْحِلْمِ وَالْأَنَاةِ، أَوْ مُقْتَضَى الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ»[5] .

وفي أيسر التفاسير: «الجهل بالله تعالى وبأسمائه وصفاته ووعده ووعيده وشرعه هو سبب كل الجرائم في الأرض»[6].

٧- يوسف (٨٩) - ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾﴾

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٥٤٨).
(٢) تفسير الطبري (١٣/ ١٤٥).
(٣) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٩).
(٤) في ظلال القرآن (٤/ ١٩٨٥).
(٥) تفسير المنار (١٢/ ٢٤٦).
(٦) أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٦١٠).

[يوسف: ٨٩].

قال الماوردي: «(إذ أنتم جاهلون) فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني جهل الصغر.

الثاني: جهل المعاصي.

الثالث: الجهل بعواقب أفعالهم. فحينئذ عرفوه»[١].

وفي كشاف الزمخشري: «وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لأنهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه إلا جاهل سماهم جاهلين»[٢].

وفي مفاتيح الغيب: «(إذ أنتم جاهلون) فهو يجري مجرى العذر كأنه قال: أنتم إنما أقدمتم على ذلك الفعل القبيح المنكر حال ما كنتم في جهالة الصبا أو في جهالة الغرور، يعني والآن لستم كذلك»[٣].

وقال القرطبي: «وقيل: جاهلون بما تؤول إليه العاقبة»[٤].

وفي البحر المحيط: «قال ابن عباس، والحسن: جاهلون صبيان. وقال مقاتل: مذنبون. وقيل: جاهلون بما يجب من بر الأب، وصلة الرحم، وترك الهوى. وقيل: جاهلون بما يؤول إليه أمر يوسف. وقيل: جاهلون بالفكر في العاقبة، وعدم النظر إلى المصلحة»[٥].

وفي فتح القدير: «(إذ أنتم جاهلون) نفى عنهم العلم وأثبت صفة الجهل،لأنهم لم يعلموا بما يقتضيه العلم: وقيل إنه أثبت لهم صفة الجهل لقصد الاعتذار عنهم وتخفيف الأمر عليهم، فكأنه قال: إنما أقدمتم على ذلك الفعل

---

(١) تفسير الماوردي (٣/ ٧٤).

(٢) تفسير الزمخشري (٢/ ٥٠١).

(٣) تفسير الرازي (١٨/ ٥٠٤).

(٤) تفسير القرطبي (٩/ ٢٥٦).

(٥) البحر المحيط في التفسير (٦/ ٣١٩).

القبيح المنكر وقت عدم علمكم بما فيه من الإثم وقصور معارفكم عن عاقبته، وما يترتب عليه»[1].

وفي مراح لبيد: «(إِذْ أَنتُمْ جَهِلُونَ) أي حال كونكم جاهلين عقبى فعلكم ليوسف»[2].

٨- الفرقان (٦٣) - ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣].

قال الطبري: فقوله: (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا) يقول: وإذا خاطبهم الجاهلون بالله بما يكرهونه من القول، أجابوهم بالمعروف من القول، والسداد من الخطاب.

عن الحسن، قال: حلماء لا يجهلون وإن جهل عليهم حلموا»[3].

وقال ابن أبى حاتم: «عَن الْحَسَن، فِي قَوْلِ اللَّه:(﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾، قَالَ: الْمُؤْمِنُ حَلِيمٌ وَإِنْ جُهِلَ عَلَيْهِ حَلُمَ) الْحَدِيثُ وَهُوَ مُعَادٌ.

عَنْ سَعِيدِ بْن جُبَيْر، فِي قَوْلِ اللَّه:(﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾، يَعْنِي: السُّفَهَاءَ مِنَ الْكِبَارِ)»[4].

٩- النمل (٥٥) - ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النمل: ٥٥].

قال الطبري: «(بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) يقول: ما ذلك منكم إلا أنكم قوم سفهاء جهلة بعظيم حقّ الله عليكم، فخالفتم لذلك أمره، وعصيتم رسوله»[5] .

وفي كشاف الزمخشري: «(بل أنتم قوم تجهلون) فكيف يكونون علماء

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٦٢).

(٢) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (١/ ٥٤٦).

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٤٩٣).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٢٢).

(٥) تفسير الطبري (١٨/ ٩٦).

وجهلاء قلت: أراد: تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك. أو تجهلون العاقبة. أو أراد بالجهل. السفاهة والمجانة التي كانوا عليها فإن قلت (تجهلون) صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون التاء وكذلك بل أنتم قوم تفترون قلت: اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لأنها أقوى وأرسخ أصلاً من الغيبة»[1].

وقال القرطبي: «(بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) إما أمر التحريم أو العقوبة»[2].

وفى ظلال القرآن: «ثم دمغهم بالجهل بمعنييه:الجهل بمعنى فقدان العلم. والجهل بمعنى السفه والحمق. وكلا المعنيين متحقق فى هذا الانحراف البغيض. فالذي لا يعرف منطق الفطرة يجهل كل شيء، ولا يعلم شيئاً أصلاً. والذي يميل هذا الميل عن الفطرة سفيه أحمق معتد على جميع الحقوق!»[3].

وفى التفسير الميسر: «بل أنتم قوم تجهلون حقَّ الله عليكم، فخالفتم بذلك أمره، وعَصَيْتُم رسوله بفعلتكم القبيحة التي لم يسبقكم بها أحد من العالمين»[4].

١٠- القصص (٥٥) - ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص: ٥٥].

قال الطبري: «(لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ) يقول: لا نريد محاورة أهل الجهل ومسابَّتهم»[5].

وقال البغوي: «(سلام عليكم)، ليس المراد منه سلام التحية، ولكنه سلام المتاركة، معناه: سلمتم منا لا نعارضكم بالشتم والقبيح من القول، (لا نبتغى الجاهلين)، أي: دين الجاهلين، يعني: لا نحب دينكم الذي أنتم عليه. وقيل: لا

(١) تفسير الزمخشري (٣/ ٣٧٤).
(٢) تفسير القرطبي (١٣/ ٢١٩).
(٣) في ظلال القرآن (٥/ ٢٦٤٧).
(٤) التفسير الميسر (١/ ٣٨١).
(٥) تفسير الطبري (١٨/ ٢٨٢).

نريد أن نكون من أهل الجهل والسفه»[1].

وفي كشاف الزمخشري: «(سلام عليكم) توديع ومتاركة. وعن الحسن ﷺ عنه: كلمة حلم من المؤمنين (لا نبتغي الجاهلين) لا نريد مخالتهم وصحبتهم»[2].

وفي التحرير والتنوير:« (لا نبتغي الجاهلين) من أن ذلك خلقهم أنهم يتطلبون العلم ومكارم الأخلاق. والجملة تعليل للمتاركة، أي لأنا لا نحب مخالطة أهل الجهالة بالله وبدين الحق وأهل خُلق الجهل الذي هو ضد الحلم، فاستعمل الجهل في معنييه المشترك فيها»[3].

١١- الأحـــزاب (٧٢) - ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢].

قال الطبري: «جهولا) بالذي فيه الحظ له. غرًّا بأمر الله»[4].

وقال الماوردي: « (إِنَّهُ كَنَ ظَلُوماً جَهُولاً) فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ظلوماً لنفسه، جهولاً بربه، قاله الحسن.

الثاني: ظلوماً في خطيئته، جهولاً فيما حَمَّلَ ولده من بعده،قاله الضحاك.

الثالث: ظلوماً لحقها، قاله قتادة. جهولاً بعاقبة أمره، قاله ابن جريج»[5].

وقال العز بن عبد السلام: «(جَهُولاً) بربه، أو ظلوماً في خطيئته جهولاً بما حَمَّل ولده من بعده، أو ظلوماً بحقها جهولاً بعاقبة أمره»[6].

وقال البيضاوي: «(جهولاً) بكنه عاقبتها»[7] .

---

(١) تفسير البغوي (٦/ ٢١٥).

(٢) تفسير الزمخشري (٣/ ٤٢٢).

(٣) التحرير والتنوير (٢٠/ ١٤٦).

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ١٩٦).

(٥) تفسير الماوردي (٤/ ٤٣٠).

(٦) تفسير العز بن عبد السلام (٢/ ٥٩٤).

(٧) تفسير البيضاوي (٤/ ٢٤٠).

وفي فتح القدير: «جهول لما يلزمه، أو جهول لقدر ما دخل فيه كما قال سعيد بن جبير أو جهول بربه كما قال الحسن»[1].

وفي ظلال القرآن: «الإنسان الذي يعرف الله بإدراكه وشعوره. ويهتدي إلى ناموسه بتدبره وبصره. ويعمل وفق هذا الناموس بمحاولته وجهده. ويطيع الله بإرادته وحمله لنفسه، ومقاومة انحرافاته ونزغاته، حين يصل إلى المعرفة الواصلة إلى بارئه، والاهتداء المباشر لناموسه، والطاعة الكاملة لإرادة ربه.

فإنه يصل حقا إلى مقام كريم، ومكان بين خلق الله فريد»[2].

وفي التحرير والتنوير: «وجملة (إنه كان ظلوماً جهولاً) محلها اعتراض بين جملة (وحملها الإنسان) والمتعلق بفعلها وهو ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [الأحزاب: ٧٣] إلخ. الخ. ومعناها استئناف بياني لأن السامع خبرَ أن الإنسان تحمل الأمانة يترقب معرفة ما كان من حسن قيام الإنسان بما حُمِّله وتحمّله وليست الجملة تعليلية لأن تحمل الأمانة لم يكن باختيار الإنسان فكيف يعلل بأن حمله الأمانة من أجل ظلمه وجهله. فمعنى (كان ظلوماً جهولاً) أنه قصّر في الوفاء بحق ما تحمله تقصيراً: بعضُه عن عمْد وهو المعبر عنه بوصف ظلوم، وبعضه عن تفريط في الأخذ بأسباب الوفاء وهو المعبر عنه بكونه جهولاً، فظلوم مبالغة في الظلم وكذلك جهول مبالغة في الجهل. والظلم: الاعتداء على حق الغير وأريد به هنا الاعتداء على حق الله الملتزم له بتحمل الأمانة، وهو حق الوفاء بالأمانة. والجهل: انتفاء العلم بما يتعين علمه، والمراد به هنا انتفاء علم الإنسان بمواقع الصواب فيما تحمل به، فقوله: (إنه كان ظلوماً جهولاً) مؤذن بكلام محذوف يدل هو عليه إذ التقدير: وحملها الإنسان فلم يف بها إنه كان ظلوماً جهولاً، فكأنه قيل: فكان ظلوماً جهولاً، أي ظلوماً، أي في عدم الوفاء بالأمانة لأنه إجحاف بصاحب الحق في الأمانة أيّاً كان، وجهولاً في عدم تقديره قدر إضاعة الأمانة من

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٣٥٥).

(٢) في ظلال القرآن (٥/ ٢٨٨٥).

المؤاخذة المتفاوتة المراتب في التبعية بها، ولولا هذا التقدير لم يلتئم الكلام لأن الإنسان لم يحمل الأمانة باختياره بل فُطِر على تحملها.

ويجوز - وكأن الصواب أن نقول ولايجوز - أن يراد (ظلوماً جهولاً) في فطرته، أي في طبع الظلم، والجهل فهو معرض لهما ما لم يعصمه وازع الدين، فكان من ظلمه وجهله أن أضاع كثير من الناس الأمانة التي حملها. ولك أن تجعل ضمير (إنه) عائداً على الإنسان وتجعل عمومه مخصوصاً بالإنسان الكافر تخصيصاً بالعقل لظهور أن الظلوم الجهول هو الكافر. أو تجعل في ضمير (إنه) استخداماً بأن يعود إلى الإنسان مراداً به الكافر وقد أطلق لفظ الإنسان في مواضع كثيرة من القرآن مراداً به الكافرُ كما في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾ [مريم: ٦٦].

الآية قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾ [الانفطار: ٦].

الآيات. وفي ذكر فعل (كان) إشارة إلى أن ظلمه وجهله وصفان متأصلان فيه لأنهما الغالبان على أفراده الملازمان لها كثرة أو قلة. فصيغتا المبالغة منظور فيهما إلى الكثرة والشدة في أكثر أفراد النوع الإنساني والحكم الذي يسلط على الأنواع والأجناس والقبائل يراعى فيه الغالب وخاصة في مقام التحذير والترهيب. وهذا الإجمال يبينه قوله عقبه: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٧٣].

فقد جاء تفصيله بذكر فريقين: أحدهما: مضيع للأمانة والآخر مراعٍ لها. ولذلك أثنى الله على الذين وَفّوا بالعهود والأمانات فقال في هذه السورة: ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾﴾.

وقال فيها: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وقال: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤].

وقال في ضد ذلك: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٢٧﴾ البقرة: ٢٦ – ٢٧»[1].

وفي أضواء البيان: «(وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)، الظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْإِنْسَانِ آدَمُ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَأَنَّ الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ: (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)، رَاجِعٌ لِلَفْظِ: الْإِنْسَانُ، مُجَرَّدًا عَنْ إِرَادَةِ الْمَذْكُورِ مِنْهُ، الَّذِي هُوَ آدَمُ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ أَيِ الْإِنْسَانَ الَّذِي لَا يَحْفَظُ الْأَمَانَةَ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا، أَيْ: كَثِيرَ الظُّلْمِ وَالْجَهْلِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا أَمْرَانِ:

أَحَدُهُمَا: قَرِينَةٌ قُرْآنِيَّةٌ دَالَّةٌ عَلَى انْقِسَامِ الْإِنْسَانِ فِي حَمْلِ الْأَمَانَةِ الْمَذْكُورَةِ إِلَى مُعَذَّبٍ وَمَرْحُومٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى بَعْدَهُ، مُتَّصِلًا بِهِ: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٣﴾ [الأحزاب: ٧٣].

فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ الظَّلُومَ الْجَهُولَ مِنَ الْإِنْسَانِ هُوَ الْمُعَذَّبُ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، وَهُمُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ، وَالْمُشْرِكُونَ وَالْمُشْرِكَاتُ، دُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ. وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ: (لِيُعَذِّبَ): لَامُ التَّعْلِيلِ، وَهِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِقَوْلِهِ: (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ).

الْأَمْرُ الثَّانِي: أَنَّ الْأُسْلُوبَ الْمَذْكُورَ - الَّذِي هُوَ رُجُوعُ الضَّمِيرِ إِلَى مُجَرَّدِ اللَّفْظِ دُونَ اعْتِبَارِ الْمَعْنَى التَّفْصِيلِيِّ - مَعْرُوفٌ فِي اللُّغَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ، وَبَيَّنَّا هُنَاكَ أَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ هِيَ الْمَعْرُوفَةُ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ بِمَسْأَلَةِ: عِنْدِي دِرْهَمٌ وَنِصْفُهُ، أَيْ: نِصْفُ دِرْهَمٍ آخَرَ، كَمَا تَرَى. وَبَعْضُ مَنْ قَالَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّ الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ: (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)، عَائِدٌ إِلَى آدَمَ، قَالَ: الْمَعْنَى أَنَّهُ كَانَ ظَلُومًا لِنَفْسِهِ جَهُولًا، أَيْ: غِرًّا بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ، وَمَا يَتْبَعُ الْأَمَانَةَ مِنَ الصُّعُوبَاتِ، وَالْأَظْهَرُ مَا ذَكَرْنَا، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى»[2].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٢/ ١٢٩).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/ ٢٥٩).

الجهل بالله

١٢- الزمر (٦٤) - ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الزمر: ٦٤].

قال الطبري: «(أَفَغَيْرَ اللَّهِ) أيها الجاهلون بالله (تَأْمُرُونِّي) أن (أَعْبُدُ) ولا تصلح العبادة لشيء سواه»[١].

وقال البغوي: «قال مقاتل: وذلك أن كفار قريش دعوه إلى دين آبائه»[٢].

وفى مفاتيح الغيب: «إنما وصفهم بالجهل لأنه تقدم وصف الإله بكونه خالقا للأشياء وبكونه مالكا لمقاليد السموات والأرض، وظاهر كون هذه الأصنام جمادات أنها لا تضر ولا تنفع، ومن أعرض عن عبادة الإله الموصوف بتلك الصفات الشريفة المقدسة، واشتغل بعبادة هذه الأجسام الخسيسة، فقد بلغ فى الجهل مبلغا لا مزيد عليه، فلهذا السبب قال: (أيها الجاهلون) ولا شك أن وصفهم بهذا الأمر لائق بهذا الموضع»[٣].

وقال ابن كثير: «عن ابن عباس ﷺ أن المشركين من جهلهم دعوا رسول الله إلى عبادة آلهتهم ويعبدوا معه إلهه فنزلت (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون)»[٤].

وقال النسفي: «(أيها الجاهلون) بتوحيد الله»[٥].

وقال السعدي: «هذا الأمر صدر من جهلكم، وإلا فلو كان لكم علم بأن الله تعالى الكامل من جميع الوجوه، مسدي جميع النعم، هو المستحق للعبادة، دون من كان ناقصا من كل وجه، لا ينفع ولا يضر، لم تأمروني بذلك»[٦].

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٤٣).
(٢) تفسير البغوي (٧/ ١٣٠).
(٣) تفسير الرازي (٢٧/ ٤٧١).
(٤) تفسير ابن كثير (٧/ ١٠١).
(٥) تفسير النسفي (٣/ ١٩١).
(٦) تفسير السعدي (ص: ٧٢٩).

وفي التحرير والتنوير: «والجهل هنا ضد العلم لأنهم جهلوا دلالة الدلائل المتقدمة فلم تفد منهم شيئاً فعمُوا عن دلائل الوحدانية التي هي بمرأى منهم ومسمع فجهلوا دلالتها على الصانع الواحد ولم يكفهم هذا الحظ من الجهل حتى تدلَّوا إلى حضيض عبادة أجسام من الصخّر الأصم. وإطلاق الجهل على ضد العلم إطلاق عربي قديم قال النابغة:... يُخْبِرْكَ ذُو عِرْضِهم عني وعالمهم وليس جاهلُ شيء مثل مَن عَلِما... وقال السموأل أو عبدُ الملك بن عبد الرحيم الحارثي:... سَلِي إن جَهِلتِ الناس عنا وعنهم فليسَ سواءً عالمٌ وجهول... وحُذف مفعول (الجاهلون) لتنزيل الفعل منزلة اللازم كأنَّ الجهل صار لهم سجية فلا يفقهون شيئاً فهم جاهلون بما أفادته الدلائل من الوحدانية التي لو علموها لما أشركوا ولمَا دعوا النبي ﷺ إلى اتباع شركهم، وهم جاهلون بمراتب النفوس الكاملة جهلاً أطمَعهم أن يصرفوا النبي ﷺ عن التوحيد وأن يستزّلوه بخزعبلاتهم وإطماعهم إياه أَن يعبدوا اللَّه إن هو شاركهم في عبادة أصنامهم يحسبون الدِّين مساومة ومغابنة وتطفيفاً»[1].

وفي التفسير الميسر: «قل -أيها الرسول- لمشركي قومك: أفغير اللَّه أيها الجاهلون باللَّه تأمرونّي أن أعبد، ولا تصلح العبادة لشيء سواه؟»[2].

وفي الوسيط: «قل - أيها الرسول الكريم - لهؤلاء المشركين على سبيل التوبيخ والتأنيب: أبعد أن شاهدتم ما شاهدتم من الآيات الدالة على وحدانية اللَّه - تعالى -، وعلى صدقي فيما أبلغه عنه، أبعد كل ذلك تأمروني أن أعبد غير اللَّه - تعالى - أيها الجاهلون بكل ما يجب للَّه - تعالى - من تنزيه وتقديس..»[3].

١٣- الأحقاف (٢٣) -﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأحقاف: ٢٣].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٤/ ٥٧).

(٢) التفسير الميسر (١/ ٤٦٥).

(٣) التفسير الوسيط لطنطاوي (١٢/ ٢٤٥).

قال الطبري: «(وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ) مواضع حظوظ أنفسكم، فلا تعرفون ما عليها من المضرّة بعبادتكم غير الله، وفي استعجال عذابه»[1].

وفي كشاف الزمخشري: «ولكنكم جاهلون لا تعلمون أنّ الرسل لم يبعثوا إلا منذرين لا مقترحين، ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه»[2].

وفي مفاتيح الغيب: «(ولكنى أراكم قوماً تجهلون) وهذا يحتمل وجوها:

الأول: المراد أنكم لا تعلمون أن الرسل لم يبعثوا سائلين عن غير ما أذن لهم فيه وإنما بعثوا مبلغين.

الثاني: أراكم قوما تجهلون من حيث إنكم بقيتم مصرين على كفركم وجهلكم فيغلب على ظنى أنه قرب الوقت الذي ينزل عليكم العذاب بسبب هذا الجهل المفرط والوقاحة التامة .

الثالث: (إنى أراكم قومًا تجهلون) حيث تصرون على طلب العذاب وهب أنه لم يظهر لكم كونى صادقًا، ولكن لم يظهر أيضا لكم كوني كاذبا فالإقدام على الطلب الشديد لهذا العذاب جهل عظيم»[3].

وقال النسفي: «ولكنكم جاهلون لا تعلمون أن الرسل بعثوا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه»[4].

وفي ظلال القرآن: «ولكني أراكم قوما تجهلون)وتحمقون. وأية حماقة وأي جهل أشد من استقبال النذير الناصح والأخ القريب بمثل هذا التحدي والتكذيب ؟»[5].

وفي التحرير والتنوير: «(وموقع الاستدراك بقوله: (ولكني أراكم قوماً تجهلون) أنه عن قوله: (إنما العلم عند الله)، أي ولكنكم تجهلون صفات الله

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٥٥).

(٢) تفسير الزمخشري (٤/ ٣٠٧).

(٣) تفسير الرازي (٢٨/ ٢٤).

(٤) تفسير النسفي (٣/ ٣١٥).

(٥) في ظلال القرآن (٦/ ٣٢٦٦).

وحِكمة إرساله الرسل، فتحسبون أن الرسل وسائط لإنهاء اقتراح الخلق على الله أن يريهم العجائب ويساجلهم في الرغائب، فمناط الاستدراك هو معمول خبر (لكنّ) وهو (قوماً تجهلون)، والتقدير: ولكنكم قوم يَجهلون، فإدخال حرف الاستدراك على ضمير المتكلم عدول عن الظاهر لئلا يبادرهم بالتجهيل استنزالاً لطائرهم، فجعل جهلهم مظنوناً له لينظروا في صحة ما ظنه من عدمها. وإنما زيد (قوماً) ولم يقتصر على (تجهلون) للدلالة على تمكن الجهالة منهم حتى صارت من مقوّمات قوميتهم وللدلالة على أنها عمت جميع القبيلة كما قال لوط لقومه ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾ [هود: ٧٨]»[1].

١٤- الفتح (٢٦) -﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفتح: ٢٦].

قال الطبري: «وقال (حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ) لأن الذي فعلوا من ذلك كان جميعه من أخلاق أهل الكفر، ولم يكن شيء منه مما أذن الله لهم به، ولا أحد من رسله»[2].

وقال البغوي: «والحمية: الأنفة، يقال: فلان ذو حمية إذا كان ذا غضب وأنفة. قال مقاتل: قال أهل مكة: قد قتلوا أبناءنا وإخواننا ثم يدخلون علينا، [فتتحدث العرب أنهم دخلوا علينا] على رغم أنفنا، واللات والعزى لا يدخلونها علينا، فهذه «حمية الجاهلية»، التي دخلت قلوبهم. (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين)، حتى لم يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعصوا الله في قتالهم»[3].

المعرفة

---

(١) التحرير والتنوير (٢٦/ ٤٨).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٣٠٩).

(٣) تفسير البغوي (٧/ ٣٢١).

ورد تعريف كلمة المعرفة في كتاب المفردات للأصفهاني أنقله بتصرف:

- المعرفة والعرفان: إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره، وهو أخص من العلم، والمعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصل به بتفكر.

وأصله من: عرفت. أي: أصبت عرفه. أي: رائحته، أو من أصبت عرفه. أي: خده، يقال عرفت كذا.

وعرفه: جعل له عرفًا. أي: ريحا طيبا. قال في الجنة: ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦﴾ [محمد: ٦]. أي: طيبها زينها لهم (انظر وضح البرهان بتحقيقنا ٢/٢٣٥) ، وقيل: عرفها لهم بأن وصفها لهم، وشوقهم إليها وهداهم.

ويضاده الإنكار، ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ۝٥٨﴾ [يوسف: ٥٨].

والمعروف: اسم لكل فعل يعرف بالعقل أو الشرع حسنه، والمنكر: ما ينكر بهما[1].

وفي كتاب مقاييس اللغة: «العين والراء والفاء أصلان صحيحان، يدلُّ أحدُهما على تتابُع الشيء متَّصلاً بعضُه ببعض، والآخر على السكون والطُّمَأنينة.

فالأوّل العُرْف: عُرْف الفَرَس. وسمِّي بذلك لتتابُع الشَّعر عليه.

ويقال: جاءَت القَطا عُرْفاً عُرْفاً، أي بعضُها خَلْفَ بعض.ومن الباب: العُرْفة وجمعها عُرَف، وهي أرضٌ منقادة مرتفِعة بين سَهْلتين تنبت، كأنّها عُرف فَرَس.

والأصل الآخر المعَرِفة والعِرفان. تقول: عَرَف فلانٌ فلاناً عِرفاناً ومَعرِفة. وهذا أمر معروف.

وهذا يدلُّ على ما قلناه من سُكونه إليه، لأنَّ مَن أنكر شيئاً توحَّشَ منه ونَبَا عنْه.ومن الباب العَرْف، وهي الرَّائحة الطيِّبة.

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٥٦١).

وهي القياس، لأنَّ النَّفس تسكُن إليها. يقال: ماأطيَبَ عَرْفَه. قال الله ﷻ: وَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ [محمد: ٦]، أي طيَّبَها. قال:

إلا رُبَّ يومٍ قد لَهَوْتُ ولَيْلَةٍ بواضحةِ الخدّين طيّبة العَرْفِ

والعُرْف: المعروف، وسمِّي بذلك لأنَّ النفوس تسكُن إليه»[1].

نخلص مما سبق أن المعرفة ضدها النكرة أو الإنكار.

فالمعرفة تذهب وتزيل النكارة للشيء.

والمعرفة لا تؤدي إلى عمل وارتباط مع الشيء حتى يتكون علم بهذا الشيء

والمعرفة تحصل بأن تعلم اسم شيء أو معلومة واحدة عن شيء أو بضع معلومات عنه وتكون بذلك عارفا لهذا الشيء وتزول نكارته عنك.

والمعرفة: تمييز العلوم والمعلومات.

الفرق بين العلم والمعرفة:

فلفظا:

فعل المعرفة يقع على مفعول واحد.

وفعل العلم يقتضي مفعولين،وإن وقع على مفعول واحد كان بمعنى المعرفة.

ومعنى:

١-المعرفة: تتعلق بذات الشيء،والعلم: يتعلق بأحواله.

المعرفة:حضور صورة الشيء، والعلم:حضور أحواله وصفاته ونسبتها إليه.

المعرفة تشبه التصور، والعلم يشبه التصديق.

ولذلك جاء الأمر في القرآن بالعلم دون المعرفة.

٢-المعرفة تكون لِما غاب عن القلب بعد إدراكه فإذا أدركه قيل: عرفه.

أو تكون لِما وصف له بصفات قامت في نفسه،فإذا رآه وعلم أنه الموصوف

---

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٢٨١).

بها قيل: عرفه.

فالمعرفة: تشبه الذكر للشيء، وهو حضور ما كان غائبا عن الذكر.

٣-المعرفة تفيد تمييز المعروف عن غيره، وهذا يرجع إلى إدراك الذات وإدراك صفاتها.

والعلم يفيد تمييز ما يوصف به عن غيره، وهذا يرجع إلى تخليص الذات عن غيرها، وتخليص صفاتها من صفات غيرها.

٤-المعرفة علم بعين الشيء مفصلاً عما سواه.

والعلم قد يتعلق بالشيء مجملاً[1].

٥- الفرق الخامس وهو فرق العسكري في فروقه وفروق غيره: أن المعرفة علم بعين الشيء مفصلاً عما سواه، بخلاف العلم فإنه قد يتعلق بالشيء مجملاً، وهذا يشبه فرق صاحب المنازل، فإنه قال: المعرفة إحاطة بعين الشيء كما هو، وعلى هذا الحد: فلا يتصور أن يعرف الله ألبتة، ويستحيل عليه هذا الباب بالكلية فإن الله سبحانه لا يحاط به علماً، ولا معرفة ولا رؤية، فهو أكبر من ذلك وأجل وأعظم، قال تعالى: يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً بل حقيقة هذا الحد: انتفاء تعلق المعرفة بأكبر المخلوقات حتى بأظهرها، وهو الشمس والقمر، بل لا يصح أن يعرف أحد نفسه وذاته ألبتة.

والفرق بين العلم والمعرفة عند أهل هذا الشأن: أن المعرفة عندهم هي العلم الذي يقوم العالم بموجبه ومقتضاه، فلا يطلقون المعرفة على مدلول العلم وحده، بل لا يصفون بالمعرفة إلا من كان عالما بالله، وبالطريق الموصل إلى الله، وبآفاتها وقواطعها، وله حال مع الله تشهد له بالمعرفة، فالعارف عندهم من عرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله، ثم صدق الله في معاملته، ثم أخلص له في قصوده ونياته، ثم انسلخ من أخلاقه الرديئة وآفاته، ثم تطهر من أوساخه وأدرانه

(١) (من كتاب مدارج السالكين) وللمزيد ارجع إلى الفروق اللغوية ص٧٢ الباب الرابع.

ومخالفاته، ثم صبر على أحكام الله في نعمه وبلياته، ثم دعا إليه على بصيرة بدينه وآياته، ثم جرد الدعوة إليه وحده بما جاء به رسوله، ولم يشبها بآراء الرجال وأذواقهم ومواجيدهم ومقاييسهم ومعقولاتهم، ولم يزن بها ما جاء به الرسول عليه من الله أفضل صلواته، فهذا الذي يستحق اسم العارف على الحقيقة، إذا سمي به غيره على الدعوى والاستعارة.

الآيات التي وردت فيها كلمة المعرفة

وردت ٢٢ مرة .

١- معرفة الكتاب

١- البقرة (٨٩) - ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة: ٨٩].

٢- البقرة (١٤٦) - ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة: ١٤٦].

٣- الأنعام (٢٠) -﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنعام:٢٠].

٢-عرفات

٤- البقرة (٢٩٨) -﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾ البقرة: ١٩٨.

٣- معرفة الفقراء

٥- البقرة (٢٧٣) - ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ [البقرة: ٢٧٣].

٤- معرفة الحق من المنزل

٦- المائدة (٨٣) - ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة: ٨٣].

٥- معرفة الرجال

٧- الأعراف (٤٦) - ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأعراف: ٤٦].

٨- الأعراف (٤٨) -﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأعراف: ٤٨].

٩- يوسف (٥٨) - ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يوسف: ٥٨].

١٠- محمد (٣٠) - ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾ [محمد: ٣٠].

١١- الرحمن (٤١)- ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَىٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ [الرحمن: ٤١].

١٢- المطففين (٢٤) - ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ [المطففين: ٢٤].

٦- معرفة البضاعة

١٣- يوسف (٦٢) - ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يوسف: ٦٢].

٧- معرفة المخلوقات ومنها نعم اللَّه

١٤- النحل (٣٨) - ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [النحل: ٣٨].

٨- معرفة المنكر

١٥- الحج (٧٢) - ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

﴾ [الحج: ٧٢].

٩- معرفة الرسول

١٦- المؤمنون (٦٩) -﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المؤمنون: ٦٩].

١٠- معرفة الآيات

١٧- النمل (٩٣) - ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [النمل: ٩٣].

١١- معرفة النساء

١٨- الأحزاب (٥٦) - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب: ٥٩].

١٢- تعريف الجنة

١٩- محمد (٦) - ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾ [محمد: ٦].

١٣- تعريف حديث

٢٠- التحريم (٣) - ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾ [التحريم: ٣].

والملفت للنظر أن كلمة المعرفة لم تقترن في كتاب الله بأي اسم من أسماء الله، أو بأي صفة من صفاته أو بأي فعل من أفعاله أي أنه لا يوجد عبارة (معرفة الله) أو عارف بالله .

مشتقات غير مرتبطة مثل المعروف وغيرها

٢١- المرسلات (١)- ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾﴾ [المرسلات: ١].

٢٢- الأعراف (١٩٩) -﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩].

اقتران الإيمان بالعلم دليل على ملازمته

اقتران كلمة العلم وموضوعه، بكلمة الإيمان وموضوعه، ذو أهمية عظيمة بأي شيء في الحياة، فالعلم إذا استقر في القلب الحي السليم الفطري لا بد أن يوجد

فيه التصديق والإيمان، ولأن طبيعة العلم هو الذي لا يشوبه شك وإلا يخرج من اسم علم إلى اسم آخر.

كما أن الجهل بشيء لا يتبعه إيمان بهذا الشيء ولا يتبعه عمل معه ولا فائدة مرجوة من هذ الشيء. كيف يكون تصديق لخبر عن شيء غير موجود.

والآيات هذه تؤكد على أن العلم الحقيقي الصادق الذي يرسخ في القلب يثمر إيمان إذ لاعلم بدون إيمان ولا إيمان بدون علم.

﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ١٦٢ ﴾ [النساء: ١٦٢].

﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤ ﴾ [الحج: ٥٤].

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٥٦ ﴾ [الروم: ٥٦].

﴿ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ١٨ ﴾ [الشورى: ١٨].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ ﴾ [المجادلة: ١١].

وآيات العلم المذكورة في القرآن تشير على أن من حصل العلم فقد حصل الخير ومن لم يحصل الخير لم يحصل العلم.

وحين يطالب الإنسان بالإيمان بشيء وهو أصلاً غير مؤمن به. فإنه يطالب عملياً بمراجعة العلم الذي عنده عن هذا الشيء في قلبه حتى يكون حقيقة لا وهم فيصدقه .

الخاتمة

إنما أردت من هذا الكتاب إظهار كل محور أو كل موضوع من موضوعات القرآن حسب حجمه في القرآن ولا أتوسع حسب هواي بمحور على حساب آخر وأن يكون بصدر وقلب الإنسان بنفس النسب ولايمكن أن يحصل هذا بدون تعاون ونصح لكتاب الله في صدر المؤمن المتعاون.

والخلاصة

أريد أيضاً مما تقدم:

- أن نعلم مراد الله من كلمة العلم في كل موضع في القرآن على الوجه الصحيح الذي أراده ربنا.
- أن لا نفهم المراد وفق تصور خاطئ مسبق.
- أن لا نستعمل كلمة العلم إلا ونحن نميز نوعية العلم.
- ولا ندخل العلوم ببعضها فنلبس بذلك - ونحن لا نشعر- الحق بالباطل .

فالعلم بسنن الله والتجارب الإنسانية التي كشفها الله للإنسان رحمة منه وفضلاً، ليست هي نفسها العلوم التي أنزلها الله سبحانه والتي تخبرنا عن غيب من الغيبيات، فالآيات والأحاديث المتعلقة بكل واحد منهما لا تنطبق على بعضها.

الحمد لله رب العالمين على توفيقه لإنجاز هذا الكتاب والحمد لله على تسديده لما ورد فيه من الحق، وأستغفرالله من كل خطأ وزلل وهفوة وردت في هذا الكتاب، وأنا مستعد لاستقبال النصح وشاكرا ابتداء لكل ناصح.

المحتويات

تقديم الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم ٥

مقدمة ٧

لفظ (اعلموا) في القرآن ١٦

التعريف اللغوي للعلم والتعلم ١٩

المفهوم العصري لكلمة العلم ٢١

دلالة كلمة العلم في القرآن الكريم ٢٣

جدول يبين ورود عدد كل لفظة من اشتقاقات كلمة (علم) ٢٤

أنواع العلوم في القرآن الكريم حسب الأهمية ٢٦

تفكر وتأمل ٢٧

الباب الأول: العلم بالله ٢٩

المبحث الأول: أنواع العلم بالله ٣٢

١- العلم بذات الله ٣٤

٢- العلم بأسماء الله ٣٤

٣- العلم بصفات الله ٤٩

٤- العلم بأفعال الله ٦٧

٥-العلم بالذي هو من الله ١٠٩

٦- علم بما عند الله ١١٥

٧- إلى الله أشياء كثيرة ١٢٤

٨- علم بما لله ١٢٥

٩- العلم بمعية الله ١٤١

١٠- العلم بحدود الله ١٤٦

١١- العلم بما في نفس الله ١٤٨

١٢- العلم بوعد الله ١٤٩

١٣- العلم بالله (الإله الواحد) ١٦٠

١٤- العلم بسبيل الله ١٦٩

١٥- علم بأوامر الله ١٦٩
١٦-العلم بما نسب الله إلى نفسه (عظمته وحرمته) ١٧٠
١٧- العلم بأمر الله (بشأنه سبحانه) ١٧١
١٨- العلم بفطرة الله ١٧٤
١٩- العلم بقسم الله ١٧٧
٢٠-العلم بنذير الله ١٨١
٢١-العلم بعذاب الله ١٨٤
٢٢- العلم بالجزاء ١٨٦
٢٣- العلم بكتاب الله وبرسالته وبكلامه. ١٩٩
٢٤- العلم بلقاء الله ١٩٩
٢٥- العلم بما ورد عن غيب الله ١٩٩
٢٦- العلم برسل الله ١٩٩
٢٧- العلم بالله: (الشامل لما سبق أوبعضها) ١٩٩
المبحث الثاني: العلم العام وأهمه العلم بالله ٢٨٦
١- آيات العلم العام، وأهمه العلم بالله: من البقرة- إلى النحل ٢٨٧
٢- العلم النافع وأهمه العلم بالله: من آل عمران – إلى الأعراف ٢٩٣
٣- العلم النافع وأهمه العلم بالله: من الأنفال - إلى يونس ٢٩٦
٤- العلم النافع وأهمه العلم بالله: من هود - إلى النحل ٣٠٣
٥- العلم النافع وأهمه العلم بالله: من الإسراء-إلى الأنبياء ٣١٣
٦- العلم النافع وأهمه العلم بالله: من الحج-إلى الشعراء ٣٢١
٧- العلم النافع وأهمه العلم بالله: من النمل - إلى القصص ٣٢٨
٨- العلم النافع وأهمه العلم بالله: من العنكبوت-إلى الروم ٣٣٧
٩- العلم النافع وأهمه العلم بالله: من لقمان - إلى فاطر ٣٤٢
١٠- العلم النافع وأهمه العلم بالله: من يس - إلى غافر ٣٤٤
١١- العلم النافع وأهمه العلم بالله: فصلت- إلى الأحقاف ٣٥١
١٢- العلم النافع وأهمه العلم بالله: من محمد - إلى النجم ٣٥٨
١٣- العلم النافع وأهمه العلم بالله: من المجادلة-إلى الناس ٣٦٠

المبحث الثالث: (علم اللَّه وتعليمه) في القرآن ٣٧٥
وهو من العلم بالله ٣٧٥
علم اللَّه ٣٧٦
(تعليم اللَّه) في القرآن ٤١١
تعليم اللَّه ٤١١
المبحث الرابع: العلم بأعمال الإنسان مع الله ٤١٢
اقتران علم بعمل مع اللَّه (المعصية والاستغفار) ٤١٣
اقتران علم بعمل مع اللَّه ٤١٣
المبحث الخامس: العلم بجزاءات الأعمال مع الله ٤١٥
الباب الثاني: العلم بكتاب الله ٤١٧
علم بالكتاب ٤٢١
علم بالكتاب وما فيه من العلوم ٤٢٣
علم بالقرآن ٤٢٥
علم بالآيات ٤٣٠
من أهل العلم بكتاب اللَّه ٤٣١
علم بالوحي ٤٣١
علم بالنبأ بالقرآن ٤٣٢
العلم بجزاءات العلاقات مع الكتاب ٤٣٣
الباب الثالث: العلم باللقاء مع الله والعلم بالآخرة ٤٣٥
علم باللقاء مرادف اللقاء الحشر إليه ٤٣٧
علم بالدار الآخرة ٤٣٨
الباب الرابع: العلم المرتبط بالغيب ٤٤٩
ماهو الغيب بالنسبة للإنسان ٤٥١
علم عن الغيب ٤٥١
علم بالمخلوقات الغيبية ٤٥٢
علم الغيب علم اللَّه ٤٥٢

العلم بالعلاقات مع الغيب ٤٥٦
العلم بجزاءات العلاقات مع الغيب ٤٥٦
الباب الخامس: العلم برسل الله ٤٥٧
العلم عن الرسل ٤٥٩
علم بالرسل ٤٦٠
العلم بالعلاقات مع الرسل ٤٦٣
العلم بجزاءات العلاقات مع الرسل ٤٦٤
الباب السادس: العلم بالإنسان ٤٦٥
العلم بالإنسان ٤٦٧
علم بسفه أنفسهم ٤٦٧
علم بالعلاقات الإنسانية ٤٦٩
علم بالإنسان والعلاقات الإنسانية ٤٧١
العلم بالعلاقات الإنسانية ٤٧٧
الباب السابع: العلم بما ورد من معلومات عن الشيطان ٤٧٩
وما هي العلاقات الإنسانية مع الشيطان ٤٨١
وما هي جزاءات العلاقات مع الشيطان ٤٨١
التوفيق بين المحاور ٤٨١
الباب الثامن: العلوم الدنيوية في القرآن ٤٨٥
١- العلم بالمشرب ٤٨٧
٢- العلم بالسحر وبالضار وبما لاينفع وبالمعنويات ٤٨٧
٣- عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ الكتابة ٤٨٩
٤- علم التكليب ٤٩٢
٥- علم التأديب ٤٩٣
٦- علم بالأموال والأولاد ٤٩٣
٧- علم بأنواع الفتن ٤٩٤
٨- علم بالغنائم ٤٩٤

٩- علم تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ٤٩٥
١٠- العلم بعدد السنين والحساب ٤٩٥
١١- علم بالآيات المعجزات المرئيات ٤٩٦
١٢- العلم بأهل الكهف ٤٩٦
١٣- العلم بما عبد من الآلهة المتخذة زورا ٤٩٧
١٤- علم الصنعة والحاجة ٤٩٨
١٥- علم منطق الطير ٤٩٨
١٦- علم بجزاءات الطغاة ٤٩٨
١٧- بأسباب النعم والرزق ٤٩٨
١٨- علم بالعربية ٤٩٩
١٩- علم بنظم الشعر ٤٩٩
٢٠- علم بأهل الحق ٥٠٠
٢١- علم بما يتعلق بالقسم بمواقع النجوم ٥٠٠
كل أنواع العلوم الحياتية ٥٠١
الباب التاسع: مكملات الكتاب ٥٠٣
الجهل والآيات التي ورد فيها ٥٠٥
المعرفة ٥٢٥
الفرق بين العلم والمعرفة: ٥٢٧
الآيات التي وردت فيها كلمة المعرفة ٥٢٩
١- معرفة الكتاب ٥٢٩
٢-عرفات ٥٢٩
٣- معرفة الفقراء ٥٢٩
٤- معرفة الحق من المنزل ٥٣٠
٥- معرفة الرجال ٥٣٠
٦- معرفة البضاعة ٥٣٠
٧- معرفة المخلوقات ومنها نعم الله ٥٣٠
٨- معرفة المنكر ٥٣٠

٩- معرفة الرسول ٥٣١
١٠- معرفة الآيات ٥٣١
١١- معرفة النساء ٥٣١
١٢- تعريف الجنة ٥٣١
١٣- تعريف حديث ٥٣١
مشتقات غير مرتبطة مثل المعروف وغيرها ٥٣١
اقتران الإيمان بالعلم دليل على ملازمته ٥٣١
الخاتمة ٥٣٣
المحتويات ٥٣٥